«لقد تعلّمت من المائة صفحة الأولى من هذا الكتاب ما يفوق كل ما قرأته عن كيفية التواصل داخل العلاقات الإنسانية».

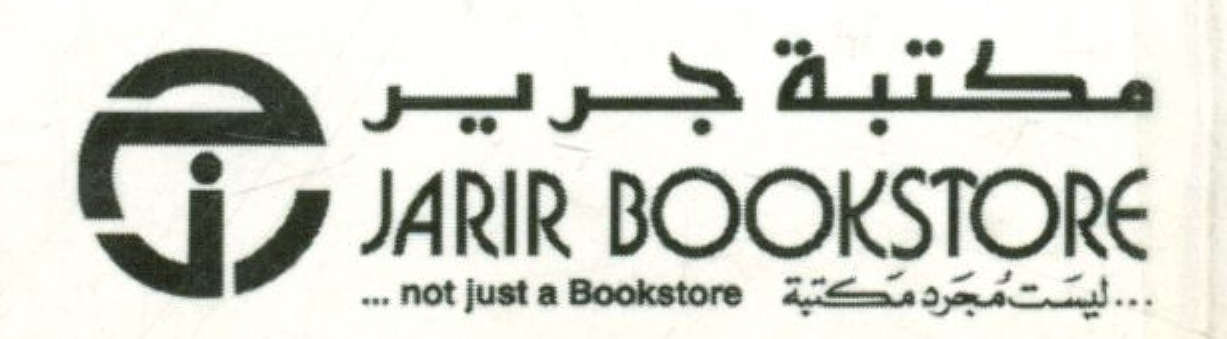
**كاثي جيزوايت**، رسامة كاريكاتير معروفة

# النساء لا يسمعن ما لا يقوله الرجال

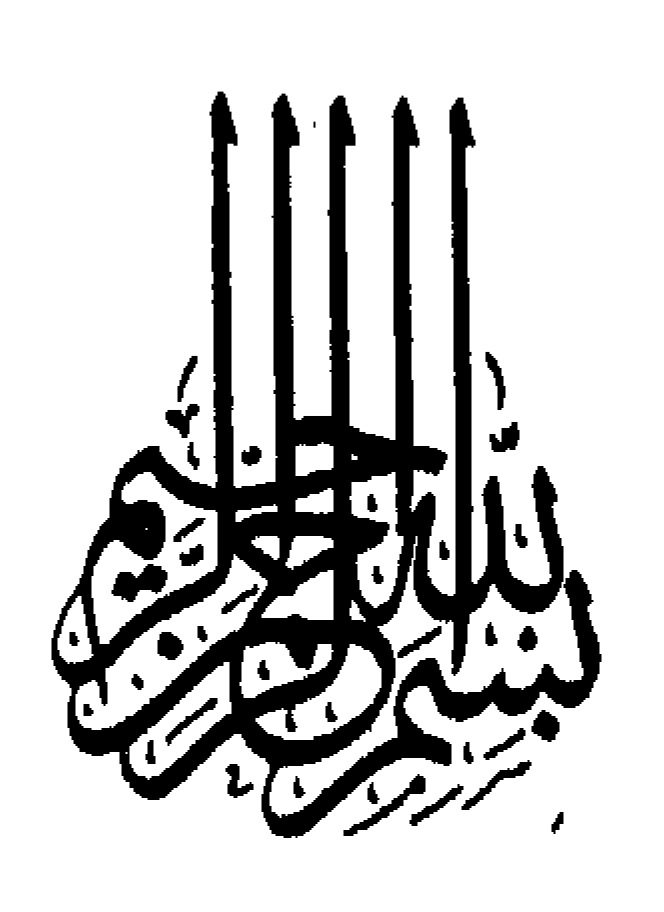
## القضاء على الخرافات وبناء الحب

تأليف الدكتور وارين فاريل

مؤلف الكتاب الأكثر مبيعاً "Why Men Are The Way They Are"



# النساء لا يسمعن ما لا يقوله الرجال



# النساء لا يسمعن ما لا يقوله الرجال

## القضاء على الخرافات وبناء الحب


**الدكتور وارين فاريل**

مؤلف الكتاب الأكثر مبيعاً

"Why Men Are The Way They Are"







المركز الرئيسي (المملكة العربية السعودية)

| | | | | |
|---|---|---|---|---|
| ص. ب ٣١٩٦ | تليفون | ٤٦٢٦٠٠٠ | ١ | +٩٦٦ |
| الرياض ١١٤٧١ | فاكس | ٤٦٥٦٣٦٣ | ١ | +٩٦٦ |
| **المعارض: الرياض (المملكة العربية السعودية)** | | | | |
| شارع العليا | تليفون | ٤٦٢٦٠٠٠ | ١ | +٩٦٦ |
| شارع الأحساء | تليفون | ٤٧٧٣١٤٠ | ١ | +٩٦٦ |
| شارع الامير عبدالله | تليفون | ٢٦٤٥٨٠٢ | ١ | +٩٦٦ |
| شارع عقبة بن نافع | تليفون | ٢٧٨٨٤١١ | ١ | +٩٦٦ |
| الدائري الشمالي (مخرج ٥/٦) | تليفون | ٢٧٥٤٧١٠ | ١ | +٩٦٦ |
| **القصيم (المملكة العربية السعودية)** | | | | |
| شارع عثمان بن عفان | تليفون | ٣٨١٠٠٢٦ | ٦ | +٩٦٦ |
| **الخبر (المملكة العربية السعودية)** | | | | |
| شارع الكورنيش | تليفون | ٨٩٤٣٣١١ | ٣ | +٩٦٦ |
| مجمع الراشد | تليفون | ٨٩٨٢٤٩١ | ٣ | +٩٦٦ |
| **الدمام (المملكة العربية السعودية)** | | | | |
| الشارع الأول | تليفون | ٨٠٩٠٤٤١ | ٣ | +٩٦٦ |
| **الاحساء (المملكة العربية السعودية)** | | | | |
| المبرز طريق الظهران | تليفون | ٥٣١١٥٠١ | ٣ | +٩٦٦ |
| **جدة (المملكة العربية السعودية)** | | | | |
| شارع صاري | تليفون | ٦٨٢٧٦٦٦ | ٢ | +٩٦٦ |
| شارع فلسطين | تليفون | ٦٧٣٢٧٢٧ | ٢ | +٩٦٦ |
| شارع التحلية | تليفون | ٦٧١١١٦٧ | ٢ | +٩٦٦ |
| شارع الأمير سلطان | تليفون | ٢٣٨٢٠٥٥ | ٢ | +٩٦٦ |
| **مكة المكرمة (المملكة العربية السعودية)** | | | | |
| أسواق الحجاز | تليفون | ٥٦٠٦١١٦ | ٢ | +٩٦٦ |
| **الدوحة (دولة قطر)** | | | | |
| طريق سلوى – تقاطع رمادا | تليفون | ٤٤٤٠٢١٢ | | +٩٧٤ |
| **أبو ظبي (الإمارات العربية المتحدة)** | | | | |
| مركز الميناء | تليفون | ٦٧٣٣٩٩٩ | ٢ | +٩٧١ |
| **الكويت (دولة الكويت)** | | | | |
| الحولي – شارع تونس | تليفون | ٢٦١٠١١١ | | +٩٦٥ |

**موقعنا على الإنترنت www.jarirbookstore.com**

**للمزيد من المعلومات الرجاء مراسلاتنا على :**

**jbpublications@jarirbookstore.com**

# إعــادة طــبــع

## الطبعة الثانية

## ٢٠٠٦

# Women Can't Hear What Men Don't Say

**DESTROYING MYTHS, CREATING LOVE**

Warren Farrell, Ph.D.



TARCHER
PUTNAM

# المحتويات

## الجزء III

## خارج المنزل :

## إن كان زوجك يعلم ما يجب أن يقال ، إليك ما قد يقوله ...

# المقدمة

يقطع الكذب نصف طريقه حول العالم فى الوقت الذى يكون الصدق فيه
مازال يحاول ارتداء الحذاء .                    " مارك توين "

## رحلتى الشخصية

فى كتابى الأول " الرجل المتحرر " ، كشفت عن آرائـى ومشـاعرى للتأكيـد على أهمية النساء المستقلات بالنسبة للرجـال الـذين يبثـون الشـعور بالأمـان ، وإسهام الحركة النسائية فى تمكين المرأة من اكتشاف ذاتها . إن موت والدتى ، والذى سبق ظهور الحركة النسائية ، يعود جزئياً إلى أنها لم تكن تحيا فى وقت يتم تشجيعها فيه على اكتشـاف كـل جوانـب ذاتهـا . وقـد كـان موتهـا ، بـلا شك ، جزءًا من الدوافع التى قادتنى إلى قضاء ثلاث سـنوات فـى مجلـس إدارة " المنظمة الوطنية للنساء " فى مدينة " نيويورك " ، وهى التجربة التـى عمقـت من اهتماماتى بشأن الإمكانات الكامنة لدى المرأة . كان ذلك فى سبعينات القرن العشرين .

وعندما طفت الحركة النسائية إلى السطح ، وازداد إحساسـى وإدراكـى لتيـار الغضب الموجه تجاه الرجال ، والذى اخترق ثقافتنا بصـورة غـير ملحوظـة مثـل البكتيريا غير المرئية الموجودة فى الماء ، كان النساء يتساءلن : " ما السبب فـى أن الرجال بهذا السـوء ؟ " و " لمـاذا يخشـون الالتـزام ؟ " بينمـا كـان الرجـال يتساءلون فى حيرة : لماذا ترغب النساء فى الارتباط بمن هم بمثل هذا السوء ؟

عندما تكلمت النساء ، تساءلن : " لماذا لا ينصت الرجال ؟ " وفى سعيهن إلى الحميمية ، يخشين من اهتمام الرجال الذى ينصب على الجنس فقط . لقد ساعدتنى المجموعات التى شكلتها من أكثر من ستمائة رجل وامرأة على الاستماع إلى الأسباب الكامنة وراء غضب المرأة وإلى ما استطاع الرجال بالكاد أن يقولوه . وقد وضعت نتائج هذا البحث فى كتاب تحت عنوان " Why Men Are The way They Are " والذى خصصته للإجابة عن تساؤلات النساء بخصوص الرجال ، وقد كانت الإجابات عادلة تجاه الرجال . كان ذلك فى الثمانينات .

لقد اختلطت علىّ المشاعر تجاه هذين العقدين .. وقد بدت وكأنها أفضل الأوقات وأسوأها فى نفس الوقت فى مجال العلاقة بين الجنسين . حيث إنه لم يسبق أن تواصل الجنسان بهذه الطريقة من قبل ، ولكن لم تحدث حالات طلاق مماثلة بنفس القدر أيضاً ؛ لم يحصل الجنسان على مثل هذا القدر من المعرفة عن بناء تقدير الذات لدى الأبناء ، ولكن لم يسبق للأهل أن تسببوا فى مثل هذا القدر من عدم الاتزان لدى أبنائهم . لم يسبق أن كان دور الذكر بهذا القدر من النجاح فى إطالة العمر المتوقع للمرأة ( بما يزيد على الضعف فى القرن العشرين ) ، ورغم ذلك لم يسبق أن وجه إليه اللوم بهذا القدر على إهمالها .

وبالرجوع إلى الماضى نجد أن الخمسينات هى عقد الأسرة ؛ والستينات هى عقد الرجال ( الجنس الحر بدون قيود الزواج ؛ الحرية ؛ سلطة المساءلة ) ؛ أما العقود الثلاثة الأخيرة من الألفية الثانية ، فكانت عقود ( تنظيم النسل ، اتساع مجالات العمل المهنى ، اكتشاف الذات جنسياً ) ، وتعتبر العقود التى انتصرت فيها النساء بمثابة العصر المظلم للرجال .

منذ بدء الحركة النسائية ، تقلص معدل انتحار النساء بمقدار الثلث ، بينما تزايد معدل انتحار الرجال بنسبة ١٥ ٪ ، ورغم ذلك فإننا ركزنا فقط على الضرر الذى أصاب تقدير المرأة لذاتها . كان هناك شيء يحدث ....

بحلول أواخر الثمانينات ترسخ الشعور بالغضب تجاه الرجال . أصبح ذلك يتسبب فى تفكيك الأسر وفى تسميم الحب . استبدلت كلمة " القذارة " بكلمة من ثلاثة حروف " رجل " . لقد عملت الحركة النسائية عملاً رائعاً عندما حررت المرأة من أدوارها التى تقوم بها بحكم جنسها ، ولكن لم يقم أحد بمثل هذا العمل بالنسبة للرجال . وكلما حققت هذه الحركة مكاسب ومزايا ، انتقلت من منطقة تفضيل المساواة إلى التخوف من المساواة . لقد صارت الحركات



النسائية الكبرى مثل الحركات النقابية العمالية الكبرى : كلتاهما بدأت من منطلق تصحيح الخلل فى التوازن ؛ وكلتاهما انشغلت بتوفير الحماية والتى تحولت إلى حالة أصبح فيها كل المحيطين بهما يبحث عن الحماية منهما .

لقد راودنى الإحساس بأنه كلما تكلمت النساء ولم يتكلم الرجال ، التصقت الصفات الشيطانية بكل الذكور ، وكأننا نتخلص من الطفل مع الماء المتبقى من الاستحمام ، عندئذٍ بدأت أميز بين تبنى حقوق المرأة ، وهو ما أفضله وأسميه الآن " حركة تمكين المرأة " ونوعين آخرين من الحركات يثيران تخوفى وهما ( اعتبار المرأة ضحية ، وتبنى التنافسية النسائية ) .

إن " حركة تمكين المرأة " تسعى لتقوية المرأة بتشجيعها على تنمية قدراتها بصرف النظر عن جنسها . وهذا التوجه هو الذى أسانده وسأقدم له كل الدعم . إن حركة اعتبار المرأة ضحية تركز على أن الرجال والمجتمع ككل ينظرون إلى المرأة باعتبارها مواطنا من الدرجة الثانية ، ويرونها ناقصة القدرة ، وأن أى إنجازات تحققها تكون تجاوزاً لهذه العوائق . أما الحركة التنافسية النسائية ، فإنها لا تتوقف عن ترديد أن النساء يعانين الأمرَّين وأنهن فى ذلك أسوأ حالاً من الرجال ؛ والرجال هم السبب فى وضعية النساء كضحايا . وقد وصل الأمر إلى تلك النتيجة من خلال المبالغة فى المعاناة التى تلاقيها النساء والتقليل من شأن الأعباء الملقاة على الرجال . شكلت هذه الحركة النسائية ما أطلق عليه " الفقرة ٢٢ الخاصة بالرجل " : إذا لم يقل شيئاً فإنه يكون مرهقًا أو كسولاً أو مستبدًا ، وإذا أشار إلى المبالغات ، فإنه يبدو فى صورة المعادى للمرأة .

هناك الكثير من الأمثلة عن حركتى الضحية والمنافسة فى كل من الجزءين الثانى والثالث ، ولكن تمت إضافة الحلول والمقترحات التى تحولهما إلى حركات نسائية هادفة لتمكين المرأة . وإذا كانت الحركتان قد تسببتا فى تحويل الثلث الأخير من القرن العشرين إلى عصر مظلم بالنسبة للرجال ، إلا أن ذلك لم يحدث دون أن يكون للرجال يد فى ذلك .

لقد واصلت تسجيل ملاحظاتى وتصنيفها طبقاً لهذه القضايا على مدار ست سنوات وقد حرصت على أن أقدم فى كتابى " أسطورة القوة الذكورية " " The Myth of Male Power " أمثلة أخرى للرجال والقوة وصورة مُحسنة للعلاقة بين الرجل والمرأة . وتوصلت إلى الشعور بأن التعريف التقليدى للقوة لم يحقق للرجال القوة الحقيقية . حيث إن الرجال قد توصلوا إلى تعريف للقوة **بأنها الشعور بالالتزام بالسعى للحصول على المال الذى يتولى شخص آخر**

**إنفاقه وذلك حتى يحين أجله ويموت قبل هذا الشخص** . ورأيت أن التعريف الأفضل هو المبنى على الالتزام والمسئولية . وتعريف القوة كما جاء فى كتاب " The Myth of Male Power " هى سيطرة الإنسان على مقدرات حياته .

وقد ساعدتنى الأبحاث التى قمت بها من أجل كتاب " أسطورة القوة الذكورية The Myth of Male Power " على استكشاف مدى سوء الفهم الكبير فى تفكيرى كمساند لحركة تحرير المرأة ـ وهو فشلى فى إدراك أنه قد ثبت تاريخياً أن كلا الجنسين لم يمتلك القوة ، ولكن لكل منهما دوراً . كان لآبائنا وأمهاتنا مسئوليات ، وليس حقوقاً ؛ كانت لديهم التزامات ، وليس اختيارات . كانت النساء ملتزمات بتربية الأبناء ؛ والرجال بتحصيل المال ، ولم يكن تحصيل المال امتيازاً يحصل عليه الرجل ، وإنما كان التزاماً ، أما الامتياز فكان يتعلق بالاختيارات ، مثل الاختيار بين تربية الأبناء أو تحصيل المال ، وقد كان الاختيار هو إنفاق هذا المال .. وكان هذا هو الحال فى التسعينات من القرن الماضى .

غير أن ما تناوله كتاب " The Myth of Male Power " ـ من شرح لمئات الأساطير عن الرجال والتى خلقت الأسطورة الكبرى عن قوة الذكر ؛ وشرح للكيفية التى وصل بها تراثنا الجينى إلى الصراع مع مستقبلنا الجينى ، والذى لا يعرض حركة نسائية تدين الرجال ولا حركة رجالية تدين النساء ، بل حركة تحول فى النوع الاجتماعى ، إلا أنه تجاهل مقاومة بعض الأساطير بالعمق الكافى الذى يُحدث التغييرات الاجتماعية . كما تم تجاهل طريقة التواصل بشأن هذه الأساطير والتى يمكن أن تزيد من مقدار الحب بدون التضحية بالأمانة فى القيام بذلك . لقد كانت الأساطير هى الأولى ...

بعض تلك الأساطير كان متأصلاً لدرجة أن ذوى الفكر لم يكن من المتوقع أن يسقطوها من ردود أفعالهم بعد عدة فقرات من شرح هذه الأساطير . على سبيل المثال ، قد تتخوف إحدى الناشطات فى مجال الحركة النسائية والتى تدير حملة لتوفير الملجأ الأمنى للسيدات اللاتى يتعرضن للإيذاء من إخضاعهن لخطة جديدة للعلاج مبنية على بعض الفقرات التى تشرح كيف أن هذه الخطة العلاجية تقوم على افتراضات كاذبة عن الرجال . إن هذه الناشطة تحتاج تعمقاً أكثر قبل أن تقوم بتحمل مسئولية التغييرات اللازمة .

لاشك أن التعمق فى إعادة التعريف مسألة غاية فى الأهمية ، ولكن النساء لا يستطعن سماع ما لم يقله الرجال ؛ والسبب فى ذلك يرجع جزئياً إلى الطريقة





التى يتكلم بها الرجال ، وهناك سبب آخر يرجع إلى صعوبة الاستماع إلى أى شيء لا نرغب حقيقة فى سماعه .

وعلى ذلك ، فإن هذا الكتاب يجب أن يهتم ليس فقط بمضمون الأساطير ، ولكن أيضاً بالطريقة التى يتم بها توصيل الأحاسيس والمشاعر الصعبة إلى الطرف الآخر ؛ والطريقة التى يتم بها الاستماع إلى هذه المشاعر الصعبة .

وإذا كان لى أن أختار لنفسى منهجية ما بين تعليم الرجال والنساء كل الأمور اللازمة لفهم الطرف الآخر ، أو تعليمهم كيفية الوصول إلى ذلك ، فإننى أختار النصف الثانى . إن الطريقة أكثر أهمية من المضمون . وهى تشبه تعلم ركوب الدراجة أو استخدام الحاسب الشخصى . والطريقة تظل صحيحة ومفيدة حتى ولو تغير المضمون . وهذا هو موضوع الجزء الأول من الكتاب .

إن موضوع الكتاب يضع الطريقة موضع الاختبار . نحن جميعاً لا نتردد فى إعطاء النصيحة للآخرين لكى نكون متفتحى العقول . ومادة هذا الكتاب تتطلب منا أن نضع أموالنا حيث توجد أفواهنا ، بصورة مجازية بالطبع . وهذا ما يتناوله بالتفصيل الجزء الثانى من الكتاب .

وعلى ذلك ، فإن الجزء الأول يتعلق بالعملية التى نمر خلالها لتفهم شخص آخر بما لديه من رؤية مختلفة ، سواء كان زوجًا أو زوجة ، والدًا أو ابنًا ، موظفا أو صاحب عمل ، أخًا أو أختا، محافظًا أو متحررًا ... والأكثر أهمية ، هو القدرة على التعامل مع النقد الشخصى ، ليس ذلك فقط ، بل أيضاً خلق البيئة الآمنة لذلك .

لقد نشأ اعتقادى بأن مهارات الاستماع أكثر أهمية من الاتفاق السياسى فى أواخر الستينات وبداية السبعينات من القرن الماضى ، وذلك عندما كنت طالباً فى جامعة " مونت كلير " فى " نيوجيرسى " ، وأثناء فترة التحاقى بمدرسة الخريجين فى جامعة " نيويورك " كنت معارضاً لحرب فيتنام على الرغم من أننى مدنى ، وكنت مدافعاً عن الحقوق المدنية على الرغم من أننى أبيض البشرة ، وكنت مدافعاً عن حقوق الشواذ على الرغم من كونى مستقيماً ـ كنت شخصاً قد يرغب والدك أن يلفه بالعلم السوفيتى ويحرقه . لم تكن إذن مفاجأة لأى شخص أننى حصلت على عضوية مجلس إدارة المنظمة الوطنية للمرأة عام ١٩٧٠ ، فى السنة التالية مباشرة لظهور حركة تحرير النساء عام ١٩٦٩ .

كان أصدقائى من أصحاب الفكر المتحرر يصنفوننى بالمتحرر المعتمد ؛ أما المحافظون منهم ، فكنت بالنسبة لهم متحررًا ميئوسًا منه . وبالنسبة لى

شخصياً فإن القضية لم تكن تتعلق بالتحرر ، بل مهارة الاستماع . كان ذلك في الوقت الذى كنا نصف فيه كل ناشطة نسائية بأنها " حارقة حاملات الصدور " ، ونَصِف الأمريكيين ذوى الأصل الأفريقى بأنهم " زنوج " ، ومعارضى الحرب بأنهم " جبناء " ، ونتهم المثليين بأنهم " أشخاص مثيرون للريبة " ، وكان كل ذلك يدفعنى إلى الأسى . حينذاك ، بدا لى أن استعمال هذه الألقاب يعد بمثابة استئصال لمشاعرنا وأرواحنا .

اتسعت الهوة بين أصدقائى المتحررين ورغبتى فى الاستماع إلى قصة كل شخص ، ودهشوا عندما ناديت بحق كل الناس ـ حتى من هم على قائمة الأعداء ـ فى الحصول على فرصة متساوية للاستماع إليهم . ولكن هذه الفرصة المتساوية للاستماع ، لم تكن موجهة إلى الأنثى الشيوعية الفيتنامية السوداء الشاذة ، بل كانت إلى الذكر الأمريكى الأبيض المستقيم ذى الأصول الأوربية ... أى ، أنا ( يا للعجب ، أليس هذا هو الظالم ؟ أليس من واجبنا الدفاع عن المظلوم ؟ ) .

كانت المشكلة بالنسبة لى هى أن الاستماع إلى صوتى الداخلى يتطلب مزيداً من المواجهة مع الذات أكثر مما يتطلبه الاستماع إلى الشيوعيين الفيتناميين ، والنساء ، والسود ، والشواذ . وقد ضاعف ذلك من متعة محاولة التخلص من المبررات النمطية للهروب من الاستماع إلى الرجال : " ألم نستمع إلى قصص الرجال على مدار آلاف السنين ؟ " .

ولكن أبى كان واحداً من هؤلاء الرجال . عندما كان جميع الرجال مثاليين كان أبى يغادر المنزل فى السابعة أو الثامنة صباحاً ثم يعود فى السادسة أو السابعة مساءً . وكان أسبوع العمل لديه يتكون من خمس وخمسين ساعة عمل ، وذلك إذا لم يكن لديه عمل إضافى . كان من الممكن أيضاً أن يحصل على وظيفة ثانية مسائية أو يلتحق بمدرسة ليلية . وكان من المعتاد أن يعمل أبى وكل الآباء فى منطقتنا لمدة تتراوح بين ٦٠ : ٨٠ ساعة فى الأسبوع تشمل مزيجاً من العمل والوقت الإضافى والمدرسة الليلية والانتقالات . وقد كانت منازلهم فى نظرهم تبدو رهناً عقارياً أكثر من أن تكون ملاذهم الحصين .

أخيراً ، نال أبى ما استحقه نتيجة كدِّه وتعبه ، حيث تم تعيينه مديراً لإحدى الشركات فى " هولندا " . وانتقلت عائلتنا المكونة من خمسة أفراد إلى هولندا . ومع ذلك ، اعتبرت أمى " هولندا " بلداً يكثر فيه سقوط الأمطار ويبعث على الوحدة . وتجاوب أبى مع رغبة أمى وقدم للشركة طلباً بإعادة



أسرته إلى الولايات المتحدة والاستمرار وحده فى الوظيفة . وبمجرد أن عاد إلى الوطن بعد أن أنهى مهمته كان قد وصل إلى سن لا تسمح بتوليه وظيفة مدير مرة أخرى . فعمل أبى بائعاً متجولاً لفُرَش التنظيف ودار بها من منزل إلى منزل ؛ حتى أستطيع الالتحاق بالجامعة أنا وشقيقتى " جيل " ، وكانت المفارقة أننى ذهبت لدراسة ما جعلنى أدرك أن أبى يجب أن يكون فى قائمة الأعداء الخاصة بى .

ظللت لسنوات لا أسأل أبى عن شعوره وهو يبيع فُرَش التنظيف . ولكن ما إن سألته حتى أخبرنى عن مدى إحساسه بالفراغ وهو يسير فى الشوارع ، طارقاً الأبواب سعياً وراء إقناع ربات البيوت بشراء فرشاة تنظيف بضعف ثمنها فى المحلات ؛ وعبر عن شعوره بالحسرة لعدم تمكنه من تنفيذ وعوده لأمى ( وهى السبب فى استمراره فى العمل إلى وقت متأخر ومواصلة العمل حتى فى أيام العطلات ) ، وقد كانت هذه الحقائق متناقضة مع نظرياتى عن مزايا الذكورة وهو ما تسبب فى تعطيل مساراتى .

وعندما رأيت السيد " لونجسون " ، جارنا فى المنزل المجاور لمنزلنا ، والذى توفى نتيجة أزمة قلبية فى منتصف الخمسينات من عمره ، بدأت فى مراجعة نفسى فيما أعتقده بشأن قوة الذكر عندما علمت أنه أنجز التزامه بتكوين ثروة لكى تنفقها أسرته بعد موته المبكر . ولاحظت أن السيد " لونجسون " وأبى لم يتح لهما أن يعبرا عن مشاعرهما الداخلية أو مخاوفهما ، بل كانا يكبتانها . وإلى يومنا هذا ، أستمع إلى العديد من قصص النساء من العاملات فى مكتبى ولكننى لم أستمع أبداً إلى الرجال الذين يجمعون قمامتى .

وعندما تخلصت من الغشاوة التى غطت نظرى كان ذلك بمثابة إزالة لمفهومى عن دعم تحرر المرأة . وكان من المحزن أن هذا الدعم كان معتمداً على هذه الغشاوة . فلم تكن حركة تحرير المرأة توفر لى الدعم النفسى فقط ، بل أيضاً الدعم المادى . وقد أدى ذلك إلى التدمير المادى الذى أحققه ، ولكنه فى نفس الوقت أدى إلى تعميق مشاعرى التى أجبرتنى على مواجهة اعتقادى بأنى الأفضل ، والذى كان ينبثق كلما رأيت نفسى أكثر استنارة وتفرداً وحساسية لكونى أحد الرجال القلائل " الذين استطاعوا سماع وجهة نظر النساء " . وتحقق الأمل من خلال هذه المواجهة فى تعميق نوعية تلك الحقائق . ساعدنى ذلك أيضاً على التمييز بين الأصدقاء والحلفاء السياسيين : الأصدقاء يقدرون تكاملى ؛ أما الحلفاء السياسيون فيقيمون مدى اتفاقى معهم . ساعدنى ذلك على

فهم أن كل شخص لديه الشعور بالتعاطف والتفهم تجاه الآخرين وأنه يحتاج لإظهاره من حين لآخر ـ حتى الرجال أنفسهم .

## إذا كان لدى الرجال مشاكل ، لماذا لا يتحدثون عنها ؟

إن المشاركة في المخاوف ستحدث للرجال ببطء أكثر من أى مجموعة أخرى ، والسبب أنه على الرغم من أن الرجال ، مثلهم فى ذلك مثل النساء ، يستقبلون مشاعر الحب من خلال حل المشكلات للآخرين ، إلا أن العملية التى يمر بها الرجال خلال حل المشكلات تتضمن كبح مشكلاتهم الخاصة وكتمانها . إن الرجل لا يقول للرقيب فى الجيش إنه هو أيضاً لديه وجهات نظر ومشكلات على الرقيب أن يراعيها ... إذ هذا لن يؤدى إلى تحوله إلى ضابط وشخص محترم ، بل بالعكس سوف يتحول إلى شخص فاشل منبوذ ، وهو لا يرى النساء تنجذب لشخص فاشل أو منبوذ .

إن النجاح كان دائماً بالنسبة للرجال أفضل دواء وقائى لتجنب سرطان النبذ من الأنثى ( ... والنبذ من جانب أى شخص آخر ) . إن النجاح يتأتى من المشاعر التى تم كبحها ، وليست التى تم التعبير عنها . بالنسبة للنساء ، فإن التعبير عن الضعف والخوف يستدعيان التعاطف ، أما بالنسبة للرجال فالتعبير عن الخوف والضعف شيء يؤدى إلى عدم احترامه . إن سماع رجل يشكو يجعل المرأة تشعر وكأنها أمه وليست حبيبته . إن الشكوى تمثل جزءًا أساسياً من التراث التطورى للمرأة ؛ ولكن بالنسبة للرجال تعتبر تحولاً جذرياً .

النساء لن يحترمن الرجال إلا إذا تحدثوا . ولكن هذا لا يعنى أنهن سيحترمن الرجال بمجرد أن يتحدثوا . إن سبب احترام المرأة للرجل الذى يتحدث هو تجاوزه العقبات والحواجز ، وعندما يبدى الرغبة فى فعل ذلك يكون هذا دليلاً على الاهتمام والرعاية ، وتكون قدرته على ذلك مدعاة للاحترام . وعلى سبيل المثال ...

تقول بعض النساء ، إن الرجل حين يتكلم ، لابد أن يكون كارهاً المرأة . وهذه إحدى الحواجز . وتعتبر هذه أكثرها إيلاماً للرجل ، لأنه حين يتكلم يريد أن يثبت أن حبه لهذه المرأة أكثر أصالة . إنه يشعر وكأنه قد ضُرب تحت الحزام ، اعتقاداً منه بأن رغبة المرأة فى معرفة مشاعره تجاهها تعتبر خداعًا .




ولكن بالنسبة لبعض النساء ، يبدو نقدهن وكأنه تعبير عن الكراهية . ولكن من جانبها فإن كل ما فعلته هو التعبير عن مشاعرها .

يسعى الجزء الأول من الكتاب إلى مساعدة الجنسين فى التعرف على مثل هذه النماذج من سوء الفهم المدمر المتبادل وتحويلها إلى حب . فهدف هذا الكتاب ـ فى الأساس ـ هو الوصول إلى الحديث من جانب كلا الجنسين والاستماع أيضاً من كليهما بطريقة مختلفة جذرياً . ولكن قبل ذلك ، هناك أسباب لكون الرجال الجنس الصامت ، وهم يحتاجون أن تعرف النساء نواياهم عندما يبدأون فى التعبير عن مشاعرهم التى كانوا يكتمونها فى السابق .

فعلى سبيل المثال ، يحتاج الرجل أن تفهم المرأة أن مبادرته بالإفصاح عما بداخله تعتبر وسيلة لوصوله إلى علاقه أكثر حميمية مع شريك يتساوى معه ، وأن عدم إفصاحه عما بداخله يجعله يبدو وكأنه يتعامل مع طفل صغير ، أى يوفر لها الرعاية والحماية كالأب .

فإذا لم يتحدث الرجل بهدف رغبته فى حماية المرأة ، فهو يخلق شيئاً أسوأ من علاقة الأب بالطفل . إنه يصبح مثل الأب المتساهل الذى يجد نفسه بعد برهة محتاجاً للحماية من طفله الذى لا يعرف سوى وجهة نظره أو نظرها فقط . وهذا هو ما سببه صمت الرجال سواء على المستوى الفردى أو الاجتماعى .

إن النساء لا يجب أن يخشين من الرجال الذين يواجهونهن مباشرة ؛ بل عليهن أن يخشين الرجال الذين يهربون من المواجهة ، لأن مثل هؤلاء الرجال يفقدون الأمل ، لأنهم يعتقدون ، وبكل ثقة ، أن المرأه لن تتفهم أبداً ، أو لأنهم راغبون عن المخاطرة خوفاً من أن تنعتهم بـ " كارهى النساء " . إن عدم إفصاح الرجال عما بداخلهم يعبر عن مزيج من الخوف من المرأة وعدم احترامها إلى جانب فقدان الشجاعة . وهذا المزيج لا يمكن أن يوجد فى حالة الحب الحقيقى للمرأة باعتبارها شريكا متساويًا .

وعلى العكس من ذلك ، فإن الرجل الذى يفصح عما بداخله يكون منجذباً والرجل الذى ينجذب يهتم ويكون لديه أمل . إنه يخاطر من أجل الأمل فى الحميمية . ولكن الرجل يحتاج أن تدرك المرأة أن هذه هى نواياه . والمرأة من جانبها ستلاحظ مدى الحقيقة فى ذلك . وهى بالفعل تعرف ذلك إلى حد ما . ولكن كل ما تحتاجه هو أن تعرف أنه يعرف ذلك ، وأن تكون هذه هى نقطة انطلاقه . إنها تحتاج إلى هذه الضمانة .

عقبة أخرى : خلال إعداد الدكتورة " لورا شليزنجر " لكتابها " Ten Stupid Things Men Do To Mess Up Their Lives " : " طلبت من مستمعيَّ من الذكور الكتابة إلى برأيهم فى أكثر الأشياء التى يقوم بها الرجال حماقة . تلقيت الآلاف من الآراء المعبرة والحساسة والقيمة . ولكن النساء ليس لديهن استعداد للاستماع ... النساء يشعرن بالغضب وبالتهديد من مشاعر الرجال . إنهن لا يردن حقيقة أن يكون الرجل حساساً ، وحساسيته يجب أن توجه فقط إلى مشاعرهن " .

لاشك أن كلا الجنسين يخشى من مواجهة شريكه . فعندما انضممت للمرة الأولى إلى المنظمة الوطنية للمرأة ، كنت أتلقى الدعوة من النساء للعشاء وتبادل وجهات النظر مع أزواجهن حول تحرير المرأة ، وبذلك يضمنَّ التحصين من ردود أفعال الأزواج . ونفس الشيء يحدث للرجال الصادقين ، حيث غالباً ما يجدون أن هذا الصدق يكلفهم الكثير . إن المرأة غير المتزوجة أو الرجل الأعزب يستطيعان التخلى عن الحياة مع شخص لا يتفهم ولا يحسن التعامل معهما . ولكن الأمر صعب للغاية مع المتزوجين الذين يكون لديهم أبناء .

عبر لى بعض من أقوى رجال أمريكا عن تجاربهم الشخصية التى تطابقت مع كتاباتى ، وقد كانوا يترددون فى مشاركة زوجاتهم هذه الأفكار : " إذا لم أتفق معها ، فستكون هناك مشكلة .... لا يجب أن أفكر فى نفسى فقط ، فنحن لدينا أبناء " ، عندما يشعر قادة الفكر فى العالم بأنهم لا يستطيعون الاختلاف مع زوجاتهم ..

لحسن الحظ ، هناك العديد من النساء يشعرن بالدعم عندما يعبر الرجال عما بداخلهم . وكثير من النساء أيضاً يشعرن بقوة الاحتياج لإيجاد عالم أفضل للأبناء وذلك عندما يعبرن عن أنفسهن بالحديث حتى ولو ظل الرجال صامتين . قال لى المدير المسئول عن الخط الساخن ( ٨٠٠ - ١ الخاص بالآباء ) إن ما يزيد على نصف المكالمات مصدرها النساء . غالباً ما تكون المتحدثة هى الزوجة الثانية التى ترى مدى حب زوجها الجديد لأبنائه ، وتعبر عن غضبها منه لاستسلامه لزوجته السابقة وعن صدمتها من النظام الذى يسمح للزوجة السابقة بمنعه من رؤية أبنائه . فى كثير من هذه الحالات تعبر الزوجات الجديدات عن القدرة على توفير حياة متوازنة للأبناء أكثر مما تستطيع أن توفره الزوجة المطلقة التى تعيش وحدها . وربما تكون هذه المرأة هى أول من تجرب فشل الزوجة الثانية أمام نجاح الزوجة الأولى .



إن ملايين من النساء سيصبحن الزوجة الثانية . وملايين أكثر لن يصرن كذلك لأن الرجل المحبوب مازال مذهولاً فى مرحلة التحول من زوج إلى عضو فى مخزون الاحتياطى لـ " نادى الزوجة الأولى " .

## الأحاسيس والبيانات

تستهوينى المشاعر والأحاسيس أكثر من البيانات . رغم ذلك ، هناك الكثير من البيانات فى هذا الكتاب . كثير من النساء على وشك القول ، " لماذا لا تعبر لى فقط عن إحساسك ، إننى أستطيع أن أستمع إلى ذلك . إن هذا القول يعنينى أكثر من أى إحصائية " .

إن ما يشعر به الرجال يعتبر أمراً شديد الأهمية ؛ ولكن إذا قال أحد الرجال : " أنا لا أشعر بأن الرجال أكثر عنفاً تجاه المرأة ، بل إنى أعتقد أن العكس هو الصحيح " ، سيكون رد معظم النساء : " عفواً ، إنك مخطئ " ويسقطنه من حسابهن باعتباره متعصبًا جاهلاً .

بدون المعلومات المحددة ، الموثوق بها ، ستغرق فى وهم النبوءات والتوقعات . عندما يكون المجتمع غير واعٍ بأن عدد الرجال المتضررين من النساء يتزايد باستمرار ؛ فلن ننشئ خطوطًا هاتفيةً ساخنة لتلقى الشكاوى ، وبذلك لن نستمع إلى أحاسيس الرجال ؛ وإذا لم نوفر الملاذ ، فلن نستمع لمشاعر الرجال ولن نقوم بتدريب الإخصائيين الاجتماعيين لمساعدة الرجال الذين يتم التعدى عليهم من أجل إعداد وتطوير البرامج التى تُبنى على ما يشاهدونه من حالات . فبدون المعلومات الموثوقة ، لا يمكننا أن نطلب من أى من الجنسين أو من أى إخصائى اجتماعى تبديل أحد النماذج العاملة ، وهذا لن يحدث إلا إذا أعطيناه الاهتمام الكافى .

إن أفضل أمل فى المعرفة هو خلق الاهتمام . لم تكن لدينا المعرفة الكافية بالمبيدات الحشرية التى تسمم طعامنا حتى أصدرت " راشيل كارسون " كتابها " الربيع الصامت " ـ " Silent Spring " . وكتاب " النساء لا يسمعن ما لا يقوله الرجال " يدور حول " الجنس الصامت " ، ويقدم المعرفة اللازمة للاهتمام بالأوهام التى هى بمثابة المبيدات التى تسمم حبنا للرجال . ولن يتحقق النجاح إلا إذا شجع ذلك الآخرين على الكشف عن قصصهم . إن الأرقام تساعد الرجال على معرفة أنهم ليسوا وحدهم ؛ وتساعد النساء على إدراك أن هذه ليست

مجرد آرائى وحدى . إن المعرفة والأرقام تأخذ فى الاعتبار القصص الشخصية والأعداد التى تقود إلى الكتلة الحرجة الداعية للاهتمام . والاهتمام بدوره يدفع إلى البحث عن الحلول .

إن الغضب الموجه تجاه الرجال يرجع معظمه دائماً إلى جهل الرجال بنفس قدر جهل النساء . إذا قام شخص بإجراء بحث عن الأعمال المنزلية وسأل رجلاً عن الأعمال المنزلية التى قام بها خلال الأسبوع الأخير ( حيث كان قد أعاد تنظيم المنزل من الداخل ) ، فإنه سيقول : " لا شيء " لأنه لا يعتبر إعادة التنظيم عملاً منزلياً . وإذا عاد رجل من إجازة عائلية قضاها فى مخيم ، وقاد فيها سيارته متجولاً بالأسرة فى أماكن عدة ، فإنه لن يعتبر كل ذلك عملاً منزلياً ، ورغم كل المجهود الذى بذله فى القيادة ، وفى نصب الخيمة ، وتنظيم الرحلة ، ستكون إجابته عن سؤال الباحث ، " لم أقم بأى عمل منزلى هذا الأسبوع " . وقد يضيف : " لقد كنا فى إجازة " . ولكن إذا تعلم الرجال توضيح مساهماتهم ، فستتمكن المرأة من رؤية هذه المساهمات ، وتشعر بأنها شريكة وليست جارية ، وبأنها محبوبة وليست مستغلة .

إن هذا الكتاب يتطلع ( إذا كان للكتاب قدرة على التطلع ) إلى أنه من خلال العمل الشاق المتمثل فى تجميع وتوثيق ومراجعة ونشر والإعلام عن البيانات الغائبة عن الوعى العام ، لن يخشى الرجال من أن يعتقد أحد بأنهم أغبياء عندما يكشفون عما كانوا يعتقدون أنه ملاحظة فردية . وستكتشف ملايين النساء حقيقة الرجال . إن المرأة التى تفهم أباها تكتشف أنها كانت محبوبة أكثر مما كانت تظن ، وهو ما يتيح لها أن تحب زوجها أكثر ، وتربى ولدها بصورة أكمل .

## أهداف الأجزاء الثلاثة ( ١ ، ٢ ، ٣ )

إن تأهيلنا الاجتماعى الضعيف لتوجيه واستقبال النقد يؤدى إلى تدمير العائلات أكثر من أى عناصر ضعف أخرى . لماذا ؟ لأن تداول وتبادل النقد يمثل لنا نقاط الضعف مثل كعب أخيل . كلما ازداد حبنا لأحد الأشخاص ازدادت صعوبة تقبل نقده نتيجة خوفنا من أن يكون هذا يعنى أننا نفقد حب هذا الشخص . والمفارقة هى أننا عندما لا نستطيع تقبل النقد منه ، فإننا نفقد

حبه ؛ وعندما نستطيع ذلك ، فإننا نقوى وندعم هذا الحب . يسعى هذا الكتاب إلى صقل هذه المهارة حتى تقوى الزيجات وتقل حالات الطلاق .

هل أبالغ عندما أقول " زيجات أقوى وحالات طلاق أقل " ؟ لا . إن كثيرًا من الزيجات الموجودة بشكل قانونى " لصالح الأطفال " هى بمثابة سجون بدون حراسه للوالدين . إن الاستمرار فى الزواج عادة ما يكون لصالح الأطفال أكثر من الطلاق ، ولكن البقاء معاً فى السجن ذى الحد الأدنى من الحراسة مازال نموذجاً متدنياً لتعليم الأبناء الحب . إن تدعيم مهاراتنا فى تلقى وتوجيه النقد الشخصى يخلق زيجات أقوى وحالات طلاق أقل وتربية أفضل للأطفال .

ركزت فى الجزء الأول على حسن الاستماع إلى الانتقاد الشخصى أكثر من حسن توجيه النقد حيث إن المعالجين النفسيين يساعدون مرضاهم بشكل جيد على توجيه النقد بكفاءة ، ولكنهم لا يعطون الوقت الكافى للمساعدة فى التعامل مع النقد السيئ . كثير من المعالجين يتمتعون بحساسية طبيعية وتوجه للحماية ، لذلك فإنهم يوجهون الناس لمراعاة الحساسية فى الطريقة التى يوجهون فيها النقد للآخرين ، وذلك يحدث بتلقائية أكثر من مساعدتهم على التعامل مع النقد السيئ الموجه لهم . المشكلة هى أن كل الناس تقريباً ، يرغبون فى الرد بسرعة وحِدة على من ينتقدهم قبل أن يقتلهم النقد الموجه لهم ، لذلك سوف أشرح سبب هذا فى الجزء الأول ، وسوف أقدم كيفية معالجته .

لعل الهدف الحقيقى للجزء الأول ، مع ذلك ، هو عمل شيء أكثر من مجرد الامتناع عن قتل الناقد ، وهو التعاطف مع هذا الشخص . لا . بل إنه أكثر من ذلك . أن يكون لديك إحساس سابق التنبؤ به بالتعاطف مع من سيوجه إليك النقد ، وبذلك يستطيع هذا الشخص الاعتماد على توافر البيئة الآمنة لتوجيه نقده . إنه الحافز الذى تقدمه . إنك تقدم هذا الحافز إلى شريكك الذى يقدم لك نفس الشيء ، وبذلك يكون الحافز لك أيضاً هو تلقى الضمان بتوفير بيئة آمنة لكى تعبر عن أكثر مخاوفك إيلاماً .

ستلاحظ عند القراءة أن الفصل الرابع يدور حول كيفية دفع الرجال إلى التعبير عن مشاعرهم . سيفاجئك هذا الفصل بالرسائل المتناقضة والمتداخلة التى نرسلها للرجال حول المشاعر والأحاسيس : عدد الطرق التى نعرقل بها رغبة الرجل فى التعبير عن أحاسيسه حتى ولو قلنا إننا نريده أن يفعل ذلك . ويوضح الفصل الأول كيف أن العالم الخارجى للرجال يؤثر على عالمهم

الداخلى . وما الذى يمكن أن نفعله بشكل شخصى ، وسياسي أيضاً بسبب ما ذكرناه عن التأثيرات الخارجية .

تخلو معظم الكتب التى تتناول العلاقات أو القضايا الشخصية من الشئون السياسية . ولكن من جانب كتابنا هذا فإن الافتراض الأساسى هو وجود صلة قوية بين العالمين الداخلى والخارجي . إننا حين نتعلم أن التواصل داخل المنزل يعنى أن نتكلم بينما الآخر يتكلم أيضاً ، أو نتجادل أكثر مما نستمع ، فهذا يعنى أننا سنميل لاتخاذ موقف سياسى متصلب ـ حيث نكون لأنفسنا أسلوبًا متشددًا فى التفاهم " وتجتذبنا الإيديولوجيات السياسية والعقائد الدينية التى تجعل منا أصحاب الحق المطلق فى مقابل الآخرين المخطئين " .

الأكثر أهمية فى هذا الكتاب ما يوضحه من أن المواقف السياسية والتوجهات الاجتماعية تؤثر على علاقاتنا الشخصية . فإذا كان والدك قد نشأ فى فترة الركود الاقتصادي ، فسيظل لديه نفس التفكير المتعلق بالمدخرات ، وسيؤثر ذلك على علاقاته مع والدتك . والمرأة التى نشأت فى الخمسينات من القرن العشرين يندر أن تكون قد فكرت فى أن تصبح مديرة مؤسسة ، وهو الأمر الذى كان من الطبيعى أن تفكر فيه لو أنها نشأت خلال العشرين سنة التالية . هذا الفرق ينعكس على اختيارها للزوج وللطريقة التى تربى بها أبناءها .

إن الفرق بين المعتقد السياسى والتوجه الاجتماعى لجندى عائد من حرب فيتنام وآخر عائد من الحرب العالمية الثانية ، ينعكس بوضوح على رؤيتهما لنفسيهما ونظرتيهما لكل المحيطين بهما . لاشك أن الشخصية التى يحيا بها يومياً ملايين من هؤلاء الرجال ( فى مقابل ملايين من نسائهم ) كانت متأثرة بقرارهم السياسى الذى كان يتطلب من الرجال فقط الانخراط فى الخدمة العسكرية أو اتخاذ موقف معارض لذلك . على هذا كان إجبار كل شاب فى الثامنة عشرة من عمره على ترجمة وطنيته إما بالالتزام أو بمعاناة أزمة الضمير التى تدفعه للوقوف ضد حكومة الولايات المتحدة الأمريكية . هذا الاختيار كان يطلق عليه معبر الوصول إلى الرجولة . مازال هذا الاختيار موجوداً لكل فتى يصل إلى سن الثامنة عشرة ( حيث يكون عليه تسجيل نفسه للتجنيد أو يدفع ربع مليون دولار للإعفاء ، ويتم حرمانه طوال حياته من العمل فى الوظائف الفيدرالية ) .

لدينا اليوم توجه سياسى واجتماعى بشأن الرجال . أو ، كما يعبر أبناؤنا عن ذلك ، عندما يتعلق الأمر بالرجال يكون هناك " موقف " . يوضح لنا الجزء

الثانى كيف أن التوجه السياسى يؤثر على حياتنا الشخصية . فمثلاً ، حين تطالعنا عناوين كثيرة عن تولى المرأة للأعمال المنزلية أكثر من الرجل ، فى حين لا نقرأ عن رجال يقومون بإعادة ترتيب منازلهم ، أو تنظيف البالوعة ، فإن المرأة حين تواصل الشكوى عند كل عمل منزلى مثل جمع الملابس الداخلية للرجل لغسلها ، لا ترى أى عنوان يتحدث عن أنها تتقاسم مع الرجل ما يقوم به من أعمال منزلية من دهانات وصيانة وتنظيف ( تشير الدراسة إلى أن النساء يشكين والرجال يقومون بالإصلاح ) وقد يكون هذا كفيلا باعتدالها فى شكواها . إذا حدث ذلك فإنها تستمع إلى وجهة نظر الرجال وتفهم الجوانب التى حالت بينها وبين ذلك ، وتتوفر لها الفرصة لتعميق حبها لزوجها وتقوم بتربية أبنائها بفاعلية أكبر .

يتيح لنا الجزء الثانى ما هو أكثر من إعطاء الأمثلة على الأساطير والخرافات التى تخلق حالة الغضب تجاه الرجال . إنه يعرفنا ما نحتاج أن نسأل عنه قبل أن نتمكن من تحديد ما إذا كانت الحقائق كاملة قد عرضت علينا ونحن نستمع إلى الأخبار . ما السبب فى ذلك ؟ . مثلاً ، هل يمكن أن نصدق ما أثبتته نتائج بحث استمر لمدة ربع القرن الأخير ، من أن حالات معاناة الرجل من المرأة تزيد على حالات معاناة المرأة من الرجل ؟ إن استيضاح هذه الأسطورة تشبه عملية تنظيف المرشحات بحيث تسمح لنا باستنشاق الهواء وليس الملوثات ، أو مثل " آلة الدرس " التى تفصل ما بين حبات القمح والقش .

يتيح لنا الجزء الثالث رؤية نتائج ذلك الغضب فى صورة سحق الرجل بقوة ، والانحياز الذى تقوم به المؤسسات حين تنشر ذلك ، وهو ما أسميه " الستار الحريرى " وهو الميل الدائم من جانب معظم المؤسسات الرئيسية إلى ترجمة قضايا النوع من وجهة نظر نسائية فقط ، أو برؤية تمزج بين وجهة نظر المرأة وحركة مساواتها بالرجل . وعندما ننظر بعمق إلى الغضب ، يتضح ما الذى يسبب غضب المرأة وما الذى نستطيع عمله إزاء ذلك حتى لا يرثها أبناؤنا .

باختصار فإن كتاب" النساء لا يسمعن ما لا يقوله الرجال " يطلب من الرجال أن يتحملوا المسئولية الأولية لكى يتولوا أولاً مسئولية العمل الشاق الذى يتطلبه اكتشافهم لمشاعرهم ، ثم الإفصاح عنها فى الثلث الأول من القرن الحادى والعشرين ، مثلما كانت المرأه تفعل خلال الثلث الأخير من القرن العشرين . ويحدد الكتاب الأسباب القوية التى تجعل من الصعب على الرجال

الكشف عن حقيقة مشاعرهم تجاه النساء اللاتى يحبونهن - وهى أسباب من القوة بحيث تجعلنا نتنبأ بأن الرجال سيصلون إلى القمر قبل أن يعبروا عن مشاعرهم . لن نتمكن من فصل المسالك الشخصية والاجتماعية والسياسية والبيولوجية عن بعضها البعض بالنسبة لنا ولأولادنا إلا إذا فهمنا العلاقة بين هذه المسالك . لحسن الحظ فإننا لسنا فى حاجة إلى إجابات مثالية لكى نحقق التقدم .

إننى آمل فى تقوية عزمنا على إنهاء العداء للرجل قبل أن يدمر العلاقات بين أبنائنا وبناتنا ، ويدمر حياة أبنائهم أيضاً . ولكننى لا آمل فى إظهار أن كراهية الرجل غير سليمة سياسياً ، فإن أملى هو إضافة الرؤى العاطفية والمعلومات اللازمة لإذابة الكراهية التى تخلقها .

آمل أيضاً أننى من خلال كشف الصورة الوهمية عن الرجل ، والخطوات التى خلقت هذه الأفكار ، سأساهم فى إيقاف هذه الخطوات التى تفصل الأبناء عن آبائهم ، وتؤدى إلى فقدان أبنائنا لاحترامهم لأنفسهم ؛ وهو ما يفرق بين الجنسين ويسمم المحبة .

آمل أننا عندما نخلق البيئة الآمنة للرجال للتعبير عما بداخلهم ، فسوف يتشجعون على الاقتراب أكثر من أحاسيسهم ، ويقومون بواجباتهم ، ويتعلمون كيفية التحدث بحب ، ومن ثم يتكلمون . وفيما يتعلق بى ، فإننى سأقوم بذلك بدرجة قد لا تصل إلى الكمال . سأكون مجرد واحد من الرجال الذين تحبونهم .

ليس هناك ما يزيد من قدرتى على التواصل مثل السماع من قرائى الأعزاء . اكتب لى ، علمنى ، ساعد على نمائى . راسلنى على العنوان التالى :

PM B 222
315 South Coast Highway 101 , Suite 4
Encinitas , CA 92024 – 2555

الموقع على الإنترنت :
www . warrenfarrell . com

## الجزء I

# السر فى أن تكون محبوباً

كيف
تتواصل
مع أى شخص ،
فى أى مكان ،
فى أى وقت ؟

# ١

# لكى تفهم
# ما يتعلق بالرجل ...
# فلتفهم ما يتعلق بالإنسان

ستكون هناك دوماً معركة بين الجنسين لأن الرجال والنساء يرغبون فى أشياء مختلفة . الرجال يريدون النساء والنساء يردن الرجال .

" جورج بيرنز "

**لم يسبق أن قال لى أحد قط : " أريد الطلاق ، شريك حياتى يفهمنى "**

أهم شيء يجب أن نفهمه فيما يتعلق بالرجال هو رغبة الرجل فى أن يكون مفهوماً ، وهو فى الحقيقة أهم الأشياء التى يجب فهمها حول أى شخص . خلال ما يزيد على ثلاثين عاماً من إدارة ورش العمل ، لم يحدث أبداً أن قال لى أحدهم ( " وارين " ، أريد الحصول على الطلاق ، إن شريك حياتى يفهمنى ) .

ما هى القيمة العالية فى أن يكون الإنسان مفهوماً ؟ . أولاً ، إن هذا الفهم أندر من اللؤلؤ . عندما نشرح مشكلة ما لآبائنا ، فهم غالباً ما يحلون هذه المشكلة ، أو يوجهون انتقاداتهم إلينا ، أو يعيدون التأكيد على ما يرددونه :

" ليس عليك أن تشعر بهذه الطريقة لأن .... " ، وكأنهم بذلك يقللون من الألم . أو قد يقولون : " أنا متفهم " ، ولكن فى الواقع لا نحس بإشفاقهم ، ونتمنى أن يطلعونا على ما يفهمونه . عندما نستمع لشخص ما يقول لنا : " إننى أعى ما تقول " ، نشعر غالباً بأن أحاسيسنا تم إهمالها بدلاً من الاهتمام بها ومراعاتها .

على العكس من ذلك ، عندما نكون آباء ،فنادراً ما يفهمنا أبناؤنا قبل ميلاد أول حفيد لنا . والأطفال الصغار لا يتمكنون من التفكير إلا فى أنفسهم . أما المراهقون فاهتمامهم الرئيسي ينصب على تحقيق ذاتهم . ويركز البالغون ممن لا يعولون أبناء على مستقبلهم المهنى أو المشكلات التي يتصورون أن آباءهم كانوا سبباً لها . عندما يتعلق الأمر بأن يكون المرء مفهوماً ، فإن أفضل أمل للأب أن يصبح جَداً .

لا يحاول معظمنا فهم شريك حياته ، بل نسعى لكى نشرح ما نفهمه عنه . وهى طريقة مهذبة للقول بأننا نسعى لتحليل أخطائه . ومع ذلك ، فخلال نفس هذه السنوات الثلاثين من إدارة ورش العمل ، لم أسمع قط أحداً يقول لى : ( " وارين " ، أنا أود أن أظل متزوجاً ، إن شريك حياتى لديه تحليل دقيق عن أخطائى ) . إن تحليل أخطائنا قد يساعد شخصاً آخر على فهمنا ، ولكنه لا يجعلنا نشعر بأنه قد تم فهمنا .

تأكدت من خلال دراسة ٥٠ ٪ من حالات الزواج التى انتهت بالطلاق أن هناك عنصراً واحداً مشتركاً بين النصف الآخر ، أى الذين استمر زواجهم . إن الإحساس بأن أحد الزوجين يتفهم الآخر يؤدى عادة إلى الاستمرار فى مواصلة الحياة الزوجية . وعلى الجانب الآخر سنجد أن هناك كثيرًا من حالات الزواج التى يكون فيها الطرفان متزوجين قانونياً ولكنهما مطلقان نفسياً . هذا ما أسميه " زواج السجن ذى الحد الأدنى من الحراسة " .

ظاهرياً ، قد يبدو الرجال وكأنهم يرغبون فى أن يتم فهمهم بصورة صحيحة . فعندما يكون الرجل مديراً لشركته ، أو رباً للأسرة ، هل يملك القدرة على التعبير عن نفسه والإفصاح عما بذهنه ؟ نعم .... يمكنه أن يفصح عما بذهنه ، ولكن ليس عما يشعر به . **إن الرجل يصبح ناجحاً بقدر ما يكبت أحاسيسه ومشاعره ، وليس بقدر ما يعبر عنها** .

فى الماضى كان من المعتاد ألا تتحدث المرأة أيضاً خاصة فى وجود الرجل . وقد أصبحت المرأة عدوانية ـ سلبية ( توافق علنا ولكن بشكل سلبى على القيام

بشيء ثم لا تقوم به ؛ أو تتفق مع الرجل في وجهه ، ثم تبدى رأيها الصريح فيما ستفعله مع صديقاتها ) خاصة حين يتعلق الأمر بالرجال . اليوم ، أصبح الرجل هو الجنس العدواني ، وليس فقط بصورة فردية ( أبريل : " بالتأكيد يا حبيبتى سأصلح الصنبور " ؛ مايو : " بالتأكيد يا حبيبتى سأصلح الصنبور " ولكن بصورة جماعية أيضاً ( وهو ما يتناوله هذا الكتاب ) .

## أليس أمراً طبيعياً أن ينسحب الرجال عاطفياً ... ويلجَئون إلى " كهوفهم " ؟

غالباً ما نسمع أن انسحاب الرجال إلى كهوفهم هو أمر طبيعي . فهل هذا طبيعي ؟ ربما . ولكن على المستوى العملي ، لا . عندما يكبت أى من الجنسين التعبير عن مشاعره ، يكون ذلك في الغالب راجعًا للإحساس بعدم الثقة في وجود بيئة آمنة للتعبير عن هذه المشاعر . فكثير من الرجال يخشون أن يؤدى تعبيرهم عن مشاعرهم إلى الخلافات والصراعات . فعادة ما تكون الزوجة أكثر قدرة على التعبير ، لذلك فإنه يخسر . ولكن إذا فاز ، فقد تنسحب هي عاطفياً أو تنسحب جنسياً داخل كهفها . وفي كلتا الحالتين هو خاسر . لهذا السبب فإن كهفه هو المكان الأكثر أمناً .

إن الانسحاب إلى داخل الكهف هو دائماً علامة على أن البيئة خارج الكهف ليست آمنة ، والانسحاب غالباً ما ينتج عن قلق لا إرادى من أن احتمالات الخسارة خارج الكهف تفوق احتمالات الفوز . ويكون جهاز التحكم عن بعد هو غطاء الأمان . للأسف ، فإن ما يعطيه السيطرة يبقيه بعيداً . لن يكون هناك حافز يدفع الرجل إلى الانغلاق على نفسه إذا وجد أنه تم فهمه عندما ينفتح ويفصح عن مشاعره .

هذه الطريقة تنجح تماماً مع أبنائنا الصغار . زوجان من أصدقائي لديهما فتاة مراهقة ، وكان هذان الزوجان يشكوان من عدم مشاركة ابنتهما بمشاعرها معهما وعدم إفصاحها عنها ، وفي إحدى المرات التي دعيت فيها إلى العشاء في منزلهما تصادف أن سمعت ابنتهما المراهقة تتحدث هاتفياً إلى صديقتها ، وتشكو لها من أنها لم تستطع أبداً أن تتشارك في أحاسيسها مع أبويها . لماذا ؟ لأنها ذكرت لهما ذات مرة أن صديقها يحاول تشجيعها على القيام بأشياء غير لائقة . كانت نتيجة ذلك فرض حظر التجول من اليوم التالى

مباشرة ، وبدأ والداها توبيخها . استنتجت من ذلك أنها إذا عبرت بصراحة عما تفكر فيه ، فسوف يكون ذلك في غير صالحها . من الطبيعي أن ينسحب الشخص عندما تكون البيئة التي سيعبر فيها عن مشاعره غير آمنة . لذلك من الأفضل أن تكون هناك بيئة آمنة للحديث والتعبير عن المشاعر .

هل هناك كثير من الرجال يخشون من الإفصاح عن مشاعرهم تخوفاً من الحميمية ؟ لا . بل إن الرجل يخشى من أن يقود الصدام مع زوجته إلى افتقاد الحميمية ، وليس إلى زيادتها . إنه يكبت التعبير عن أحاسيسه لخشيته من تدمير الحميمية التي نجحا في التوصل إليها . إن الرجال والنساء ، يخشون فقدان الحميمية ، ولكن الرجل يخاف أن تقود المصارحة والمناقشة إلى خسارته ، ومن ثم فقدانه لهذه الحميمية ، بينما تشعر المرأة أن المناقشة ستزيد من تقاربهما . وحتى إذا لم يحدث ذلك ، فإن أملها يتفوق على تجربتها . ومن وجهة نظرها ، كلما ازداد انسحابه ، ازداد شعورها بنفوره منها ، واستنتجت أنه لا يرغب في الاقتراب منها . على ذلك فإن حرمان شريك الحياة من البيئة الآمنة لكي يعبر عن أحاسيسه يجعل الجنسين يشعران بأن الحميمية أمل يصعب تحقيقه .

إن توفير البيئة الآمنة للتعبير عن الأحاسيس ليس الطريقة الأفضل لجعل الرجل يصرح بهذه الأحاسيس . ولكن الطريقة الأفضل هي اختيار رجل معبر عن مشاعره بطبعه !

**إن اختيارنا لشريك العمر ربما يكون التعبير الواضح عن القيم التي نراعيها ونختارها** . لهذا السبب ، عندما نلوم شريكنا لأي سبب ، فإننا في الحقيقة نواجه أنفسنا . ليس في صورة : " نعم ، لقد أسأت الاختيار " ، بل ، " كيف يعكس هذا الاختيار قيمي التي أتبناها ؟ " .

تشعر معظم النساء بأنهن يقدرن بحق أحاسيس الرجل ، إذا وجدن هناك إمكانية للحصول علي هذه الأحاسيس دون أن يصبحن أقل شعوراً بالأمان ( سواء عاطفياً أو مالياً ) . أما إذا كان تقدير المرأة للأمان مرتفعاً ، فإنها تختار رجلاً ناجحاً بالفعل في عمله . المشكلة أن العمليات المطلوبة لكي يحقق الرجل مزيداً من النجاح في الوظائف ذات الدخل العالي ترتبط بصورة عكسية بمدى هشاشة أحاسيسه . فالمرأة التي تُعجَب بنجاح الرجل وتستنكر قدرته على تحقيق الحميمية يجب ألا تلوم إلا نفسها ، لأن هذا اختيارها ، وبالمثل ، عندما يتزوج رجل في الأربعين من عمره فتاة في العشرين من عمرها ، ويستنكر

عدم نضجها وعدم تحملها المسئولية ، فعليه ألا يلومها ، بل عليه أن يواجه القيم الخاصة به وليس بها .

في حين أننا نعلم أن اختيارنا لرفقاء الحياة هو أفضل تعبير عن القيم التى نتبناها ، إلا أن الرجال يركزون عند اختيارهم لشريكات حياتهم على الجانب الجسدى والشكلى فقط ، بينما تركز المرأة فى اختيارها للرجل على نجاحه فقط ، وبعد ذلك يعلن الجنسان عن افتقادهما لأحد الأشياء ! دعنا ننظر للمسألة من زاوية أخرى ، **لماذا يقع الرجل أو المرأة فى حب شخص من الجنس الآخر يعتبر الأقل قدرة على الحب ؟**

على مدار ملايين السنين ، كانت الخصائص البيولوجية للنساء تدفعهن لاختيار الأبطال ورفض الرجال الآخرين ـ " الخاسرين " . وبذلك توجد جينات البطولة المتوارثة فى أبنائهن . ولكن تخيل أحاسيس البطل . ألا تستطيع ؟ هذه هى النقطة . إن كلمة بطل " Hero " مشتقة أساساً من الكلمة اليونانية القديمة " Sero " التى نشتق منها أيضاً كلمتى " Servant " و " Slave " أى خادم وعبد أو الحارس الذى يوفر الحماية للسادة . هؤلاء لم يكن متوقعاً منهم أن يعبروا عن مشاعرهم ، ولكن أن يكتموها . مثلهم فى ذلك مثل الأبطال ، ومثل رؤساء مجالس الإدارة ، والجراحين ، والمهندسين . إن تراثنا الجينى ـ أى عملية العلاقات الاجتماعية ـ هى التى دفعت النساء إلى الزواج من الرجال الأبطال القادرين على إعالتهم ، والرجال إلى الزواج من النساء الجميلات ، وهم بذلك قد انتقوا الجينات التى حملها أطفالهم إلى الأجيال التالية ، والتى لا نزال نحملها . إذا ما تكاملت رغبتنا لمساعدة الرجل على التعبير عن أحاسيسه ، فالأمر يتطلب كثيرًا من إعادة النظر وتعديل المواقف من كل مؤسسة أو توجه يتعلق بالاختلافات بين الجنسين . وهذا ما سأفعله فى الفصل الرابع عند مناقشة كيفية دعم الرجال للتعبير عن أحاسيسهم .

## إذا كان الفهم المتبادل يمثل هذه القيمة العالية ، لماذا لم نتعلمه من قبل ؟

عبر تاريخ الإنسانية ، تعلمنا أن نعيش ونستمر عن طريق قتل الأشخاص الذين لا يفهموننا ، وأطلقنا على هؤلاء لقب " العدو " . ولم يكن التعاطف مع العدو على رأس الأولويات قط لأن البقاء على قيد الحياة كان أكثر اعتماداً على

الحرب منه على التعاطف . والحقيقة أن التعاطف مع " الجانب الآخر " كان يسمى خيانة . فى الخمسينات من القرن الماضى كان يكفى التعبير عن فكرة إيجابية عن الشيوعية لكى تنطلق الاتهامات ، ( " أنت أيها الشيوعى ! " ) باختصار ، عاشت الإنسانية عشرات الآلاف من السنين تتعلم القتال والمجادلة مع الطرف الآخر ، ولم يحدث أن قضينا أى وقت فى تعلم الإنصات والتعاطف .

رغم ذلك ، ألا تقضى النساء عمرهن فى تعلم التعاطف والحنان ؟ بلى ، عندما يكون الشخص فى صفهن . ولكن كلا الجنسين لم يتعلم أن يتعاطف مع من يجادله . فعندما يحدث طلاق ، لا تتعاطف النساء مع الرجال ، كما لا يتعاطف الرجال مع النساء ، فهما يتساويان فى عدم التعاطف . فى ظل حالات العداء ، تعلم الجنسان مهارات جدالية أكثر من مهارات الإنصات . عليك فقط أن تزور محكمة للأحوال الشخصية لكى تتأكد من أنه ليس هناك أحد ينصت .

هناك مشكلة واحدة فى فهم شخص ما . فبمجرد أن نفعل ذلك نتوقع أنه هو الآخر سيفهمنا . وبذلك نرفع من قيمة الرهان قبل أن نعرف ما الذى سيفعله الآخر . من اليسير أن نظل تعساء عندما نزيد من توقعاتنا أسرع من قدرة الطرف الآخر على الاستجابة . عندما نفعل ذلك ، فإننا نشل حركته بتوقعات غير واقعية . حينئذ ، على الرغم من أننا نعمق من شعورنا بالحب لمستوى معين ، فإننا نخل باستقرار العلاقة .

إذا لم نحصل فى المقابل على التفهم الذى نتوقعه ، فإننا ننتظر شيئًا آخر ، سيارة جديدة مثلاً . فالميزة هنا هى أننا فى الغالب نتقبل هذه الهدية ، ونحن نتفهم أنها هدية عظيمة ، ولكن المشكلة هى أننا إذا لم نتلق الفهم الكافى ، فسوف تتساوى تعاسة الفتاة المادية بالفتى المادى .

## إذا رغبتُ حقيقة فى أن أكون مفهوماً ، فماذا أفعل ؟

استسلم . ( مجرد مزحة ! ) .

لو كان التواصل بفاعلية سهلاً ، لكان بإمكاننا تحقيقه بالفعل . غالباً ما أقول مازحاً إننى عندما أقرر أن أركز حياتى لجعل الرجال والنساء يفهمون بعضهم البعض ، أكون قد ضمنت لنفسى عملاً مستمراً ! وقبل أن تفترض أن

الجهد المبذول أكبر مما يستلزمه الأمر ، دعنى أخبرك كيف أن الأمر يستحق كل هذا المجهود .

تخيل لو أن هناك أداة واحدة للعلاقات يمكنها ، أكثر من غيرها ، أن تجعل شريك العمر أقل رغبة فى الانفصال عنك . فكر للحظة فى مدى تكلفة الطلاق - ليس من الجانب المالى فقط ولكن من الجانب النفسى ؛ وليس بالنسبة لك فقط ، بل لأبنائك أيضاً ... ولأبنائهم كذلك .

الآن ، تخيل أن نفس الأداة يمكنها أن تحسن من علاقتك بأبنائك ، وأبويك ، ورئيسك فى العمل وموظفيك . إذا كان تعلمك للغة العلاقات هذه سيستغرق منك نفس الوقت الذى يستغرقه معظم الناس فى تعلم لغة الحاسوب ، ألن يساوى ذلك الكثير ؟

كثيراً ما أرى الأزواج والزوجات فى ورشات العمل التى أديرها يخشون من تفهم وجهة نظر الطرف الآخر ، وذلك خوفاً من الرضوخ أو قبول الحل الوسط . والواقع أننا حين لا نتفهم شركاءنا ، ينتهى الأمر بمزيد من الاستسلام . إن الرجل الذى ينهمك فى مشاهدة البرامج الرياضية التلفزيونية سيكون أقل تمسكاً بذلك فى اللحظة التى يشعر فيها بأن كل من فى البيت يفهمه ؛ والمرأة التى تتمنى الحصول على قِلادة أو خاتم ستكون أقل اهتماماً بذلك عندما تكون محاطة بالتفهم . إن الناس الذين لا يستطيعون إبداء الفهم سيجدون أنفسهم يدفعون الكثير ويتلقون القليل .

إن الميزة فى الفصول الأربعة الأولى ، هى أنه مثل تعلم الحاسوب ، فإن القليل من التعلم يؤدى إلى بعض النجاح . إن فائدة لغة الحاسوب هى أنها تفتح مزيداً من الاختيارات التى لم يحلم بها آباؤنا منذ خمسين سنة مضت ؛ إن فائدة لغة العلاقات هى أنها تتيح لنا نوعاً من الحب لم يتخيله أحد منذ خمسين عاماً مضت . أيضاً ، مثل تعلم التعامل مع الحاسوب ، يصبح كل اختيار قابلاً للاستخدام من خلال تعلم شىء جديد وممارسته بشكل متكرر . ومثلما يتعلم أبناؤنا لغة الحاسوب بسرعة ، فهم يتعلمون لغة العلاقات أكثر سرعة منا ، ولكننا أيضاً نستطيع التعلم على الرغم من كِبرَ سننا .

إذا ما كنت مرتبكاً ، تذكر ، إذا لم نقدم لشريكنا بضع خطوات مما سيلى ، فإننا نكون قد أعطينا أكثر من ٩٥٪ مما يعطيه الشريك لشريكه . نكون قد صنعنا الحب ... بأسلوب جديد .

٢

# كيف توجه النقد ليَسهُل الاستماع إليه ؟

إن الخطوات العملية لتوجيه النقد ـ وهو محور هذا الفصل ـ تتضمن الافتراض الأساسي بأن النقد لابد منه . ولكن هل يجب ذلك فعلاً ، هل هذا يساعد العلاقة أم يؤذيها ؟ وإذا كان لابد منه ، كيف يكون ذلك وإلى أى مدى ؟ هل لدى الرجال والنساء أساليب مختلفة لإبداء النقد والتعبير عن الغضب ؟

## هل توجيه النقد والتعبير عن الغضب مفيد أم مضر بالزواج السعيد ؟

يبدو أن الحكمة السائدة منقسمة فى هذا الشأن . يشعر البعض بأنه من الأفضل الإفصاح عن النقد والغضب ، وآخرون يشعرون بأن ما تقوله ؛ وخاصة فى حالة الغضب ، لا يمكن استرداده . والحقيقة ، أن كلا الرأيين صحيح . أظهرت الدراسات عن الزيجات السعيدة أن حالات الغضب والنقد كان يتم التعبير عنها وليس كبحها ... إلى درجة ما . كما ظهر أن طريقة إبداء ذلك يكون لها بالغ الأثر .

فى الزيجات التى انتهت بالطلاق ، كانت الزوجة السابقة تبدى غالباً قدراً من الغضب ، و الحزن ، والاشمئزاز ، والخوف ، كما كانت تتصف بالولع بالقتال والازدراء تجاه طليقها ، وتتخذ مواقف دفاعية ، كل ذلك إلى جانب نزوعها للاستبداد وميلها إلى النواح ومحاولة إعاقة كل ما يقوم به زوجها . أما الرجل فكان ميالاً أكثر إلى القتال واتخاذ المواقف الدفاعية إلى جانب ازدراء زوجته .

## هل تجد النساء صعوبة أكبر في التعبير عن الغضب ؟

إن كتبًا مثل " The Dance Of Anger " لـ " هاربيت ليرنر " ، وموضوعات تنشر فى مجلات المرأة ، والبرامج الحوارية فى التليفزيون ، وفصول التدريب على الثقة فى النفس ، كلها تخبرنا أن المرأة اعتادت عدم اللجوء إلى الغضب ، وخاصة إذا كان هذا الغضب موجها إلى الرجال . يدعونا هذا إلى الاعتقاد بصعوبة التعبير عن الغضب لدى المرأة ، والعكس بالنسبة للرجل ، أى أن هذه المشاعر يسهل للرجل التعبير عنها .

الحقيقة هى أن كل إنسان ، رجلاً كان أو امرأة ، يشعر بالضيق عندما يعبر عن غضبه أو حين ينتقد . فالغضب والانتقاد يسببان النفور . وليس هناك من يرحب بالنفور أو يرغب في أن يكون مكروهاً . إن الرجال يتعلمون التعبير عن غضبهم وتوجيه انتقادهم لغيرهم من الرجال ، ولكن حين يتعلق الأمر بالنساء ، فإنهم اعتادوا على حمايتهن ، وليس مهاجمتهن . لقد اعتاد الرجال على الجدال خارج المنزل ( مع الرجال ) ، وليس داخل المنزل ( مع النساء ) . وكان هذا ما أظهره البحث بوضوح .

وجد الباحثون أنه عندما يعرب أحد الجنسين عن مشاعر مثيرة للجدال ، فإن الزوجة غالباً ما تكون هى البادئة ، بمعدل يقرب من ستة إلى واحد ( ٨٥٪ مقابل ١٥٪ ) . وعندما يشترك الجنسان في الجدال ، ويسيطر أحدهما على زمام الأمور ، فغالباً ما تكون المرأة هى المسيطرة وذلك بسبب ضعف الرجل . وعموماً ، غالباً ما تميل النساء إلى بدء الصراع ، وتصعيده ، وتتحكم في دفة الأمور عند حدوثه ، وعندما تتسبب المرأة في إشعال الصراع ، غالباً ما تكون هي الأسرع في إنهائه والتجاوز عنه .

جاءت النتائج من مصادر عديدة ومن شرائح المجتمع المختلفة العالية والمتوسطة والمنخفضة . وتم التوصل إليها باستخدام منهجيات متنوعة : الاعتماد على أقوال الزوجين ، وعلى أسلوب أكثر مصداقية ، وهو ملاحظة الباحثين للأزواج ومراجعة تقييماتهم الخاصة .

ولعل أكثر الباحثين احتراماً في هذا المجال هو " جون جوتمان " من جامعة " واشنطن " . فهو يسجل معدل النبض ، ودقات القلب ، وحالة الجلد والمؤشرات الأخرى الدالة على التوتر . ثم يصور الأزواج بالفيديو كي يلاحظ تعبيرات الوجه ولغة الجسد . وهو لا يطلب من الأزواج أن يتشاجروا حتى لا يبدو ذلك مصطنعاً . وبدلاً من ذلك ، يقوم بالتعامل مع زوجين ، وحين تتطور الأمور بشكل طبيعي إلى موقف خلافي فإنه يطلب منهما مناقشة هذا الموقف لمحاولة حله . وعندما يبدأ الشجار بصورة طبيعية يقوم بتشغيل الجهاز لتسجيله .

ووجد " جوتمان " أن الرجال يهابون النساء الغاضبات أكثر مما تهاب النساء الرجال الغاضبين ، والرجال أيضاً يتعرضون للضغوط نتيجة الخلافات الزوجية ، بينما ترتاح النساء للمواجهة الانفعالية ويتفوقن فيها .

حتى فى حركة تحرير المرأة ، فإن الوسيلة هى التي توصل الرسالة ؛ أى أن الناشطات تعبرن عن الغضب حين يشير محتوى الرسالة إلى أن النساء لا يستطعن التعبير عن الغضب ؛ بينما الرجال يكتمون غضبهم حتى لو حكمنا عليهم بأنهم الجنس الذى لا يجد مشكلة في التعبير عن غضبه ! كثيراً ما نسمع أن هناك معركة بين الجنسين ، ولكن الحقيقة هي أننا فى حالة حرب يظهر فيها طرف واحد فقط ( يضع الرجال رءوسهم فى الرمل متمنين أن تخطئهم الطلقات الموجهة إليهم ! ) .

لا يبدى الرجال أية نية للانسحاب فى المعارك التى تدور بينهم وبين إخوان جنسهم . ولكن هذا ما يفعلونه حين يتنازعون مع النساء . لأن الغاية من القتال مع رجال آخرين هو الإعداد لحماية النساء من النزاع ، وليس أن يكونوا مصدر النزاع .

ليست وظيفة هذا الكتاب خلق خطة عمل لمساواة حق الرجل فى الغضب بحق المرأة . بل إن غرضه الأساسى هو إيجاد طريقة للتواصل يتم من خلالها تحويل هذه الحالة من الغضب مثلما تستخدم الألواح الشمسية في تحويل الحرارة ـ عن طريق أخذ الحرارة الشديدة ـ التي تجعلنا نشعر بالسخونة في لحظة ، ثم

بالبرودة في لحظة أخرى ، وتحويلها إلى طاقة لتشغيل أجهزة التدفئة التي تحفظ الدفء والحرارة طوال الوقت .

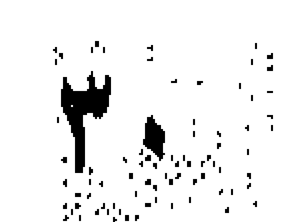
## إذا كان يسهل على النساء التعبير عن الغضب ، فلماذا نعتقد أن الرجال أيضا يسهل عليهم ذلك ؟

كان الطفل الرضيع يبكى . وفى التجربة العلمية التى أجريت ، كانت مجموعة الملاحظين الذين قيل لهم إنه صبى يشيرون إلى أنه يعبر عن " الغضب " ؛ أما المجموعة الأخرى فقيل لهم إنها فتاة ، فكانوا يقولون إنها تعبر عن " الخوف " . أحد الأسباب التى تجعلنا نعتقد أن الرجال يعبرون عن الغضب أكثر هو ميلنا إلى ترجمة ما نطلق عليه " خوف " عند النساء إلى " غضب " عند الرجال . ويمكننا ملاحظة سبب ذلك عندما ننظر إلى التأثير الذى يحدثه .

عندما نترجم عواطف المرأة على أنها خوف ، تتنبه حاستان أو غريزتان : غريزة حماية أية امرأة ، وغريزة حماية أى شخص خائف . فالمرأة عندما تكون في حالة خوف ، فإن ذلك يعنى أنها في خطر ، وهذا يثير داخلنا مشاعر الرغبة في حمايتها . وعندما يعبر الرجل عن عاطفة مشابهة ( مثلاً ، بالصراخ ) ، فإننا نترجم هذه العاطفة إلى غضب ، عندئذ نرغب إما فى القتال أو فى الفرار .

إذا عبرت المرأة عن خوفها ، لا يمكن أن نطمئنها بدون أن نحررها من مسئوليتها ؛ ولكن عند ترجمة نفس المشاعر لدى الرجل على أنها غضب ، فإننا نوجه إليه اللوم ونؤكد مسئوليته . إننا نرغب فى أن تكون المرأة غير مذنبة ؛ ونريد أن نجد الرجل مذنباً ومدانا .

ما إن يتغلغل هذا المعيار المزدوج فى عقولنا ، حتى يترجم ذلك عبر مشاعرنا تجاه توجيه الانتقاد إلى المرأة ضد رجل ، فعندما يقوم رجل بانتقاد امرأة ، نشعر بالقلق عليها ؛ وعندما تنتقد امرأة رجلاً ، فإننا نشجعها ونمدحها . نحن في صفها في جميع الأحوال . فمن الناحية العاطفية ، نحن نرى المرأة في صورة فتاة في محنة ، وإذا كنا رجالاً ، فسوف نتنافس على حمايتها بهدف الفوز بحبها . عندما كان " جورج بوش " يخوض المعركة الرئاسية عام ١٩٨٤ كنائب للرئيس ضد " جيرالدين فيرارد " ، أدرك هو وطاقمه الاستشارى أنه لا يستطيع



انتقادها بالطريقة التى يمكن أن توجه إلى رجل حتى لا ينعكس ذلك على موقف الناخبين لصالحها . لهذا السبب ركزوا على التصرفات السلبية المالية لزوجها ، وهو أيضاً ما فعله منافسه " دايان فينشتين " فى انتخابات مجلس الشيوخ فى ولاية كاليفورنيا .

هذا ليس خطأ شخصيا بعينه . إن الفرق نشأ من خلال جيناتنا الوراثية وهى عملية الاختلاف الاجتماعى التي تدفع النساء إلى الزواج من الرجال الأقوياء القادرين على إعالتهن ، وتدفع الرجال إلى الزواج من النساء الجميلات ، وهم بذلك ينتقون الجينات التي يحملها الأطفال الذين يولدون في الأجيال التالية .

إن صفات الرجلِ النبيل أو " الجنتلمان " طبقاً لمواصفات القرن التاسع عشر كانت تصوره حاملاً سيفه للتصدى لأى إهانة توجه لامرأة ، حتى ولو كلفه ذلك حياته . وكان انتقادها يعنى بالنسبة له احتمال الموت . هذا التراث يجعل من الصعب علينا جميعاً ، وحتى اليوم ، قبول رجل لديه أحاسيس انتقادية ضد امرأة .

## لماذا نشعر كما لو أننا قُتلنا عندما يوجه إلينا النقد ؟

في حين أن الغضب والانتقاد يحتاجان إلى متنفس للتعبير عنهما ، فإن استخدامهما لمحاولة حل المشاكل يشبه إلى حد ما استخدام المبيدات لتنقية الجو من الحشرات الطائرة : أى أنهما يلوثان الجو بهدف تنقيته ! . إن توجيه النقد والشكوى يخلقان طاقة سلبية قبل أن يوفرا طاقة إيجابية . وهما في أغلب الأوقات لا يوفران طاقة إيجابية . لماذا ؟

لأننا نشعر حين يوجه لنا النقد كما لو أننا " تعرضنا للقتل " . قالت لى إحدى الصديقات : " أتذكر عندما كنت فى الصف الثالث الابتدائى أن انتقدتنى المعلمة أمام كل التلاميذ . لقد شعرت بأننى محطمة إلى أشلاء متناثرة . ولذلك فإنك عندما توجه لى أى نقد ، أشعر وكأنك غرست سكيناً فى قلبى " .

يبدو أن هذه الصديقة عبرت بشكل علمى صادق أكثر مما تدرك . فقد ورد فى مجلة " نيو إنجلاند " الطبية تقرير يفيد بأن الحديث عن أخطاء الشخص يؤدى إلى خلل فى نبضات قلبه . هل هو خلل بسيط ؟ لا . إن الخلل يشبه ما يحدث عند مواصلة الأداء العنيف على الدراجة الثابتة والوصول إلى حد الإرهاق أو الإحساس بالألم فى منطقة الصدر .

ما السبب فى أن الانتقاد يجعلنا نشعر كما لو أننا تعرضنا لطعنة فى القلب ؟ لماذا نسعى لرد هذه الطعنة ، رغم معرفتنا الكاملة بأن هذا هو أسوأ ما يمكن أن نقوم به ؟

من الناحية التاريخية ، يقود الانتقاد إلى النبذ وهو ما يمكن أن يقود بالتالى إلى الموت . إن كلمة " Ostracism " ، محورة من الكلمة اليونانية " Ostrakon " " أوستراكون " والتى تعنى " القبعة الحريرية العالية " ، وهى التى كانت بمثابة طريقة تعبير المجتمع للموافقة على نبذ أحد الأشخاص عندما يرفعونها جميعاً إلى أعلى . كان هذا يعنى مقاطعة المجتمع له وعدم التحدث إليه ، أو التجارة معه أو التعامل معه بأية صورة . وعلى ذلك ، فإذا كنت طبيباً مثلاً ، وقرر المجتمع مقاطعتك فلن يحضر إليك مرضى ، ولن تستطيع أن تعول أسرتك . وهذا يعنى أن تتعرضوا للجوع .

إن التعرض للانتقاد يجعلنا نشعر وكأنه تم قتلنا ، وليس نحن فقط بل كل أفراد الأسرة . ونحن نخشى موت أبنائنا أكثر من موتنا نحن .

**على ذلك فإن جيناتنا الوراثية مؤهلة لكى تقتل من يوجه لنا النقد قبل أن يقتلنا** . إذا كنت أنت من يعتزم توجيه الانتقاد ، فلن يكون لديك دافع قوى للأمانة . واليوم ، مع قدرة شريك الحياة على تركنا ، ربما أصبح هذا الدافع أقل بكثير . وبذلك أصبحنا نبحث دائماً عن القبول ورضا الآخرين عنا .

بتعبير آخر ، لقد صرنا سلالة من الباحثين عن الاستحسان . نحن نريد هذا الاستحسان بشدة ، ولذلك نتأرجح بين الالتزام بالقواعد العامة لكى نحصل عليه ، وبين الاختلاف ( التميز ) لكى نناله ، حتى الشخص المتمرد الذى قد يؤدى استخفافه للإيهام بأنه غير مهتم بالحصول على الإطراء ، ينبع داخله وبشكل سرى أمل في أن يكون موضعاً للإعجاب ( فى انتظار اليوم الذى ينظر فيه إليه باعتباره على حق بينما كل الآخرين على خطأ ) .

لعل كثيرين منا لا يمكن أن يتوجهوا إلى أى حفل ساهر بدون أن يعرفوا أولاً ما الذى سيرتديه الحاضرون ؛ ولا يخرجون إلا بعد النظر بإمعان إلى المرآة عشر مرات للتأكد من مظهرهم ؛ ويراجعون فى ذهنهم ردود أفعالهم تجاه من سيقابلهم وخاصة من يهتم بهم .

إن احتياجنا الشديد للإطراء والموافقة يأخذ عدة أشكال بالنسبة لأبنائنا . قد ينضم الفتى إلى إحدى العصابات بعد أن عوقب فى المدرسة ، ويكون هذا تعبيراً فى الحصول على الحب ، والاحترام ، والإطراء . عندما أنهينا دراستنا الثانوية



التحق أحد زملائنا بالبحرية رغبة منه فى إثبات ذاته ، وهى طريقة أخرى للقول بأنه يسعى للحصول على الإطراء ، والاحترام والحب . لقد غامر بحياته فى مقابل ذلك ، وقُتِلَ فى النهاية . وقد أكدت لى مئات من النساء ممن اشتركن فى لقاءاتى التدريبية ، أن قراراتهن بالزواج لم تكن الأنسب ، وكلهن علمن بذلك قبل الزواج ، ولكنهن خفن من التراجع لأن دعوات حفل الزفاف كانت قد تم إرسالها بالفعل . لقد خاطر كل هؤلاء الرجال والنساء بحياتهم خوفاً من النقد .

إذا صنفنا النقد تالياً للخوف من الموت ، وأسوأ من كراهية دفع الضرائب ، هل نتمكن من إيجاد بيئة آمنة ضد " القتل " ؟ نعم ، هذا ممكن . وتبدأ هذه العملية بإتقان " قواعد اللعبة " الخاصة بتوجيه النقد للآخرين .

## خمس قواعد للعبة

على من يوجه النقد ( الشخص المستاء ) أن يلتزم بخمس قواعد هى :

١. **أن نبرة الصوت أهم من الكلمات** . إن الكلمات وحدها لا تضيف شيئاً إلى نظرات أعيننا ونبرة صوتنا ، وهى لا تظهر المشاعر الحقيقية . جرب أن تقول كلمات مثل " أنا أحبك " بنبرة شريرة ماكرة إلى طفل صغير أو حتى كلب صغير ، ستجده يجرى من أمامك مذعوراً ؛ وبالعكس ، جرب كلمات مثل " أيها الطفل الشرير " أو " أيها الكلب القذر " ولكن بنبرات صوت توحى بالحب ، وراقب رد الفعل ومدى التجاوب معك . إذا كان الصوت والنظرة يعكسان الاحترام ، والتقدير ، أو حتى لمسة حنان وإعجاب ، فإنها ستذيب كل المشاعر السيئة ! أثبتت البحوث أنه حتى لو كانت الزوجة أكثر ميلاً للشكوى من الزوج ، فإن الزواج يظل مستقراً وسعيداً إذا نجحت فى إعطاء شكواها صورة إيجابية ( مثلاً باستخدام الدعابة ، العواطف ، إبداء الاهتمام ، القبول والإطراء ، الابتسام ، التواصل الجسدى الإيجابى ، الضحك ... ) .
٢. **لا تكن كثير الشكوى** . متى يمكنك أن تعرف أنك كثير الشكوى ؟ القاعدة هى : الشكوى كل يوم تبعد عنك من تحب . إذا شعرت وكأنك تسير على قشر البيض ، ولذلك تكثر من الشكوى ؛ فاجمع كل الشكاوى ذات الشأن

وضع خطة ( سنناقشها لاحقاً ) ، واجعل باقى أيام الأسبوع خالية من الشكاوى أو " منطقة حرة من الشكوى " .

٣. **لا توجه الانتقاد إلى شخص انتهى تواً من انتقادك** . انتظر حتى يشعر بأنه تم الاستماع إليه حتى النهاية .

٤. **اطلب من الطرف المستمع أن " يلعب دور المنصت "** . إذا وجدت استجابة ، فإنك تكون قد عثرت على شريك ؛ وإذا كانت الاستجابة سلبية يكون الطرف الآخر خصماً . احرص على اختيار الوقت المناسب .

٥. **لا تكثر من الأسئلة المتعلقة بسلوك الطرف الآخر وكأنك تجرى له امتحاناً ( " قل لى ، لماذا فعلت ذلك ؟ " )** . اشرح له أنك إذا وجهت سؤالاً استيضاحياً فعليه أن يتعامل معه على أنه نوع من البلاغة ليس إلا .

إذا اخترنا أهم نصيحتين ، فستكون الأولى هى أن نبرة الصوت أهم من الكلمات ، والثانية هى المتعلقة بكثرة الشكوى .

فى بعض الأحيان يتخذ الانتقاد شكل الانفجار التلقائى . ولكى تسيطر على الانتقاد فمن الأفضل أن تتحكم فى النقد بدلاً من أن يتحكم فيك . إذا كنت ستستخدم السكين ، فمن الأفضل أن تفكر أولاً قبل الاستخدام فى أن وظيفته أن يقطع لك الأشياء وليس أن يقطعك ( لماذا لم تذكر لى أمى مثل هذا القول ؟ ) .

## التخطيط المسبق لتوجيه النقد ليصبح من اليسير الاستماع إليه

### الخطوة الأولى : سجل مشاعرك السلبية كتابة

أحب جداً هذه الطريقة فى حياتى الخاصة ، وأتفق مع زوجتى على كتابة شكواى فى ورقة وأضعها فى صندوق خاص بذلك . إن مجرد كتابة الشكوى تطلق كثيرًا من الطاقة السلبية التي أشعر بها .

وهذه الطريقة تساعدنى أيضاً على تصنيف الشكاوى ومعرفة أيها أكثر أهمية . اعتاد " هارى ترومان " أن يقول : " عندما أتلقى مذكرات عاجلة ، أضعها فى درج المكتب . وفى نهاية الأسبوع أفتح هذا الدرج . إذا كان الأمر لايزال عاجلا ، أهتم به " . ومن جانبى تعودت على معاملة الشكاوى بنفس الطريقة .

## الخطوة الثانية : اختر ميعادًا تتفقان عليه لتبادل المشاعر السلبية ـ مرة كل أسبوع أو أسبوعين

أفضل طريقة لطرح الشكاوى هي تحديد وقت متفق عليه مسبقاً لذلك كل أسبوع أو أسبوعين ، ولتكن مثلاً أمسية للمشاركة والاهتمام المتبادل ، ويوضح لنا الزوجان " هارى " و " سالى " كيف يتم ذلك :

قاربت الساعة على السابعة مساءً . كانا بالفعل متأخرين عن موعد المسرحية التى حجزا تذاكرها منذ أكثر من شهر . كان " هارى " متشوقاً لهذه الأمسية . رن جرس الهاتف وبينما " هارى " يهم بفتح الباب للخروج كانت شقيقة " سالى " هى المتصلة ، وعادة ما تطول بينهما المحادثات الهاتفية ، أشار " هارى " إلى ساعته موجهاً نظره إلى " سالى " . بعد أن أنهت " سالى " المحادثة انفجرت قائلة : " أنت لم تحب شقيقتي أبداً ، لقد كنت أشعر بأننى لا أتصرف بحريتى ، وكنت تسيطر على ، أنت لا تسمح لى أبداً باتخاذ قراراتي أو اختيار ما أرغب فيه ، ثم إنها ليست معضلة إذا تأخرت عن المسرحية قليلاً " .

نفد صبر " هارى " . وكان يريد إخبارها بأنه يفضل لو كانت تركت جهاز الرد الآلى يتلقى المكالمة ، ولكنه خشى من رد فعلها الذى قد يؤخرهما عن المسرحية . أفصحت تعبيرات وجهه عن ذلك مما دفع " سالى " إلى وضع المسمار الأخير فى النعش عندما قالت ، " الآن أنت تبدى كثيراً من عدم الصبر عندما نتكلم عن ذلك ، ما هو الأكثر أهمية في رأيك : مسرحية تافهة أم علاقتنا ؟ " .

أحس " هارى " بأن السؤال واضح الانحياز . إلا أنه خشى مرة أخرى من ضياع فرصة مشاهدة المسرحية . وكانت استجابته كالتالى : " هل يمكن أن نؤجل هذه المسألة على أن نناقشها بعد المسرحية ؟ " إلا أن " سالى " قالت : " لا ، إن ما أشعر به الآن ، هو ما أشعر به دائماً وهو ما لم نتحدث بشأنه أبداً . ولا يمكن أن أستمتع بالمسرحية وهذه المشاعر تنتابنى وتملأ رأسى " .

من منهما على حق ؟

كلاهما على حق . ولحسن الحظ ، هناك حل يرضى الطرفين .

احتاجت " سالى " إلى الاطمئنان أن مشاعرها المتكررة لن يتم تأجيل مناقشتها مرة أخرى . كان احتياجها شديداً إلى الأمان . من جانبه ، كان

" هارى " متشوقًا لمشاهدة المسرحية التى انتظرها طوال شـهر ، وهـو يـرى أنـه ليست هناك ضرورة للتضحية بالعلاقة أو مشـاهدة المسـرحية . لقـد كـان يتطلـع لمشاهدة هذه المسرحية أكثر من " سالى " ، وقد شعر بأنها ما كانت ستثير هـذا الجدال حول علاقتهما لو كانا في طريقهما لمشاهدة أحد عـروض الأوبـرا المفضـلة لدى " سالى " . وبالنسـبة لـه ، كانـت " سـالى " تبـدو كأنهـا تسـتغل الموقـف لصالحها ، أو تعجز عن وضع الحدود لتصرفاتها .

لو أن " هارى " و " سـالى " اتفقـا مسـبقاً علـى وقـت محـدد للمشـاركة فـى المشاعر السـلبية ـ ولنقـل ، السـابعة مسـاء الأحـد ( يـا للـهول ، سـتون دقيقـة كاملة ) ـ فسوف تتمكن سالى من الحصول على الأمان . وسيتمكن " هارى " من حضور مسرحيته المفضلة . ويحصلان معاً علـى وقـت يتبـادلان ويتشـاركان فيـه التعبير عن الأحاسيس والمشاعر .

عودة إلى " أمسية المشاركة والاهتمام المتبادل "

فى نهاية الأسبوع ، وقبل الموعد المخطـط ، راجـع الأوراق واخـتر منهـا مـن ثلاث إلى ست ما زالت تمثل طاقـة سـلبية . هـذه الأوراق كـان يمكـن أن يطلـق عليها " هارى ترومان " " الأمور المهمة العاجلة " .

وما إن يحدد هذا الوقت كل أسبوع ، حتى تتحـول بـاقى أيـام الأسـبوع إلى " منطقة حرة من الشكوى " . وعلى الأقل لن تكون هناك شـكاوى يتحـتم علـى الطرف الآخر الاستماع إليهـا . ومـن ناحيـة أخـرى يكـون مـن الأسـهل كتابـة الشكوى لأن عمليه الكتابة تحرر حاجتنا لإعادة النظر فى هذه الشكوى ؛ وأيضاً الضمان بأن هناك وقتاً متفقاً عليه لمناقشـتها يجعلنـا نـتخلص مـن التـوتر الـذي نشعر به عندما نعلم أننا يجب أن نثير هذه الشكوى مرة أخرى لنتخلص منها . باختصار ، لا تدع الفرصة تفوتك قبل أن تجرب هذه الطريقة .

تحقق هذه الطريقة أيضاً توازناً بين وسيلتين مختلفتين للتعامل مع النزاعـات المحتملة : الأولى هى " التخزين " ، والوسيلة المضادة لها هى " تصفية الأجواء أولاً بأول " .

فى الحالة الأولى ، وهى المتعلقة بمن " يُخزنون مشاعرهم " ، حيث يجـدون أنفسهم بعد فـترة قـد انفجـروا بإحـدى الصـورتين : الهجـوم و / أو التجنـب . عندما يحل الهجوم محل الشكوى أو الانتقاد قد يظهـر ذلـك علـى السـطح فـى شكل السخرية أو الاستهزاء أو الغيبة فى حضور آخرين ، أو قد يتخـذ الصـورة الأسوأ وهى ذكر عيوب شريك الحياة للأصدقاء في غيبتـه . أمـا التجنـب فهـو



يظهر فى شكل إحساس بالصداع ، أو الانشغال بأنشطة بعيدة مثل متابعة الأحداث الرياضية ، أو ممارسة أحد الأنشطة الضارة ، أو الإسراف فى تعاطى الحبوب المهدئة أو الاستغراق فى العمل ، أو العبادة ، أو الانشغال المبالغ فيه بالأبناء ، أو بقضية عامة . وقائمة طرق التجنب لا نهاية لها .

إن طريقة تحديد موعد " المشاركة وتبادل الاهتمام " تنجح لأنها تزيد من فرص الإحساس المتبادل بالأمان . عندما تتم تلبية احتياجاتنا للأمان ، يمتلئ الفراغ الناجم عن الشعور بعدم الأمان . هذا يشبه الطفل الذى يتغذى بالرضاعة الطبيعية ؛ إذا تم تنظيم توقيتات الرضاعة يقل توتره وينال قدراً من الغذاء أكثر من الطفل غير المنتظم فى رضاعته ، والذى لا يشعر بالشبع أبداً . الواقع أن فى داخل كل منا هذا الطفل الرضيع .

## الخطوة الثالثة : المشاركة فى أربعة أحاسيس إيجابية على الأقل مع كل إحساس سلبى

نأتى هنا إلى الخطوة الأصعب : تحويل الأحاسيس السلبية إلى أحداث إيجابية . وهذا ما نتطلع للوصول إليه . إن الأزواج السعداء يتبادلون ما بين أربع إلى أربعمائة إشارة إيجابية مقابل كل انتقاد . على ذلك ، فإننى أرى أن فرصة نجاح هذه الطريقة تكون أكثر عندما أتبادل مع الطرف الآخر الإشارة إلى أربعة جوانب يقدرها كل طرفٍ فى الآخر ، وذلك عند التعرض لأى مشكلة . وهذه بعض الأمثلة ؛ بدلاً من تدوين " يعجبنى اهتمامك " ، اكتب ما يلى : " لقد أعجبنى تصرفك عندما لاحظت أن كمية عصير البرتقال الطبيعى الموجودة فى الثلاجة قد قاربت على النفاد ، وتطوعك لشراء المزيد منه ، وشعرت بالسعادة والطمأنينة عندما سألتنى إذا كنت أحتاج شيئاً آخر من المتجر " . وهكذا ، فقد أضفنا المشاعر الإيجابية التى أثارها كل تصرف ، وفى هذه الحالة كانت الطمأنينة والارتواء العاطفى .

عندما نوجد أربعة أحاسيس إيجابية مقابل كل انتقاد ، ونمنح أنفسنا ساعة واحدة فقط لمراجعة أنفسنا قبل موعد اللقاء ، سنجد أننا ندون الملاحظات الإيجابية طوال الأسبوع ، وهو ما يعنى أن فترة لمراجعة أنفسنا لن تتضمن سيلا من المشاعر السلبية ، بل سنظل نرى الجوانب الإيجابية فى العلاقة . يرجع

نجاح هذه الطريقة إلى عدة أسباب أرى أن أهمها هو الحافز الذى نعطيه لأنفسنا عندما نسجل الجوانب الإيجابية مبكراً قبل اللقاء .

يمكن أن نضاعف قيمة الملاحظات الإيجابية إذا استخدمناها فور تدويننا فى صورة خطاب إلى الطرف الآخر مع زهرة جميلة متفتحة نضعها على مقعد السيارة فى الصباح أو على الوسادة قبل النوم ، أو إرسال رسالة عبر البريد الإلكترونى . عندما نقوم بذلك مسبقاً ، ستعود لنا الملاحظات الأربع الإيجابية ، وتصبح ثماني أو عشرًا . وقد نصل إلى مرحلة تنعدم فيها الشكوى !

إن ما تفعله الملاحظات الإيجابية ( ليس إحداث تقلصات فى اليد ! ) ، بل إنها تقوى القدرة على تنشيط النظرة الإيجابية .

## الخطوة الرابعة : إضفاء اللمسات المرحة والرومانسية على الأمسية

المرح من وجهة نظرى الشخصية هو السخرية مما أفعل . مثلاً ، قد أصيغ انتقادى لزوجتى كما يلى : " أحياناً ما أتساءل حول رؤيتك للأمور . كيف تقعين فى حب إخصائى في العلاقات ؟ " إن المرح يقرب الأرواح ، ويذكرنا دائماً بأننا مازلنا أعضاء فى نفس الفريق .

هذا ما تؤدى إليه الرومانسية أيضاً . تستهوينى الشموع وباقات الزهور ، والموسيقى الناعمة . ولكن زوجتى تحب الشموع والزهور ، إلا أنها تنزعج من الموسيقى التى أحبها أنا .

نجلس وينظر كل منا في عين الآخر . يبدأ أحدنا بذكر الملاحظات الإيجابية للآخر ثم ذكر نقطة انتقاد واحدة . ثم نتعانق ، كى نهنئ بعضنا ، ومن جانب آخر نتبادل الإشباع العاطفى . ( وقد يؤدى ذلك أيضاً إلى الشعور بالارتياح من التخلص من شىء ما . ) ثم نتبادل الأدوار ويبدأ الطرف الآخر . ثم نعيد الكرة إذا تطلب الأمر ذلك ، ثلاث إلى خمس مرات .

قد نصل خلال اللقاء إلى درجة من الفهم المتبادل بحيث نجد أنفسنا قد توجهنا إلى الفراش . غير أننا إذا فعلنا ذلك قبل استكمال لقاء المصارحة نعود لاستكمالها . هذه النقطة الأخيرة مهمة جداً ، وإلا فإن مطارحة الغرام قد تكون هروباً مزدوجاً ، وبذلك يختفى غطاء الأمان ، وتعود الأمور للتصاعد خلال الأسبوع ولا تنجح سياسة جعل الأسبوع منطقة حرة من الشكوى .



عندما أركز على هذه النقطة فى لقاءاتى ، يسألنى المدعوون إذا ما كان الأفضل إرجاء مطارحة الغرام لحين الانتهاء من لقاء المكاشفة ، كنوع من الجائزة فى حالة النجاح . إن قيمة التلقائية هى أنها تبعدنا عن ضغط التفكير فى حسن الأداء إذا تأجل اللقاء الحميمى . وسيبتعد الطرفان ، وخاصة الرجل عن أمانة العرض حتى لا يعطله عن اللقاء الجنسى المنتظر والمؤجل . وعلى ذلك لا مانع من القيام بهذا فى حالة الرغبة الشديدة ، وعدم استكمال عملية المكاشفة ، بشرط أن تؤجل إلى النهاية فى المرة التالية .

## الطريقة التلقائية لتوجيه النقد بحيث يسهل الاستماع إليه

الوضع الأمثل لتوجيه النقد هو التخطيط المسبق ، ولكننا لا نعيش فى عالم مثالى . فقد نشعر أحياناً بأن هناك قرارًا لابد من اتخاذه على الفور . وعلى ذلك فمن المفيد اتباع الخطوات التالية كدليل عندما نرغب فى التلقائية واتخاذها كعناصر يجب إدراجها في عملية النقد التي نتبادلها في طريقة الميعاد المتفق عليه مسبقاً للنقد .

## الخطوة الأولى : حدد أفضل نوايا الطرف الآخر ، ولا تجعل أى شيء يصرفك عن ذلك .

صاحت الأم فى ابنتيها : " ألكس " و" أيرين " : " لقد قلت لا ، لا يمكن أن تخرجا بالدراجتين إلى محلات " 7 – Eleven " ، وإذا واصلتما إزعاجى فستكون هذه آخر مرة على الإطلاق تركبان فيها الدراجتين " .

### ما الذى يفكر فيه الأب ؟

يشعر الأب أن البنتين يجب أن تركبا دراجتيهما إلى " 7 – Eleven " . وهو يعرف أن الطريق ليس بهذه الخطورة ، وأنه وزوجته سبق أن أعطيا البنتين تعليمات كثيرة وشاهدا البنتين وهما تنفذان هذه التعليمات . وهو يشعر بأنه حان الوقت لترك الفتاتين تعتمدان على نفسيهما حتى تشعرا بالمسئولية ، وليس الاعتماد على حماية آخرين . يشعر الأب أيضاً بأن الميل الطبيعى للأم لحماية

البنتين يمثل جزءاً من أسباب خوف البنتين من المخاطرة ، أو الوقوع فى الخطأ والقيام بالتحولات . وهو يشعر بالقلق عليهما ، وعلى المبالغ الكبيرة التى يدفعها للطبيب النفسى للأطفال لمعالجة حالة القلق الزائد التى تعانى منها " الكس " و " أيرين " ، وهو قلِق أيضاً لاستمرار حالة القلق لدى زوجته على كل ما يمس البنتين والذى يؤدى بها فى النهاية إلى الإرهاق ، مما يؤثر على علاقتهما ، التى تحتاج بدورها إلى مراجعة إخصائى ...

مع كل هذه المشاعر ، اقتنع الأب بأنه ليس هناك مبرر لتعرض البنتين لهذا القدر من التذمر والصياح من الأم . وبالطبع يرى أيضاً أنه ليس هناك أى مبرر للتهديد .

ونظراً لأنه فكر كثيراً فى مثل هذه المواقف ، وتوقع حدوثها ، فإن الأمر لم يستغرق منه ثوانى بعد إطلاق الصيحات المتذمرة .

## رد الفعل المتوقع من جانب الأب

يتمثل رد الفعل الغريزى للأب فى صياحه : " بحق السماء ، اتركيهما تذهبان " ، ولكنه لم يفعل ذلك لأنه يعلم النتيجة ولذلك فهو يحاول توضيح وجهة نظره فى هدوء . وشعر بأن هذا يعتبر تحسناً كبيراً فى قدرته على السيطرة على الغريزة الطبيعية التى تدفعه إلى الصياح .

**المشكلات التى تنجم عن اتخاذ الأب موقف " الشرح الهادئ "** . مادام الأب لم يوفر للأم الشروط اللازمة لكى تشعر بأنها مسموعة ، فإن محاولته ستجعلها تعتقد أنه لم يضع أمورًا كثيرة فى اعتباره . وإذا لم يعط الأم الفرصة للانتهاء من كل ما تريد قوله ، فسوف تشعر بأنه يستهين بها ، وفي هذا المثال ، يستهين ببنتيها أيضاً ، حيث إن خطأ واحدًا في أى تقاطع في الطريق قد يودى بحياة " الكس " و " أيرين" .

وما إن تشعر الأم بالتقليل من قيمتها ، حتى تبدأ الأفكار في القفز داخل ذهنها ... إنها تعلم أن الأب لا يمكنه أن يضمن قدرة البنتين على تلافى الأخطاء مثلما سيكون الأمر بعد عام أو عامين ، ولذلك فالأم تفكر : " ما هى القضية لو أننا انتظرنا عاماً أو اثنين ؟ لاشك أنك بهذا التصرف تؤكد عدم الإحساس بالمسئولية . هل يمكننى فى هذه الحالة الوثوق فى أفعالك ؟ هل يمكن أن أترك البنتين معك بدون خوف عليهما ؟ إننى لا أشعر بأن لى شريك

حياة يتقاسم معى مسئولية تربية الأبناء . هذا ما يجعلنى أشعر كما لو أننى سجينة بيتى وبناتى " .

لا تعبر الأم عن كل هذه الأفكار بصوت عال ، لذلك قد يبدو على السطح أنها منصتة لما يقال . ولكنها في الواقع فى حالة " استماع للذات " ـ أى أنها لا تركز في كل ما يقوله الأب ، ولكنها تنصب لصوتها الداخلى وهى تستمع للأب بالقدر الذى يتيح لها متابعة ما يقول سطحياً والرد عليه . ليست هذه مشكلة خاصة بالنساء فقط ، بل إنها تخص الجنسين معاً ، وهى تنتاب كل شخص يشعر بأنه غير مسموع بالكامل .

والأب هنا لا يقوم فى الحقيقة بشرح وجهة نظره ، بل هو يمليها ويفرضها . لماذا ؟ لأنه لم يشعر بأن وجهة نظره سبق أن تم الإنصات لها من قبل . وهو على حق .

**إن وجهة نظر الأب لم تُسمَع لأن قليلاً من الناس هم الذين يستمعون إلى أى شيء يتعارض مع منظومتهم الفكرية إلى أن يشعروا بأنهم سمعوا صوتهم الداخلى بشكل كامل .**

لذلك ، فإن معظمنا يجد نفسه يكرر نفس الكلام على أسماع من يحبهم . وهذا ما يتسبب فى أن الطرف الآخر يرفض الاستماع ، وبالتالى يدفعنا إلى التكرار مرات ومرات . والتكرار يولد الشعور بالكمد ، والذي بدوره يؤدى إلى اغتراب الطرف الآخر ، وأنت بالطبع تفهم باقي القصة .

تتمثل المشكلة فى أنه كلما قوى إحساس الأب بأن لديه ما يشارك به ، قل صبره للبدء فى " الخطوات الخمس الأساسية للفهم " التى تتبع ذلك . إن كل ذرة من جسده تدفعه للقفز إلى الساحة لكى يشرح وجهة نظره فى إتاحة الفرصة لـ " ألكس " و" أيرين " للمخاطرة .

لدى الأب عدة بدائل . يمكنه أن يقوم بـ " الإقناع الهادئ بعيداً عن الأبناء " ومن ثم إنهاء الحالة الدفاعية " الإنصات إلى الذات " ، أو أن يتجاوز سلوك زوجته غير المتعقل ويحاول أن يرى النوايا الطيبة وراء سلوكها .

### رد الفعل الأول المثالى للأب

إن أول رد فعل مثالى للأب قد يكون : " أعرف تماماً أنك لم تسمحى للبنتين بركوب الدراجتين والذهاب إلى " 7 – Eleven " خوفاً من التعرض

للخطر فى الطريق ، وأنك بالفعل حكيمة فى هذا الشأن لأن أقل خطأ قد يودى بحياتهما . وعلى العموم فإنه بعد سنة أو سنتين ستكونان قادرتين على تجنب الأخطاء . لماذا نخاطر الآن بحياتهما ؟ " .

## لماذا تنجح هذه الاستجابة ؟

فى هذه الحالة لا تجد الأم ضرورة لاتخاذ موقف دفاعى لأن وجهة نظرها قيلت بوضوح بواسطة الأب - وبدون أى تحريف . فقد تفهم الأب أفضل نواياها .

**أولاً : أقوى الحجج** . يخشى معظمنا من التلفظ بأقوى حجج الطرف الآخر ، حيث سيبدو الأمر وكأننا نقر بوجهة نظره ، وسنجده يقول : " بما أنك قد فهمت وجهة نظرى ، عليك بتطبيقها " . ومن المرجح أن يخفف ذلك من الجهد الذى يبذله الطرف الآخر لكى يتأكد من أنه مفهوم .

دعنا نتخيل هذا الموقف . تتركز طاقة شريك الحياة فى فمه ، حيث يسعى لزيادة الإيضاح حتى نستوعب ونفهم . ولكن فى اللحظة التى ننطق فيها بأقوى حجة لديه ، لن تكون الطاقة موجهة كلياً إلى فمه ، بل ستتحول إلى أذنيه . **عندما ننطق بأقوى حجة لدى الطرف الآخر ، فإننا نحرر هذه الحجة ونحول الطاقة من الفم إلى الأذن .**

لاحظ أن ذكرنا لأقوى حجة لدى الآخر تعنى الاعتراف بأعمق مخاوفه . وفى هذه الحالة ، ذكر الأب ما تخاف منه الأم وهو احتمال موت " ألكس " و " أيرين " . على الأقل ، هذا هو أعمق المخاوف التى عبرت عنها الأم .

الاستجابة التقليدية الأخرى كان يمكن أن تتمثل فى قول الأب : " عليك أن تتيحى الفرصة لهما لتتعلما روح المخاطرة فى الحياة ، إن مجرد النهوض من الفراش هو مخاطرة فى حد ذاته " . لو أن الأب قال ذلك ، كانت الأم ستضاعف مخاوفها من المخاطر ، ويحتمل أن تبدأ فى تجميع وتقطيع أوراق الصحف التى تشير إلى حوادث مقتل الأطفال وهم يعبرون الطرقات ، وتتابع البرامج التليفزيونية التى تتناول هذا الموضوع . ولكن فى اللحظة التى يتم فيها الاعتراف والإقرار بمخاوفها ، ستتمكن من تحويل التركيز إلى جوانب أخرى ، وتتخفف من إحساسها بالتوتر ، وبمزيد من الصبر تزيد فرص التركيز على الأذن للاستماع .

**ثانياً : بدون تحريف** . أود التأكيد على " بدون تحريف " ، لأنه بفرض أن الأب قال الآتى - وحاول أن تتبين موقع التحريف : " أنا أعرف مدى خوفك من ترك " ألكس " و " أيرين " تذهبان إلى أى مكان وحدهما لاعتقادك بأنهما قد تصابان بضرر أو تلقيان حتفهما " .

إن كلمة " أى مكان " ، ما إن تسمعها الأم حتى تقول فى نفسها : " هذا غير صحيح " . إنهما تذهبان إلى المدرسة وحدهما ، وإلى المحلات المجاورة وحدهما ، وإلى صديقاتهما وحدهما ، .... إننى أسمح لهما بالذهاب إلى كل مكان لا يمثل خطراً على حياتهما . أنا لست أبالغ فى حمايتهما ، ولكننى مسئولة عن توفير الحماية لهما " .

ليست المشكلة فقط فى أن كل ما سيقوله الأب سيكون بلا فائدة ، **ولكن المشكلة هى أن اللحظة التى تشعر فيها الأم بأن أفضل نواياها تم تجاهله أو التقليل من شأنه ، تقل فيها الثقة المتبادلة** . ولكن عندما يتم الاستماع إلى أفضل نواياها ، تتزايد الثقة ويتعمق الحب .

**ثالثاً : النظر إلى تصرف الطرف الأخر على أنه غير سليم** . لم يشعر الأب بأن هناك أى داعٍ لصياح الأم فى البنتين أو تهديدها لهما بعدم السماح بركوب الدراجتين مرة أخرى . ولكن إذا كان قد قال لها : " إنك دائمة الصراخ في وجه البنتين ، وأنت بذلك تدفعينهما لعدم الاستماع إليك " ، كان ذلك سيدفعها للتمسك بموقفها الدفاعى أكثر وأكثر ( " لم أكن لأصيح لو أنهما استمعتا إلىَّ من أول مرة " ) . ولكن إذا لم يقلل الأب من شأن أسلوب الأم ، كانا سيطرحان مناقشة الموضوع برمته جانباً - أى قضايا الأمان والمخاطرة . صحيح أنه يجب مناقشة الأسلوب ، ولكن إذا كان هدف الأب هو معالجة الموضوع الرئيسى فعليه أن يتجنب التقليل من شأن أسلوب الأم .. وألا يكون قد اختار القتال .

إذا كان كل هذا يسبب لك الإرباك فتذكر فقط أن كل ما سبق يمكن اختصاره فى الموقف الأساسى . إذا كنا نبحث بحرصٍ عن أفضل نوايا الشريك ، فسنجدها . ولكن إذا أخطأناها ، فسنقترب جداً من حالة فقدان الثقة . إن موقفنا سيعوض عدم الدقة . فقليلاً ما سمعت فى محاكم الطلاق من يقول للقاضى : " يا سعادة القاضى إن التقمص العاطفى لشريك حياتى انحرف قليلاً عن هدفه " .

## الخطوة الثانية : حدد الشعور الذى يثير حيرة شريك حياتك

إذا ما تخطى الأب الخطوة الأولى وحدد أفضل نوايا الأم وانتقل إلى تحديد الأزمة التى تعيشها ، فإنه يعمق بذلك شعورها بأنها مفهومة . قد يقول مثلاً : " أتخيل أنك وقعت بين أمرين ، رغبتك فى السماح لـ " ألكس " و " أيرين " بشيء من الاعتماد على النفس ، والقدرة على الاكتشاف ، وإسعادهما ؛ والتأكد من بقائهما على قيد الحياة " .

يخشى البعض من تشجيع الطرف الآخر على التركيز على الحيرة التى يعانى منها ، وهذا صحيح فى بعض الحالات . ولكن كبداية فإن العكس هو الصحيح . إن الأم ستشعر بأن لها شريكًا يساعدها على تحمل العبء . تتخفف من أعبائها ، ويزداد إحساسها بالاطمئنان والقدرة على التعامل مع أى عبء . يؤدى ذلك إلى تحويل طاقتها بعيداً عن المعاناة ، ومواصلة الحياة .

## الخطوة الثالثة : حدد المشاعر الدفينة الكامنة وراء معاناة الطرف الآخر

إذا استطاع الأب التعرف على سبب حيرة الأم ، واستطاع تحديد المشاعر التى تخلقها هذه الأزمة ، فهو بذلك يزيد من عمق إحساس الأم بأنها محبوبة ومفهومة . وفي مثل ذلك الموقف قد يقول : " لابد أنه شيء فظيع أن تضطرى للعب دور الأم القاسية والشرطية ، ولابد أنك تشعرين عندما أقوم بدور المدافع عنهما ـ على الرغم من قضائى لوقت قليل معهما ـ بأنه تم إهمالك " . كيف يمكن لرجل أن يصل إلى هذا المستوى من الفهم ؟ هل يمكن للرجل ـ الذى ينتمى لـ " الجنس غير المتعاطف ، قليل التعبير عن المشاعر " ـ أن يقوم بذلك ؟ نعم . وها هو السبب .

كل رجل مارس الألعاب الجماعية تعلم مهارة " تقمص أدوار الفريق " وهى التركيز على توقع تحركات اللاعبين الآخرين . وهذا يعنى تصور نظرة كل منهم إلى الموقف . ويتم ذلك بأن يركز على وجهات النظر الأخرى ، وذلك بأن يتقمص أدوارهم أو يفكر من وجهة نظرهم . وعندما يجيد ذلك ، نعتبره " منافسًا جيدًا " . وهذا حقيقى ، لكنه استطاع أيضاً تنمية مهارات التقمص .

وما عليه الآن سوى تطبيق ذلك على زوجته ، وعليه أن يتذكر أنه مادام يضع ذلك في حيز التنفيذ ، فسوف ينمى الشعور بالثقة ، وبالثقة يتحقق الوضوح .

معنى ذلك ، أنه لكى يكون منافسًا جيدا ، عليه أن يجيد التقمص . إن **التقمص العاطفى تجاه النساء يمثل رمزا للذكورة** . فعندما يلعب الرجال دور الحماة ، فإنهم يحاولون إنقاذ المرأة من الظلم أو الألم . فإذا لم تكن لديهم أية معرفة بما تعانيه المرأة من ظلم أو ألم ، فلن يستطيعوا تحديد الوقت الذى تحتاج فيه لحمايتهم .

فعندما يركز الرجل على أحاسيس المرأة ( أو عندما تقوم هى بذلك ) ، فإنه أحياناً ما يكشف عن أحاسيسها التى قد لا تعرف هى نفسها بوجودها . ونحن حينما نقوم بذلك مع شركاء حياتنا ، فذلك يكون بمثابة أفضل الهبات التى نقدمها لهم .

بفرض أن الأب على خطأ وقام بذكر أحاسيس غير التى تشعر بها الأم ، وليكن مثلاً خشيتها من أن تبدو كامرأة بوليسية ، وهو ما لم يكن تشعر به ، لا بأس ، لأنها ستشعر بأن هناك من يحاول فهمها . هذا الشعور يولد القوة . تذكر ، قليل من الناس فقط ، من يعارض التقمص العاطفى حتى ولو كان فى غير محله .

## الخطوة الرابعة : حدد السمات الإيجابية التى أظهرها شريك حياتك في معالجته لهذا الموقف

أضاف الأب : " إن الأمر يستلزم قدراً كبيراً من الشجاعة لمواصلة ما تقومين به ، وكثيرًا من القوة لكى تتعاملى مع موقف البنتين المعترضتين " .

هذا جانب مهم ، والسبب فى ذلك ، أن الأب ، كما نتذكر ، لم يتفق مع ما تفعله الأم . نحن في أوقات الخلافات نادراً ما يخطر ببالنا أن نقدر السمات الإيجابية في شخصية شريك حياتنا أثناء الخلاف على إحدى القضايا . ونحن حين نفعل ذلك ، يطمئن شريك حياتنا من أن ثقتنا بشخصيته الحقيقية لا تتأثر مهما يكن القرار الذى يتخذه . وبذلك يتحول كل خلاف إلى هدية حب ، ولأنها هدية لا يقدمها إلا القليل من الناس ، فهى تكون عالية القيمة .

كان تردد الأب فى أن يفعل ذلك يرجع إلى تخوفه من تدعيم سلوك الأم الوقائى تجاه " ألكس " و " أيرين " . ولكن ما حدث هو العكس ، حيث

خفف من احتياجها للقتال دفاعاً عن موقفها . كما أن جزءًا من توجهها الدفاعى سببه رغبتها فى أن تُحترَمَ ، وألا تبدو فى صورة الأم التى تبالغ فى حمايتها لبناتها . لقد أوضح الأب أنه يرى مدى قوة وإيجابية شخصيتها في رغبتها في استثارة رفض بناتها ، وهى بذلك استطاعت أن تتخلص من جزء من رد فعلها الدفاعى .

فثقة الأب فى الأم جعلتها تدرك أن الأب تفهم وأدرك القوة التى تتطلبها الحماية وفرض القيود . وهذا ما أهَّلها لكى تضع ثقتها فيه . فنحن عندما نمنح الثقة ، نتلقى ثقة مماثلة . والناس الذين يثقون فينا يمنحوننا اهتمامهم .

بافتراض أنك خلال قراءتك الآن قلت : " يا إلهى ، يا ليتنى فعلت كل ذلك فى الموقف الأخير الذى اختلفت فيه مع شريك حياتى " . لا مجال للندم . هل تمانع إذا ما أتى لك شخص ما ليؤكد ما رآه من خصائص مميزة فى موقفك عندما اختلفتما من أسبوع مضى ؟ هل تمانع لو أن هذا الخلاف حدث منذ عام مضى ؟ مثل هذا التأكيد يعتبر إحدى الهدايا التى تزداد قيمتها مع مرور الزمن .

## الخطوة الخامسة : تذكر حواراً حدث من مدة ، واستخدمه لكى يشعر الطرف الآخر بأنه تم فهمه

تذكر الأب موقفاً سابقاً له نفس الطبيعة انطلقت فيه أصوات " ألكس " و " أيرين " قائلتين : " كل الآباء والأمهات يسمحون لأبنائهم بالذهاب بمفردهم إلى " 7 – Eleven " " . وقد كان من الممكن أن يستخدم هذا الحدث لينطلق منه لتدعيم وجهة نظره ( " كل الأزواج الآخرين يتفقون معى ، أنت بذلك تجعلين الفتاتين وكأنهما خارجتان على المجتمع وقواعده الطبيعية " ) ولكنه بدلاً من ذلك قال : " أنا معجب باختلافك عن الأهالى الآخرين لتفعلى ما هو فى صالح " ألكس " و " أيرين " ، بصرف النظر عما إذا كنت تحققين شعبية أم لا " . وعندما يفعل الأب ذلك ، يكون قد أظهر رغبته فى استخدام تاريخهما المشترك لتدعيم زوجته بدلاً من أن يكون سلاحاً يستخدم ضدها .

لاحظ أن هذه صورة عكسية لما يحدث عادة بين كل زوجين ، فهم يستخدمون كل الوسائل الدفاعية مثل تقاذف أدوات المطبخ ، ماعدا الحوض ـ وذلك من أجل الفوز فى أى جدال . وهم يكتشفون فى النهاية أنه كلما ازداد ما

يقذفونه من أدوات ، ازداد ما يفقدونه من مشاعر واحترام . وحتى إذا فازوا ، فسوف يكونون قد خسروا الحب ، وفى النهاية ، ماذا ستكون الفائدة ؟

## المراجعة السريعة لتوجيه النقد حتى يسهل الاستماع إليه

لاحظ هنا أننى لم أعنون هذا القسم بـ " الدليل السريع " ... فإنه لا يصلح كدليل ، ولكن كمراجعة ، ويفيد فى تذكر ما جاء فى هذا الفصل :

| خطوات طريقة التخطيط المسبق | أمثلة |
| --- | --- |
| خطوة ١ : دوّن مشاعرك السلبية . | " شعرت بأنك تخليت عنى عندما لم تتمكن من مساعدتى على التخطيط للاحتفال السنوى لـ " سارة " و " جيف " . |
| خطوة ٢ : حدد موعدًا متوقعًا للمشاركة فى المشاعر السلبية ـ مرة كل أسبوع أو أسبوعين . | " هل يناسبك أن نحدد أمسية للمشاركة وتبادل الاهتمام وليكن فى الخامسة من مساء الأحد كل أسبوعين ؟ " . |
| خطوة ٣ : حدد ٤ مشاعر إيجابية على الأقل مع كل إحساس سلبى : | " سعدت جداً عندما أخذت " كريس " إلى الحلاق وأتحت لى وقتا لأستمتع بالحمام الدافىء . |
| | " استرخت تماماً عندما اختصرت مكالمتك مع شقيقتك واستطعنا أن نحضر المسرحية من بدايتها " . |
| | " شعرت بالحب عندما وجدت الوردة التى تركتها لى على المقعد المجاور فى السيارة ..." . |

| | |
|---|---|
| خطوة ٤ : أضف بعض لمسات المرح والرومانسية فى أمسية المشاركة . | " ... ورغم أن الوردة كانت على المقعد المجاور لاحظت أنك نزعت أشواكها ! " . |
| **خطوات الطريقة التلقائية** | **أمثلة** |
| خطوة ١ : حدد أفضل نوايا الطرف الآخر . | " أرى أنك تحاولين تجنب حدوث حوادث " . |
| خطوة ٢ : حدد الصراع الذى يواجهه الطرف الآخر . | " أشعر بأنك محكومة بنقيضين ، إعطاء الحرية للبنتين وفى نفس الوقت الحفاظ على روحيهما " . |
| خطوة ٣ : حدد المشاعر المسببة لأزمة الشريك . | " لابد أنه إحساس صعب أن يراك الأطفال وكأنك عدوتهم " . |
| خطوة ٤ : حدد الجوانب المتميزة التى ظهرت من تعامل الطرف الآخر مع الموقف . | " إن الأمر يحتاج إلى قدر كبير من الشجاعة للتمسك بقرارك رغم إحساس البنتين بالاختلاف " . |
| خطوة ٥ : استدع للذاكرة مناقشة سابقة واستفد منها لإشعار الطرف الآخر بأنه مفهوم إلى حد كبير . | " أتذكر حينما كان الجيران يسمحون لأطفالهم بالخروج ، وقلت للأطفال إنك لا تسعين لنيل شعبية ولكن لضمان سلامتهم " . |

---

إذا شعرت بأن هذه الخطوات كثيرة جداً أو مربكة ، فلا تقلق . أنت لست الوحيد . ابدأ بالطريقة الأولى . لا تتوقع أن تقوم وحدك بكل الخطوات ، بل

اطلب المشورة من متخصص ليدعم محاولتك . فأنت عندما تريد تعلم البرمجة ، تأخذ دروساً فى علوم الحاسوب . وفى الحالة التى تحت أيدينا هنا ، أنت لا تتعلم البرمجة فقط ، بل تتعلم إعادة البرمجة ، وهذا أصعب كثيراً .

## الوصول إلى حل

ترى ، ما هى أنسب سن بالنسبة للطفل لكى نعلمه أفضل الطرق لتوجيه وتلقى النقد ، أو ما نسميه " لغة العلاقات " ؟ إنها سنوات ما قبل المدرسة . ومن هو أفضل معلم ؟ إنهما الوالدان .

ظهر من البحث الذى أجرته مجلة " باراد " على المستوى القومى أن هناك صفة مشتركة لكل البنات اللائى أنجبن خارج نطاق العلاقة الزوجية ، هذه الصفة هى " عدم القدرة على التحدث إلى آبائهن وأمهاتهن . انظر إلى " لغة العلاقات " باعتبارها أهم وثيقة تأمين على الحياة لطفلك - فهى تضمن وجود مثل يقتدى به ، وتقلل من مخاطر التعرض للطلاق ، أو تعرض ابنتك المراهقة إلى الحمل خارج الإطار الشرعى . إذا كنت ترغب فى تقديم هدية للجيل التالى لم تكن متاحة لجيلنا ، فاسع لإدماج " لغة العلاقات " فى المنظومة المدرسية المحلية ، وذلك بعد أن تصبح أنت شخصياً بارعًا فى هذه اللغة .

كيف لهذه اللغة أن تغير من الأولويات فى مدارسنا ؟ حالياً ، تتميز المدارس بتشجيع التلاميذ على التعبير عن آرائهم ، ولكنها لا تتمتع بالكفاءة لتشجيعهم على القول ، مثلاً : " ولكن هذا يختلف مع رؤيتى ، أخبرنى المزيد " .

تقوم المدارس على مستوى العالم بتدريس المناظرة ، ولكن مهارات المناظرة تركز على الإنصات بهدف كشف التحليل الخاطئ للفريق الآخر . فما الخطأ فى ذلك ؟ إن كشف التحليل الخاطئ لشريك الحياة يكون تأثيره ضاراً على العلاقة مثل تأثير النمل الأبيض على الخشب : قليل منه غير ضار ، ولكن الكثير شديد الضرر . تذكر ما سبق أن ذكرته عن ورش العمل التدريبية التى أعقدها ، حيث لم أسمع أحد المشاركين يقول : " أرغب فى أن أظل متزوجاً ؛ لأن شريك حياتى يُحلل أخطائى بصورة ممتازة " . إن من يظن أن تحليل أخطاء الطرف الآخر يخلق حياة زوجية سليمة يكون هو نفسه على خطأ .

وهذا لا يعنى ألا تتيح الفرصة للمناظرة والمجادلة . إن مهارات الإنصات لا تحل محل مهارات الجدال ، بل تضيف إليها . **ولكن تعليم الأطفال مهارات**

**الجدال بدون تعليمهم مهارات الإنصات الجيد ، هو فى واقع الأمر تدريب لهم على الطلاق** . إنه بمثابة تشجيع لأبنائنا وبناتنا على إقامة العلاقات غير الشرعية وعلى تعاطى المخدرات . إنه إفساد للأبناء .

إذن ما هو السبب فى ضعف قدرات الجنسين معاً على حسن الإنصات ؟ كانت العائلات فى المرحلة الأولى ( حيث البقاء على قيد الحياة هو المجال الأول للتركيز ) ، يتمثل دور الأب فيها فى حل المشاكل ، والآباء على وجه الخصوص يحتاجون للحفاظ على رباطة جأشهم عن طريق كبحٍ المشاعر التى تثيرها رؤية أحد الأصدقاء وهو يتعرض للقتل أمام عينيه . لقد علّم الأب أبناءه المهارات اللازمة للبقاء على قيد الحياة ، ومن هذه المهارات المجادلة ، والمناقشة والإقناع ، وهى المهارات التى تجعله " مؤهلاً " لاتخاذ زوجة وأبناء . وبما أن هذه المهارات كانت لازمة فى كل علاقاته ، فقد أصبحت هى فى النهاية لغته الخاصة بالعلاقات ولكن المشكلة هى أن رباطة الجأش أطعمت أحياءه دون أن تغذى أرواحهم .

أما عائلات المرحلة الثانية ( وهى العائلات التى لا تواجه مشكلة فى البقاء على قيد الحياة ، وأصبح عنصر الإنجاز الذاتى يتساوى ، إن لم يزد فى الأهمية مع البقاء ) ، صار من الممكن تحقيق التوازن ما بين المهارات اللازمة للبقاء على قيد الحياة ومهارات العلاقات . وانطوى ذلك على ازدهار " لغة العلاقات " التى غذت الروح ولم تكتف بتغذية الجسد فقط .

ما مدى إمكانية تعليم أنفسنا لغة جديدة للعلاقات ؟

إن المدارس المتوسطة ، تتولى اليوم تعليم جيل كامل لغة الحاسوب كتأهيل لتلبية الاحتياجات التكنولوجية لمجتمع المرحلة الثانية . والخطوة التالية هى تعليم هذه الأجيال لغة العلاقات اللازمة لتلبية الاحتياجات الاجتماعية والنفسية لمجتمع المرحلة ذاتها .

هل نكتفى بمنح هذا التعليم إلى أبنائنا فقط ؟ هل فات أوان التعلم للكبار ؟ لا . إن ما يقرب من نصف المواطنين البالغين يتعلمون لغة الحاسوب فى الوقت الحالى . ولغة العلاقات تتطلب تدخل الآباء أكثر من لغة الحاسوب . قد يساعد جهل أحد الأبوين بلغة الحاسوب ، على تنمية شعور الطفل بالتميز لأنه يعرف شيئاً لا يعرفه والداه ؛ أما إذا تعلم الطفل لغة العلاقات فى المدرسة ، وعرف مهارة الاستماع الجيد ولكنه حين يعود إلى المنزل يجد الصياح وعدم التفاهم ، فقد يشعر بالاستياء لأنه أصبح على وعى بما يجب أن يكون عليه الحال فى

المنزل . وبتعبير آخر ، عندما يتعلم طفل لغة الحاسوب التى لا يعرفهـا أهلـه ، يؤدى هذا إلى تحسين ثقته فى نفسه ، ولكن عندما يتعلم لغة العلاقات بدون أن يتعلمها أبواه ، فإنه يمكن أن تنعدم ثقته فى نفسه .

إن لغة العلاقات هى أفضل أمل لإعادة الاستقرار إلى الأسرة التى أدى التقـدم العلمى إلى عدم استقرارها . قبـل مرحلـة التقـدم التكنولـوجى ، لم تكـن الأسـرة تتحمل أعباء الطلاق ؛ لذلك ظلت حالات الزواج التى تفتقر إلى التفاهم العـاطفى مستمرة بحكم الأمر الواقـع ، وكانـت فـى ذلـك تشـبه السجون ذات الحراسـة المشددة . وبعدها ، أصبح الأزواج قادرين مادياً على تحمل نفقات الطلاق ، ممـا أدى إلى تحول الزواج إلى اختيار . وعندما أصبح الاستمرار فـى الـزواج خيـاراً ، أصبح الناس يتزوجون من لا يفهمونهم ، وأصبحت الزيجات التى لا تقوم علـى التفاهم تشبه السجون ذات الحد الأدنى من الحراسة .

وعنـدما أتـيح لـلأزواج مغـادرة السـجن ذى الحـد الأدنـى مـن الحراسـة ، أصبحت لغة العلاقات هى الأمان الجديد فى الزواج وفى الحب ، وبذلك تحول التفاهم من رغبة وأمل إلى ضرورة حتمية فى أية علاقة . فبدون لغة العلاقـات ، ستؤدى التكنولوجيا إلى هز استقرار الزواج أو جعلنا نرغـب فـى العـودة إلى زمـن الزيجات التى تشبه السجون المشددة الحراسة . إن لغة العلاقات باختصار تعيد التوازن إلى العائلات التى أفقدتها التكنولوجيا توازنها .

٣

# كيف تستمع إلى النقد بحيث يكون من اليسير توجيهه لك ؟

يشعر البعض بأنهم ذوو مهارة فى التواصل لأنهم متصلون بمشاعرهم ويعبرون عنها بشكل جيد . ولكن هذا هو الجانب السهل فى التواصل . أما الجزء الأصعب فهو الاستماع إلى النقد بحيث يصبح من السهل توجيهه .

تخيل أنك قادر على مشاركة رفيق حياتك ، أو والديك فى تبادل النقد وتعرف أن رد فعلهم سيكون إيجابياً وسيوفرون لك البيئة الآمنة لكى توجه نقدك وسيقدرون جهدك الذى تبذله لكى تتقرب منهم . لاشك أن هذا سيُحدث تغييراً كاملاً فى علاقاتكم . ولكن عادة ، نحن لا نتلقى ولا نوجه النقد بهذه الطريقة .

الاستبيان التالى يساعدك على معرفة ما إذا كنت توفر البيئة الآمنة للنقد أم لا . أجب الآن عن الأسئلة ، ثم حاول إجابتها مرة أخرى كل أسبوع بعد أن تنتهى من قراءة هذا الفصل وإلى أن تصل إلى الحالة التى تفضلها . لا تجب بما تود أن تكون عليه ، ولكن بما أنت عليه فعلاً فى غالب الأوقات . خذ الأمر بمحبة واقعية لنفسك . هذه هى الخطوة الأولى فى عملية متواصلة لتحويل الانتقاد الذى نسمعه إلى محبة نرغب فيها .

## عندماٍ ينتقدنى شريك حياتى أو يغضب منى ، فدائماً ما :

١. ــــــ ( أ ) أشير إلى أحد عيوبه المشابهة ( " حسناً ، إنك عادة ما تقاطعنى عندما أتحدث " ) ، أو

( ب ) أتشارك معه فيما أسمعه منه ( وعينى يملؤها التفهم ، وصوتى المعبر عن الحب ، وكل هذه التعبيرات الإيجابية ) .

٢. ــــــ ( أ ) أنتقد الأسلوب ( " إن السخرية الواضحة فى صوتك تجعلنى لا أستمع إليك " ؛ " إنك دائماً تبالغ ! " ) ، أو

( ب ) أنظر إلى ما وراء الأسلوب باحثاً عن أفضل نوايا الشريك .

٣. ــــــ ( أ ) أنتقد التصرف ( " إنك تبدو غاية فى الغضب ، هذا يخيفنى " ؛ " ما إن تبدأ فى الصياح حتى أفقد القدرة على الاستماع " ؛ " إنك مبالغ فى حساسيتك " ) . أو

( ب ) أُبدى التعاطف أياً كانت صورة السلوك .

٤. ــــــ ( أ ) أبحث عن أى خطأ فى دقة النقد ، أو

( ب ) أسعى لتقصى أى نقطة صدق .

٥. ــــــ ( أ ) أشوش على ما يقوله حتى أتمكن من إيجاد حجة مقابلة ، أو

( ب ) أبحث عن أفضل وجهة نظر يرددها وأوافق عليها .

٦. ــــــ ( أ ) أتجنب ما يعتبره الطرف الآخر أعمق اهتمام له ، وأنتهز فرصة انهماكه فى الحديث ، وأبدأ فى تخيل ما ستكون عليه استجابتى وأركز عليها ، أو

( ب ) أتعامل مباشرة مع ما يعتبره مصدر قلقه العميق ، حتى ولو وضعنى ذلك فى موقف ضعيف .

٧. ــــــ ( أ ) أشعر بعدم الصبر ( " أنا أعلم ما تقول ؛ يكفى ذلك " ) أو

( ب ) أبدى مزيدًا من الصبر ( " بسبب استيعابك لنتيجة شعور الطرف الآخر بالأمان عندما يعبر عن أحاسيسه السلبية أمامك ، سوف يشعر من معك بمزيد من الحميمية " ) .

٨. ــــــ ( أ ) التلفظ بعبارات مثل " إذا كان هذا هو شعورك الحقيقى ، فليست هناك أية فائدة " ، أو

( ب ) استخدام تعبير مثل " إن رغبتك فى التعبير عن أحاسيسك

تعطينى المزيد من الأمل فى زيادة الحميمية " .

٩. ـــــ ( أ ) الصياح ، أو
( ب ) السرور غير المفتعل ( بسبب إدراكى أن هذا يعنى أن شريك حياتى يثق فىّ لدرجة أنه يعلم أننى لن أبادله العراك ) .

١٠. ـــــ ( أ ) أنتظر حتى يقوم الطرف الآخر بالاعتذار أولاً ، أو
( ب ) أبادر بالاعتذار .

١١. ـــــ ( أ ) أضمر فى نفسى الضغينة ، أو
( ب ) أنسى الموضوع تماماً .

١٢. ـــــ ( أ ) أنسحب عاطفياً ، أو
( ب ) أصبح أكثر اهتماماً .

١٣. ـــــ ( أ ) أنسحب من العلاقة الجنسية ، أو
( ب ) أتحمس للعلاقة الجنسية .

تعتبر الإجابات ( ب ) هى النموذجية عندما تتوافر لك فى النهاية الفرصة لكى تبدى استجابتك الشخصية . بدون ذلك ، فنحن نتحدث عن كتمان المشاعر كثمن للسلامة . وهذه صفقة غير مرغوب فيها . فعندما تعلم أنه ستتاح لك فرصة للتعبير عن رأيك ، ستكون الفرصة متاحة لكل طرف كى يعبر عن مشاعره بشكل كامل دون خشية التعرض " للقتل " خلال هذه العملية .

إذا رأيت أن الإجابات ( ب ) بعيدة المنال ، راجع الاستبيان مرة أخرى . وهذه المرة اسأل نفسك : " ما هى الإجابة التى أفضل أن يقدمها الطرف الآخر لى ؟ " . هل ترغب فى أن يبحث شريك الحياة عن " عيوبك وأخطائك " ، ويقاطع ما تقول ، أو يحمل الضغينة ، أو ينسحب جنسياً ، أو ينتقد أسلوبك أو تصرفك ( وهى الإجابات " أ " ) ، أو على العكس ، يسعى من خلال التواصل البصرى الداعم إلى أن يبحث عن الشىء الصادق فيما تقوله ( إجابات " ب " ) ؟

عندما يوجه إلينا سؤال حول ما نريده من شريك الحياة ، تكون الإجابات " ب " دالة على أن السؤال شكلى ولا يتوقع أن تكون له إجابة ؛ ولكن عندما يكون السؤال عما يمكن أن نقدمه للشريك ، تبدو لنا الإجابات " ب " مبالغاً فيها .

## ما هى محصلة بيئتك الآمنة ؟

إن " البيئة الآمنة " ليست مجرد قضية مجموعة من العناصر المحيطة . اعتبر أن الإجابات " ب " هى نقطة البداية لخلق بيئة آمنة لتحقيق الحميمية . ويمكن أن تطلق عليها " حصيلة البيئة الآمنة " .

إذا توافرت لديك العزيمة ، بادر بمراجعة مدى توافرها ، اسأل شريك الحياة عن السلوك أو التصرف الذى دائماً ما تلجأ إليه عندما تتعرض للنقد أو لحالة الغضب .

ولتحرى الحقيقة كاملة ، راجع معه أو معها ما يرى أنه الأقل إيجابية عما تقدره لنفسك . وبالمناسبة ، لاحظ نفسك خلال هذه المراجعة لتتأكد ، هل استجاباتك دفاعية أم متفتحة ؟

## إذا كانت محصلة بيئتك الآمنة منخفضة ، فلا تقلق ، والسبب فى ذلك هو ...

- نحن جميعاً مبدعون بأفواهنا ، متخلفون بآذاننا .
- إن رد الفعل الغريزى تجاه أى نقد هو اتخاذ موقف دفاعى ( وكلما كان رد الفعل أسرع ، اتسم بالدفاعية أكثر ) .
- كل الاستجابات الدفاعية للنقد طبيعية ( من الطبيعى أن نفكر فى وجهات نظرنا قبل وجهة نظر أى شخص آخر ) .

## إذا كان من الطبيعى أن يكون رد الفعل دفاعياً ، فهل نسعى إلى خداع الطبيعة ؟

نعم . فى الطبيعة يؤدى القتل إلى بقاء الأقوى على قيد الحياة . ولأن هذه هى الطبيعة ، يجب علينا أن نضع قوانين صارمة تجعلنا نشعر بأن هذه القاعدة لم تعد ذات فاعلية وبالمثل ، فى الماضى عندما كان الانتقاد يؤدى إلى النبذ من المجتمع ، والذى يتسبب فى الفقر ومن ثم الموت ، فإن قتل المنتقِد كان يعتبر مهارة للبقاء على قيد الحياة . ولكننا نكتشف أن التواصل أكثر فاعلية من القتل . إن الصياح أو الصراخ تجاه من ينتقدنا هو مسألة طبيعية ، ولكن غير

فعالة . والإنصات الموحى بالتفهم لمن يوجه لنا الانتقاد هو مسألة ضد الطبيعة ، ولكنه نادراً ما ينتهى بالعنف العائلى .

على ذلك فإن قتل من ينتقدنا هو جزء من تطورنا التاريخى ؛ أما حسن الإنصات إلى من ينتقدنا فهو جزء من تطورنا المستقبلى . وهذا يعتبر تحولاً مهمًا فى تركيبتنا النفسية الداخلية التى تميز أهم عنصر فى التطور الذى يستطيع الجنس البشرى أن يحققه .

إن الاستماع الجيد هو دعم الذات عن طريق دعم الآخرين . ولكن هذه المهارة مثلها مثل عزف آلة البيانو تحتاج إلى ممارسة ، وكلما زاد الإتقان ، تزايدت أنغامها وأثرت على أرواح من يجربونها . إن الإنصات إلى النقد يعتبر بمثابة نعمة كبرى .

## كيف نعد أبناءنا للنجاح فى العمل .. وفى الحب ؟

إن القدرة على التعامل مع النقد كانت غالباً ما تعتبر شرطاً أساسياً للنجاح ، حيث يساعد هذا على أن يصبح الشخص " فاعلاً " ، ولكن فى نفس الوقت كانت تؤدى إلى تخلى الشخص عن مشاعره وأحاسيسه ، وهو ما يضر تقدم الشخص كإنسان . كيف إذن نتمكن من خلق المقدرة على التعايش مع النقد وفى نفس الوقت نعد أبناءنا لكى يحبوا ويتصلوا بمشاعرهم وأحاسيسهم بشكل كامل ؟ إن هذا يبدأ بالنظر إلى النقد بطريقة مختلفة .

إن من يعجبون بمهنة العلاج النفسى ، يميلون لأن يكونوا غاية فى الحساسية ، ومن ثم يفضلون حماية الأشخاص ذوى الحساسية المفرطة من الإساءة أو الشعور بعدم الارتياح . ربما كانت النتيجة هى أن المعالجين حققوا نجاحات كثيرة فى مساعدة الناس على حسن توجيه النقد بطريقة أكثر تحضراً ، ولكن لم يحققوا نفس القدر من النجاح فى المساعدة على استقبال النقد الموجه إليهم بطريقة سيئة . دعنا نفترض أننا سنسعى إلى تحسين أداء الشخص المتلقى للنقد ، بدلاً من استمرار التركيز فقط على الذى يوجه النقد بطريقة سيئة على اعتبار أن هذا الجانب هو المطلوب تغيير سلوكه .

السؤال الذى يطرح نفسه فى هذه الحالة هو : " هل يمكن أن نعتبر الإساءة اللفظية مثل الفيروس ونبحث عن أمصال نفسية تتسم بالقوة والقدرة على منع هذا الفيروس من التسبب فى الضرر ؟ " . إذا لم يعد الشخص المُساء إليه

لفظياً يشعر بنفس إحساس الإساءة عندما يتعرض لنفس الفيروس الذى كان يُعتبر فيما مضى شيئاً سلبياً ، فإننا بذلك نكون قد قمنا بإعطاء قدر أكبر من الحماية لهذا الإنسان الذى تمت الإساءة إليه .

أنا أتفق مع مفهوم توجيه النقد بصورة محببة وحكيمة . وهذا هو مضمون الفصل السابق ، ويؤدى ذلك إلى الإقلال من عدد المتضررين ويحقق السعادة للجميع حيث يصبح من السهل تقبل هذا النقد . وإذا تم النقد بهذه الطريقة المثالية فسوف يساعدك هذا الفصل ، ولكنه لن يكون ضرورياً . ورغم كل ذلك ، فإننا جميعاً مارسنا الإساءة اللفظية ، حتى من هم الأفضل بيننا ، ( من خلال الصياح ، والإهانة ، والشتائم ، والكذب ) .

إذا كنا نسعى لإعداد أبنائنا ليصبحوا رواداً للتغيير السياسى ، أو الاجتماعى أو العلمى ، علينا أن نقوم بما هو أكثر من مجرد حمايتهم من النقد ، والإساءة اللفظية والنبذ : علينا أن نؤهلهم لتجربة ذلك على أنه فرصة للنمو .

نستطيع أن نقرأ السير الذاتية لمعظم من نتمنى أن يكونوا القدوة والنموذج لأبنائنا ، وسنفاجأ بمدى الانتقادات التى عانوا منها . من هؤلاء " المسيح عيسى بن مريم " ، و " غاندى " ، و " داروين " ، و " سير توماس مور " ، و " لينكولن " ، و " مارتن لوثر كنج " ، و " سقراط " ، و " جاليليو " ، و " كوبر نيكوس " ، و " اليزابيث كادى ستانتون " ، و " سوزان بى . أنتونى " ، و " أينشتين " ، و الأخوان " رايت " ، و " كينزى " ، و " فرويد " . إن تعلم كيفية التعامل مع النقد هو شرط أساسى للنجاح .

فى الوقت الذى تجاوز فيه كل هؤلاء الرواد النقد ، الذى استطاع هزيمة الكثير من زملائهم ، كان هناك الكثير ممن عانوا فى طفولتهم الكثير من الإهمال والظلم وسوء المعاملة والتى استطاعوا تجاوزها والتغلب عليها . وقد استطاع بعضهم ، مثل " تشارلز ديكنز " توظيف هذه الإساءات والنبذ والرفض وتحويلها إلى نجاحات فى مراحل نموهم التالية . ولعل النموذج البارز هو " ديكنز " الذى لم يسع أبداً للإشفاق على ذاته ، بل إنه سعى بالمبادرة للإصلاح المبنى على التقمص العاطفى للشخصيات الروائية التى أبدعها ، مثل " دافيد كوبر فيلد " و " أوليفر تويست " . إذن ، ما الذى أتاح لهؤلاء القادة القدرة على النجاح بينما فشل آخرون بنفس ظروفهم وخلفياتهم فى التعرض للإهانة والظلم ؟ لقد تعلموا جميعاً أن يستخدموا النقد ، والتعرض للإساءة ، والنبذ ، والإهمال كوقود

أشعلوا به ناراً تحكموا فيها بدلاً من أن يكونوا هم وقوداً للنار التى تحرق أرواحهم .

إذا كان لديك ابن فى مرحلة البلوغ ( أو كنت أنت هذا الابن ) ، لاشك أنك رأيت هذه العملية بمراحلها . ما لم تكن متبنياً لمبدأ الحماية الكاملة للأبناء ، ستكون قد سمعت ما يتبادله ابنك وأصدقاؤه من شتائم وأوصاف تتسم بالدعابة والمرح . إننى لن أكون متجاوزاً إذا قلت إن ما يتبادله الصبية المراهقون مع أقرب أصدقائهم هو نوع من التعلم المتبادل . لماذا ؟ **لأنها طريقة الذكور فى تعلم التعامل مع النقد الذى سيواجهونه إذا أرادوا النجاح** . وهى أيضاً الطريقة التى يتعلمون بها التعامل مع الرفض المترتب على استمرار النظر إلى جنس الرجال باعتباره صاحب المبادرات الجنسية المتوقعة ، ومواجهة الفشل فى محاولات القيام بالمشروعات التجارية ، أو اختراع أشياء جديدة ، أو التعرض للهجمات الشخصية عند السعى للحصول على منصب سياسى .

وفى صياغة واضحة ، يتعلم الأبناء الذكور أن الارتباط بين النقد ( وحتى العلنى منه ) والصداقة هو ما يتيح لأحد المحامين أن يواجه محامى الخصم ويجادله فى المحكمة فى أحد الأيام ، وفى اليوم التالى يتحدث معه كصديق أثناء أحد تدريبات رياضة الجولف ، وهذا أيضاً ما يسمح للمتنافسين فى الانتخابات الأولية على الرئاسة مثل " بوش " و " آل جور " أن ينتقدا كلا من " ريجان " و " كلينتون " على التوالى ، ورغم ذلك فإن الأخيرين يطلبان من منافسيهما أن يصبحا نائبين للرئيس فى مدة السنوات الأربع التالية .

وما سبق هو الجانب المضىء لتحمُّل النقد . ولكنه فى نفس الوقت ترك مشكلتين عميقتين بلا حل . أولاً ، لأننا دائماً نلاحظ أن الأشخاص الذى يتحملون النقد العلنى يكونون رجالاً . ثانياً ، هؤلاء الرجال دائماً ما يدفعون ثمناً غالياً مقابل ذلك ـ وهو الانعزال عن مشاعرهم لمعاجلة النقد . والأسوأ من ذلك أن بعضهم يصبح شديد البراعة فى الوسائل الدفاعية فى شكل الدعابة ، أو النقد الاجتماعى ، أو مهارات القيادة ، لدرجة أن بعض الوسائل الدفاعية غير الصحية قد تحولت إلى مصدر رئيسى للإطراء والمدح ، مما جعل الكثير من هؤلاء الرجال فاشلين فى علاقاتهم العاطفية . ( تتصل الصفات اللازمة للنجاح بصورة عكسية بالصفات التى تلازم الحب ، بعبارة أخرى ، إن الصفات التى يجب أن تمتلكها لتنجح فى الحياة لها فى الغالب علاقة عكسية بالصفات التى يجب أن تمتلكها لكى تتمكن من مبادلة زوجتك الحب والمشاعر ) . كيف يمكننا إذن

أن نخلق القدرة على تحمل النقد ، واستخدامه كحافز للنجاح ، وفى نفس الوقت نُعِد أبناءنا للحب وللاتصال بمشاعرهم بصورة تامة ؟ إن هدفى فى هذا الفصل هو إمداد القارئ بمصل مضاد لفيروس النقد ، والذى يحقق لنا النجاح فى الحب ، وفى الحياة ، ونبقى فى الوقت ذاته على اتصال بمشاعرنا .

## الثوابت الأربعة

أحب أن أطلق على النقاط الأربع التالية " الثوابت " لأنها تنجح فقط إذا ما ظلت دائماً فى الأذهان ( خلال عملية الاستماع للنقد أو التعبير عن الغضب ) . مرة أخرى ، إذا ما تصورت أن هذا قد يؤدى للارتباك ، عليك فقط أن تتذكر أن قليلاً من الاستماع مثله مثل قليل من الابتسام ، أفضل من لا شىء . وقرابة نهاية الفصل ، سأقدم لك " خطوات البدء " المحتوية على الأساسيات ، ولكن يجب أن نضع الصورة الكلية فى أذهاننا أولاً .

## النظر إلى الأسلوب السينمائى باعتباره وثيقة للتأمين

نظراً لأن التعرض للنقد يعطى الإحساس وكأن الشخص قد قُتل ، فإننا لن نقبل الانفتاح لتقبله إلا لو ارتدينا سترة واقية من الرصاص . والأسلوب السينمائى هو هذه السترة .

ربما تستطيع تذكر مشاهدة فيلم اهتاجت فيه مشاعرك . لقد شعرت وأنا أشاهد فيلم " إنقاذ الجندى ريان " بمثل هذه المشاعر ، وظللت أردد لنفسى " ما هو إلا شريط سينمائى ، ولدىَّ الاختيار ، إما أن أدع هذه المشاعر تجتاحنى أو أعتبر أن ما يحدث ما هو إلا صور على الشاشة " . بالمثل ، عندما أشعر بأن النقد يؤثر علىَّ ، **أتخيل أن هذا الناقد موجود على شاشة السينما** ، ومعرفتى بأن لى حق الاختيار بين التفاعل معه والتأثر به ، أو الاستماع إليه بحياد واندهاش المتفرج العادى غير المتفاعل مع الأحداث . وفى العقيدة الهندوسية يسمى من يفعل ذلك بـ " الشاهد " .

إن هذه الطريقة تتشابه مع العقيدة البوذية من حيث فلسفتها ، حيث ينظر البوذى إلى الحياة كمسرحية ولكل منا دور فيها . وقديماً قال " شكسبير " : " ما الدنيا إلا مسرح كبير " وما نحن إلا ممثلون ندخل لأداء أدوارنا ثم نخرج

منها عندما تنتهى هذه الأدوار . إن المدخل السينمائى لا يسمح لذاتنا بمنعنا من مشاهدة الموقف كما يراه الآخرون .

تخيل النقد وكأنه الشمس وذاتنا وكأنها العدسات المكبرة . عندما توجه أشعة الشمس عبر العدسات المكبرة تؤدي إلى الاحتراق ، وليس للإضاءة . كذلك الأمر عندما يأتينا النقد عبر ذواتنا فغالباً ما يحترق جلدنا ولا يكتسب السمرة فقط كما كنا نرغب . إن وظيفتنا هى إتاحة الفرصة للشمس لتشرق وتنير لأن هذه هى الحكمة من وجودها ، وليس للإحراق عندما نضع ذاتنا حاجزاً بينها وبيننا .

والمفارقة فى الأسلوب " السينمائى " هو أننا نعلم أننا نستطيع عزل ذاتنا مؤقتاً وذلك لكى نتمكن من التدخل فى الموقف بحرية . فنحن عندما نرى موقف شريك حياتنا بنفس الأسلوب الذى نرى به قصة أحد أبطال السينما ، ونتخيل أنه نفس موقف شريك حياتنا ، فإن ذلك سيزيل الخطر وسوف نتمكن من التركيز على الجانب الخاص به من الموقف .

كيف نصل إلى درجة الإتقان فى هذا الأسلوب ؟ احصل على شريط فيديو لفيلم عن جريمة قتل غامضة ؛ عندما تصل إلى المشهد الذى لا تستطيع التحكم فى أحاسيسك وأنت تشاهده ، أعد مشاهدته أكثر من مرة حتى تستطيع أن تختار بكامل إرادتك بين الاندماج الكامل أو تقمص دور المشاهد الواعى . عندما تتقن هذه التجربة ، جرب أن تدخل فى مناقشات سياسية أو عقائدية ( أو أى موضوع يثير مشاعرك فى الحياة ) مع صديق .

عندما تتعرض بعد ذلك إلى أى شعور بعدم الارتياح ، أطلق العنان للأسلوب السينمائى فى نفس اللحظة ، خاصة عند الإحساس بالغضب أو الدخول فى مناقشة عاصفة مع من تحب . ولكن تذكر أن إيجابية هذا المدخل تكمن فى أنك ستأخذ دورك للتعبير عن أحاسيسك . كما أنه ضرورى لأنه من المستحيل على أى كائن بشرى أن يساند من يقوم " بقتله " خاصة إذا كان هناك نصل سكين يتغلغل نافذاً فى أعماقه . إنك فى هذه الحالة لن تتجاهل ما يقوله من تحب ، ولكنك فقط ستبعد " ذاتك " بالقدر الكافى حتى لا تثار طاقاتك الدفاعية وتجد نفسك قد بدأت فى شن حرب ضروس ضد الطرف الآخر .

لقد ذكرت مفارقة هذا الأسلوب السينمائى لأننا نعلم أننا قادرون على عزل أنفسنا ، حتى نستطيع فهم موقف أحبائنا ، ولكن كيف يتحقق ذلك ؟

## وجِّه كل طاقتك تجاه قصة الطرف الآخر

المكون الرئيسى الثانى اللازم لتوفير بيئة آمنة لاستقبال نقد الشريك وغضبه هو توجيه طاقتنا إلى قصة الشريك وليس إلى اتخاذ موقف دفاعى .

لماذا نقول " قصة " ؟ بمجرد أن ننظر إلى تجربة شريك الحياة وكأنها قصة يكون تذكرها أكثر سهولة ، لأن عقلنا اللاواعى تمت برمجته على تذكر القصص بشكل أفضل من الحقائق المجردة . والقصة لا تعنى هنا الرواية ، ولكن قصة أحد المواقف إذا أردت التحديد . ولكنك تستمع إليها كما لو كنت تستمع إلى قصة ، تحكى بشكل طبيعى عن حدث ينبع بشكل طبيعى من حدث آخر ، كما يراه الطرف الآخر ويتعايش فيه .

إن معظم الناس عندما يواجَهون بالانتقاد ، يستمعون لأنفسهم أكثر مما يستمعون إلى شريك الحياة . هذا الموقف غايةٍ فى السلبية حيث إن من يستغرق فى الاستماع فقط إلى ذاته ، سيكون منشغلاً فى إعداد رد الفعل الدفاعى لكل ما يقال ، ليس هذا فقط ولكن أيضاً لتعديل مواقفه الدفاعية لكل نقد جديد . وإذا كان شخص ما مشغولاً بتفادى طلقات الرصاص الموجهة إليه ، فلن يجد الوقت لكى يبحث عن المكان الذى أصابته الطلقة التى نجح فى تفاديها .

فعلى سبيل المثال ، تشتكى " جانيت " من أن زوجها غالباً ما ينجرف بعيداً عن مجرى محادثاتهما ، و " جيم " " يستمع إلى ذاته " – أى يسمع صوته الداخلى – ليجهز مواقف دفاعية مثل : " إننى عندما أنحرف عن مجرى الحوار يكون ذلك لأننى تعبت وأحتاج لبعض الوقت للاسترخاء " ، أو " إنك تقاطعيننى عندما أكون فى منتصف موقف ما . إذا ما انتظرتِ حتى أنتهى ، أو انتظرتِ لمدة نصف ساعة من الهدوء والسلام بعد عودتى إلى المنزل ، فسأكون على استعداد لإعطاء كل الاهتمام والانتباه . ولكنك فى الواقع لا تفعلين ذلك على الإطلاق " .

إن " جيم " يستمع إلى نفسه أولاً ، ثم يرد الهجوم . وهذا ما يخلق لـ " جانيت " بيئة خطرة للتعبير عن أحاسيسها ومشاعرها . فبدلاً من الإنصات إليها تمت مهاجمتها . لاحظ أن ما قاله " جيم " قد يكون صحيحاً . وأن الحل الذى يصل إليه قد يكون قابلاً للتطبيق . ولكن لكل شىء أوان . إن ثمرة الخوخ إذا قطفت قبل أوانها تكون شديدة الصلابة .

إن المهمة الأولية التى يجب على " جيم " أن **يقوم بها هى التركيز على رؤية " جانيت " لنفسها** . عندما يرغب " جيم " فى الاستماع إلى " جانيت " مثل الطفل الذى ينتظر الجملة التالية فى قصة ما قبل النوم ، فإن " جانيت " ستشعر بالرغبة فى استكمال القصة وكأنها الأم التى تحكى الحكاية . إننا مغرمون بقص الحكايات لأطفالنا وقت النوم بنفس القدر الذى يحب فيه الأطفال ذلك ، لأنهم لا يفكرون فى بناء مواقف دفاعية فى هذه الحالة . إن طاقة الطفل موجهة بالكامل إلى القصة التى يسمعها وهو لا يبحث عن الأخطاء أو العيوب فى القصة .

على " جيم " أن يكون راغباً فى الاستماع إلى " جانيت " بحماس ، متوقعاً بين لحظة وأخرى أن يقول ما قاله " أرشميدس " : " وجدتها " . إنه على وشك نطق هذه الكلمة ، فهو يعيد اكتشاف من يحبه . لذلك ، فإن مهمة " جيم " ، هى الإحساس بعواطف " جانيت " واحتياجاتها ، ومعنى هذا أنه يجب أن يندمج مع قصتها . إنه يستطيع أن يفعل ذلك لأنه منع ذاته من التدخل . وإن يتمكن من ذلك مع " جانيت " ، فسوف يستطيع أن يتخذ نفس الموقف مع والديه ، وأبنائه ورئيسه فى العمل ...

وعندما وجه " جيم " كل طاقته تجاه قصة " جانيت " ، هدأت حدة لغة جسد " جانيت " . فقد شعرت بأنها مسموعة . وأصبحت فى حالة حب . وتوقفت عن تكرار قصتها . وامتنع " جيم " عن النظر إليها باعتبارها شخصية مزعجة . ولم تعد " جانيت " ترى " جيم " وكأنه ... ( هناك بعض الأشياء التى يفضل بقاءها سراً ) .

## ابحث عن أفضل نوايا الشريك ، وتجنب الرغبة الشديدة فى التحريف

ستحتاج إلى نقطة تركز عليها وأنت تتبع " سير أحداث " قصة شريك الحياة . اجعل هذه النقطة هى أفضل نوايا الشريك : أفضل جانب طيب من أقوى حجة يسوقها شريك الحياة .

دائماً ما يكون هناك جانب شرير فى أفضل قصة ، أو شيطان القصة إذا جاز التعبير . وعندما يتعلق الأمر بالنقد يكون هذا الشيطان هو التحريف . إنه

الإغراء العظيم ، الذى يفقدنا القدرة على البحث عن أفضل نوايا شريك الحياة ، وإذا كان شديد التأثير ، فهو يؤدى إلى فقدان تركيزنا على قصة الشريك كلياً .

فى كل مرة تستمع فيها إلى من تحب وهو يُحَرّف وجهة نظرك ، فكر فى ذلك على أنه تحدٍ تستطيع التغلب عليه ، أو تنحنى لتتجنبه ، أو تلتف حوله . لماذا ؟ لأن التحريف ينتج عادة من توصيل المعلومات بصورة خاطئة أو من الألم ( الألم الذى يظهر على السطح فى صورة خبث أو شعور بتعمد الأذى ، ولكنه فى حقيقة الأمر شعور بالألم ) أما إذا كان الأمر يتعلق بخطأ فى توصيل المعلومة ، فسوف يؤدى خوف الناقد من الانتقام إلى تحويل عقله إلى طريق ذى اتجاه واحد ، فإذا ما جاءت المعلومة الخاطئة من اتجاه فى هذا الطريق ، فلا يمكن للمعلومة الجديدة أن تأتى من الاتجاه الآخر دون أن يحدث تصادُم . لذلك يجب أن تتنحى جانباً .

أما فيما يتعلق بالألم ، فإن أفضل حل له هو التعاطُف والتفهم . وفى كلتا الحالتين ، تجنب الميل الغريزى الجارف للخروج عن مسار البحث عن أفضل النوايا الحسنة فى قصة شريك العمر .

## كن على يقين من أن شريك الحياة يهتم بك

أكاد أجزم بأنه إذا خاطر الشخص الذى يحبك ويهتم بك بالتعرض لأن " يُطعن " منك عاطفياً فى سبيل التقرب إليك ، سيكون ذلك دليلاً على أنه مهتم بك غاية الاهتمام . ولكنك فى الغالب ستكون متردداً فى قبول ما يوجهه لك من انتقاد ، والنظر إلى النقد على أنه تعبير عن الاهتمام . حيث إنك لن تستطيع أن توفر البيئة الآمنة ( الخطوة الأولى ) ـ من خلال التواصل البصرى المشجع غير المفتعل ـ إذا لم تؤمن بأن الطرف الآخر يهتم بك . سنحاول معاً أن نرى كيف يمكن التأكد من ذلك .

يكاد يكون من المستحيل اعتبار شخص ما مهتماً بنا إذا ما كان يوجه لنا الضربات بشكل مستمر . لعل بعضنا عايش الحقبة التى كان فيها عقاب الأبناء بالضرب جزءًا من حسن التربية ( استخدام العصا حتى لا يفسد الأبناء ) ولم يكن ذلك مدعاة لتدخل الشرطة كما يحدث الآن . غير أن البعض آمن بجدوى هذا الأسلوب بعد أن استمع إلى والده وهو يقول له بعد سنوات : " صدِّقنى ،

لقد كان ذلك يؤلمنى أكثر منك " . لم يكن أحد يؤمن باجتماع الاهتمام والضرب إلا بعد أن يصبح أباً هو نفسه ـ أى بعد تبادل الأدوار . على ذلك أدعوكم لتبادل الأدوار ، ولكن مع شركاء العمر .

تذكر آخر مرة كنت فيها تشعر بالنزوع إلى انتقاد شريك العمر . هل أحسست بالخوف من إظهار هذا الشعور ؟ هل أحسست كما لو أنك تمشى على قشر بيض ؟ هل فكرت فى نفسك كما لو كنت تحاول أن تستدعى الشجاعة لإعلان هذا النقد ؟ هل كان الأمر يتطلب قدراً كبيراً من الشجاعة ، حيث ستخاطر بالتعرض للطعن ؟

إذا كانت الشجاعة قد واتتك بالفعل ، فهل عبرت مخاطرتك بالتعرض للطعن عن مدى اهتمامك بالحميمية ؟ إذا اعتقدت بصدق ذلك ، فإلى أى مدى يعتقد شريك العمر بصدق ذلك أيضاً ؟ إذا رأيت أن اهتمام شريك العمر ليس بقدر اهتمامك ، فماذا تفعل ؟

إن مقاومة الاقتناع بأن الطرف الآخر يهتم بنفس قدر اهتمامنا ، ترجع إلى أن الاقتناع يعنى التحول من : " أن المشكلة فى شريك العمر " ، إلى تحمل مسئوليتك الخاصة .

لا بأس ، ما هى إذن الطريقة الأفضل لإعطاء تواصل بصرى مساند للشريك فى الوقت الذى يبدو فيه وكأنه فى حرب عصابات ؟

## ثماني خطوات لتوفير البيئة الآمنة لتلقى نقد شريك حياتك وغضبه

هذه الخطوات الثمانى مهمة بحيث يجب أن تضعها دائماً فى ذهنك ، ولكن تذكر دائماً أن تبدأ بالخطوات الموجودة فى نهاية الفصل ، وإلا ستشعُر بالارتباك .

### حافظ على تواصل بصرى مساند للطرف الآخر

ستتوافر لديك حرية النظر إلى الطرف الآخر نظرة مشجعة مادامت " ذاتك " لا تخشى من الشجار ، وتأكد لديك مقدار اهتمام الطرف الآخر ( وهو المعنى الذى يحمله التواصل البصرى المساند ) . انظر فى عين من تحب ، وكرر فى

ذهنك : " إن أفضل نواياه هى التقرب إلىّ " . إن نظراتك المعبرة عن الحب هى أفضل حافز لانفتاح الطرف الآخر . إنه سيلحظ رغبتك فى توفير البيئة الآمنة للانتقاد أو التعبير عن الغضب . وبهذه الإشارات الموحية بالاطمئنان تتأتى مسئوليتك للحفاظ على اطمئنان الشريك .

إن عينيك توحيان أيضاً بتحمسك الهادئ للاستماع إلى ما يدور فى ذهن الطرف الآخر . قد يكون ذلك بإشارة تؤكد التقبل ، أو مجرد الاستعداد للتقبل .

بافتراض أن الشريك يقول فى صيغة تحدٍ : " لماذا فعلت ذلك ؟ إياك أن تفعل ذلك مرة أخرى " وقلت أنت : " عند هذه النقطة بالذات ، قل ذلك مرة أخرى " . إذا حدث ذلك تكون قد حولت كل طاقتك من الطرف الآخر إلى ذاتك ؛ أى تفقد قدرتك على تركيز طاقتك على قصة الطرف الآخر . وبذلك تفقد تواصلك البصرى الداعم .

## وجه للطرف الآخر بعض المساندة اللفظية

عبر عن مساندتك لما يقول ببعض التعبيرات القصيرة مثل : " اذكر لى المزيد عن ذلك .. " ، " نعم ، أرى ذلك .. " ، " هل يمكنك أن تشرح أكثر ... " . ولكن ليس أكثر من هذه الكلمات القصيرة . ولا تحول الطاقة من اتجاه الطرف الآخر إلى ذاتك أبداً .

## والآن ، الخطوة الكبرى : شارك الطرف الآخر فى تفهم ما يقول

ركز أولاً على النقاط الرئيسية ، مشيراً إلى الأمثلة المحددة التى ولدت استياء الشريك . لا تفعل ذلك بأن تقول : " لقد سمعتك " ، ولكن عن طريق ترديدك لما قاله وما سبَّب استياءه ، ولا عن طريق قولك : " أنا أعلم أنك مستاء " ، ولكن بأن تُحدد وتعترف بما ضايقه . كن محدداً فى التعبير عن أنك استمعت إلى ما قاله ، ولا تتجاوز ذلك بحيث تضيف إلى مشاعر الاستياء لديه .

لا تقدم له تأكيدات ، ولكن صِف المشاعر التى عبر عنها الشريك . وعندما يصف شريكك أحد الأحاسيس ، يجب أن تحاول توقع ما أثار هذا الإحساس . وحيث إنك تسعى لمعرفة أفضل نواياه ، فهذا هو الوقت الملائم لكى يعرف الشريك أنك تسعى لذلك .

لا تسع فى هذه اللحظة لحل المشكلة . دع ذلك للمرحلة النهائية ، وفقط إذا تطلب الأمر ذلك . إن التسرع فى حل المشكلة ينتج عنه حل سابق لأوانه . فسيبدو الأمر وكأنك تقول للطرف الآخر إنك أكثر منه ذكاءً ، وإنك تمكنت فى دقيقة من استيعاب الموقف الذى لم يتمكن هو من استيعابه على الإطلاق .

عندما تطرقت إلى هذه النقطة فى أحد اللقاءات فى ( " بيجشور " ، " كاليفورنيا " ) ، عرضت إحدى المشاركات تجربتها على الوجه التالى :

السيدة " ليز " لديها مشروع صغير تديره من خارج المنزل ، ولديها طفلان . بعد أن حضرت التدريب على حسن الإنصات ومهارات التعامل مع النقد قالت إنها كانت تسعى لمشاركة زوجها " بوب " فى أمر ما ، وشعرت بأنه كان يحاول التجاوب ولكنها لم تشعر بالقدر الكافى من الرضا عن النتيجة .

قالت " ليز " لكى توضح ذلك : " قلت لـ " بوب " إننى أشعر بعدم الارتياح حين يعود الأطفال إلى المنزل فى الثالثة والنصف وأكون مندمجة فى حديث هاتفى مع عميل ، بينما الأطفال يحاولون جذب انتباهى . ودائماً ما يكون فى نيتى إعداد طعام صحى لهم قبل عودتهم ولكننى لا أفعل ذلك . وأشعر بالذنب إذا تركتهم يأكلون فى الخارج ، أشعر بذلك أيضاً إذا لم أفعل هذا " .

وأضافت قائلة : " عندما قلت ذلك لـ " بوب " تطوع بإعداد وجبة خفيفة لهم كل ليلة . صحيح أننى قدرت له ذلك ، ولكننى ازددتُ توتراً لأننى لم أشعر بالرضا عن المناقشة . هل الخطأ من جانبى أم أن الأمر متعلق بما تسميه أنت الحل السابق لأوانه للمشكلة ؟ " .

استغرق بوب فى التفكير الساخر فى كونه " صاحب الحل السابق لأوانه " . ( وهذا أتاح لى دقيقة لكى أفكر فى كيفية التصرف فى الموقف ) قلت لها ، تظاهرى الآن بأننا منذ شهر مضى ، وأنت فى اللحظة التى ذكر فيها " بوب " الحل . ثم تصورى لو أنه لم يقدم هذا الحل ، واستكملى لعب الدور عندما تستمر المناقشة ، وسيشترك معك " بوب " . وبعد أن وافق الاثنان على لعب الأدوار جلسا وجهاً لوجه .

بدأت " ليز " بالحديث : " عندما عادت " أيرين " بالأمس كان الغذاء قد أصبح باردًا ولكننى أعددت لها شيئاً آخر لتأكله ، عندئذ نسيت موعد مكالمة أحد العملاء مما أثار غضبه ، كما تلقيت رسالة هاتفية غاضبة أخرى من أحد العملاء الجدد والتى أشار فيها إلى إهمالى كصاحبة عمل . يا إلهى لقد جعلنى

هذا أشعر بأنني محتالة يا " بوب " ـ وأنا أسعى للمنافسة مع العمالقة في مجال عملي " .

نظر " بوب " إلى زوجته في حب وقال : " حبيبتي ، إنك لست محتالة ، أنتِ لديك عملاؤك وأنتِ أفضل من كل زملائك وأكثر منهم خبرة " .

أبدت " ليز " تقديرها لثقته فيها ، ولكنها لم تشعر بما تسعى إليه من رضا كامل . واشتكى " بوب " من عدم قدرته على إسعادها ، لماذا ؟ ونظر إليّ الاثنان في انتظار إجابة .

قلت لهما : ( " بوب " ، نعم أنت أبديت كل المساندة ، وحاولت التفهم ، نعم وهذا عظيم . أنا على يقين أن " ليز " تشعر بحبك . ولكنك ما زلت متعجلا في إيجاد الحل ، من خلال إبدائك للطمأنينة ) .

توقف " بوب " وقال : حسناً ، إذن عليّ أن أعيد تصوير ما قالته " ليز " . ثم استجمع شتات أفكاره وقال : " ليز " ، إن ما سمعته هو أنك تقولين إنك تشعرين بالارتباك نتيجة الطلبات والأعباء في العمل وداخل المنزل .

شعرت " ليز " في البداية بالإحباط وقالت : " يبدو أن " بوب " متفهم للأساسيات ، ولكنني أقول بمنتهى الأمانة إنني ما زلت أشعر بأنه لم يفهمني بعد . "

سأل " بوب " : " إذن ما الذي يتوجب عليّ أن أفعله ؟ " .

قلت : " إنك تقدم إلى " ليز " النتيجة ذاتها ، وليس المشاعر التي تقود إلى النتيجة المطلوبة . إنها تريد أن تتأكد من أنك تفهم مشاعرها ، وليس فقط النقطة التي وصلت إليها . **عندما تكون محدداً ، فإنها ستعرف أنك تحمل في ذهنك نفس الصور المرئية التي لديها . وهذا ما يؤدي إلى شعورها بأنها مفهومه " .**

توقف " بوب " للحظة ثم قال : " هذا أكثر وضوحاً .. " .

ولأنني شعرت بأن ما ذكره عن الوضوح ليس واضحاً بالقدر الكافي فقد سألته عن وظيفته . قال إنه كان مقاول بناء .

قلت له : ( " بوب " ألا تشعر بأن " ليز " تفهمك أكثر عندما تتعاطف معك وتحس بأنك مررت بيوم قاس ، أو عندما تعبر لك عن تفهمها لمدى إحباطك عندما يخذلك مقاول الباطن ويتأخر عن مواعيد انتهاء أعماله مما يؤخر جدول أعمالك لمدة أسبوع ، وبما يؤدي لعدم ثقة العملاء فيك ... ؟ )

أشرق وجه " بوب " ولمحت مدى سعادته وغمغمته المعبرة عن ذلك وقال : " فهمت تماماً ، هذه هى المرة الأولى التى يكون فيها الأمر بمثل هذا الوضوح " .

بعد فترة من المناقشة الإضافية قررت الانتقال بالمناقشة إلى المستوى التالى . وقلت : إن أوضح شيء هنا هو احتياج " ليز " إلى شيء أكثر تحديداً ، كما أنه حدث شيء ما عندما طمأنت " ليز " .

نظر إلىّ كل الحاضرين بدهشة وأعربوا عن الاحتياج إلى استراحة والاستماع إلى بعض الموسيقى . أعطيتهم راحة لمدة عشر دقائق وطلبت منهم نسيان الأسئلة حيث سأعيدها عليهم بعد استئناف اللقاء .

قالت " ليز " فى بداية اللقاء التالى : " أنا لا أعرف ما الذى تفكر فيه ، ولكن يجب أن أعترف بأننى فى تلك اللحظة شعرت بأننى لم أستكمل عرض مشاعرى وأن " بوب " قاطعنى " .

قلت : " إن هذا بالضبط هو ما دار فى ذهنى . إن من يقاطع خلال حديثه لا يشعر أبداً بالرضا لأنه لم يتم الاستماع إليه " .

قال " بوب " : " ولكن دعنى أؤكد أن " ليز " لا تخجل من إبداء اعتراضها إذا قوطعت " .

غير أن " ليز " كان لها رأى آخر : " الحقيقة يا " بوب " أنك تسمع عندما أعترض ، ولكن ليس عندما أحتفظ فى نفسى بالأمر . وأتعجب من حالى لماذا أبدى الاعتراض فى أوقات معينة ، وليس فى أوقات أخرى " .

قلت للجميع موضحاً : " إن أصعب شيء هو أن نشتكى حين يقاطعنا شخص يخفف عنا أو يعرض المساعدة حيث سيبدو ذلك وكأنه جحود . هذا يشبه ملء معدة شخص جائع جداً باللبن ثم نراه يشكو منا لأنه لا يحب اللبن " . فى هذه اللحظة علق أحد المشاركين فى اللقاء قائلاً : " إذن يا " ليز " ، ماذا كنتِ ستقولين لو لم تتم مقاطعتك ؟ "

نظرت " ليز " فى خوف ولكن بامتنان لحصولها على فرصة مواصلة الحديث وقالت : " حسناً ، لقد كان شعورى غاية فى السوء بالأمس عندما اعتمدت مرة ثانية على " جودى " لتصطحب " ألكس " إلى مباراة كرة القدم و" أيرين " إلى مباراة البيسبول ، إننى محملة بأعباء كبيرة . وحتى عندما فعلت " جودى " ما طلبته منها ، انشغلت فى مؤتمر هاتفى ولم يتوافر لى وقت لإعداد عشاء لائق . وبعد العشاء ساعدتنى يا " بوب " بتنظيف الأطباق ، وأنا أقدر لك

هذا ، ولكنى لم أستطع تجاهل أسئلة الأطفال . وبعد نوم الأطفال لم أتمكن من التحضير للاجتماع المهم فى الصباح مع أحد العملاء الجدد " .

توقفت " ليز " .

بدأ " بوب " الكلام بشكل بدا إيجابياً : " إن ما أسمعه منك هو ـــــ "

ترددت فى مقاطعة " بوب " فى الحديث ، ولكن النقطة التى وددت الإشارة إليها كانت مهمة : " بوب " أحب جداً رغبتك للتصرف بشكل صحيح ، ولكن السبب فى أننى أطلب من المستمع أن ينتظر حتى يُطلب منه التحدث هو لأن الأمور الأصعب يتم تركها حتى النهاية ، ونعبر عنها فقط إذا لم نقاطع بحيث نشعر بمزيد من الثقة فى أن الطرف الآخر سيشاركنا فيما نعبر عنه .

لاحظت أن " ليز " كانت تود أن أترك " بوب " يسترسل ، لكن جزءاً منها يشعر بالراحة لتدخلى . لاحظت أن تفكيرها يتوجه للرغبة فى المشاركة والخوف منها فى نفس الوقت ، لذلك شجعتها على مواصلة الحديث .

قالت بشيء من الخوف : " نعم ... حسناً ، لقد كنت غاية فى الإرهاق الليلة الماضية ، وشعرت بأنك تضغط فى اتجاه المضاجعة ، ثم غضبت عندما رفضت لأننى متعبة ، وهذا ساعد على زيادة همومى . لقد شعرت عاطفياً بأنك طفل آخر بين يدى " . وقالت مازحة كى تلطف الجو : " إننى فى حاجة إلى ست وثلاثين ساعة فى اليوم " . ولكن " بوب " فى هذه اللحظة كان محطماً بالفعل .

قال لنا " بوب " بعد ذلك إنه فى هذه الحالات إما أن يتصرف بطريقة دفاعية ويشرح لزوجته كيف أنه يفهم ذلك وأنه أيضاً يواجه ضغوطاً مماثلة ( وهو بذلك يحول الطاقة من " ليز " إلى نفسه " ، أو يتصرف بمنطق حل المشاكل ، حتى أنه يعرض على " ليز " التوقف عن العمل ، أو الاكتفاء بنظام نصف الدوام ، على أن يتحمل هو كل الأعباء المادية . واعترف " بوب " بأن كل هذه الأفكار مرت فى ذهنه ـ ولكنه كان يعلم أن أياً من هذه الاستجابات ستجعل " ليز " تشعر بأنها مفهومة ، لذلك استمر فى تركيزه على قصتها .

أوضح " بوب " فهمه لكل الموقف فى تعبير طريف حيث قال : " ذكرنى هذا الموقف بفترة كنت ألعب فيها الكرة وكان الخصم يرفع يده أمام وجهى محاولاً منعى من قذف الكرة ، وأنا أحاول التركيز على الكرة " .

نظـرت " ليـز " إلى " بـوب " وقالـت : " أرجـو أن تسـتمر فـى التـدريب علـى الكـرة ، فـإننى لم أشـعر مـن قبـل بـأننى قريبـة منـك إلى هـذه الدرجـة يا " بوب " " .

عنـدما حصـلنا علـى اسـتراحة أخـرى ، حصـل " بـوب " و " ليـز " علـى استراحة أطول كثيراً .

## اشـرح بالتفصـيل أفضـل نوايـا رفيـق العمـر بإشـراكه فـى رؤيتـك الجديـدة ، فهـذه الرؤيـة الجديـدة تزيـد مـن إحساسـه بأنـه أصـبح مفهوما

عندما عبر " جيم " عن مدى استيائه من " جانيت " بسبب تحويل انتباهها عنه عندما كان يتحدث معها ، قالـت أخـيراً ، وبعـد مناقشـات مطولـة داخـل ورشة العمل : " عندما حولت انتبـاهى عنـك ، لابـد أنـك أحسسـت بـأننى لا أحترمك . قد يرجع ذلك إلى إحساسك بأن الانتباه إليك هو تحصيل حاصل " .

شعرت بأن " جانيت " عبرت عن مشـاعرها بطلاقـة . ولكـن عنـدما طلبـت منها أن تدرك مشاعر " جيم " ( بالقدر الذى تستطيع تخيله ) قالـت : " عنـد نقطة ما ، قد تشعر بأنك منجرف تجاه إقامة علاقة عاطفية ـ إذا وجـدت امـرأة تستطيع تركيز كل اهتمامها عليك " . وعندما شعر " جـيم " بكـرم " جانيـت " كان رده كالآتى : " إننى لم أفكر فى الأمر بهذه الطريقة ،ولكن أعتقد أنك على صواب ، المفارقة هى أنك عندما تبدين الكـرم ، أشـعر بـأننى محبـوب ، وهـذا يدفعنى لعدم التفكير فى علاقة غرامية " .

وبعدها سألت " جانيت " أن تربط أحاسيس " جـيم " بأيـة مشـاعر أخـرى كان يشعر بها فيما سبق . توقفـت " جانيـت " لحظـة ثـم قالـت فجـأة : " لا عجب إذن عندما تقول لى أحياناً بعد أن نتضاجع ، إننـى أفعـل ذلـك لإمتاعـك وليس لتحقيق متعتى . هذا ما يجعل تحول انتباهى عنك يعطيك نفس الشعور ، أليس كذلك ؟ " .

هدأت سكنات " جيم " وابتسم ، وأخذ يد " جانيت " بـين يديـه وجـذبها نحوه فى عناق طويل . وبدت " جانيت " وكأنـها محور الكون .

## اطلب من شريكك أن يوضح أى شىء تكون قد أسأت تفسيره أو لم تأخذه فى اعتبارك

بعد الاستيضاح ، عليك أن تشارك فى الفهم الجديد مع شريك العمر . كرر العملية حتى يشعر بأنه مسموع بالكامل .

## احصل على استراحة قصيرة

وخاصة إذا كان الوصول إلى هذه النقطة قد أرهقكما . تعانقا ، ولا مانع من تطوير هذا العناق إلى ما هو أكثر حميمية ، بشرط أن تعاودا الاستماع إلى بعضكما البعض . إننى أؤكد ذلك لأن النساء عادة يسجلن الشكوى ولا ينسينها فى حين أن الرجال غالباً ما يريدون المعاشرة الزوجية . وقد يظن الرجل أنه سيكتفى بالاستماع بدون إبداء رد الفعل لأن ذلك قد يحبطها ، وأن ذلك سيقود إلى ممارسة الحب . على ذلك فإن المتوقع دائماً من جانب الرجل هو عدم الرد . ونظراً لأن معظم النساء لا يحببن الاستماع إلى الرجال وهم يشكون أو يبدون غضبهم ، لذلك فالمرأة تميل إلى عقد صفقة غير لفظية ، وربما غير واعية باستماعه إليها ولكن دون إبداء أية استجابة تعبر عن وجهة نظره .ولكن هذه صفقة خاسرة للجنسين معاً ، لأن العملية إذا توقفت بدون أن يتاح للرجل فرصة لتوضيح سوء الفهم الظاهر ، سيبنى على ذلك مشاعر الغضب ، والتى قد تطفو على السطح فى صورة انفجار مفاجئ ، أو إدمان للشراب ، أو انفلات أخلاقى وإقامة علاقات غير مشروعة . وهذا يؤدى فى النهاية إلى افتقاد الحميمية والابتعاد عن المعاشرة الزوجية .

## الاستجابة بتبادل الأدوار

الآن ( أخيراً ! ) اشرح وجهة نظرك . من المفيد أن توضح الأشياء التى أسيء فهمها . رغم ذلك ، لا تطرح قضايا جديدة . اطرح فقط الموضوعات المرتبطة مباشرة بما تناقشه مع الطرف الآخر . حتى وأنت تستجيب ، حافظ على تركيزك على المصدر الأساسى لشكوى رفيق العمر أو سبب عدم سعادته .



تبادل الأدوار مع الطرف الآخر واجعله يقوم بدور المنصت بنفس الطريقة التى أديت بها دورك . أى ، سيعمل على إشعارك بأنه يستمع جيداً إلى ما تقوله ويكرره ، ويسألك إذا كان هناك أى التباس أو غموض ، وعليكما أن تواصلا الحوار حتى تتأكدا من تحقيق الوضوح والتفاهم التام . والأكثر أهمية هو ، أن الطرف الآخر يفعل كل ذلك فى إطار الثوابت الأربعة ( الأسلوب السينمائى ؛ توجيه طاقته إليك ؛ البحث عن أفضل نواياك ؛ التيقن من أنك تهتم ) .

## امنح الشخص الذى لا يشكو الفرصة لأن يفعل ذلك

فى المرة الأولى أو الثانية التى ستتبع فيها هذه الخطوات ، قد لا تتيح لك طاقتك أن تستمع إلى أكثر من شكوى واحدة من شخص واحد . إذا كانت هذه هى الحالة ، فحدد وقتاً معيناً للطرف الآخر لكى يسجل شكواه ، ثم اعكس العملية ، بحيث يتبع الشاكى الخطوات الإرشادية الواردة فى الفصل الثانى ( عند توجيه النقد ) ، ويتبع المستمع الخطوات الإرشادية بهذا الفصل .

بعد أن تصبح أكثر مهارة ، ستكون قادراً على تنظيم أمسية المشاركة والاهتمام وإدارة ما بين جلستين إلى أربع جلسات . وخلال محاولتك لزيادة مهاراتك ، انتبه إلى هذه المحاذير الأربعة .

## المحاذير الأربعة

أول اثنين منها ـ الطريقة التى نبدى بها الدعم الجسدى والميل لإعطاء الوعود بتغيير سلوكياتنا ـ يمكن أن يُعَوِّضا كفاءتنا فى تنفيذ الخطوات الثماني ؛ أما الاثنان الآخران ـ زيادة التوقعات والثقة الزائدة بصحة موقفنا ـ فيمكن أن يُعَوِّضا كفاءتنا حتى ولو فعلنا كل شىء بشكل صحيح .

## الدعم الجسدى

أفضل طريقة لمساندة الشريك بلمسة جسدية هى محاولة معرفة أى اللمسات التى تشعره بالراحة . ولكن العديد من الأشخاص لا يرغبون فى أى تواصل جسدى أثناء توجيههم للنقد ـ إنهم يحتاجون مساحة فارغة .

إذا لم يرغب شريكك فى التلامس فلا بأس ؛ ولكن قبل أن تهاجمه لذلك ، اسأله : " عندما أقوم بلمسك أثناء محاولتك لإثبات إحدى النقاط ، هل تشعر بأننى أسيطر عليك بالطريقة التى ألمسك بها ؟ " فعلى سبيل المثال لاحظ " سام " أن " سوزان " تمسك يده عندما كانت تود مقاطعته . ورأى أن هذه اللمسة لا تعبر عن الحميمية بل تعبر عن السيطرة .

لاحظ " سام " أيضاً أنها تسحب يدها عندما يقول الأشياء " الخطأ " ، وتعيدها عندما يقول الأشياء " الصواب " . على ذلك فإن اللمس من وجهة نظره ، لا يعبر عن الحيميمة ، بل هو تعبير عن العقاب والمكافأة والذى جعله يشعر كأنه فأر تجارب فى تجربة سلوكية مثل تجربة العالم النفسى " بافلوف " .

بافتراض أن اللمسة التى نقوم بها لا تعبر عن الرغبة فى السيطرة والتحكم ، لذلك ، فإن أفضل شكل للدعم الجسدى ، والذى يتم تقديره بشدة هو اللمسات الخفيفة جداً على القدم أو الكتف أو الركبة ( هذا يتوقف على وضعية الطرف الآخر ) . نؤكد هنا على وصفة " خفيفة جداً " ، لأنها لو زادت على ذلك فسوف توحى بالرغبة فى السيطرة على من يوجه النقد .

بالطبع ، ما إن يشعر الشريك بالرضا والاطمئنان بأنه قد تم الاستماع إليه كاملاً ، فلن تكون المسألة شديدة الحساسية . وسيكون عناق الشريك بمثابة إشارة للقبول والمساندة . تعانقا بهدوء لمدة عشر إلى عشرين ثانية . تبادلا نظرات التقدير خلال هذه الفترة .

## تجنب الوعود بالتغيير

يميل الرجال لأن يكونوا معالجين للمشاكل وهم يميلون بشكل خاص إلى الاستماع للنساء بهدف التوصل إلى لب المشكلة من أجل التوصل إلى حل ، أثناء توضيحها لأبعاد المشكلة . لذلك عندما تنتهى هذه العملية ، يكون الرجل أكثر

ميلاً إلى إبداء النبل التلقائي ، حيث يعد بتغيير سلوكياته ، أو المسارعة بالزواج ( إذا لم يكونا متزوجين ) ، أو الموافقة على الإنجاب ، أو الانتقال إلى منزل جديد . عليك أيها الرجل أن تمتنع عن إعطاء وعود بتغيير السلوك . إن عديدًا من الرجال يفاجأون بعد أن يعطوا الوعود بتغيير سلوكياتهم ، بأن المرأة إذا شعرت بالاحترام والفهم والرعاية ، فإنها لا تشعر كثيراً بالاحتياج لهذا التغيير . ومن الأفضل عادة الانتظار لعدة أيام لمعرفة ما إذا كان الاحتياج الحقيقي لتغيير السلوك يتعلق بالعطف والحنان . من جانب آخر ، إذا كان هذا السلوك المطلوب تغييره بسيطاً وغير مكلف ويمكن تنفيذه بسرعة ، فقم بتغييره فوراً .

## التوقعات العالية

يأتي كل تغيير ومعه بعض الجوانب السلبية - أي يكون لها ثمن ، أو عيب ما ، أو تكون بهدف المقايضة ، أو بسبب دافع أناني لم يتم التصريح به . وأحد هذه الجوانب العامة المصاحبة للتغيير في السلوك الإنساني : تزايد التوقعات . إذا تغير الشريك ، فإننا نطلب منه المزيد ، وبسرعة . لذلك فنحن لا نشعر بأننا أصبحنا أسعد حالاً عن ذي قبل .

نفس الأمر ينطبق على المجتمع ، فإن التوقعات المتزايدة لها قيمة إيجابية - فهي تجعلنا لا نرضى بالقليل مما يدفعنا إلى السعي نحو التقدم والتحسن - ولكنها تدمر السعادة الفردية . وفي أي وقت - سواء من جانب الفرد أو المجتمع تزيد فيه توقعاتنا أسرع من مستوى التغيير الذي يحدث ، فإن ذلك يؤثر بالسلب على إحساسنا بالسعادة ، وبذلك ندمر هدف التغيير .

## الثقة الزائدة في صحة موقفنا

هناك جانب سلبي آخر يظهر في كل مراحل النمو النفسي : هو الإحساس بسلامة موقفنا بالنسبة لكل الآخرين . وهو ينبع من اعتقادنا بأننا نتغير أكثر من تغير شريك العمر . لماذا ؟ كل منا يعلم قدر مما يبذل من مجهودات ، ولكن ما نراه من الشريك هو ناتج عمله فقط ، ولا نعرف ما بذله من جهد . والمشكلة هي أن الطرف الآخر يرى جهوده كلها ولكن لا يرى فينا إلا ناتج هذه الجهود .

وبذلك يعتقد كل من الطرفين أنه على صواب ، ويغضب لعدم حصوله على الاعتراف بما بذله من جهود . فوق كل ذلك ، فإن الشعور بسلامة الموقف مقارنة بالآخر يكون أسوأ من أصل المشكلة . بل أكثر سوءًا من اتخاذ المواقف الدفاعية .

وحيث إن هذا الشعور بصحة الموقف وخطأ الآخر يجعلنا نبدو أكثر غضباً وقيحاً ، ومن ثم يقوِّض جهودنا لكى نكون أكثر سعادة وحياً ، لذلك يجب أن تكون هناك طريقة لتفادى مثل هذا الاعتقاد . وأول خطوة لذلك هى التنبه إلى أن القضية الحقيقية التى نحاول معالجتها هى الشعور بعدم الحب . **أى أننا ، عندما لا نرى بوضوح جهود الطرف الآخر ، فنحن بذلك نعتقد لا شعورياً بأنه لا يبذل الجهد الكافي أو حتى يساوى جهودنا ، وذلك لأنه لا يحبنا بالقدر الذى نحبه به** . وما نصيح به في وجه شريك الحياة عندما نخبره عن التغييرات التى قمنا بها يكون مثل : " أنا أخشى أن يكون حبى لك أكثر مما تحبنى ، وهذا يجعلنى أخاف من رفضك ونبذك لى . إن هذا يجعلنى أشعر بالرعب وكأنى طفل صغير " .

ما هو الحل ؟ أولاً ، صَرِّح بذلك .. صرِّح بخوفك من عدم حب شريك الحياة . إن مشاركة المخاوف تدفع إلى التعاطف ؛ والمبالغة فى تقدير جهودك تجعل منك شخصاً متفاخراً

ثانياً ، ابحث عن جهود شريكك . كانت أحدى صديقاتى لديها عادة التأخير . عندما أخبرتها أنها تركتنى منتظراً رغم ما ضحيت به من التزامات أخرى لألتزم بموعدنا ، كان رد فعلها التلقائى هو اتخاذ موقف دفاعى . ولكن عندما فعلت ما أفعله دائماً وهو التوقف لحظة لتخيل مدى ما بذلته من جهود لتأتى فى موعدها حصلت على تأثير إيجابى . قلت : " لعلك تحملتِ جهوداً كبيرة لتنهى العمل الذى كان بين يديك ، وأعددتِ العشاء للأبناء ، واستمعتِ إلى شكاواهم لتركهم وحدهم هذه الليلة .... " . عندما أتبع هذا السبيل ، تبادر بالاعتذار تقديراً منها لموقفى ، وتكون النتيجة عناقًا حارًا وتعبيرًا عن المحبة . وهذا ما أسعى إليه .

قبل أن نلقى نظرة على خطوات البدء ، دعنا نقم بمراجعة سريعة على كل ما تناولناه . تذكر ، ليس هذا دليلاً ، بل هو مراجعة فقط .

---

## مراجعة سريعة على توفير البيئة الآمنة لكى يوجه لك شريك حياتك النقد أو يعبر عن غضبه منك

### الثوابت الأربعة

- **الأسلوب " السينمائى " كوثيقة تأمين .** تخيل من يوجه النقد كأنه يظهر على شاشة السينما . لك الاختيار " لتقبل النقد " أو الاستماع فقط .
- **المحافظة على الطاقة مركزة على قصة الشريك .** لا تندمج فى التفكير فى رد فعلك الممكن .
- **ابحث عن أفضل نية وراء نقد الشريك لك .** تجنب الميل إلى التحريف .
- **كن على يقين من أن الشريك يهتم بأمرك .** قم بذلك بتذكير نفسك مدى اهتمامك بأمره عندما كنت أنت توجه له النقد .

### ثماني خطوات لتوفير البيئة الآمنة لكى يوجه لك الشريك نقده أو غضبه

- **امنح شريك حياتك التواصل البصرى الداعم .** يكون ذلك صادقاً إذا نبع من كل الثوابت الأربعة معاً . هذه النظرات المعبرة عن الحب هى الحافز للشريك لكى ينفتح ، وبها تأتى مسئوليتك فى الحفاظ على الأمان لشريكك .
- **امنح شريك الحياة دعماً لفظياً .** مثل : " قل لى المزيد " .

- **الخطوة الكبرى** : اشرح لشريكك تفهمك لما يقوله . أعط أمثلة محددة توضح ما قال وبذلك يعرف أن قلبيكما يتشاركان فى " نفس الرؤية " .
- **استرسل فى شرح أفضل نوايا الشريك** . الآن وقد عرفت قصته ، والأحاسيس التى لم يعبر عنها بشكل مباشر حتى الآن .
- **اسأل الشريك أن يوضح ما الذى أسأت فهمه أو أسقطته من حسابك** . كرر هذه العملية حتى يوافق الشريك على أنكما تتشاركان فى نفس الإدراك لموضوع الشكوى .
- **خذ راحة قصيرة** . تأكد من العودة إلى عملية الاستماع مع فرصة توضيح الأشياء التى تم تحريفها أو أسىء فهمها . أيها الرجال : احذروا من الصفقة الشيطانية ( صفقة فاوست ) أو الصمت أثناء اللقاء الزوجى . على المدى الطويل سيؤدى ذلك إلى حميمية أقل وبالتالى لقاءات زوجية أقل .
- **التجاوب بتبديل الأدوار** . هذا هو الوقت لطرح وجهة نظرك ، ولكن ليس موضوعاتك . التزم بالموضوعات التى أثارها شريكك . لقد التزم الشريك بخطوات توفير البيئة الآمنة .
- **امنح الشخص الذى لم يعبر عن شكواه فرصة لكى يفعل ذلك** . إنه الآن دور المستمع لكى يعبر عن كل ما يزعجه .

## مجموعة البدء

إن المراجعة السريعة يمكن أن تكون مركبة ومحيرة ـ حيث إنها عبارة عن برنامج مكون من اثنتى عشرة خطوة . وعندما تكون فى البداية يفضل أن تجرب الخطوات الرئيسية ، وبعد أن تحصل على بعض النتائج المرضية ، تتقدم خطوة أخرى . بالإضافة إلى ذلك ، عادة ما ينشأ الغضب والرغبة فى الانتقاد عفوياً ولا يكون هناك وقت لقراءة فصل فى الكتاب للتعرف على أفضل الاستجابات . وعندما نتأذى ، فإننا حتى لن نرغب فى القيام بذلك . إن أفضل ما نتمناه هو

الرغبة فى إلقاء نظرة سريعة على خطوات البدء بمجرد أن تهدأ أعصابنا التى التهبت وكأنها ضربت بالبرق .
على ذلك ، ها هى خطوات البدء . . .

---

## خطوات البدء فى تهيئة البيئة الآمنة لتلقى نقد شريك الحياة وغضبه

### العنصران الثابتان الأساسيان

- **الأسلوب " السينمائى " كوثيقة تأمين** . تخيل من يوجه النقد وكأنه يظهر على شاشة السينما . لك أن تختار ما بين " تقبل النقد " أو الاستماع فقط .
- **المحافظة على طاقتك مركزة على قصة الشريك** . لا تندمج فى التفكير فى رد فعلك الممكن .

### خطوات البدء الأربع

- **امنح شريك الحياة التواصل البصرى الداعم** . يكون ذلك صادقاً إذا نبع من الثوابت الأربعة معاً . هذه النظرات المحبة هى التى تحفز الشريك على الانفتاح ، وبها تتأتى مسئوليتك فى الحفاظ على أمان شريك الحياة .
- **الخطوة الكبرى** . تشارك فى النقاط الرئيسية التى تشكل أفضل نوايا الطرف الآخر . أعط أيضاً أمثلة توضح هذه النقاط حتى يعرف الشريك أن قلبيكما يتقاسمان نفس الرؤية .
- **اسأل شريك حياتك أن يزيد إيضاح أى نقطة غير واضحة بالنسبة لك أو تكون قد أسقطتها من حساباتك** . كرر هذه العملية حتى يوافق الشريك على أنكما تريان الشكوى من نفس الزاوية .

- **استجب من خلال تبديل الأدوار** . هذا هو الوقت لتوضيح وجهة نظرك ، ولكن لم يأت الوقت لطرح قضاياك . التركيز هنا يكون على الموضوعات والقضايا التى أثارها شريكك . يلتزم الشريك أيضاً باتباع الخطوات اللازمة لتوفير البيئة الآمنة .

اقترح هنا استخدام هذه الخطوات فى المرات الأولى على الأقل التى تحاول فيها اتباع هذا المنهج . فى كل الأحوال ، إذا كنتِ امرأة وتسعين لتوفير البيئة الآمنة لزوجك أو ابنك ، يكون من المفيد أن تدركى وتتعرفى على القوى التى تحيط بنا فى حياتنا اليومية والتى تكافئ الرجال الذين يكتمون مشاعرهم حتى ولو طلبنا منهم التعبير عنها .



# كيف نساعد الرجال على التعبير عن أحاسيسهم ؟

عندما قرأت إحدى صديقاتي عنوان هذا الفصل سألت : " إذا كان الرجال يبحثون عن المساعدة للتعبير عن مشاعرهم وأحاسيسهم ، لماذا لا يتوجهون إلى المعالجين النفسيين ، أو يشكلون حلقات للعلاج الجماعي - ويفعلون ما تفعله النساء حين يطلبن المساعدة ؟ " . طلبت منها أن تتخيل رجلاً في منتصف القرن الماضي وهو يقول : " إذا أرادت النساء امتلاك الشركات ، لماذا لا يبدأن بإنشائها كما يفعل الرجال ؟ " .

إن الاعتقاد بأن الرجال لا يحتاجون المساعدة هو في حد ذاته جزء من المشكلة . وعلى العكس من ذلك . قدمنا المساعدة للنساء لاكتساب وممارسة المهارات التقليدية للرجل وذلك من خلال جميع المؤسسات الرئيسية في المجتمع ، وأنفقنا في سبيل ذلك مليارات الدولارات ( برامج تعليم الرياضيات والعلوم للنساء فقط ، برامج تنفيذية لتمكين المرأة ، دراسات عن الأقليات ، تمويل خاص لتعليم السيدات ، دورات تعليمية لتأكيد الثقة في النفس ، الحركات النسائية ، الروابط المهنية للنساء ، مجلات المرأة ، البرامج التليفزيونية الحوارية ، المدارس المقصورة على الفتيات ) . وفي هذا الإطار الشامل ، لم تتغير النساء ولم يتغير الرجال : مازال الرجال يلعبون دور الحماية في مراحل تحول المرأة ، وكلا الجنسين يتوقع أن يعتمد الرجل على جهوده فقط في مراحل تحوله .

إن مساندة ومساعدة الرجال للتعبير عن أحاسيسهم تبدأ بفهم السبب الكامن وراء عدم تعبيرهم عنها . عندما نعبر عن هذه الرغبة ، فهل نحن نتكلم فقط بدون رغبة حقيقية ، ونظل نكافئ الرجل الذى يكبت مشاعره ؟ نعم . ولكن من " نحن " ؟ الأسرة ، أماكن العمل ، أماكن العبادة ، الحكومة ، النظام التعليمى .. وفيما يلى نرى كيف يتم ذلك .

## لماذا لا يستطيع الرجال التعبير عن مشاعرهم ؟

كثير من الناس يعتقدون أن الرجال كانوا يتواصلون بشكل أفضل قبل عصر الصناعة ، والسبب فى ذلك مثلاً أنهم كانوا يُعلمون حرفتهم لأبنائهم . ولكن العمل معاً يستلزم التواصل حول الأداء ، وليس التواصل حول المشاعر . إن المشاركة فى التعليمات المتعلقة بكيفية الأداء الأفضل من أجل الآخرين تختلف تمام الاختلاف عن المشاركة فى الأحاسيس وخبرات الحياة التى تجعلنا سعداء أو تعساء .

لقد تسببت طبيعة مسئوليات الرجال فى إبعادهم عن المشاعر ، بينما شجعت طبيعة مسئوليات المرأة على التعبير عن مشاعرها . إن ما يفعله الرجال دفع النساء للتعبير عن حبهن وتقديم رعايتهن ، وأن يزددن اقتراباً وإحساساً بمن حولهن ، وعلى العكس تكون مكافأة الرجال لما فعلوه هي أنهم يتحولون إلى قتلة يقومون بالحماية . بذلك أصبح الرجل إنساناً فاعلاً ( ضابطاً أو عامل منجم ) وليس إنساناً يشعر بالسعادة أو التعاسة .. لماذا ؟

كانت المجتمعات التى لا يرغب رجالها فى الاشتراك فى الحرب عادة ما تستبعد من الحياة الفاعلة . أما المجتمعات التى توفرت لها الحماية فكان حماتها من القتلة ، ولذلك فإننى أقول دائماً إن الدور التقليدى للرجل هو دور القاتل الذى يقوم بالحماية . والقتلة مثلهم مثل المقتولين ليس لهم أى تواصل مع المشاعر . وهم لا يمكن أن يكونوا مربين ورعاة للأبناء ومتواصلين معهم .

استثمر الجنسان بدون وعى هذه الحالة لحرمان الرجال من التعبير عن مشاعرهم أو إحساسهم بالخوف أو بالغضب . لماذا ؟ لأن كليهما أراد وجود كادر بشرى جاهز لتوفير الحماية لهم . ولهذا السبب لم نسمع عن أسطورة تحكى للأطفال عن الأميرة التى وقعت فى غرام إنسان رفض الاشتراك فى الحرب لأسباب أخلاقية أو دينية .

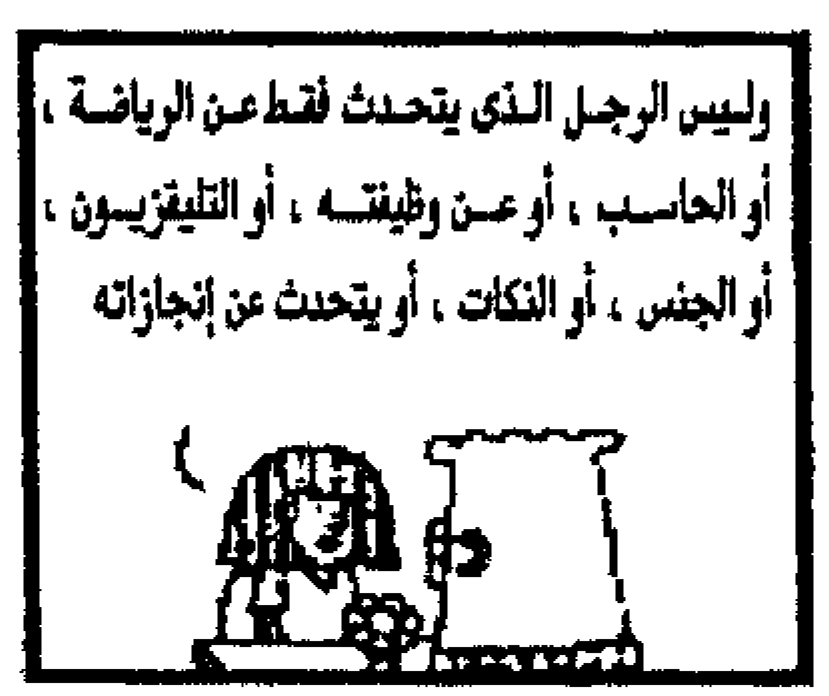
إذن ، من وجهة النظر التاريخية ، كان الرجل إذا أراد أن يتصرف بصورة إنسانية يصبح إنساناً مختلاً وظيفياً ولا يعتد به . إن الكائن البشرى المتصل بأحاسيسه سوف يقدر حياته كثيراً مما يجعله لا يعرض نفسه لإطاحة رأسه برصاصة فى إحدى الحروب ، أو أن يُدفن فى أحد مناجم الفحم تحت الأرض . إذا علمنا الرجال كبت أحاسيسهم وكافأناهم على ذلك بإعطائهم درجات عسكرية ، يكون الرجل فى هذه الحالة راغباً فى الموت فى سبيل حمايتنا ؛ وإذا دفعت لرجل ما يكفى لإعالة أسرته فسيعمل فى أعمق مناجم الفحم ؛ وسيكون على استعداد للموت العاجل لتوفير التدفئة لنا . ولكن كل ذلك يتطلب منه مصادرة مشاعره ـ وهى مصدر قوته كإنسان ـ ويستبدل هذه القوة ليصبح كائناً فاعلاً : ليشعر فقط بأنه مضطر للحصول على المال الذى ينفقه شخص آخر بينما يموت هو قبل الجميع .

إن تحويل الرجال إلى كائنات فاعلة هو بالتحديد ما احتاجته المجتمعات . ولكن بالنسبة لرجل واحد ، كانت حالة الكائن الفاعل هى فى حقيقة الأمر سبب دماره .

كل ما سبق هو التراث الجينى للإنسان . على ذلك فإن هذا التراث الجينى يمثل صراعاً مع المستقبل الجينى للإنسان . إن تأهيل الرجل ، فى الماضى ، لكى يكون أفضل قاتل أو مدافع ، قاد إلى سيادة " الأقوى " . أما فى المستقبل ، ومع تطور التقنيات النووية ، فسوف يقود تدريب القتلة إلى فناء البشرية . وفى المستقبل أيضاً ، ستتزايد رغبة المرأة فى الرجل الذى يرعاها ويتقارب معها ، وسيكون جزء من رعايته لها هو تأهيلها وتمكينها من حماية نفسها . ومن أجل التواصل والرعاية ، من المفيد جداً التواصل مع الأحاسيس والمشاعر ، وهو ليس مفيداً فقط بل هو ضرورى . على ذلك فإن مهمة الرجل الأولى ـ وهى استراتيجية التطور التالية له ـ تتضمن تأكيد تواصله مع أحاسيسه . وحيث إن الجنسين سيستمران فى إيجاد هذا الطراز من الرجال ، فإن مسيرة إحداث هذا التغيير ستكون غاية فى الصعوبة لهما معاً .

**ديلبرت . رسم " سكوت أدامز "**







قبل الأعوام الثلاثين الماضية ، لم يتكلم أي من الجنسين إلى الآخر عن الأمور التي تضايقه . بذلك صار كل منهما عدوانياً وسلبياً بأشكال مختلفة . اتجه الرجال إلى العادات السيئة وأصيبت النساء بالصداع . أما فى السنوات التى تلت ذلك فقد تولت الحركة النسائية تدعيم المرأة للتعبير الواضح عن كل ما تشعر به ، سواء تجاه النساء الأخريات أو الرجال ، أو المجتمع كله . تحولت مشاعر المرأة إلى مواد تعليمية ودورات تدريبية ، وأحاديث تليفزيونية . وسمينا ذلك توعية وتثقيفاً وترفيهاً . أما مشاعر الرجال فظلت مكبوتة حتى تحولت إلى قروح ولأن الرجال قليلاً ما يلجأون إلى الشكوى ، فقد توصلنا إلى افتراض مزيف وغير صحيح مؤداه أن الشكاوى التى تطلقها المرأة هى فقط شكاوى تخص المرأة ، ولذلك فهى تتعلق بمشكلات المرأة . وخلق هذا الوضع حالة جعلت من مشكلات المرأة موضوعاً للحل ـ أو على الأقل للتناول ـ من قِبَل الرأى العام .

ولسوء الحظ فإن المحادثات التى تدور بين الغالبية العظمى من الرجال مازالت تركز على واحد أو أكثر من الموضوعات الخمسة المحببة للرجال وهى :

- الأعمال والتجارة .
- النساء ، من حيث الجمال أو بوصفهن أدوات للمتعة .
- القضايا .
- الرياضة .
- الأدوات والمعدات ( حاسبات ، سيارات ، مسجلات ، أسلحة ... إلخ ) .

كيف إذن خلال هذه السنوات الثلاثين من " التحرر " لم يحقق الرجال أى تقدم يذكر فى التعبير عن مشاعرهم ، وهم حين يفعلون ذلك ، يكون هذا بتوصية من النساء .والحقيقة هى أنه من الواضح أن كل الأشياء المحيطة بنا

تدفع الرجال إلى عدم التعبير عن مشاعرهم . إن كل عناصر النفوذ الداخلى أو الخارجى تترابط وتؤدى إلى حالة من كبت الأحاسيس .

دعونا نبدأ بالأسرة ، طالما ظلت النظرة إلى الرجل باعتباره كائناً فاعلاً ( بدلاً من كونه كائناً إنسانياً ) تنتقل وتتعمق لدى أبنائنا ، وتجعل من بناتنا ينتقلن يوم زفافهن من ذراع كائن فاعل ( والدها ) إلى ذراع كائن فاعل آخر ( زوجها ) .

## المصيدة ـ ٢٢ للأب

عندما كان الهدف الرئيسى للأسرة أن تظل على قيد الحياة ، كانت الطريقة الوحيدة للبقاء هى تقسيم العمل . وخلق هذا انقساماً فى الطريقة التى يعبر بها الأب أو الأم عن حبهما لأسرتهما . فكان الدور التقليدى للرجل قد أعده لحب أسرته عن طريق إبعاده عنهم . قبل الثورة الصناعية ، كان على الفتى أن يعد نفسه للبقاء بعيداً عن أسرته فى الحرب ، أو فى الصيد ، وبعيداً إلى حد ما فى الحقل . بعد الثورة الصناعية تكثف هذا الدور : كلما اجتهد الرجل فى دعم زوجته وأبنائه مادياً ، زاد انفصاله عن مساندة زوجته وأبنائه . وكان ذلك بمثابة المصيدة ـ ٢٢ للأب .

كان العكس صحيحاً تماماً بالنسبة للأم . فقد ساعدها دورها على حب العائلة بالبقاء مع أسرتها التى تحبها .

قد نعتقد أن تقسيم العمل قد عفا عليه الزمن ، ولكنه فى الحقيقة عاد للظهور مرة أخرى . ففى بداية الثمانينات كانت الأم تترك العمل بمعدل يزيد على ٤٣ مرة أكثر من الأب بسبب مسئولياتها ؛ مؤخراً ، تترك الأم عملها حوالى ١٣٥ مرة بسبب مسئولياتها العائلية .

مازال على الأب أن يدفع إلى الأم لكى تقوم بدورها تجاه عائلتها . وفى الأسر الفقيرة ، عندما تقوم الحكومة بدور الزوج ، فإن الإعانة تُدفع إلى المرأة كى تحب أسرتها وتعتنى بها ، ولكن نادراً ما يحصل الآباء فى العائلات الفقيرة على هذه الإعانة لكى يحبوا . وسواء كان الرجال فقراء أو أغنياء فنادراً ما يتلقون المقابل لكى يقدموا حبهم . والمبالغ التى تتلقاها المرأة كى تحب وتعتنى بعائلتها هى ذاتها التى تأخذ الرجال بعيداً عن الحب .

مـازال مـن النـادر أن نقـدم دعمـاً ماليـاً للرجـال الـذين يقـدمون الحـب ؛ فنحن لا نزال نحب الرجال الذين يوفرون الدعم .

## الاستثمار العاطفى للزوج

تهيأت النساء للاستفادة من أربعة اختيارات غـير رسميـة للـدعم العـاطفى : الأزواج ، الصديقات ، الأبنـاء ، والأبـوان . أمـا الرجـال فقـد تـأهلوا اجتماعيـاً للاستفادة من اختيار واحـد فقـط غـير رسمـى : زوجـاتهم أو صـديقاتهم . ولأن الرجال يميلون إلى توجيه مشـاعرهم إلى زوجـاتهم ، فمـن الصـعب بالنسـبة لأى رجل أن يُظهر مشاعر الإحباط لزوجته ، لأنها إذا انسحبت ، فسوف يشعر بأن كيانه العاطفى قد انهار تماماً .

بعد أى خلاف غالباً ما تتحـول النسـاء إلى صـديقاتهن طلباً للـدعم ، ولكـن حين يتعلق الأمر بنزاع مرتبط بالطلاق فإنهن يتحـولن إلى الأبنـاء فـي كـل تسـع حالات من عشر . ومن المرجح أيضاً أن تعيد ارتباطها بأبويها ماديـاً ومعنويـاً . ( فعندما تقيم امرأة مع أمها تتقيد حريتها بعض الشيء ؛ أما إذا أقام رجل مـع أمه فستقل حريته وكذلك احترامـه لنفسـه ) . بالنسـبة لمعظـم الرجـال ، يمثـل الفراغ ( عدم وجود أى مصدر للمساندة ) حالـة مـدمرة ، لهـذا السـبب يرضـون بالاتفاق مـع زوجـاتهم بـدلاً مـن التعـبير عـن مشـاعرهم والمخـاطرة بالانسـحاب العاطفى من جانب الزوجة .

## الطلاق

بعد الطلاق ، يكون أكبر مخاوف المرأة هو تعرضها للفقر والعـوز ؛ أمـا أكـبر مخاوف الرجل فهو الحرمان العاطفى . لقد وفرت قـوانين الطـلاق بعـض الـدعم الاقتصادي للمـرأة ؛ ولكـن لا توجـد قـوانين تـوفر الـدعم العـاطفى للرجـل بعـد الطلاق . فالرجـال ملتزمـون بمواصـلة دعـم زوجـاتهم السـابقات مـن خـلال مـا يقدمونه من نفقات للزوجات ومساعدات مادية لتربية الأطفال . أمـا النسـاء فـلا يُلزمن بمواصلة التزامهن تجاه أزواجهن السابقين من حيث تدبير المنزل أو رعاية الزوج . فى إحدى الفـترات فـى التـاريخ ، والتـى سـوف ينتهـى فيهـا الحـال

بالرجـال إلى أن يُحرمـوا مـن الـدعم العـاطفى للـزواج ، سـوف نجـد أننـا نقـوم بمضاعفة هذا الحرمان عن طريق تجريدهم من الأشكال الأخرى للدعم العاطفى .

لدينا الكثير من برامج مساندة المرأة لتتمكن من إعالة نفسها اقتصادياً . هـل آن الأوان لتنظيم برامج عمل لمساندة الرجال عاطفياً مثلما ساندت الحكومة المـرأة اقتصادياً بدلاً من تجريم المؤسسات المساندة للرجال ، هل يمكن أن ترعى بـرامج الدعم الحكومية وتشجع كل الجمعيات الخاصة بالرجـال فقـط وتسـاعدهم علـى اكتساب المسئولية العاطفية ؟

وعلى عكس برامج الدعم الهادفة لمساعدة النساء ، والتـى يمولهـا الرجـال ، ستعمل برامج دعم ورعاية الرجال على تخفيـف العـبء عـن النسـاء مـن حيـث التزامهن بتقديم الدعم العاطفى لرجالهن . هذه البرامج ستعلم كـل رجـل كيفيـة تحمل مسئوليات نفسه من الناحية العاطفية بـدون أن يلقـى بهـذا العـبء علـى امرأته .

## أبناء الطلاق

يـترك الطـلاق آثـاراً قاسـية علـى قـدرة الأبنـاء الـذكور علـى التعـبير عن أحاسيسهم . فالطلاق يؤدى إلى إحساس ملايين الأبناء بـأنهم منبـوذون مـن الشخص الذى يفترض أن يكـون القـدوة بالنسـبة لهـم . إن الفتـى الـذى يربـى بواسطة والدته فقط ، ثم يوضع فى بيئة دراسية يكون ٩٠ ٪ مـن العـاملين بهـا من النساء ، ثم إلى المدرسة الابتدائية التى يكون ٨٥ ٪ مـن العـاملين بهـا نسـاء أيضاً ، لن يجد أمامه أى نموذج ذكورى يقتدى به .

والنتيجة هى الدمار التام لقطاع كبير من جيل كامل من الصبيان . فـالبعض ينضـم إلى عصـابات الشـوارع لكـى يثبـت ذاتـه كرجـل . وقـد أثبتـت إحـدى الدراسات الكبرى أنه لا توجد فروق تذكر عنـدما نقـارن معـدلات الجريمـة فـى مجتمع المدينة بين أبناء الأسر الفقيرة وأبناء الأسر الغنية إذا كان هناك أب فـى الأسرة . **ولكن هناك بالفعل فروق كبيرة فـى معـدلات الجريمـة بـين الأطفـال الذين لا يقيم آباؤهم فى المنزل ، والأطفال الذين يتلقون الرعاية الأبويـة فـى المنزل .**

أما بالنسبة للصبية فى الضواحى ، فيجـب أن نشـير إلى أن أحـداث إطـلاق الرصاص داخـل المـدارس فـى عـامى ١٩٩٨ و ١٩٩٩ والتـى حـدثت كلـها فـى

مدارس الضواحي من " سبرنج فيلد " ، " أريجون " ، "ليتلتون " ، " كلورادو " وهي كلها مدارس حكومية متواجده داخل ضواحي المدن ، هل كان الأمر مصادفة أم أن هناك دلالات معينة ؟ وما شكل علاقات هؤلاء الصبيان بآبائهم ؟ إذا ما كانت الأبحاث التي أجريت على تلك الأحداث لم تشكل جزءًا من الوعي العام ، فالنتيجة أنها لم تحدث التأثير المطلوب على السياسيات العامة . والحقيقة أننا لو أعطينا مزيداً من الاهتمام لأولادنا ، فسيقل عدد القبور التي تضم المراهقين من الجنسين .

في التعليم الأكاديمي ، نجد أن الطلاب الذين يتمتعون بوجود الأب داخل الأسره يحققون معدلات عالية في الرياضيات والعلوم حتى ولو كانوا قد تلقوا تعليمهم السابق في مدارس ضعيفة المستوى . ( لعل الأداء التعليمي الضعيف في مدارس الولايات المتحدة خلال العشرين عاماً الماضية ؛ وخاصة في العلوم والرياضيات ، يرجع إلى غياب الآباء عن الأسر أكثر من أن يكون بسبب ضعف مستوى المدارس ) . إن غياب الدور الذكوري كقدوة أصبح شديد الانتشار ، وتأثيره أصبح قوياً للحد الذي أثبتت فيه الدراسات مؤخراً أنه حتى عندما يتساوى الدخل ، فإن الطفل أو الطفلة تتم تنشئتها بصورة أفضل حين يكون عائلهم الوحيد هو الأب ، حيث تصبح حياتهم أكثر نجاحاً مما يكون عليه حال من تقوم الأم وحدها بتربيته .

تزداد أهمية المنظمات الخاصة بالصبية مثل الكشافة وجمعية الأخ الأكبر عندما نرغب في تقليل عدد العصابات وأيضاً عندما نريد أن نقدم النموذج الذكوري الإيجابي الذي يكون قدوة لبناتنا وأبنائنا في المخاطر بذكاء . والأمثلة على ذلك كثيرة ، منها أن الفرق الرياضية توفر عشرات المجالات ليس فقط في الضغط والصراع الجسدي ، بل أيضاً في الضغط والصراع العاطفي . إن أبناءنا في حاجة للحصول على الخبرة عن عديد من النماذج الذكورية لمساعدتهم على الربط بين ما يحدث في الملاعب وما يحدث في الحياة اليومية .

غير أننا نحتاج إلى إدماج بعض المناقشات في هذه المنظمات حول الأخلاقيات ، والقيم والعلاقات والتواصل والتي يديرها رجال من كل الأعمار ، حتى يرى الصبيان أن الرجال ليسوا فقط مغامرين وأبطالاً بقوتهم الجسدية ، وإنما بعواطفهم أيضاً . هذه المهارات الذكورية الجديدة ، والتي يجسدها الرجال ، لن تكون بديلاً عن الأنشطة التقليدية لهذه المنظمات ، تخلق شعوراً بالأمان والاستقرار على المستوى النفسي والعاطفي العميق ، والتي تزداد

أهميتها فى المجتمعات التى تزيد فيها حالات الطلاق عنها فى المجتمعات التى تكون فيها العائلات مترابطة .

عندما تتم ممارسة الشعائر فى حضور الرجال أو الفتيان ، يزداد شعورهم بهذا الاستقرار والأمان . والأولاد يفتقدون مثل هذه المشاعر مع الأم الوحيدة ، مهما كان مقدار حبها أو وعيها وإدراكها ، وكل أم وحيدة قابلتها فى حياتى يكون حالها مثل ذلك .

هل يجب إدماج الفتيات فى مجموعات مثل الكشافة ؟ إن بعض المجموعات الخاصة بالبنات أو بالشبان قد يمكن دمجها ، ولكن هناك قيمة لفصل كل مجموعة على حدة إذا أردنا لكل جنس أن ينطلق فى التعبير عن مشاعره إلى أقصى حد ممكن . إن تهيئة الصبيان على أداء دور الحماية للبنات يمنعهم من التعبير عن إحساسهم بالضعف أو الهشاشة أمام البنات ، وكذلك ستكون البنات أقل انفتاحاً وأكثر التزاماً بالنموذج الذى يجلب إعجاب الأولاد . غير أنه من المهم أيضاً لأبنائنا وبناتنا أن يقضوا بعض الوقت مع بعضهم ، خاصة أن مرحلة الطفولة هى إعداد للتعايش بين الجنسين .

## مكان العمل

ألم يكن العمل يمثل الدعم العاطفى بالنسبة للرجال ؟ غالباً نعم . لأن مكان العمل ، لأسباب كثيرة ، أكثر الأماكن خطورة للتعبير عن المشاعر ، وذلك ينطبق على الرجال أكثر منه على النساء .

إن نسبة ترك المرأة للعمل لأسباب عائلية ، مازالت تزيد ١٣٥ مرة على الرجل ، حيث إن زوجها يقوم بمهمة الأسرة ، وهو لهذا السبب يكتم مشاعره وإحساسه بالضعف خوفاً من تعرض أسرته لأى مشاكل . وعلى نقيضه ، فإن المرأة تقوم بتكوين صداقات مع أشخاص ليست لديهم السلطة أو التحكم فى فصلها أو تعيينها فى العمل ، مما يسمح لها بالتعبير عن أحاسيسها دون أى خوف .

بالإضافة لذلك ، فإن أسلوبه ـ أى الرجل ـ فى طلب المساندة يختلف عن أسلوبها . تخيل زوجين منغمسين فى صراع ، كلاهما يحتاج الدعم . تذهب هى إلى الهاتف وتطلب رقم صديقتها ، تقضى فى المحادثة ما يزيد على الساعة ، وتعيد صياغة وتركيب النزاع مع الزوج ـ ما الذى قالته ، وماذا قال ، ثم رد

فعلها ـ وكل ذلك من وجهة نظرها . وهـى فـى كـل ذلـك تتوقـع التعـاطف مـن جانب صديقتها : ( " نعم ، واضح أنه يهتم بصفحة الرياضة أكثر منـك . لابـد أنك تشعرين بالوحدة حتى عندما يكـون موجـوداً " . ) وتكـون صـديقتها أيضـاً جـاهزة لإخبارهـا بقصـة مشـابهة تخصـها . فـى النهايـة ، قـد تحصـل علـى نصيحة ، وقد تشتمل هـذه النصـيحة أيضـاً علـى وجهـة نظـر الرجـل ، ولكـن المتوقع دائماً هو أن تحصل على التعاطف قبل النصيحة . وهو المطلوب .

أما بالنسبة له فالأمر مختلف . حيث لا يتخذ الرجل الكثير من الأصـدقاء . يتضح ذلك بصورة كبيرة فيما لو كان الرجل مساعد نائـب رئـيس البنـك ويخـبر رئيسه عما حدث بينه وبين زوجته من خلاف . يسمح له رئيسه بفـتره لا تزيـد على ثلاث دقائق يروى فيها الواقعة ليشـاركه فـى قصـته . ولكـن ذلـك لا يـثير غريزة الحماية داخل نفس الرئيس . بعد انتهـاء الـدقائق الـثلاث ، ينظـر إليـه بعيون زجاجية باردة وكأنه يقول له : " حسناً ، لقد استمعت إليك ، وتوافرت لك الفرصة للشكوى ، عليك الآن العودة إلى عملك " .

وإذا تخطى فرصة الدقائق الثلاث التى أتيحـت لـه ، فسـوف تضـيع فرصـة الترقية القادمة ، لأن المدير سيختار شخصاً آخر أكثر استقراراً . على ذلـك فـإن **ثمن الكشف عن موقفه الضعيف هو زيادة فى ضعف موقفه** . وإذا كـان يعـول زوجة وأبناء ، يكون هذا هو السبب الرئيسى فى شعوره بأنه ليس له الحق فـى الشكوى .

هل هذا يختلف عن المرأة التى تعمل بدوام كامل ؟ نعم ولا . حتى ولو كانت المرأة تعمل طول الوقت ، فإن محصلة عملها تقل عشر ساعات فى المتوسـط عـن رجل يشغل وظيفة مماثلة حيث إن مسئوليتها المنزلية تزيـد عليـه ، لـذلك فهـو دائماً يميل إلى الاعتماد على نفسه .

إن خصائص الوظائف التى تتولاها النساء مقارنة بتلك التى غالباً مـا يتولاهـا الرجال توضح أنها فى معظمها ( ٨٠ ٪ منها ) تمثل امتداداً للـدور المسـتمد مـن الأمومة مثـل : التـدريس ، التمـريض ، العمـل الاجتمـاعى . بينمـا ٩٠ ٪ مـن الوظائف التى يقوم بها الرجال بعيدة كل البعد عن الدور التربوى ومنها : سائق شاحنة ، جامع مخلفات ، لَحَّام ، بنَّاء ، أو مهندس .

يجب أن تتيح إدارات الموارد البشرية فى الشركات الكبرى فرص التعبير عن الإحباطات التى يعانى منها العاملون من الرجال فى أماكن عملهم . ولكـن بـدلاً من ذلك نجد أن الرجل الذى يعبر عن فشله فى علاقة عاطفية أو غضبه من عدم

الترقية ينظر إليه على أنه يفتقد السيطرة على أفعاله وتصرفاته ، بينما ينظر دائماً إلى المرأة على أنها ضحية التمييز ضد الأنثى . ويتحول غضبها إلى قضية ، أما هو فلا يحق له الشكوى .

من النادر أن نجد هذه الإدارات تبادر بالسعى للتعرف على ما يشعر به الرجال فى الأقسام المختلفة ، وذلك على الرغم من أن التعبير عن المشاعر يمثل دعماً للثقة فى النفس . فإذا حدثت هذه المبادرة وتحولت إلى برامج تأهيلية لجنس الرجال فسيكون فى ذلك نجاح فى التغلب على مشكلة كتمانهم لمشاعرهم .

باختصار ، لقد تعلم الرجال أن التعبير عن أحاسيس الضعف فى مكان العمل مسألة خطيرة . لهذا السبب ، إذا نجحت المرأة فى توفير البيئة الآمنة لزوجها لكى يعبر عن هذه الأحاسيس لها ، تكون بذلك قد قامت بعمل عظيم ، وخاصة إذا كانت الأسرة كبيرة وتحتاج إلى الدعم المادى الذى يوفره الزوج .

## دور العبادة

تعتبر دور العبادة هى المؤسسات الوحيدة فى العالم التى تبادر بدعوة جميع الرجال لطلب المعونة والمساعدة. ومن ناحية أخرى ، معظم الأشخاص الذين يقدمون المساعدة ولا يطلبونها ويتم احترامهم يكونون رجالاً ، والنساء يذهبن لمقابلة معالجى المشاكل ، وليس الرجال هم الذين يطلبون المعونة . وعلى نقيض ذلك ، تشجع التربية ودور العبادة النساء على طلب المساعدة والمعونة ، وبهذا لا تخلق صراعاً بين التربية والدين لدى النساء مثلما تفعل مع الرجال . وبذلك تنقسم دور العبادة إلى فئتين ، النساء اللاتى يذهبن إلى الصلاة من أجل طلب المعونة ، والأغلبية العظمى من الرجال الذين تم تعيينهم لحل المشكلات ( علماء الدين ) . وبذلك ، تتمكن المرأة التى لا يوجد عائل لها ( زوج ـ أب ـ أخ ) من أن تستبدل بالرجل دار العبادة أو الجهاز الحكومى ، وذلك لا يتعارض مع دورها وتربيتها كأنثى . أما بالنسبة للرجال ، فلا يمكن أن تعوض دار العبادة أو الحكومة الدور الذى تمثله المرأة بالنسبة للرجل ، حيث إن الرجل تم تأهيله كى يصبح حامياً ومقدماً للمساعدة وليس ساعياً لطلبها . وعندما تُركز دور العبادة على الرجل، فهى لا تركز عليه كفرد يطلب المساعدة. وبذلك فإن الرسالة التى تقدمها دور العبادة للمرأة يكون مفادها

أن تستمر المرأة فى حب أبنائها ورعايتهم عن طريق البقاء بجانبهم ، أما بالنسبة للرجال ، فيكون مفادها أن يحبوا أبناءهم عن طريق الابتعاد عنهم من أجل اكتساب موارد المعيشة .

## الحكومة كبديل للزوج

عندما قامت الحركة النسائية بمساعدة الكثير من النساء على الاستقلال ، قامت فى الوقت ذاته بإعطاء الخيار لملايين من النساء للاعتماد على غيرهن . وهى خلال ممارستها لهذه الدعوة ضغطت على الحكومة لكى تلعب دور الزوج البديل . وقد كان إيجاد هذا الدور شديد السهولة لأنه استثار غريزة توفير الحماية لدى معظم المشرِّعين الذكور ، وفى نفس الوقت استثار غريزة طلب الحماية لدى النساء المشرعات .

والقضية هنا ليست فى النظر إلى الحكومة على أنها جهة الحماية ، ولكن فى إصدار تشريعات توفر الحماية للمرأة أكثر من الرجل حتى فى الجوانب التى تعتبر فيها النساء أقل تعرضاً للخطر . والمثال على ذلك ، أن ٨٥ ٪ من المشردين يكونون رجالاً ، ورغم ذلك فإن العديد من دور الإيواء الخاصة مفتوحة فقط للنساء اللاتى ليس لهن منازل ( مع أو بدون الأبناء ) ؛ ومن بين جرائم القتل فإن القتلى من الرجال ضعف عدد القتلى من النساء ، ولكن نجد أن القوانين تتوجه إلى العنف ضد المرأة فقط ؛ ورغم أن النساء نصيبهن من الشهادات الجامعية لا يزيد على ٢٣ ٪ من إجمالى الخريجين الجامعيين ، إلا أن المنح الدراسية التى تتاح إلى الجامعيات من النساء البيض أكبر كثيراً من هذه النسبة ، حيث لا تتاح لعديد من الخريجين الرجال ؛ وكما نرى فى الفصل السابع فإن عدداً من الرجال الذين تضربهم النساء يماثل عدد النساء ممن يضربهن الرجال ، ورغم ذلك فإن دور الرعاية والخطوط التليفونية الساخنة مخصصة فقط للنساء .

والنساء هن المستفيدات الوحيدات من مثل هذه الأنواع من الحماية الحكومية ، فى حين لا توجد مثل هذه البرامج للرجال - عاطفياً ومالياً وجسمانياً . إن ما تقدمه الحكومة إلى الرجال فقط يكاد يدخل فى باب المخاطرة ؛ مشروعات القوانين والدعم الذى يقدم لأبطال الرياضة بما فى ذلك كرة القدم . والنتيجة ؟ إذا ما شعر الرجل بهشاشته وضعفه البالغ ، فلا يتاح

إلا عدد قليل جداً من الأماكن التى يمكنه أن يتوجه لها . فلا مكان للرجال الذين يتعرضون للعنف من النساء ، ولا توجد لهم خطوط ساخنة لمنع الانتحار ، ولا برامج لمساعدتهم على رؤية أبنائهم ، ولا يوجد مكتب مخصص للرجال فى وزارة العمل ، ولا مكاتب للصحة مخصصة للرجال فقط .

## المنظومة التعليمية

خلال سنوات الستينات والسبعينات من القرن العشرين أدت حركة حرية التعبير إلى أن يقول الطلاب الكثير عن أفكارهم مما جعل آباءهم يعتقدون بأنهم لن يتوقفوا عن الكلام أبداً . أما اليوم ، فقد حلت القوانين المقيدة للحديث محل الحديث الحر . سأتناول هذا الاتجاه بعمق أكثر فى الفصل الثامن ( وكما جاء فى كتاب الستار الحريرى : " لقد ظهر الرجال فى الأخبار .. " ) لنوضح لماذا وكيف تحول النظام التعليمى إلى منطقة مشحونة بالعداء لمشاعر أبنائنا . وسوف أشرح فى هذا الفصل لماذا ، وبشكل خاص فى جامعات القمة وفى مناهج الدراسات الاجتماعية ، سيكون متوقعاً من ابنك الشاب أن يتعامل مع النساء على قدم المساواة ما لم يشعر أو يقول شيئاً معادياً لهن . وفى ذلك سيشعر بالحيرة والارتباك .

ومما يزيد إحساس ابنك بالحيرة أن الرقابة المفروضة على مشاعره لها أساس أيديولوجى . ورغم أن حركات تحرير المرأة ، وخاصة الشيوعية منها ، قد نبعت من العلوم الاجتماعية ، إلا أنها ركزت على نشر سياسة النوع ( عدم التفرقة بين الجنسين على أساس النوع الاجتماعى ) فى كل أرجاء الجامعة . وإذا كان ابنك مرتبطاً ، فسوف تصبح مشاعر الحيرة والنمو لديه أقل تحرراً من ابنتك فى النمو والتطور أو التجريب أو حتى فى الاكتشاف . فى الجامعات لا تسمع النساء ما لا يقوله الرجال لأنه من الواضح أن الجنس الصامت إذا قرر إخراج رأسه المدفون فى الرمال لكى يتكلم ، فإن ذلك يمكن أن يتسبب له فى تهديد مستقبله المهنى واحترامه لذاته . سأترك كل الدلائل على ذلك إلى الفصل الثامن ، ولكن يكفى أن أشير هنا إلى أننى لم أسمع عن لحظه احتاج فيها الرجال للبيئة الآمنة ، عبر التاريخ الإنسانى ، لكى يشعروا بالاسترخاء ويفصحوا عما يجيش فى صدورهم مثل الوقت الحاضر الذى نعيش فيه .

وبدلاً من توفير بيئة آمنة للتعبير عن المشاعر ، نجد أن النوادى الخاصة بالرجال بدأت فى الاختفاء ، فى الوقت الذى ظهرت فيه نواد خاصة بالنساء .

## اختفاء نوادى الرجال ، وظهور نوادى النساء

إن البديل للمنظمات الخاصة بالرجال هو ازدياد اعتمادهم على المرأة فى كل ما يخص الدعم العاطفى . وبدلاً من إنشاء المنظمات الخاصة بالرجال ، فإننا نقوم بتدميرها : اعتدنا أن نفكر فى أسماء معينة حين يتعلق الأمر بالنوادى ، مثل : " الكز " ، " كيوانيز " ، " الروتارى " — وهى كلها نوادٍ خاصة بالرجال . والآن ، وعندما نبحث فى دليل النوادى والاتحادات عن منظمات أو نوادٍ خاصةٍ بالرجال فقط دون النساء ، **نجد أن هناك أكثر من عشرين منظمة ونادياً نسائياً فى مقابل كل منظمة أو نادٍ خاص بالرجال .**

وبنفس الطريقة ، فى أندية الشبان والشابات نجد أن الفرق الرياضية للأولاد سواء فى سن الابتدائى أو الثانوى يمكن أن تضم بعض الفتيات ، ولكن من المستحيل أن نجد فرق البنات تضم بنين فى صفوفها . وعندما تحتاج النساء إلى الترابط والتشابك ، توفر لهن الحكومة ذلك وتساندهن المحكمة العليا بأحكامها . ولكن حين يحتاج الرجال إلى المساندة لتحقيق الترابط أو التشابك ، لا أحد يقدم لهم هذه المساندة . أى أن هذا الحق متاح للنساء ومحرم على الرجال . حتى أن فرق الكشافة الخاصة بالرجل تمت مقاضاتها لعدم سماحها بانضمام النساء إليها.

فى الثلث الأخير من القرن الماضى ، ازداد عدد المنظمات المساندة للمرأة ، بينما انخفض عدد المنظمات المساندة للرجال إلى الدرجة التى نجد فيها من أربعمائة إلى خمسمائة منظمة متخصصة خاصة بالنساء فى مقابل عدم وجود أية منظمة خاصة بالرجال تقريباً . وفى دليل المنظمات والاتحادات نجد عدداً يكاد لا يذكر من هذه المنظمات الخاصة بالرجال ، وهى جميعها ، بدون استثناء " غير عاملة " طبقاً لوصف الدليل .

هل السبب فى شيوع المنظمات المهنية النسائية هو أن النساء يمثلن أقلية فى مهن كثيرة ؟ هذا غير صحيح . إن معظم المتعلمين غير الجامعيين يكونون من النساء ، ولكن ليست هناك رابطة خاصة بمعلمى مرحلة الروضة من الرجال أو

لمُعَلِمى المدارس الابتدائية من الرجال . فى هذا المجال نجد أن الجمعيات النسائية تمثل خمسة أمثال الجمعيات الخاصة بالرجال من حيث العدد .

ومن الجدير بالذكر أن كفة النوادى النسائية قد رجحت عن كفة نوادى الرجال . ولكن هذا يبتعد عن حقيقة أنه كان لكل من الجنسين أماكن خاصة يتمتعون فيها بالاسترخاء فى غياب الجنس الآخر . كان لدى الرجال ، النوادى ، والحانات وأماكن ممارسة الرياضة ، والنساء كن يستطعن الالتقاء داخل الحدائق أو نوادى الحدائق الخاصة بهن ، أو ملحقات بنوادى الرجال ؛ حيث كن يمارسن الأنشطة النسائية مثل التطريز أو تبادل وصفات الطعام ، ولكن كان دائماً هدف هذه الاجتماعات النسائية هو الاسترخاء ومد يد العون ومواساة بعضهن البعض . كل ذلك كان فى الماضى حيث كان لكل جنس فرصة مناقشة كل إحباطاته فى بيئة آمنة . ثم تحول الحال من المساواة إلى قدر أقل من المساواة بالنسبة للرجال .

أحياناً ما يتوق الرجل إلى مكان خاص به ، حيث يشعر ، سواء كان على حق أم لا ، بأنه ما إن يتواجد فى مكان مخصص للجنسين معاً فإن احتياجات المرأة تكون هى السائدة . فبمجرد أن تدخل المرأة إلى المكان ، لا يستطيع التحدث بلغة خارجة ولا يتكلم فى الموضوعات التى من الممكن أن تخدش حياءها . أما فى مكانه الخاص ، فإن حمامات الرجال يوجد بها مراحيض خاصة باستخدام الذكور فقط .أما فى المنازل ، فيتم بناء المرحاض مثلما يوجد فى حمامات النساء ، ولا يوجد بها أماكن مخصصة للذكور ، ومن ثم يستخدمها الجنسان ولكن بطريقة مختلفة ، ولكن الرجل هو الذى يلزم عليه تعديل استخدامه هذه المراحيض . وعندما يعترض الرجل على ذلك يعتبره الناس متبلد الشعور .

يشعر بعض الرجال بهذا النوع من التفرقة ولكن يفضلون عدم مناقشتها خوفاً من ردود فعل النساء ؛ ويفضل آخرون عدم التفكير فيها بالمرة حتى لا يضطروا للجهر بما يفكرون ويقعون فى مشاكل . الحقيقة ، أن الرجل قد لا يهتم كثيراً بموضوع المرحاض وملاءمته له ، ولكنه يتأذى جداً عندما تقول له امرأته إنه يفتقد الحساسية أو القدرة على التلاؤم فى الوقت الذى يحاول فيه التكيف مع الأشياء الخاصة بها .

## منظمات الرجال التقليدية

أدركت كثير من النساء قيمة جمع الرجال فى المجموعات غير التقليدية التى أنشأتها خلال السنوات الثلاثين الماضية ، والتى كان هدفها تقديم الدعم العاطفى للرجال . ولكن نفس هؤلاء النسوة أبدين عدم الارتياح للمجموعات التقليدية الخاصة بالرجال مثل نوادى " الكز " . ولكن هذه المجموعات التقليدية تتشابه مع تلك الخاصة بالنساء والتى يجتمعن فيها فى النوادى لاحتساء الشاى ومواساة بعضهن البعض .

وكلا النوعين يؤدى نفس الوظيفة التى يؤديها الشخص التقليدى الذى تعينه المؤسسات الدينية لخدمة المرأة التقليدية فى الجوانب السابق ذكرها .

كلا الجنسين يجد أنه لا تتوافر البيئة الآمنة للحديث عن بعض أنواع المشاعر مع الجنس الآخر . فالمرأة التى تخرج لأول مرة مع أحد الرجال فى لقاء عاطفى ، وتحلم بالزواج منه بعد عشر دقائق من لقائهما ، لن ترتاح لمصارحته بما يجول فى خاطرها ، ولكن إذا أسرت ما بنفسها إلى إحدى صديقاتها فسوف تتفهم هذه الصديقة على الفور وتدعمها وتساندها . أما الرجل الذى يرى المرأة فى أول ميعاد عاطفى ، ويحلم بمواصلتها جسدياً بعد مرور عشر ثوان من لقائهما ، فهو لا يرتاح للحديث معها بهذا الشأن ، ولكنه قد يرتاح لمناقشة ذلك مع أحد أصدقائه الذكور ، لأنه بالطبع سيفهمه . فعندما يواجه كل منهما الإحباطات يجد أنه من الأسهل جداً أن يتشارك فى التعبير عنها مع شخص من نفس جنسه . فى إحدى الفترات الزمنية ، كان الاعتداء على الرجل بالضرب ، والذى سأعرضه فى الفصل السابع ، يطلق عليه دعابة ، وكان الاعتداء على المرأة بالضرب يسمى تمييزاً ضد المرأة ، وبذلك تكون للنساء فرصة الإعلان عن الشىء الذى يجب أن يحرص الرجال على الاحتفاظ به سراً فيما بينهم .

إذا اتسمت الصدقات بين الرجال بالعمق فإنها تحمى من تدمير وإيذاء الذات بسبب الأزمات الحادة مثل حالات الطلاق أو الموت . وعندما تموت امرأة ، تكون احتمالات انتحار الزوج عشرة أمثال احتمالات انتحار الزوجة التى يموت زوجها . وإذا انتحر الزوج فإنه يترك أسرته فى حزن مزدوج ، حزن على موته وحزن على انتحاره ؛ والمفارقة أن هذا يترك باقى الأرامل بدون رجال يتزوجونهن أو يحبونهن .

ما السبب فى أن الرجال أكثر ميلاً لتدمير الذات عند فقدان من يحبون ؟

المشهد الأول : يموت الزوج . تبكى الزوجة ، تجد صديقاتها أنها فى احتياج للمساندة ، يهاتفنها ، يزرنها ، يؤكدن لها استعدادهن للرد على مكالماتها حتى فى الثالثة صباحاً . ما يحدث هنا هو أنها عندما بكت تكون أكثر احتياجاً للمساعدة ـ لقد تجاوبت معها صديقاتها وحتى من تجاوبت من النساء الأخريات أصبحت صديقة لها ـ وغسلت الدموع كل الخطايا ، وأصبح جهازها المناعى أقوى .

المشهد الثانى : تموت الزوجة . يكتم الزوج مشاعره ويمنع دموعه . يسأله أصدقاؤه الرجال إذا كان فى حاجة للمساعدة ، ولكنه دائماً ما يقول ، " شكراً ، أنا أقدر هذا . صحيح أن الموقف صعب ولكنى سأكون على ما يرام ، شكراً " . إنه يبين أنه فى غير حاجة للمساعدة ، لذلك فهو يتلقى قدراً أقل من المساندة . ما هى النتيجة ؟ قد يشعر بأنه لا أحد يحبه أو يحتاج إليه ـ **وهما الصفتان المرتبطتان بدوافع الميول الانتحارية** . وهذه هى الفترة التى تمثل فيها الصداقات العميقة أهمية قصوى ، حيث يعرف الرجل أن لديه الكثير من الأصدقاء الذين يسعون للمساندة لمؤازرته وحبه ومساعدته .

ينتمى أبى الذى يبلغ من العمر تسعة وثمانين عاماً إلى منظمة خاصة تسمى أنشطه بلا حدود . وقد كانت صداقاته مع الرجال من زملائه من تلك المجموعة هى التى ساندته خلال معاناته بسبب مرض أمى بالسرطان ثم بعد أن أجرى جراحة القلب . كنا جميعاً فى الأسرة أمى وأختى وأنا ، بل وهو أيضاً على يقين من أنه لن يعيش أكثر من عام ، ولكن قدَّر الله له أن يعيش أكثر من ذلك ، وقد كان سبب ذلك هو تزايد المكالمات الهاتفية من أصدقائه ، وزياراتهم المتعددة ، ودعوتهم له للعشاء بعد النقاهة حيث يمر أحدهم عليه حتى لا يقود سيارته ليلاً ، بل وأيضاً الاحترام والإعجاب الذى يحصل عليه من هؤلاء الرجال ، ثم من كثير من زوجاتهم بعد ذلك .

معظم مجموعات أو فرق الرجال التقليدية ـ ومنها فرق كرة القدم ، وفرق الكشافة أو فرق " الألكز " ( حيوان الألكة أو الأيل ) ـ تساعد بعضها البعض على أن تتهيأ لدور الحامى . وفرق " الألكز " خير نموذج لذلك ، حيث يقدم المساندة للمنظمات النسائية مثل فرق المرشدات وغيرها من فرق البنات إلى جانب فرق الصبيان . وشعار هذه الفرقة هو قرون حيوان الأيل ، وهى رمز للحماية . ولكن الأمر المثير للدهشة هو أن هذه القرون ترمز أيضاً للحمل الثقيل الذى تسببه

الحماية . إذ إن الحيوان من هذا النوع عندما لا يقوم بحك قرونه فى لحاء الأشجار كى يتخلص منه عندما لا يحتاجه لحماية الآخرين ، فهو بذلك يعرض نفسه للموت ـ حيث إن وجود هذا الحمل الثقيل يعوق إحساسه بالضوارى المفترسة التى تهدده ، ولكن نجد أن مثل هذا الحيوان يضحى بنفسه لكى يوفر الحماية لباقى عائلته . إنه نموذج مجازى لما تواجهه فرق الرجال من تحديات : مساعدة أعضائها فى معرفة توقيت التخلص من القرون بحيث لا تصبح رموز القوة للرجال هى مصدر ضعفهم .

إذا ما استطاعت فرق ومجموعات الرجال توفير مزيد من الاستبطان ، والمشاركة فى المشاعر ، والتشجيع على التعبير عن الضعف ، وتفهم ضرورات التنازلات ، فإنها ستتمكن من دمج أفضل ما فى العالمين . ورغم أنهم لا يقومون بذلك الآن ، إلا أن الصداقات التى تكونت داخلها ، والشعائر التى تصهر وتعمق هذه الصداقات ، تعتبر مصدراً رئيسياً للدعم العاطفى فى أوقات الأزمات ، وتتعاظم أهمية الدعم العاطفى لأنه ينبع من الرجال إلى الرجال أى أنهم يتوحدون بسبب تشابههم .

## المجموعات غير التقليدية للرجال

تشجع هذه المجموعات غير التقليدية على أن يفصح الرجال عن مخاوفهم لمن يعانون من نفس هذه المخاوف . إن الرجل الذى لديه الفرصة لذلك سيتمكن من مشاركة زوجته فى مخاوفه حيث سيكون قد عرف أنه ليس هناك ما يعيبه .

مثل النساء ، عندما تتحطم أحلامهن يشعر الرجال بأن هناك خطأ ما فيهم . وهذا الشعور بالنسبة للرجل يعجز عن التعبير عنه عندما يواجه الاحتقار أو التقليل من شأنه ، أو عندما يتأزم الموقف بينه وبين امرأته ، أو عندما يشعر بالملل فى حياته الزوجية أو حين يشعر بالوحدة ليلاً أو فى المناسبات الخاصة ؛ وفى حالة الطلاق ، وخاصة عند تبادل القضايا ودعاوى الحضانة أو حق الرؤية ، بما تتضمنه من ادعاءات كاذبة واتهامات باطلة أمام الأبناء .

ما هى القيمة ؟ إن الرجل الذى لا يعرف أن الرجال الآخرين يعانون نفس مشاكله وأحاسيسه ، يغرق نفسه فى الشراب أو العمل ، أو يخفى نفسه فى قراءة الصحف ومشاهدة التلفاز ( باعتباره الشيء الوحيد الذى يستطيع التحكم

فيه ) ، أو يندمج فى مشاهدة الأفلام أو تصفح شبكة الإنترنت . إنه يبحث عن الإثارة التى قد توفرها له انتصارات ناديه الرياضى المحلى ، حيث يشعر بفوز لم يحققه أبداً . إن مصادر الغضب اليوم إذا تزايدت يمكن أن تتقرح غداً ، أو تتحول إلى سرطان ، أو نوبات قلبية . إن مجموعات وفرق الرجال تنجح فى تحويل الطريق المسدود إلى مفترق طرق .

والمفارقة هى أن الاكتشاف الرئيسى لكل أعضاء المجموعة هو : " إننى لست وحيداً " ، " إننى لست فريداً من نوعى " ـ وهذا يخلق مطابقة إيجابية لأن مشاعر عدم الثقة فى النفس تنتاب الشخص الذى يعتقد أن مخاوفه وفشله لا يشاركه فيها إلا الفاشلون .

على مستوى الحياة اليومية ، كيف نعرف أن الأشخاص الذين يشتركون فى الأحاسيس والمخاوف يشعرون بالراحة حين يعبرون عن مخاوفهم المشتركة ؟ تذكر كيف تنفتح ابنتك المراهقة عندما تتحدث هاتفياً مع صديقتها . تذكر أيضاً كيف تتغير نبرة صوتها حين تسمع وقع أقدام أحد والديها ؟ إنها فى هذه الحالة تتشارك مع صديقتها المرأة المراهقة مخاوفهما المشتركة . ومن الطبيعي أنها تحتاج وقتاً فى حياتها للتواصل مع الشباب أو مع والديها ، ولكنها أيضاً تحتاج مساحة من الوقت الذى تستقطعه وتخصصه لمشاركة صديقتها فى مخاوفها . وهو ما يفعله أيضاً الوالدان ، وكما تفعل النساء والرجال .

إن الالتزام بتوفير الحماية هو موروث عام لكل الرجال . والخوف من عدم القدرة على الوفاء بهذا الالتزام هو أيضاً موروث عام لكل الرجال ، ولكن فى كل الحالات يكتشف الرجل أنه حتى إذا أوفى بهذه الالتزامات ، فإنه يواجه المصيدة ـ ٢٢ : إذا نجح فى توفير الدعم المالى ، فإنه لا ينجح فى أعطاء أسرته الوقت الكافى ، وهذا يؤدى إلى عدم إشباع الطرفين ، هو وأسرته . من جانب آخر ، إذا كان يشبع الحاجات العاطفية لأسرته ، فإنه يخشى ألا يكون قد حقق لهم الحياة المادية الملائمة . وهذا هو سبب مشاركة الرجل فى مخاوف الرجال الآخرين .

عندما يتبادل الرجال الحديث عن تجاربهم ، يكتشفون أن مقومات النجاح فى العمل تتعارض مع مقومات النجاح فى الحب ؛ ويتعرفون على السبب فى أن دور القاتل المسئول عن توفير الحماية ، يتعارض مع دور المتواصل الذى يوفر الإشباع . كل رجل يصل إلى فهم السبب فى عدم توازن حياته . وتتيح فرق الرجال لكل عضو أن يتبع المجموع ؛ كل منهم عندما يتحدث عن جانب

من تجربته يفيد الآخرين ، مما يساعد الآخرين على الاستفادة من مشكلته في إجراء التعديلات التي تعيد التوازن إلى حياتهم .

في بعض المجموعات ، يتم التأكيد على أهمية المشاركة من خلال الاستخدام الرمزى لعصا الصولجان رمز الحكمة والشفاء قديماً . لماذا ؟ لأن التحدث عن الأحاسيس يشفى ؛ والتأكد من أن الآخرين استمعوا لما أقول يزيد من الشفاء .

ولكن المجموعات المكونة من جنس واحد لها قيود . عندما كنت أشكل مجموعات دعم رجالية أو نسائية ، كنت أشجعهم على الالتقاء كل على حدة لمدة ثلاثة أشهر ثم يلتقون في اجتماعات مشتركة ثم منفردة على التوالى بعد ذلك . ووجدت أن كل مجموعة إذا لم تلتق على انفراد أولاً ، يكون لدى أعضائها تخوف من مناقشة مخاوفهم العميقة بصراحة ؛ ولكن إذا طالت الاجتماعات المنفصلة أكثر من اللازم ؛ كانوا يبدءون في تصور أن المشكلات هي مشكلات النساء فقط ـ أو الرجال فقط ـ وأن الجنس الآخر هو السبب في هذه المشكلات .

هذا الترتيب سمح لى بملاحظة الاختلافات في أسلوب التواصل داخل النوع الواحد ، والتواصل داخل المجموعات المختلطة . عندما تتواجد النساء ، كان الرجال أكثر ميلاً للتنافس فيما بينهم ويظهر كل عضو أنه أفضل معالج للمشاكل التي تعرضها النساء . وفي اللقاءات التي تتميز بحساسية الموضوعات المثارة ، يتنافس الرجال على إبداء روح الدعابة . بكلمات أخرى ، حين تتواجد النساء ، يظهر أداء الرجال . ونفس الشيء يحدث في مجموعات النساء إذا تواجد الرجال .

إن ما يتم تجاهله في حضور النساء هو رغبة الرجال في التعمق داخل أنفسهم لاكتشاف المواقع التي يخشون أن تظهرهم بمظهر الفاشلين أمام النساء . حيث إن معظم عواطف الرجال مستثمرة لدى النساء وكأنها كل البيض في سلة واحدة ، فهم يخشون التشكيك في النجاح الذى يجتذب إليهم حب المرأة . مثل الطبيب الذى يخشى اكتشاف قيامه بدور المرضة التي تعمل نصف الوقت الذى يقضيه هو في عمله ، أو كتابة رواية لا يباع منها أى نسخة . الاستبطان الذى يحدث داخل مجموعات الرجال يساعدهم على إتمام المرحلة التحولية بين اختيارات حياتهم الراهنة والاختيارات المستقبلية . فبدلاً من أن يقوموا بذلك

بسفينة حربية ، أو على ظهر فيل ، أو بالمغامرات العاطفية ، فإنهم يقومون بذلك مع نصف دستة مع الرجال الآخرين ، وبعقولهم وقلوبهم .

إن الطريق لمساعدة الرجال كى يساعدوا أنفسهم ملىء بالمفارقات والتناقضات .

## أنت على صلة قوية بأحاسيسك ، ليت " جيم " يستطيع أن يفعل مثلك

ذات مرة كنت أدير أحد اللقاءات ، وكنت أساعد إحدى السيدات على الكشف عن أحاسيسها . توقفت السيدة فجأة وقالت : ليت " جيم " يستطيع أن يفعل مثلك ـ أنت على صلة قوية بأحاسيسك " . شكرتها ، وقلت لها إننى لم أبد أى علامة على تواصلى مع مشاعرى ـ ولكننى كنت على صله جيدة بإحساساتها هى .

التفرقة هنا مهمة جداً ، حيث إن " جينجر " كانت توجه اللوم إلى " جيم " لأنه ليس على اتصال جيد مع أحاسيسه ؛ وكانت تشعر بالاستياء من " الاحتياج إلى أكثر من ٢٤ ساعة فى اليوم لإيجاد الوقت الذى يمكن أن يتبادلا فيه الحديث " . إنها لم تقدر النتائج حق قدرها ، حيث أصبح متاحاً لها ١٠٠ ٪ من الوقت للتعبير عن مشاعرها ، نظراً لأنه لا يعبر أبداً عن مشاعره هو . فنحن حينما نتيح لأى شخص فرصة للتواصل مع أحاسيسه ، يكون لديه الوقت الكافى للفضفضة ؛ ولكننا لا نفعل ذلك . وقد يكون لديه وقت أقل للاستماع إلينا ، أو فهمنا . وهذا يفسر عدم استعجالنا فى إعادة فحص طبيعة حياتنا التى تحافظ على إبقاء مشاعر الرجال تحت السطح .

أحد مكونات هذه الطبيعة هو مهارات تقديم الدعم والمساندة . كما رأينا فإنه من بين علماء الدين ، رجال يقومون بدور إدارة جلسات العلاج الجماعى وهم خبراء فى حسن الإنصات للآخرين ، ولكن من النادر أن يكونوا خبراء فى الكشف عن أحاسيسهم الخاصة بالضعف والهشاشة . إن الناس يأتون إليهم




" نيكول هولاندر " ، " سيلفيا " ، " روكبورت " ، ولاية " ماين "

لأنهم محترمون وليسوا ضعفاء . نجد أيضاً أن ١٠٠ ٪ تقريباً من الحكماء ورجال الدين يكونون من الرجال . ونحن نقدرهم لأنهم يمتلكون الإجابات ، ويحلون المشكلات ، وليس بسبب الطريقة التى يتشاركون فيها فى أحاسيسهم ، وضعفهم وهشاشتهم . **فعندما يكون الحكيم أو عالم الدين ضعيفاً ، لا نعطيه قدره من الاحترام والتقدير ، بل نقول إن هذه فضيحة** . إن حبنا ، وتقديرنا ، وأموالنا توجه إلى هؤلاء الرجال فى حالة واحدة فقط ، وهى احتفاظهم بمشاعرهم لأنفسهم .

إننا يجب أن نبدى الاحترام لمن يحسن الإنصات إلينا ، ويحل مشكلاتنا ، ويلهمنا ، وإذا أردنا من الرجال أن ينفتحوا ويعبروا عما يسبب لهم التعاسة ، لابد أن نسارع بتقدير الرجال الذين يعترفون بإحساسهم بالإحباط . فى الوقت الراهن نقدر الرجال الذين يسارعون بإنقاذ " الفتاة المكروبة " . ونحتفل بزواج المنقذ بالفتاة المكروبة . ولكن العكس لا يحدث أبداً إذا كانت المنقذة أمرأة - حيث لا تتزوج الأم " تيريزا " من " الرجل الحساس الذى انتابه الحزن " . إن زواج الأم " تيريزا " من الرجل المشرد " هارى " لن يشد انتباه ملايين النساء اللائى التصقن بمقاعدهن عند إذاعة مراسم زفاف الأميرة " ديانا " إلى الأمير " تشارلز " . إننا لا نحتفى بامرأة تقع فى حب رجل فى أزمة . أننا نقوم بتحذيرها .

لن يعبر الرجال عن مشاعرهم ما لم نسارع بالاحتفاء بزواج امـرأة برجـل فـى محنة بنفس قدر الاحتفاء برجل يتزوج فتاة فى محنة . 

## أقتل التنين ولكن أخشى الدموع

لا شيء أفضل فى توضيح حقيقة أن ضعف الرجال هو مواجهتهم للقوة أكثـر مـن رغبـة الرجـال فـى أن يظهـروا الشـجاعة فـى المواقـف الصـعبة ، ولكـن لا يظهرون هذه الشجاعة فـى خـوفهم مـن ذرف الـدموع . إن الضـعف هـو مـرض ذكورى أفضل أن أطلق عليه الكبت العاطفى .

هل الكبت العاطفى رسخ بصورة زائدة على الحد ؟ لا . إن الرجـال يـتغيرون عندما يعرفون النتيجة الأخيرة. والنتيجة الأخيرة هنا هـى أن البكـاء هـو عمليـة إخراج ، مثلها مثل الدخول إلى الحمام . إن البكاء يطهرك مـن الخبائـث . مـن الخطأ القول لأبنائنا إن " الرجال الحقيقيين لا يبكون " وكأننا نقول : " الرجل الحق لا يذهب إلى الحمام " . لهذا السبب فـإن الرجـال الـذين يبكـون يكونـون أكثر صحة ممن لا يفعلون ذلك .

هذا لا يعنى أن الرجل أو المرأة التى تبكى لا تواجه مشكلة فـى التعـبير عـن مشاعرها ، أو أن البكـاء لا يسـاء اسـتخدامه واسـتغلاله ، ولكـن هـذا يعنـى أن تشجيع الأبناء على عدم البكاء هو مسألة غير صحية ، وتعبر عـن رسـائلنا غـير السليمة إلى أبنائنا .

## إذا ما تواصل مع أحاسيســه ٍ فهـل يسـتطيع تجـاوز أزمـة منتصـف العمر ؟ أم يندفع إليها مبكرا ؟

عادة ما يستطيع الرجل الذى يتواصل مع أحاسيسه طوال حياته أن يتجنب أزمة منتصف العمر . ولكن الذى اعتاد كبـت مشـاعره طـوال عمـره ، ثـم يـتعلم فجأة أن يتواصل معها فى منتصف العمر ، لن يفلت من هذه الأزمة . وهو لـيس أمراً سيئاً بالضرورة . فإذا حدث له ذلك بين أحبائه ، فسـوف تكـون هـذه أول مرة فى حياته كرجل بالغ أن يشعر بأنه يتلقى الحـب لسـبب آخـر غـير كونـه العائل الذى يوفر الدعم المادى فقط . وبذلك ستتاح له فرصة السيطرة على حياته بدلاً من أن تسيطر هى عليه . أما بديل أزمة منتصف العمر بالنسبة للرجل الذى

قضى عمره فى كبت مشاعره فسيكون هو الموت المبكر . أمامك الاختياران ، وعليك اختيار أحدهما .

هناك اختلاف كبير بين التواصل مع المشاعر والتعبير عنها . إن الرجل الذى يفصح عن كل مشاعره طوال حياته لن يتجنب أزمة منتصف العمر . **الرجل الذى يعبر عن كل عواطفه وأحاسيسه سيمر بأزمات طوال حياته !** إنه سيعيش حياة لا تخلو من الأزمات . ولكن التواصل مع الأحاسيس الداخلية يعطى الرجل فرصة للتعبير عنها فقط عندما يكون ذلك ملائماً . إنه الاختيار الذى يقويه ، هذا إذا أحسن الاختيار .

## تقول المرأة : " عندما أقول لـ " هنرى " عليك بالتواصل مع أحاسيسك فإنه لا يعرف بالضبط ما الذى أعنيه "

فى إحدى المرات التى كنت أنظم وأدير فيها ورشة عمل ، قالت " تينا " موجهة حديثها إلى زوجها " هنرى " ما يفيد بأنها تنوى فراقه لبعض الوقت وأنها قررت أن تخبره بذلك خلال هذا اللقاء حتى يجد المساندة من باقى الموجودين . تمثل رد فعل " هنرى " فى قوله : " إذا كان هذا مناسباً لك ، لا مانع ، ولكن هذا لن يكون سهلاً كما تظنين " .

طلبت من " هنرى " أن يتواصل مع إحساسه . التمعت عينا " هنرى " . وهذه بالطبع حالة شعورية ، ولكنها لم تكن موجهة لـ " تينا " ( على أى مستوى ) . عندئذ قالت " تينا " : " هل ترى ؟ هذا هو السبب فى أننى سأفارقه . عندما أقول له " تواصل مع إحساسك " ، فإنه لا يعرف بالضبط ما الذى أعنيه " .

قبل هذا الموقف بساعة ، كان " هنرى " يشرح بعض جوانب سوق المال لزوجته . كانت تبدى علامات عدم الصبر وتقول إن الرجال يحتاجون إلى مرشد عاطفى كما تحتاج النساء إلى مرشد فى دنيا الأعمال . فيما بعد ، تذكرت " تينا " هذه المناقشة وهدأت قليلاً . وفى النهاية اعترفت بأن لمعة عين " هنرى " كانت فى حد ذاتها إحساساً ولكنها طلبت منه التعبير عن ذلك بكلمات ، لكى يساعدها بترجمة إحساسه إلى لغتها .

إذا أراد زوجك أن يتواصل مع أحاسيسه ، ولكنه لا يعرف ما الذى يعنيه ذلك أو كيف يبدأ ( وهو ما يردده لحفظ ماء وجهه إذا كان فعلاً لا يعرف ) ، تدرجى معه فى هذه القائمة من المؤشرات الدالة على أحاسيسه .

## المؤشرات الدالة على التواصل مع الأحاسيس

- التوتر العضلى .
- نمط التنفس .
- فقدان الشعور .
- التدخين .
- المعاشرة الزوجية
- الأحلام .

يخلق تواصل الرجل مع أحاسيسه حالة من الإحباط إذا لم يشعر بأن هناك بيئة آمنة للتعبير عن هذه الأحاسيس . وإذا لم يتحقق من ذلك ، فإن عدم التواصل مع هذه الأحاسيس يمثل إحدى الديناميات الدفاعية المناسبة . إن توقع مبادرته بالتعبير عن مشاعره بدون توافر الأمان الكافى يشابه توقعنا لدخوله فى مباراة كرة قدم بدون ارتداء الخوذة الواقية وبدون أى لاعبين آخرين .

## التوترات العضلية

إنه سيفضل هذا المؤشر ، لذلك ابدئى من هنا .

عليك أن تقومى بتدليكه ، على أن يتضمن ذلك منطقة الفكين ، والأكتاف وما بين العينين وجوانبهما ، وخلف الرأس ، وما حول الكتفين . سيجعلك هذا تدخلين إلى مناطق التوتر . اطلبى منه أن يركز على أكثر منطقة متوترة لديه .

الآن هذا هو المفتاح . اسأليه أن يركز على كل ما حدث خلال اليوم ويشير إلى ما سبب له التوتر ( مع استبعاد كل ما له علاقة بالأنشطة اليدوية أو الرياضية ) ، إذا ما كان قد تلقى أخباراً غير سارة أو قراراً صعباً أو توتراً فى

العمل ، فاستمرى فى سؤاله عن كل التفاصيل . وبمجرد أن يشعر بالتوتر يكون ذلك مؤشراً للسبب .

إذا ظل غير متواصل مع إحساساته للتعرف على ما سبب له التوتر ، فاستمرى في التدليك ، ثم ابدئى فى مجادلته بعد ذلك مباشرة . اسأليه ما إذا كانت المنطقة التى تقومين بتدليكها قد توترت أكثر . بعد ذلك ، عليك أن تشرحى سبب إثارتك لهذا الجدال . فقليل من الرجال يهتمون عندما تعترف المرأة بأنها تسببت فى الجدال ـ خاصة إذا ما كان هذا أسلوباً للتعبير عن الحب . الآن ، دلكى نفس المنطقة مرة أخرى ، ودعيه يستشعر تلاشى التوتر .

## أنماط التنفس

لاحظى الفرق فى أسلوب تنفسه عندما يكون متوتراً وعندما يكون مسترخياً . قومى بتقليد الطريقتين أمامه . وحددى له النقطة التى يحدث فيها التحول . ساعديه على أن يرى ما الذى يتسبب فى ذلك .

## سرعة الغضب

غالباً ما تكون سرعة الغضب علامة على تراكم عدد من الأحاسيس وليس إحساساً واحداً . وهذا التراكم يكون غالباً ناتجاً عن إحباط تجاه موقف معين . إنها فرصة ذهبية لكى تساعديه على تفكيك هذا التراكم . ولكن قد يحدث أن يأخذ هذا التفكيك طريقه فى وجه القائم بالمساعدة ، وهذا يقود إلى اتخاذ موقف دفاعى بالضرورة . وهنا تضيع الفرصة الذهبية .

## التدخين

ساعديه على أن يميز ما بين معدله الطبيعى فى التدخين ، وهو ما قد يصاحب حالة الاسترخاء ، وما بين التحول إلى المعدل الزائد . وبدلاً من مطالبته بالتوقف ، تفهمى أن خلق البيئة الآمنة لأحاسيسه سيقلل من توتره وبالتالى يقل معدل التدخين ( لعل إحدى فوائد الجمعيات الخاصة بمساعدة

المدخنين هى توفير البيئة الآمنة للتعبير عن الأحاسيس . وكلما توافرت البيئة الحقيقية الآمنة ، قل احتياجه للتدخين ) .

## العضو الذكرى

عندما يعجز الزوج عن ممارسة العلاقة الزوجية ، فلا يعنى هذا أنه عاجز أو أنه يعانى من أحد الأمراض ، فبافتراض أنه ليس هناك أية مشكلة صحية يعانى منها الزوج ، مثل السكر مثلاً ، فلا يعنى هذا أن الزوج عاجز ، بل على العكس ، يعتبر فى كامل صحته ، ولكن كيف يكون ذلك ؟ إن العلاقة الزوجية مثل الرادار الذى يساعدنا على التقاط المشاعر والأشياء التى قد لا يدركها عقلنا الواعى ، والعجز عن القيام بالمشاعر الزوجية يمثل المحطة الخاصة بالرادار التى تعطينا الإشارة بأن هناك ما يسوء ، وهذا يعنى أن هذه المحطة ( المعاشرة الزوجية ) ليس بها أى عطب . والإشارة التى تصلنا من هذا الخلل قد يكون سببها الانشغال أو القلق ، أو تأنيب النفس ، أو الخوف ( وهذا يؤدى إلى عدم شعور الزوج بالراحة والاسترخاء ) وكل ذلك يجعله عاجزاً عن ممارسة علاقته الطبيعية بزوجته . إن الطبيعة تخبرنا عن طريق عدد من الإشارات أن هناك عطباً فى إحدى مناطق النفس ، فمثلما يؤدى الجرح إلى إحساسنا بالألم ، يؤدى الضغط والتوتر إلى العجز عن ممارسة العلاقة الزوجية الطبيعية . وهذا العجز يشير إلى أن مشاعر الرجل تكون أكثر أهمية بالنسبة له من المعاشرة الزوجية ( لا تخبرى الرجل بالمقطع الأخير من الجملة ) ، وهذا يشير إلى أنه ليس مجرد إنسان فاعل ، بل هو بشر ، يشعر ويحس ، هو كذلك لأن مشاعره ليست مهمة فقط ، بل أساسية وتحتل الصدارة . إن وظيفة الزوجين المحبين هى تفهم واحترام هذا الخلل .

## الأحلام

فى حين أن خلل العلاقة الزوجية قد يكون مؤشراً دقيقاً لمشاعرنا أكثر من العقل الواعى ، إلا إنه لا يعطينا إلا رسالة بسيطة : وجود المشاعر ، أو عدم وجودها . أما الأحلام فهى أكثر من ذلك تعقيداً . وحيث إن هذا الكتاب ليس مخصصاً لتفسير الأحلام ـ والكتب التى تفسر الأحلام وتهتم بما هو خارق ،

نادراً ما تعبر عن اللاشعور ـ فكل ما سأقوله هنا إنك إذا رغبت حقيقة في التواصل أنت وزوجك مع أحاسيسكما ومخاوفكما ، فعليكما خلق البيئة الآمنة لمشاركة الأحلام دون إصدار أية أحكام . لا ، سأتراجع عما قلت الآن . عليكما خلق البيئة المقدسة للمشاركة والمكاشفة دون إصدار أحكام . كيف ذلك ؟

لعل الخوف الوحيد الرئيسى من استخدام الأحلام ، هو الخوف من قدرتنا على التكهن بالأشياء ، لأننا نعتقد أن الأحلام ما هى إلا مؤشرات لما سيحدث في المستقبل . ولكن هذا غير صحيح . إن الأحلام هى انعكاس لمخاوفنا ، في صورة رموز ، وهذه المخاوف عادة ما تكون مخزونة ، ومعترفاً بها ومقدرة ، مثلها في ذلك مثل أى إحساس أو خوف ، وهو ما لا يمكن اعتباره تنبؤاً بالمستقبل . ولا يمكن أيضاً استخدام الأحلام كتعليمات لاختيار الطريق الصحيح فى الحياة . إن اللحظة التى تعامل بها الأحلام بهذه الطريقة ، هى لحظة كتمان الحلم بدلاً من التعبير عنه ، لأننا لو عبرنا عنه وبدأ الشريك فى تقمص دور المرشد ( حرفياً أو مجازياً ) ، فمن المؤكد أننا سنفضل عدم رواية الحلم فى المرة التالية .

## إذا عبر الرجال عن أحاسيسهم ، فما الذى سيعبرون عنه ؟ أليست النساء هن أفضل من يساعدنهم على ذلك ؟

عندما يمر الرجل بفترة حزن بسبب وفاة أمه متأثرة بمرض السرطان ، في هذه الحالة تقوم معظم النساء بتشجيع أزواجهن على البكاء ويستخدمن مزيداً من المهارات للفهم ، وهى المهارات التى تفوق ما يملكه الرجال من مهارات . فى هذا المجال نجد أن النساء يقدمن المساندة العاطفية أكثر من تلك التى يستطيع الرجال أن يقدموها فى الحالات المماثلة .

لكن إذا فشل رجل فى عمله ، فتلك قصة أخرى . فعندما يفقد رجل وظيفته ، غالباً ما يفقد معها زوجته . ومع زوجته يذهب الأبناء . ثم منزلهما . وهذا النموذج يوجد فى جميع أنحاء العالم . قبل أن أشرع فى الكتابة هذا الصباح ، شاهدت على شاشة " سى إن إن " قصة الرجل اليابانى الذى نجح أخيراً فى تبريد وجبة " السوشى " الشهيرة . وعندما سئل عن الدافع لذلك قال : " كانت وجبتى دائماً ما تفسد ، وكان عملى دائماً ما يفشل ، وزوجتى تهددنى بشكل دائم على أن تهجرنى . كان علىَّ أن أفعل شيئاً ما .

لقد أنقذت عملى ، وحافظت على زواجى " . إن الرجال يشعرون بأن تلقيهم للمساندة يكون مشروطاً .

كثير من النساء يبقين مع الرجال الذين يتأثر وضعهم الاجتماعى أو المادى . ولكن الرجال يستشعرون خيبة أمل النساء فيهن مثلما تشعر المرأة التى يزداد وزنها خيبة أمل زوجها فيها حتى ولو قرر الاستمرار معها . ومثلما تشعر النساء بإدمان الرجال لمغازلة النساء ، يستشعر الرجال أيضاً إدمان النساء للرجال الناجحين .

يكتشف الرجال الدعم الذى تقدمه المرأة للرجل الناجح بمجرد ملاحظة علامات الابتهاج على وجهها . أتذكر أننى شاهدت فيلم " الضابط والسيد " عندما عرض لأول مرة . عندما فاجأ الضابط حبيبته وعرض عليها الزواج ، ضجت القاعة بتصفيق المشاهدين . وكان للضابط صديق حميم بحث فى أعماق نفسه خلال التدريبات وعرف أنه لا يريد أن يصبح طياراً ، وأن مساره الحقيقى فى اتجاه آخر . وبدلاً من تصفيق القاعة للشخصية ، نظروا إليه باعتباره فاشلاً . كما أن خطيبته التى تصور أنها تحبه ، تركته . وليأسه البالغ شنق نفسه .

وعند انتهاء الفيلم كان الممثل " ريتشارد جير " - وليس الشخصية التى يقوم بها - هو المتسبب فى حالات الإغماء التى انتابت المشاهدات . والرجل ذو المظهر الحسن الذى يخفى مشاعره - والذى لم يرغب فى القتل - تم تجاهله . فى الحياة الواقعية للنساء ترمز الشخصية التى مثلها " ريتشارد جير " إلى التعويض ؛ بينما ترمز شخصية رفيقه إلى المشاعر المستبطنة . معظم الرجال يتبعون هذا الاستحسان . ويرون أن قليلاً جداً من النساء يفضلن هذا النموذج " المنسحب والسيد " .

إن من ينظرون إلى داخلهم من الرجال ويختارون طريقاً يحقق دخلاً أقل ، أو درجة أقل أو مكانة أدنى غالباً ما يتخوفون من أن يتم هجرهم وألا يكونوا موضع محبة ؛ وهم يخشون من ألا يتم تكريمهم لأنهم استبطنوا مشاعرهم ، ولهذا السبب فإنهم غالباً يعيشون فى صراع داخلى مع اختياراتهم التى فضلوها لأنها تحقق لهم التكامل . والمفارقة ، أنهم يجدون أنفسهم أكثر قدرة على الحب ولكن أقل قابلية لأن يكونوا موضع الحب . فبينما يقودنا الدور الذكورى التقليدى لاحترام الرجال ، وليس لحبهم ، فإن الرجل الحديث يجد نفسه أكثر

منحاً للحب ولكن أيضاً ليس موضع الحب . لهذا السبب يشعر عديد من الرجال بأنهم محصورون ما بين حجرين ، بمجرد أن يتعلموا كيفية الإحساس .

إن الانجذاب إلى الرجل الناجح ليس خطأ النساء ؛ إنه الشيء الذى تعلمنه للحصول على الأمان لأنفسهن ولأبنائهن . وأيضاً ليس خطأ الرجال أن يقعوا فى غرام النساء الصغيرات الجميلات ـ فالسن الصغيرة هى الأنسب للحمل ، والجمال ضمان لأفضل الجينات . وقد كان هذا هو الميراث الجينى للجنسين ، وهو الميراث الذى تأصل فينا عندما كان همنا الأكبر هو البقاء . الآن ، أصبح التواصل والقيم المشتركة هى التى لها الأولوية . ومادام التكيف هو مفتاح البقاء ، فإن التحدى المفروض الآن هو أن نبدأ فى تنمية وتدريب أبنائنا على الربط بين الحب والتواصل المتعاطف .

عادة ما تسألنى النساء بمزيج من حب الاستطلاع والشك عن مضمون أحاديث الرجال فى مجموعاتهم . وها هى بعض الأسئلة والموضوعات المحددة ، ولكن الأكثر أهمية هو العملية ذاتها . عندما يستمع الرجال إلى قصص بعضهم البعض ويكتشفون مدى الراحة التى يحصلون عليها من ذلك ، فإنهم يحصلون بدون وعى على نوع آخر من الفهم ، وهو قيمة حسن الإنصات . وعندما يكتشف الرجال ذلك ، فإن زوجاتهم وأبناءهم يتحقق لهم الارتياح الكامل ، والسبب فى ذلك هو أن التدريب على الرجولة يركز على حل المشكلات ولا يركز على مهارات الاستماع . أقدم هنا بعض الأسئلة والموضوعات الطريفة التى تمت مناقشتها والتى يبدو أنها تنجح عندما تبدأ المناقشة فى المجموعات الرجالية . ( هناك قائمة أكثر تفصيلاً فى كتابى " The Liberated Man " ) .

- **" إذا لم يكن لى زوجة وأبناء أعولهم ، فماذا كنت أفعل بحياتى ؟ "** لاشك أن لكل رجل جانباً فنياً فى شخصيته ، أو حباً للطبيعة أو الرياضة تم إهماله وتجاهله نظراً لأولوية الالتزامات العائلية . وحين يفقد الرجال هذا الجزء من حياتهم ، يصابون بحالة من الإحباط تقودهم إلى ممارسة العادات السيئة ، أو الإفراط فى التدخين ، أو الميل إلى الانتحار . عادة ما يخشى الرجال الكشف عن هذا الجزء لزوجاتهم لاحتمال تعامل الزوجات مع هذا الجانب بشكل شخصى . ولكن عندما يكشف الرجال هذا الجانب

بينهم كرجال فإنهم يتخلصون من عبء ثقيل على أكتافهم - ويشعرون بأن هناك من فهمهم ، ولا يشعرون بحاجة إلى الانهماك فى العادات الضارة.

- **الحياة الجنسية** . كثير من الرجال على استعداد لدفع أى مبلغ لقضاء أسبوع مع أمرأة جميلة في إحدى جزر الكاريبى ( حيث لا يجده أحد ، ولا يتسبب فى أى أذى لأحد - خاصة لأسرته ) . عندما التقى لأول مرة بزوجته قبل زواجهما ، قد يكون شعر بنفس هذه الأحاسيس وقتها . ولكن الحياة اليومية مع زوجته أصبحت عائقاً أمام مثل هذا الحلم . إن الرجال مثلهم فى ذلك مثل النساء يحتاجون للانضمام إلى المجموعات ذات الجنس الواحد ليكتشفوا أنهم ليسوا الوحيدين فيما يشعرون به من إحباط .ولكن فى النهاية ، يجب أن تلتقي مجموعات الجنسين حتى يتفهموا أنها ليست مشكله تتعلق بنوع واحد .

- **النقد مقابل التقدير** . تعلم معظم الرجال أن التحسن يتم من خلال تلقى النقد وشعروا بأن توجيه النقد للآخرين يمكن أن يحسن من أدائهم . لكن إذا قام الرجل بنقد زوجته فستأخذ هذا النقد على محمل شخصى . وفى النهاية تنخفض معنوياتها . إن المناقشات التى تدور بين أعضاء الجنس الواحد فى مثل هذه الموضوعات تساعد الرجال - وفى بيئة آمنة - على تعلم كيفية تحقيق التوازن بين النقد والتقدير مع أبنائهم ، ومعرفة أن المرأة تحتاج إلى كثير من المجاملات مقابل كل انتقاد .

## بعض الحلول

عندما نتوجه بالنصح إلى رجل لكى يحصل على إجازة أو يراجع أحد الإخصائيين ، غالباً ما تصل إليه الرسالة متناقضة : " احصل على مزيد من الأموال حتى تتمكن من الحصول على استراحة من العمل الهادف لتحقيق دخل أكبر " ( الإجازة ) ؛ أو " احصل على مزيد من المال حتى تستطيع أن تسأل ، هل عليك أن تركز حياتك على المال ؟ " . أولى الخطوات تجاه الحل هى التأكد من أننا لا نرسل رسائل متناقضة . على الشخص أن يقوم أولاً بتصنيف هذا النوع من الرسائل .

إن المجموعات غير التقليدية الخاصة بالرجال قد تكون هي أيسر الطرق لإنقاذ الشخص من انهياره العاطفي . إن أى رجل يستطيع أن يشكل مجموعة باتصاله برجلين آخرين ، يتصلان بدورهما بأربعة أشخاص وهكذا أو من خلال طلب أحد القيادات الروحية فى المجتمع لكى يقوم بذلك . أو بأن يطلب من زوجته أو صديقاتها لترشيح أعضاء . ولكن قبل أن يشرع فى البدء ، عليه أن يقرأ بعناية الأفكار التى طرحتها عن ذلك فى كتابى " The Liberated Man " . إن من يبدأ تجربته الأولى بصورة ضعيفة لن يجد الشجاعة الكافية لتكرار التجربة .

إن المجتمعات الصغيرة المبنية على الإيمان الدينى يمكن أن تصلح لكى تبدأ منها مجموعات الرجال . لقد عايشت بنفسى هذا الانفتاح حتى فى أكثرها تقليدية . عندما كنت أدير ندوة لإحدى دور العبادات فى " بروكلين " ، " نيويورك " ، وكانت الرعية كلها من السود ، بدأت المناقشات كلها بافتراض أن الرجال يلزم أن يكونوا متحملين للمسئوليات . فعندما يلتزم الرجال بهذا التوجه يصبحون هدفاً للزواج ؛ وعندما لا يلتزمون ، كان ينظر إليهم على أنهم متهربون . عندما بدأنا فى مناقشة إمكانيات السيدات الأفريقيات الأصل ، وجدنا أن كثيرات منهن يعملن وكان رجالهن يتم زواجهم ومنحهم الحب لأنهم كانوا يعتنون بالأبناء ويقومون بالمهام المنزلية ، ويعيدون ترتيب وتنظيم المنزل ، ويلحقون بالمدارس الخاصة بهم . . . وهكذا . ولم يكن تجاوب الرجال ممثلاً فى مزيد من الانفتاح بل كان الاستحسان وإعادة التقدير .

أحد العوائق التى واجهتها الرعية من الأمريكيين ذوى الأصول الأفريقية هى حقيقة أن معظم الرجال فيها كانوا تحت إشراف دار العبادة حيث يخضعون لنظام المساندة لفترة التحول من الإدمان و / أو ما بعد السجن وإعادة التأهيل ، وكان يتم إلحاقهم ببرامج حكومية ، حيث توعد النساء بالحصول على مزيد من المال إذا لم يبق الأب فى المنزل ، وأن ما ستحصل عليه من مال سيكون أقل إذا كان الزوج متواجداً فى المنزل . لم تكن هناك برامج تشجع الرجال على رعاية أبنائهم فى المنزل أثناء خروج المرأة لكسب العيش . بعد عدة مناقشات ، أقر معظم أعضاء الرعية بأن هذا الاقتراح يمكن أن يفيد الكثير منهم .

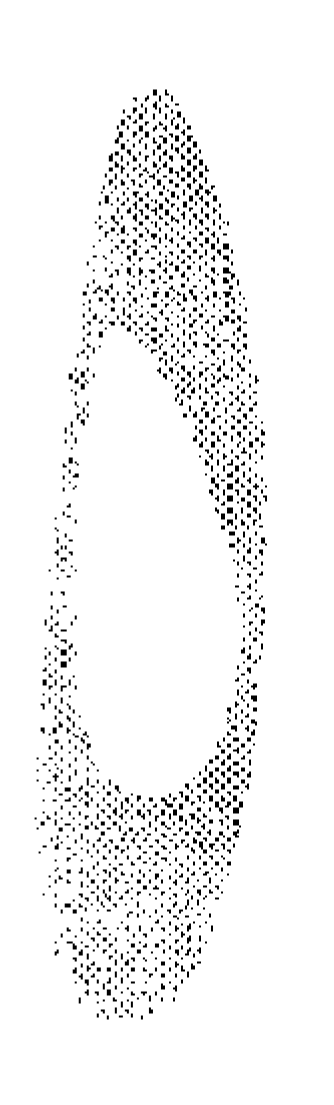
إذا ما كان لك أبناء ، فإن أقوى تأثير تستطيع أن تحدثه هو إتقان مهارات التواصل وبذلك سيمتلك أبناؤك نفس المهارة تلقائياً . وعندما تتغير كل الأمور

الأخرى ، فإن مهارات الاستماع والقدرة على التعامل مع النقد تكون هى دفة سفينتهم التى تحافظ على الاتجاه .

تستطيع المرأة أن تجعل زوجها يعبر عن أحاسيسه ، وذلك عندما توفر البيئة الآمنة لذلك . وإذا ظنت أن الرجال لا يستطيعون التأقلم مع ذلك ، فعليها أن تفكر مرة أخرى . إن الآباء المحبين الذين قام بعضهم بتدريس الأدب استطاعوا أن يتأقلموا خلال أسابيع على القتال على خط النار ، وشعروا برفقائهم يموتون بين أيديهم ، ثم بعد ذلك يعودون إلى أوطانهم وإلى أحضان وأيدى زوجاتهم وأبنائهم . إن السبب الذى يحول بين إدراكنا لتأقلم الرجال هو أنهم فعلوا ذلك بإتقان بحيث استطاعوا أن يغطوا على تأقلمهم ( مثلاً ، إخفاء خوفهم من الموت بتسميته " المجد " ) . عندما يعلم الرجال أنهم سيكونون موضع حب لكونهم بَشَراً ، سيصبحون بَشَراً بالفعل . فى الوقت الراهن ، لا شىء يمكن أن يحل محل تحمل الرجال للمسئولية : النساء لا يسمعن ما لا يقوله الرجال .

# الجزء II

# فى البيت



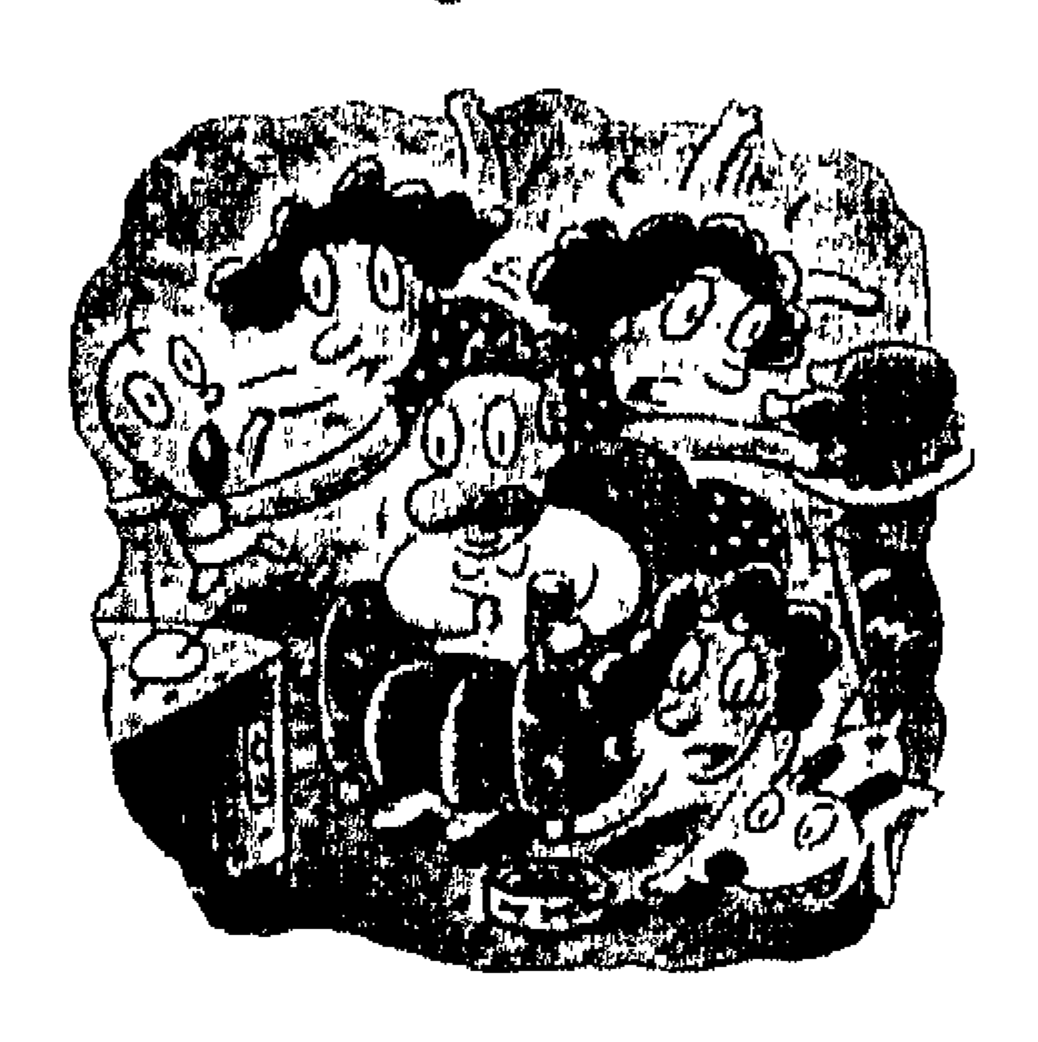
# ما الذى لا يقوله الرجل عندما يسمع : " إننى أعمل طوال النهار وأتولى رعاية الأطفال ، ولكنك لا تقوم حتى بتنظيف الأطباق " ؟

منذ السبعينات وحتى نهاية القرن الماضي ، ازداد عدد النساء اللائى يعملن خارج بيوتهن ، ولديهن استعداد للعبور إلى " الوردية الثانية " للعمل ، وليس فقط لرعاية الأطفال ، والقيام بالأعباء المنزلية ، وإعداد العشاء ، ولكن أيضاً لتحمل مسئولية توجيه الأبناء لعمل الواجبات المدرسية ومشاكل الأقران ، وأمراض الأطفال وتوصيلهم إلى النادى ، كل ذلك إلى جانب تلبية احتياجات الزوج ( نعم ، وأيضاً احتياجاتها الخاصة ! ) . ومع كل هذه الأعباء الملقاة على عاتقها طوال الوقت ، وزوجها القابع أمام شاشة التلفاز يشاهد المباريات الرياضية وهو يسألها عن ميعاد تجهيز العشاء ، عند ذلك تتساءل المرأة ما إذا كان لديها طفل آخر ( زوجها ) ، وتتساءل ما إذا كان يتم تقديرها أم لا .

إن العبارة المعتادة " الوردية الثانية " أصبحت جزءاً من وعينا العام خاصة مع إصدار كتاب " The Second Shift " عام ١٩٨٩ . والصور التي نشاهدها الآن مقتطفة من مجلة " تايم " وهي التي ساعدت على تأكيد فكرة ( لعب النساء بالكرات المتعددة في الهواء ) فهي تمسك بأشياء كثيرة في نفس الوقت ، من الطفل الرضيع ، إلى الديك الرومي المعد للعشاء ؛ بينما نفس اللعبة حين يمارسها الرجال ، تكون مختلفة بعض الشيء : يتناول نصيبه من الديك وهو مسترخٍ على مقعده ، يصب بعض العصير في كأسه ويتنقل بين محطات التلفاز المتعددة .

## أسطورة العمل المنزلي للرجل

المرأة منشغلة من مطلع الشمس إلى المغيب



أما عنوان مجلة " نيوزويك " فكان : " عمل المرأة لا ينجز أبداً " ، بينما أشارت مجلة " بيبول " إلى أن النساء وقعن في مصيدة المهمة المزدوجة : " بالنسبة للمرأة العاملة ، فإن الحصول على كل شيء يعني قيامها بكل الأعمال " . ولكن ماذا عن مساهمة الرجال ؟ عبرت مجلة " تايم " عن ذلك في العنوان التالي : " أسطورة العمل المنزلي للرجل " ، وفي نفس الوقت توحي للنساء بأن " المرأة منشغلة من مطلع الشمس إلى المغيب " بما في ذلك " الوردية الثانية " للمرأة في مقابل الرجل الذي يعمل في " وردية واحدة " .




إنهم يسمون الرجال

بحلول منتصف التسعينات ، ازداد الغضب من موقف الرجال حتى أن مجلات محترمة مثل " إيكونوميست " وصفت النساء ( مقارنة بالرجال ) بالآتى : " عمل المرأة لا ينتهى أبداً ؛ بينما الرجل لا يفعل أى شىء مفيد من طلوع الشمس إلى مغيبها . " وفى هذه الفترة كانت النساء يتبادلن الرسائل والبطاقات التى تعكس هذا الغضب .

## كيف تتكون الأسطورة ويتصاعد غضب النساء ؟

تكثف التوجه المضاد للرجال فى التسعينات عندما تداولت وسائل الإعلام إصداراً صغيراً - صادراً عن الأمم المتحدة ، لا أكثر - فى أحداث إعلامية رئيسية . كان ذلك هو " تقرير التنمية البشرية لعام ١٩٩٥ " . هل تتذكرون زيارة " هيلارى كلينتون " إلى الصين لحضور مؤتمر المرأة العالمى الذى رعته الأمم المتحدة ؟ كان هذا هو التقرير الذى أصدرته الأمم المتحدة قبل عقد المؤتمر

عندما يسمع : " إننى أعمل طوال النهار ... ولكنك لا تقوم حتى بتنظيف الأطباق " ؟

مباشرة للإعلام عنه . وقد أدى ذلك إلى ظهور العناوين الرئيسية فى الصحف فى كل دول العالم والتى تقول إن المرأة الأمريكية ليست الوحيدة المحملة بأعباء العمل ولا هى الوحيدة التى يكون زوجها كسولاً ولا يقدر مجهوداتها ، بل إن النساء فى كل مكان يعانين من المعايير المزدوجة . وها هى بعض نماذج هذه العناوين الرئيسية .

**عمل النساء لا ينتهى أبداً**

**السكان المحليون يتأهبون لمناهضة مؤتمر " بكين "**

بقلم " نورا بوستانى "
الكاتبة بصحيفة واشنطن بوست

**نيويورك تايمز**

**اعتراف الأمم المتحدة بالظلم الواقع على المرأة مع اقتراب موعد المؤتمر الدولى**

بقلم " باربرا كروسيت "
يونايتد باشيز ٨/١٧

**الأمر الآن رسمى : النساء يؤدين العمل الأصعب**

**بتأكيد من دراسة صادرة عن الأمم المتحدة والتى تعلن أن نصيبهن غير منصف**

بقلم " دوج ميلجرن "
أسوشياتد بريس

كانت هناك مشكلة مع هذه العناوين . مشكلة كبيرة فى الواقع . إن الحكاية التى أود مشاركتكم فيها بالنسبة للأمم المتحدة مثل التحقيق الأولى فى قضية " مونيكا لوينسكى " و " بيل كلينتون " : كلما أمعنت النظر ، كشفت المزيد من الأسرار .

بدأت النظرة الفاحصة ببدء تعامل الأمم المتحدة مع الصحافة ـ أى إصدارها لموضوعات صحفية خاصة بها . كانت هذه النظرة هى البيان الصحفى الذى تضمن تلميحات عن النساء اللاتى يعملن أكثر من الرجال فى جميع أنحاء العالم ، واشتمل على رسم بيانى بعنوان " النساء يعملن عدد ساعات أكثر من الرجال ( مدفوعة الأجر أو بدون مقابل ) . **غير أن نشرة وبيان الأمم المتحدة استبعدا الإشارة إلى أية دولة يعمل فيها الرجال أكثر من النساء ، وذلك طبقاً للدراسة التى أجرتها الأمم المتحدة** . اعترفت الأمم المتحدة بأنه تم إرسال الدراسة ذات المائتين وثلاثين صفحة إلى عدد قليل من وسائل الإعلام الرئيسية ، التى تجاهلت بدورها التناقضات بين النشرة الصحفية التى قدمتها الأمم المتحدة ونتائج الدراسة التى أجرتها .

سوف أعتبر أن الرسم البيانى خادع ـ ولكن غير كاذب ـ لو أنه حدد الدول التى تعمل فيها النساء ساعات عمل أكثر من الرجال ، ولكن الأمر لم يكن كذلك ، وكان العنوان شاملاً لكل دول العالم : " النساء يعملن عدد ساعات أكثر من الرجال " وكأن النساء فى كل دول العالم يتقاضين أجراً أقل من الرجال الذين يحصلون على أكثر مما يستحقون ؛ وأنهن لا يحصلن على التقدير الكافى ، بينما الرجال فى العالم يحصلون على تقدير مبالغ فيه .

كان هذا المدخل التنافسى هو أخطر طريقة لتناول مشاكل النساء خلال السنوات الثلاثين الماضية . لم يكن من المناسب أن يُطلب تقدير إسهامات النساء ؛ فقد جاءت مشكلات النساء مع لوم الرجال بأنهم من تسببوا فيها ؛ وتم توجيه اللوم إلى الرجال لوضعيتهم الأفضل ، وانصب الغضب على الرجال لعدم حلهم للمشكلات . وتبدل الحل الذى يرضى جميع الأطراف إلى تنافس ليفوز جنس ويخسر جنس آخر ولم تعد حركة تمكين المرأة تشتمل على مساندة الضحايا من الجنس المضطهد ( النساء ) فقط ، بل أصبحت حركة تنافسية بين الجنسين . فضلاً عن كل ذلك كان هناك خطأ فادح فى البيانات .

كانت الإشارة إلى أن النساء يعملن عدد ساعات أكثر من الرجال كاذبة . لقد واجهت مسئولى الأمم المتحدة بذلك التعارض بين نشرتهم الصحفية والدراسة الصادرة عنهم . وكانت المفاجأة أنهم اعترفوا بصحة ذلك الادعاء . وسألتهم عن ما إذا كانوا مدركين لما فعلوه . وكانت الإجابة ؟ " نعم " . وسألت بدهشة عن السبب فى ذلك فقالوا إنهم شعروا بالحاجة إلى تصحيح اعتقاد الناس بأن الرجل يعمل أكثر .

تصور هذا ؟! كان لدينا اعتقاد عام ١٩٩٥ بأن المرأة تعمل فى فترتى عمل ، وكأنها " المرأة الخارقة " ، ولذلك كانت تقع تحت ضغط غير عادى . وكانت الأمم المتحدة تشعر بالحاجة إلى تدعيم فكرة المرأة الضحية وهذا يبرر تزييف البيانات لإثبات ذلك .

وقد كانت البيانات التى اعترفت الأمم المتحدة بتحريفها بمثابة البداية .

أصبحت متشككا فى تقرير التنمية الإنسانية ـ دعنا نطلق عليه التقرير ـ عندما رأيت أنه أدرج الولايات المتحدة كإحدى الدول التى تعمل فيها النساء أكثر من الرجال . أعرف على وجه اليقين ومن مصادر موثوقة أن العكس هو الصحيح . أردت أن أطلع على الدراسة التى استخدموها . ولكن التقرير لم يحدد أصحاب الدراسات الفردية الخاصة بكل دولة . كان المصدر الوحيد المشار إليه هو " جولد شميدت ـ كليرمونت " الذى يزعم أنه جمع الدراسات ، وكان هذا المصدر متاحاً فقط لدى الأمم المتحدة . على أية حال ، كان الحصول على البحث من الأمم المتحدة مثل إقرار " كلينتون " بأن لديه المزيد من المعلومات عن " مونيكا " ، وتزايدت شكوكى . وعندما تسلمت الأوراق ، وجدت أننى يجب أن أواصل البحث أكثر . وهذا ما قادنى إلى المزيد من المفاتيح مع سلسلة " K " .

تضمنت سلسلة الإصدارات " K " ، وهى من مصادر الأمم المتحدة الخاصة ، اعترافاً بأن النساء فى الولايات المتحدة يعملن عدد ساعات أقل من الرجال ، " حوالى ثلاث ساعات أقل فى الأسبوع " ( هذا التأكيد من جهتى أنا ) . هل يمكن لتقرير الأمم المتحدة أن يكذب بشأن دراسة أمريكية ، كما تم فى النشرة الصحفية التى ادعت كذباً كسل الرجال فى العالم كله ؟ وهل هناك أى توضيح لذلك ؟

عليك أن تحكم بنفسك . إن الأمم المتحدة لم تورد نتائج الدراسات لأية دولة كما حددها القائمون بهذه الدراسات . بدلاً من ذلك **طلبت الأمم المتحدة من كل مؤلف تعديل دراسته لتشمل تقدير الأعمال التطوعية غير مدفوعة الأجر لخدمة المجتمع مثل صناعة السلال والخياطة والتطريز .. إلخ حتى المخصصة للاستهلاك الشخصى** . وتمت الإشارة إلى مصادر الدراسة على أنها " معلومات سرية " دون ذِكر اسم الشخص الذى أجرى الاتصال أو المكتب الذى حصل منه على البيان . ومثال ذلك ، أن الدراسة الأمريكية أشارت إلى اسم الجامعة ولكن لم تذكر اسم صاحب الدراسة .

فيما يلى المشكلات التى ترتبت على التعديلات التى طلبتها الأمم المتحـدة . أولاً ، لم تخطر الصحافة بأنه حدثت تعديلات علـى كـل الدراسـات . ثانيـاً ، التعديلات شملت إضافة العمل الذى تقوم به النساء فقط وليس الرجال . وسوف أذكر فيما بعـد قائمـة بخمسـين مسـاهمة فـى أعمـال المنـزل يقـوم بهـا الرجـال العاديون أكثر من النساء ، ولم يتم ذِكر أى من هذه المساهمات وهذا يمثل تحيزاً عاماً ضد الرجال فى كل الدراسات التى تتناول الأعمال المنزلية .

ثالثاً ، طالبت الأمم المتحدة بإدراج العمل الذى قد ينظر إليه قانوناً على أنـه وظيفة فى دول العالم الثالث ، بينما يمثل عملاً تطوعياً غـير مـدفوع الأجـر فـى الولايات المتحدة والدول الصناعية الأخرى ، مثل أعمال التطريز فهو عمـل غـير إلزامى ؛ للاستهلاك الشخصـى ولـيس لإعالـة الأسـرة . فـوق كـل ذلـك ، فـإن الوقت المخصص لهذا العمل يعتبر نوعاً من الرفاهية ، وليس دليلاً علـى الفقـر . بعض هذا العمل يمثل بالنسبة للنساء الأمريكيات نوعاً من الاسـترخاء أكثـر ممـا هو نوع من العمل . هذا النوع يمثل مؤشراً للرخاء مثل البر والإحسـان مـن ذوات الثراء .

ولكن كل هذا لا يشير إلى الجانب الأسوأ بعد .

إن المحاولة التى قامت بها الأمـم المتحـدة بطلـب التعـديلات لم تـنجح فـى توسيع نطاق مساهمات المرأة بالقدر الكافى ، لإثبات أنها تقوم بالعمل أكثـر مـن الرجل ، لذلك اعتمدت على تجاهل مساهمات الرجال فى نفس المجال .

تم ذلك فى شكل محايد وشائع للإطار المتعارف عليه ، بمـا سمـح بحسـاب عدد السـاعات لنـوعين فقـط مـن الأعمـال التقليديـة التـى يقـوم بهـا الرجـال : الإصلاحات المنزلية ـ العنايـة بفنـاء المنـزل ، فـى حـين أضـافت عشـرة أعمـال تقليدية للنساء : رعاية الأطفال ، الطهو ، تنظيف المنزل ، الغسيل ، التسوق ، العنايـة بالحديقـة ، بيـع المنتجـات ، عمـل بعـض الإصـلاحات ، الحياكـة . استبعد من " التكوين الشائع " ٩٦ ٪ من الأعمال التـى يقـوم بهـا الرجـال فـى منازلهم مثل " إزالة الثلوج ، أعمال الديكور ، تعليم الأبنـاء ، أعمـال الطـلاء ، تجميع الألعاب " . وبذلك تجاهلـت دراسـة الأمـم المتحـدة كـل الأعمـال ماعـدا الإصلاحات فى المنزل والعناية بفناء المنزل .

ما هى النتيجة ؟ نستنتج نحن القراء أن المرأة ضحية .

خلال كل ذلك ، كانت لدىَّ مشكلة فـى التشـكيك فـى الأمـم المتحـدة نظـراً لصورتها لدىَّ باعتبارها إحدى المنظمات التـى تعمـل علـى إقـرار الأمـن وسـيادة

الحب ، وليس استثارة الغضب والكراهية . تحطم لدىّ هذا الافتراض ، للمفارقة ، عندما كنت أتوجه بخطابى إلى ما يقرب من ٢٠٠٠ امرأة عام ١٩٧٥ فى المؤتمر العام الدولى للمرأة الذى عقد فى " مكسيكو سيتى " . ورغم الاستجابة الإيجابية لشخصى ، سجلت شهادتى بأن كل مشكلات العالم ، ألقى اللوم على الرجال بشأنها ، من النظام الاجتماعى الذى يتيح للرجال امتلاك القوة والنفوذ دون النساء ، إلى الرأسمالية الاستعمارية للرجل الأبيض .

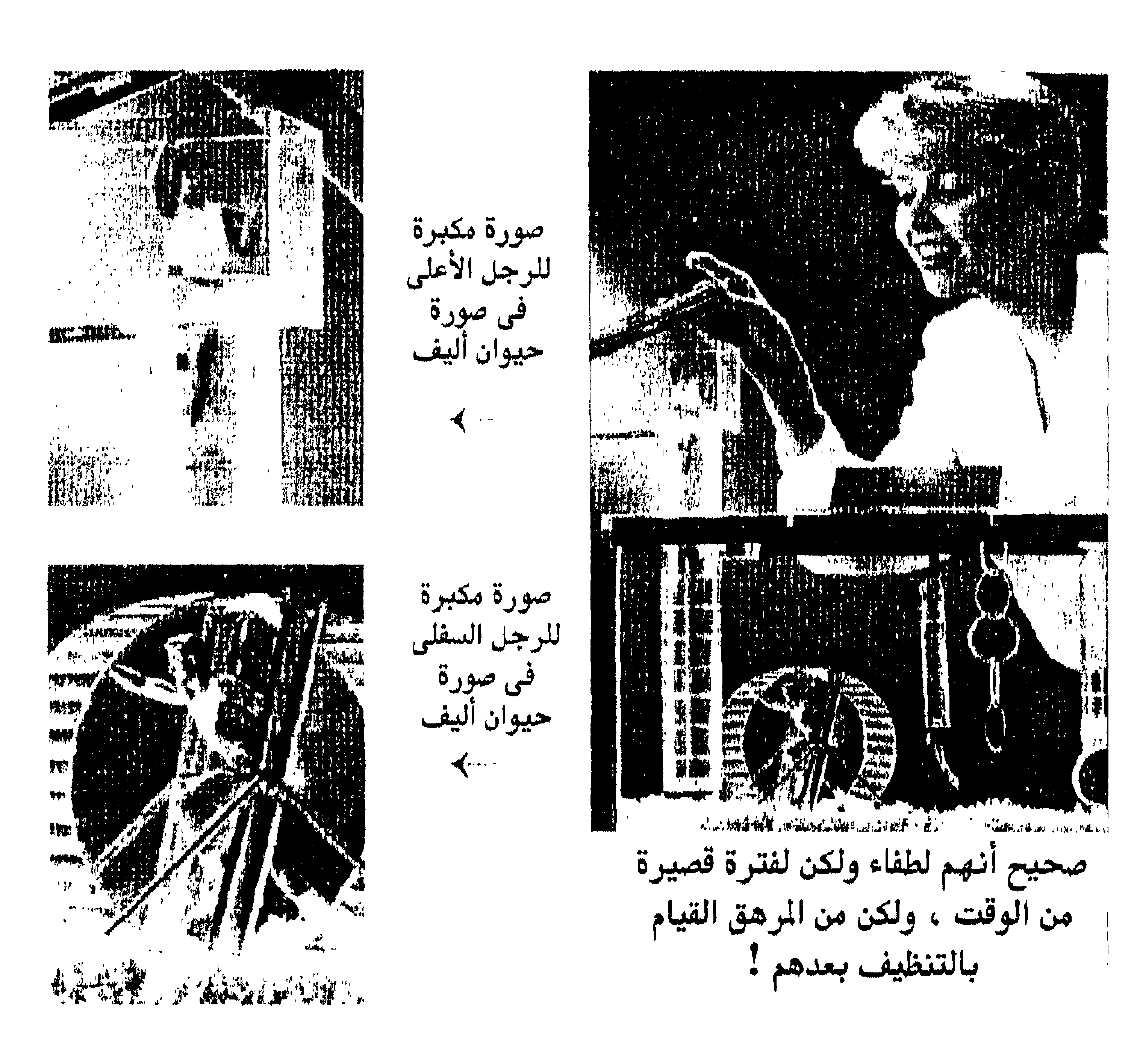
رأيت أنه حتى فى عام ١٩٧٥ ، كيف أن حركة تحرير المرأة سادت كل سياسات النوع الاجتماعى للأمم المتحدة ، وبشكل خاص الحركة الماركسية لتحرير المرأة . عندما كان يبدى شخص أو شخصان اختلافاً فى الرأى تتصدى لهما مباشرة إحدى الناشطات وتدخل معهما فى مجادلات تحت دعوى " التنوير " . وبينما كنت أراجع تقرير ١٩٩٥ أدركت المدى الذى يمكن استغلاله فى هذا الجو . وبدون أى اعتراض لإحداث التغيير . وأن الحركة النسائية تسود اليوم أفكارها حول العالم ـ حققت ذلك فى الدول التى يحقق فيها الرجال قدراً من الثراء يكفى لتحرير المرأة من كثير من الأدوار ـ حتى ولو كان الرجال يُنتقدون لنجاحهم فى تحقيق الثروات .

ما هو التأثير الذى تخلفه رابطة " النساء هن الضحايا " العالمية على أبنائنا ؟ لاشك أن عناوين الصحف تسهم فى إحداث حالة من الغضب لدى ملايين من النساء وهن يغسلن الأطباق ، بما يضيف إلى الرصيد السيئ للرجال ، وإلى مزيد من النزاعات الزوجية ، وإلى توسيع نطاق هذه النزاعات بحيث تصل إلى الطلاق ، وهذا يقود إلى نشأة الأبناء بدون آباء .

بعد الطلاق ، تتغير العبارات التى ترددها المرأة مثل " أنا امرأة ، أنا قوية " تتحول إلى عبارة " أنا امرأة ، أنا ضحية " ، وهو ما يزيد الأمر صعوبة على المرأة للدخول فى علاقة أخرى دائمة ، ويظل الأبناء بدون فرصة أخرى لوجود نموذج الذكر فى حياتهم . إذا وجدت المرأة أبا بديلاً للأبناء فإن حالة الغضب ستمثل شوكة فى العلاقات الهشة الجديدة المتمثلة فى العائلة المختلطة ، وغالباً ما يؤدى ذلك إلى طلاق ثان وتزداد حالة الأطفال سوءًا ويهتز الاستقرار ، وتنتابهم حالة نفسية بعدم الثقّة وعدم الالتزام .

يلاحظ الرجل مثل هذه الإشارات بانعدام الثقة فى المرأة من بعض الأمور الصغيرة التى تسجل فيٍ عقله الباطن مثل رؤية إحدى بطاقات التهنئة التى تتلقاها أو ترسلها . مثلا ، إذا كنتِ امرأة ، فاسألى نفسك إذا ما كنتِ تشعرين

بفقدان الثقة فى رجل يرسل بطاقات للمعايدة إلى رجال آخرين مرسوماً عليها صورة امرأة فى حجم الفأر الجبلى فى قفص ومكتوباً عليها : " صحيح أنهن لطيفات ولكن لفترة قصيرة من الوقت ، ولكن من المتعب أن تستمر فى إنفاق الأموال عليهن ! " .




صحيح أنهم لطفاء ولكن لفترة قصيرة من الوقت ، ولكن من المرهق القيام بالتنظيف بعدهم !

بنيت دراسة الأمم المتحدة على أساس مصداقية غير مستحقة لفكرة " الوردية الثانية لعمل المرأة " وهى الفكرة التى استقرت فى أذهان الرأى العام بعد نشر كتاب " The Second Shift " ، وما تولد عن ذلك من غضب . كان النشر الواسع لهذه الفكرة قد دعم من الفهم العام لسطوة الزوج بحيث دفع ذلك وسائل الإعلام لانتهاز الفرصة وبدء موضة جديدة من المواد الإعلامية مثلما حدث فى قصص النساء الناجحات مثل " جين بولى " وقسوتهن على أزواجهن ( وفى حالتها كان الزوج الشهير " جارى ترودو " من دو نسبرى ) واتهامهم بأنهم ليسوا شركاء متساوين فى الأعمال المنزلية . تعمدت القصص تجاهل الدور

عندما يسمع : " إننى أعمل طوال النهار ... ولكنك لا تقوم حتى بتنظيف الأطباق " ؟

الحقيقى للرجال ، ليس ذلك فقط ، بل تجاهُل الحقيقة ذاتها . مثال ، إليك ما قالته السيناتور " دايان فينشتين " نائبة الكونجرس عن ولاية كاليفورنيا ، حيث تم تصويرها فى " نيويورك تايمز " فى صورة المرأة الخارقة ومعها زوجها الكسول .

عندما سُئلت عما إذا كانت تقوم بالأعمال المنزلية قالت : " لاشك ، فأنا أعتقد أن على المرأة دائماً أن تقوم بذلك . إن هذا جزء من تركيبة المرأة . كل امرأة عاملة ولديها أسرة تقوم بالغسيل ، والتجفيف وكى الملابس ، وتنظيف الأرضيات والحمامات ، وتغيير فرش الأسرة . والرجل عادة ما لا يقوم بذلك " . وللتأكيد على ذلك أشارت السيناتور إلى زوجها الثالث " ريتشارد بلوم " واشتكت قائلة : " لم أُعَوده على وضع منشفته فى مكانها بعد ، ولكن بدلاً من الشجار ، سوف أتغاضى عن ذلك " .

ما هى الحقيقة إذن ؟ بداية ، لدى هذه السيدة مديرة للمنزل تعمل طول اليوم وذلك منذ زواجها الثانى . ثانياً ، هى تقيم فى واشنطن بينما زوجها الذى تدعى إهماله يعيش في سان فرانسيسكو ( ربما يكون هناك اتفاق بينهما على أن تحادثه كل ليلة هاتفياً لتسأله إذا ما كان قد وضع منشفته فى مكانها بعد الحمام أم لا . إذا كانت إجابته بالنفى ، يكون زواجهما مازال قائماً ) .

ثالثاً ، أسقطت الـ " نيويورك تايمز " من حساباتها حقيقة أن الزوج وضع فى حساب زوجته الجديدة خلال حملتها الانتخابية عام ١٩٩٠ نحو ٣ ملايين دولار من ماله الخاص ، بالإضافة إلى مئات الآلاف من شبكة أعماله الواسعة .

رابعاً ، لم تخبرنا المجلة أنه نتيجة لهذه المساندة المالية الضخمة ، وضعت حسابات الزوج تحت الرقابة والتفتيش ، وهو ما حدث أيضاً مع زوج " جيرالدين فيرارو " . ربما كانت السيناتور " دايان " تفضل أن يرتب زوجها ملابسه ولا تحصل على ٣ ملايين دولار وتوفرها هى من حسابها الخاص .

طبقاً للمعلومات الشخصية عن السيناتور " دايان " ، والتى توافرت لى من طاقم السكرتارية الخاص بها ، فإنها ليس لها أى اهتمام بالأعمال المنزلية على الإطلاق ، ولا تعرف الطهو ، ولم يكن لديها أى نوع من الأعمال تقوم بإدارته ، ولم تتول وظيفة . كانت على الدوام تعتمد على الرجال ، بل وكما تقول ابنتها : " كانت تعتمد فى تربية أبنائها على نساء أخريات " . وتتذكر ابنتها

" كاتى " أنها لا تذكر أن أمها شاركت فى لقاءات الأهل عندما كانت فى دار الحضانة .

إن القضية بالطبع ليست هى " دايان فينشتين " ، ولكنه الغضب الذى تفشى فى أوساط النساء عندما اعتقدن أنه حتى النساء الناجحات كان عليهن أن يقمن بكل الأعباء . فى الحقيقة ، قامت مجموعة نسائية تسمى " كاتاليست " بإجراء بحث عن ذلك ، وأوضحت النتائج أن ٨٥ ٪ من المديرات ، وثلثهن بدون أبناء ، كن يعتمدن على الآخرين فى إدارة منازلهن . وأن أكثر من نصفهن كان يتوافر لهن الوقت لممارسة الهوايات مثل لعب الجولف . مثل هذا النوع من المعلومات قليلاً ما يتم الإعلان عنه ، ولكنه سيكون له تأثير إيجابى فعال فى إشعار النساء الأخريات بأن الاستعانة بمن يساعدهن ليس خطيئة ، بحيث يتاح لهن وقت للراحة . ولاشك أنه من الأفضل بقاء الزوجة الناجحة فى إطار علاقة زوجية هادئة بدلاً من قيام مجلة مثل " نيويورك تايمز " بتعكير صفو الحياة الزوجية لأن الزوج لم يرتب ملابسه بالشكل المناسب بعد الحمام .

الواقع أن النساء البارزات لا يقمن بكل الأعمال ـ مثلهن فى ذلك مثل الرجال البارزين . رغم ذلك ، فإن المناخ السائد عن الكراهية ضد الذكورة قاد حتى وسائل الإعلام المحترمة لتشجيع الصراع ما بين الزوج والزوجة تحت مسمى " تقدم المرأة " ، حتى بدون سؤال الرجال : " ما هى مساهماتك التى تقوم بها ؟ " . هذا المناخ العام السائد " المرأة جيدة / الرجل سيئ ـ وهى الدعوة للتنافسية ـ وضحت بشكل كبير فى الكتاب الشهير " لآرلى هوشيلد " " The Second Shift " .

## أسطورة العمل المنزلى كما بناها " هوشيلد "

ها هى النتائج المحورية التى توصل إليها كتاب " The Second Shift " ، والتى كانت مؤثرة إلى درجة عالية بحيث أصبحت عبارة " الوردية الثانية " تثير فوراً فى الأذهان فكرة تحمل المرأة لأعباء عمل أكثر من الرجل الذى تتقلص أعباؤه الآن . سنلقى نظرة على الأسطورة ـ أو مصدر الفوضى الذى خلفها ذلك ـ ثم سأعمل على تنظيف ما تركته من غبار .

**أسطورة :** تعمل المرأة شهراً إضافياً من الأيام الكاملة ـ ٢٤ ساعة ـ سنوياً بالمقارنة بالرجل . بصورة عامة تعمل المرأة فترتي عمل ، بينما يعمل الرجال وردية عمل واحدة في اليوم .

سوف نناقش هذه الفكرة بالتفصيل طوال هذا الفصل ، ولكن كبداية ...

**حقيقة :** أكدت مجلة الأدب الاقتصادى " ايكونوميك ليتيريشار " أن المرأة تعمل في المتوسط ١٧ ساعة زيادة في المنزل أسبوعياً ، ولكنها أشارت أيضاً إلى أن الرجل يعمل خارج المنزل لفترة أكثر من ٢٠ ساعة . بالإضافة لذلك ، يقضى الرجل في المتوسط ساعتين في الأسبوع في التنقلات أكثر من متوسط المرأة . النتيجة العملية هي أن **المعدل المتوسط لعمل الرجل يزيد خمس ساعات في الأسبوع على المعدل المتوسط لعمل المرأة** . هذا رغم وجود حقيقة أن مساهمات الرجل في العمل المنزلى لم يتم قياسها بشكل ملائم ( انظر قائمة الأعمال المنزلية التي يقوم بها الرجل في الصفحات التالية ) .

بالمثل ، في البحث الذى أجراه مركز بحوث الاستقصاءات في جامعة " ميتشيجان " ، وجد أن إجمالى عمل الرجال تجاوز في المتوسط ثلاث ساعات ونصف ساعة في الأسبوع ( ٥٧,٨ مقابل ٥٤,٤ ) .

عندما تحصل المرأة على دخل أكبر من زوجها ، يقوم الأزواج بمزيد من العمل المنزلى مقارنة بالزوجات . ( للمفارقة ، هذا مذكور في كتاب " The Second Shift " ولكن لم ينعكس ذلك على العناوين الرئيسية فيما نشر عن الكتاب ) .

حتى ولو عملت الزوجة بدوام كامل لمدة عام ، يقدم الزوج ٦٥ ٪ من دخل الأسرة . ( لأسباب بدأت في توضيحها في كتابى " The Myth Of Male Power " ، حيث إن الرجال يحصلون على دخل أكبر ليس في مقابل أداء نفس العمل ، ولكن لعمل آخر مختلف ، وهو العمل لفترات أطول ، .... ) .



عندما نفكر فى " وردية العمل الثانية " يخطر على ذهننا فوراً كمية الأعمال المنزلية الهائلة التى تقوم بها الأم العاملة ، وهذه حقيقة . وهذه الفكرة تستخدم أساساً للتأكيد على عدم العدالة من جانب الرجل العامل ، وهذا هو الفرق ما بين الأسطورة والحقيقة .

**أسطورة :** تعمل المرأة "ورديتى عمل " ، ولكن زوجها يعمل " وردية واحدة " .

**حقيقة :** أزواج النساء العاملات هم آباء عاملون . يتعدى إجمالى عدد ساعات عمل الآباء عدد ساعات عمل الأمهات بأربع ساعات ونصف فى الأسبوع ( ٦١,٤ مقابل ٥٦,٩ ) . وتزيد ساعات عمل الأم فى " وردية العمل " الثانية ، ولكن ساعات عمل الآباء فى " الوردية الأولى " أكثر . وبالتحديد ، **يعمل الآباء ١١ ساعة أكثر من الأمهات فى العمل خارج المنزل** ، بالإضافة إلى ساعتين إضافيتين على الأقل فى التنقلات .

**أسطورة :** عندما يتعلق الأمر بأوقات الفراغ ، تحصل المرأة المتزوجة على وقت أقل مما يحصل عليه الرجل المتزوج ؛ وحينما تكون أمًّا يتناقص هذا الوقت أكثر من الآباء ؛ بل وأكثر من ذلك ، المرأة التى لديها أبناء فى مرحلة ما قبل المدرسة ...... كان الله فى عونها !

**حقيقة :** المرأة المتزوجة غالباً ما يكون لديها ساعتان من الفراغ أسبوعياً أكثر من زوجها . والمرأة المتزوجة ولها أطفال تزيد سنهم على خمس سنوات يزيد عدد ساعات فراغها فى الأسبوع على الرجل بما يساوى ساعة على الأقل . والمفاجأة ، **أن الأمهات اللاتى يكون لديهن أطفال ما قبل سن المدرسة ، يزيد عدد ساعات فراغهن فى الأسبوع ثلاث ساعات على الأزواج من نفس الفئة .**

لقد فوجئت بهذه الحقيقة عندما أدركت أن ثلث هؤلاء النساء يعملن بدوام كامل . وعندما تأملت الموقف بعمق ، توصلت إلى أن : **الوقت الحر المتاح للآباء تناقص عما كان سابقاً بعدد عشر ساعات فى الأسبوع ؛ فى حين نقص للأمهات بمعدل أربع ساعات فقط .**

إن طبيعة عمل الأب خارج المنـزل لا تتـيح لـه أى نـوع مـن الحريـة خـلال عمله . فمن الصعب على الرجل الذى يعمـل فـى موقـع تشـييد أن يتوقـف فـى اللحظة التى يريد فيها استقبال مكالمة هاتفية اجتماعية كما هو الحال مع معظم النساء اللاتى يمارسن الأعمال المنزلية . كما أن الرجل الذى يعمل خـارج المنـزل قد يكون له مشرف يتقاضى راتباً علـى انتقـاده إذا لم يـؤد ١٠٠ ٪ مـن عملـه ؛ ولكــن لــيس هنــاك مــن يتقاضــى راتبــه لكــى ينتقــد امــرأة إذا لم تنــتج ١٠٠ ٪ ، كما أن زوجها سيدرك سريعاً أنه لا يتقاضـى أجـراً نظـير انتقادهـا ! والخلاصة أن العمل خارج المنزل يخضع لاعتبـارات الدقـة والإنتاجيـة ويتطلـب الالتزام ؛ بينما العمل داخل المنزل يتطلب درجة أقل من الدقة ويتـيح الاختيـار الحر لمزيد من الإنتاجية . لاشك أن عمل الأم داخل المنزل لـه مشـاكل مـن نـوع خاص ، من تغيير " حفاضات المولود " ، إلى الإضطرار إلى تحمل الرد الوقح من الأطفال ، إلى جانب عدم تمكنهـا مـن الحصـول علـى الراحـة النفسـية . ولكـن عندما ركزت " هوشيلد " على كشف هذه الجوانـب فإنهـا نسـيت أن تشـير إلى الجوانب الخاصة بالآباء . وهذه هى القضية .

حينما تنسى " هوشيلد " والآخرون ذلك ، فإنها تعد المسرح للنسـاء ليـتهمن الرجال ، وللرجال بأن يلوموا أنفسهم هم والرجال الآخرين . مثلاً ، هـل تـذكر ما سبق أن عرضته عن " جين بـولى " وهـى تلـوم زوجهـا " جـارى تـرودو " ؟ حسناً ، وجه " ترودو " اللوم إلى رجال آخـرين بعمـل رسـوم كاريكاتوريـة مثـل هذه :









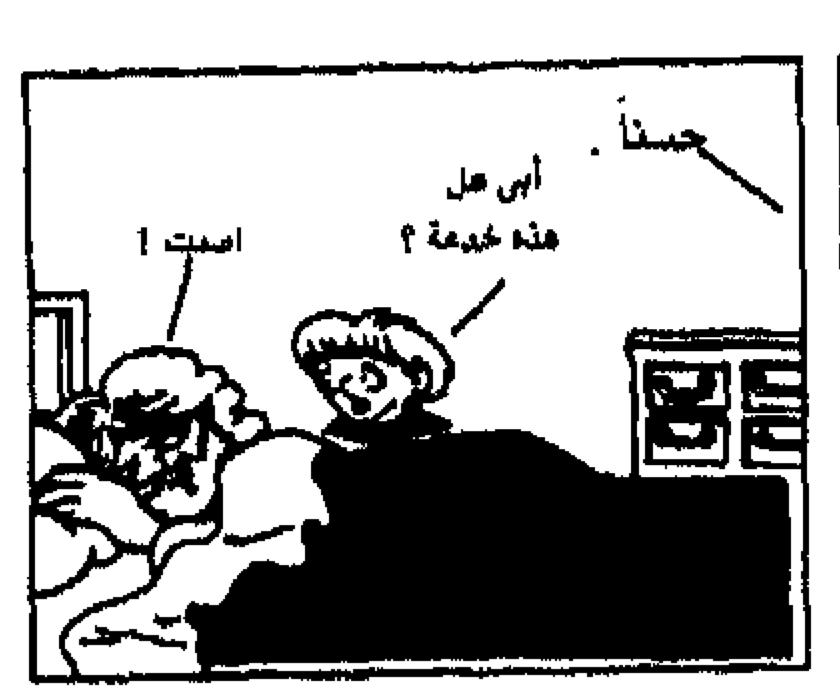




على كل حال ، مادمنا مهتمين بمساهمات الرجـال ، فـإننى سأضـيف هـذه المحاكـاة السـاخرة ـ وهـى ليسـت خاصـة بـــ " تـرودو " ـــ للرسـم الـذى رسمه " دونسبرى " بحيث يبدو الأمر أكثر منطقية .






لاشك أننا حين نقر بمساهمات الجنسين ، فإن الاقتصار فقط على رسم واحد لن يكون ذا مغزى .

## كيف توصلت " هوشيلد " إلى استنتاجاتها بأن " النساء يعملن شهراً إضافياً كامل الأيام كل عام " ؟

اعتمدت " هوشيلد " على معلومات ترجع إلى عام ١٩٦٠ فى كتابها الصادر عام ١٩٨٩ لكى تثبت أن عمل الرجال داخل المنزل لم يزد على نفس المعدل الذى كانوا يقدمونه فى الستينات ! على ذلك **كانت العناوين الرئيسية تخبر كل العالم بأن الرجال لم يتغيروا ، وذلك بإصدار كتاب يتضمن بيانات لم تتغير !** ـ بيانات عمرها ربع قرن . وقد ولّد هذا الكتاب حالة من الغضب الشديد لاعتقاد الجميع عام ١٩٩٠ بأن المرأة تعمل أكثر من الرجل خارج المنزل ؛ وحيث إن الرجال يعملون أقل داخل المنزل ، فقد كان ذلك كفيلا بإشعال ثورة المشاعر النسائية .

ولكن فكر قليلاً فى هذه المسألة : إذا ادّعى رجل أن النساء لم يتغيرن منذ الستينات ، وقام ببناء ادعائه على بيانات من الستينات ، هل كانت الصحافة ستعيره أى اهتمام وتضع ذلك فى عناوينها أم أنها كانت ستهمله تماماً ؟ بدلاً من ذلك ، قدمت الصحافة تقرير الأمم المتحدة على أنه دراسة حديثة عن ميل الرجال إلى الكسل وظلم النساء . وصفت مجلة " تايم " هذه الدراسة بأنها " حديثة " ، ووصفتها جريدة " نيويورك تايمز " فى القسم الخاص بالكتب بأنها " عصرية " .

فى رأيى أنه يمكن إطلاق هذه الصفات على كتاب " الوردية الثانية " فقط لاشتماله على جانب بسيط حديث ، وهو الدراسة التى قامت بها المؤلفة على

**عندما يسمع : " إننى أعمل طوال النهار ... ولكنك لا تقوم حتى بتنظيف الأطباق " ؟**

٢٥ زوجاً وزوجة ـ والتى قامت " هوشيلد " بإجرائها بنفسها ـ وقد جاءت الأمثلة كلها من اثنتى عشرة زوجة فقط .

هذه الإضافة الصغيرة هى التى جعلت الكل يقول إنها لم تكن حديثة فقط ، بل يتم وصفها بأنها تقارن ما بين النساء والرجال الذين يعملون بدوام كامل . وفى الحقيقة ، فإن من قامت " هوشيلد " **بدراستهم هم غالباً نساء يعملن لنصف الوقت** ، والباقيات إما يتنقلن من طبيعة عمل إلى طبيعة عمل أخرى أو لا يعملن على الإطلاق .

ما هى أهمية ذلك إذن ؟ إن عبارة " وردية عمل أخرى " تتضمن القول بأن المرأة التى تعمل بدوام كامل لا تتوقع أن يشاركها الزوج فى أعمالها المنزلية بعد ذلك ، رغم أنهما يتساويان فيما يساهمان به من مصروفات . فى الحياة الواقعية ، بعض أزواج النسوة اللائى يعملن نصف الوقت ( ويعملون ٦٠ ساعة فى الأسبوع ) ، قامت الدراسة بتصويرهم على أنهم ليس لديهم أى إحساس ولا يشاركون فى عمل المنزل مع المرأة التى تعمل عشرين ساعة أسبوعياً .

لإضافة الإهانة إلى الجرح ، بدلاً من إرجاع الفضل إلى الرجل عن الأربعين ساعة عمل التى يقضيها فى " وردية العمل الأولى " ، يوجه له اللوم لتعطيلها عن مستقبلها المهنى . إنه منطق " لا يرحم ولا يترك رحمة الله تسود " ، وهو ما يشعر الرجال بأنهم ملامون إن فعلوا وملامون إن لم يفعلوا .

الخطأ الأكبر الذى ارتكبته " هوشيلد " يكاد يكون هو ما يرتكبه كل من يتناولون قضية الأعباء المنزلية : إنهم لا يقيسون ولا يراعون إسهامات الرجل داخل المنزل ، مثلاً ، إذا قامت الأم بالقيادة لتوصيل الأبناء إلى الحضانة ، فإن هذا العمل يطلقون عليه عملاً منزلياً ؛ ولكن إذا أوصل الأب كل الأسرة إلى الجدة فلا يؤخذ هذا العمل فى الحسبان .

لننظر أولاً فى قائمة " هوشيلد " لعمل النساء مقارناً بعمل الرجال ، ثم إلى القائمة التى أعددتها بعنوان " قائمة أعمال المنزل الخاصة بالرجال " .

المهام الروتينية التقليدية التى تقوم بها النساء ( طبقاً لتصنيف هوشيلد ) :

أعمال منزلية

- ترتيب الحجرات .
- التنظيف بالمكنسة الكهربائية .
- تسوية الفراش .
- تنظيف الحمامات .
- الغسيل والتجفيف .
- إعداد الطعام .
- التنظيف .
- شراء مستلزمات البقالة .
- الحياكة .
- العناية بالنباتات المنزلية .
- رعاية الحيونات الأليفة .
- التعامل مع البنك .

تربية / رعاية الأطفال

- العناية بالطفل خلال مرضه .
- إطعام الطفل .
- إعطاء الطفل حمامه .
- توصيل الأطفال ( إلى دار الحضانة أو الطبيب ) .
- تعليم الطفل .
- التهذيب اليومى للأطفال .
- القراءة للأبناء .

عندما يسمع : " إننى أعمل طوال النهار ... ولكنك لا تقوم حتى بتنظيف الأطباق " ؟

## إدارة الحياة المنزلية

- تذكر الأعمال المنزلية والأحداث الروتينية .
- التخطيط للالتزامات والأعمال المنزلية .
- جدولة الالتزامات والأعمال المنزلية .
- إعداد قائمة مستلزمات البقالة .
- دفع الفواتير .
- إرسال بطاقات المعايدة .
- تدبير جليسة للأطفال .
- إعداد حفلات أعياد الميلاد للطفل .

## الأعمال الروتينية التى يقوم بها الرجال ( طبقاً لتصنيف هوشيلد )

- إخراج القمامة .
- إصلاح السيارة .
- ترتيب إجراءات القروض .
- الإصلاحات داخل المنزل .

هذه هى كل محتويات قائمة " هوشيلد " . ماذا تبقى من الأعمال الروتينية التقليدية التى يقوم بها الرجال ؟

**" قائمة المهام المنزلية التى يقوم بها الرجال " ( أو قائمة " افعل يا حبيبى " ) ، أو مهام " وردية العمل الثانية " ، الطراز الخاص بالذكور .**

قبل أن نقارن ما سبق بقائمتى ، لابد أن أخبركم أن صديقاتى كن لا ينجحن فى تحديد ٥ مهام رجالية للأعباء المنزلية ( للعلم ، بعض الرجال أيضاً لا يستطيعون ، حتى ولو كانوا يقومون فعلاً بهذه المهام ! ) . الآن إذا كنت امرأة تغلبى على مقاومتك لقراءة كل قائمة " المهام الخمسين " التى يقوم بها الرجال . بعض النساء قلن لى ذلك ، ومن ناحية أخرى كن يضحكن من دهشتهن من أن الرجال يقومون بهذا العدد من الأعمال المنزلية التى لم تخطر

على بالهن ، ومع ذلك فهن لا يردن التخلى عن الاعتقاد بكسل الرجال .... ولا يردن الاستسلام .. إنها قوة الضحية . من الجميل أن تكون هناك نساء أمينات .

كلما تأملت المرأة فى قائمتى ، شعرت بأن لها قيمة أكبر لدى زوجها ، وأنه يقدرها ، وبذلك يقل إحساسها بالغضب . لماذا ؟ **عندما ترى ما يقوم به من أجلها ، ستشعر بأنه يقدرها بقدر ما تقدره هى** . إنها تقلل من غضبها النابع من إحساسها بأنه " يشعر بأن وقته أقيم من وقتى " .

إن المرأة التى تجد أن بعض الأمثلة تحدث فعلاً سوف تكتشف أن زوجها سوف يندهش من تقديرها له ، ومن ثم سوف يكون مستعداً لتقديرها أكثر . لاشك أن التقدير يسعد الرجال ولكنهم يرون أن طلب هذا التقدير هو نوع من العمل الطفولى .

عندما ترغب امرأة فى قيام زوجها بالأعمال التى حددتها هى فى قائمتها الخاصة " افعل هذا يا حبيبى " ستجد أنه يقوم بكل الأعمال إذا سمع منها كلمة تقدير . إن الرجال يتعلمون من صغرهم الحصول على رضا المرأة بأداء ما تطلبه . وهم لا يجدون صعوبة فى عمل أى شىء إذا تم تقديرهم .

إذا نجحت قائمة المهام المنزلية فى أداء الغرض المطلوب منها - وهو التخفيف من الشعور النسائى بالغضب وتعميق التعاطف بين الجنسين - سوف تكون هناك بعض المحاذير .

أولاً ، لاحظ أن كثيراً من الأعمال التى يقوم بها الرجل تؤديها أيضاً الأمهات المطلقات أو الأرامل ، على ذلك فإن إبداء التقدير لما يقوم به الرجل يجعلنا نبدى نفس التقدير للزوجة الوحيدة حين تؤدى نفس الأعمال .

ثانياً ، المرأة قد تقوم بأداء مهام أكثر من الموجودة فى قائمة " هوشيلد " . ومن جانبى لم أصنع قائمة مماثلة نظراً لما يحتويه كتاب " The Super Women Syndrome " من أمثلة ممتازة . ورغم أن قائمة الأعمال الخاصة بالرجال التى أعددتها تحتوى على مهام أكثر بالنسبة للرجال مقارنة بقائمة النساء الخارقات ، إلا أن مقارنة حجم القائمتين لن يكون منصفاً للنساء لأن أعمال النساء تتكرر يومياً ، أما أعمال الرجال فلا تتكرر إلا عند الضرورة ( ياعزيزى ، هناك مشكلة فى الحمام ) .

الآن ، الخدعة الكبرى التى تقع فيها دراسات الأعمال المنزلية : هى كلمة " أعمال منزلية " .

إن الكلمة لا توحى بما يقوم به الرجال من مهام . إنها تجعلنا نفكر فوراً فيما تقوم به النساء ( الطهو ، التنظيف ) . إن معظم ما يقوم به الرجال هو أعمال خارج المنزل ( إصلاحات السيارة أو سقف البيت ، الدهانات الخارجية وزراعة الأشجار ، تدريب الأبناء ، إزالة الثلوج ) . وهذا موجود فى كل دول العالم . ما يتبع ذلك إذن لا يعتبر قائمة بالأعمال المنزلية الخاصة بالرجال ، بل هى قائمة بالإسهامات والأعمال التى يقوم بها الرجال من أجل العائلة ، وهى تتكون من خمسين عنصراً من هذه الأعمال المنزلية والتى لا يتم ذكرها فى كل الأحوال . كل ذلك يضاف إلى الحصول على المال اللازم للأسرة . كل هذه الأشياء تتكون منها " الوردية الثانية " الخاصة بالرجال . لم يسبق أن درس أحد ٩٠ ٪ من هذه الأعمال حيث إن أساتذة الجامعات يميلون إلى عدم الاعتقاد بوجود مهام منزلية رجالية ، وإذا وجدت فهى نادراً ما يتم دعمها .

قليل من الرجال هم الذين يحتفظون فى أذهانهم بقائمة تضم أعمالهم ، إنهم يقومون بما هو موجود فى القائمة فقط دون الالتفات لشىء آخر . إن طبيعة الرجال هى العمل وليس الكلام . ولكن يفتقد الجنسان الدقة فى تحديد الأعمال التى لم يتدربوا عليها . هل تذكرون كيف كانت حال النساء فى السبعينات عندما تقدمن للعمل فى المواقع الإدارية ؟ كان أعضاء لجان المقابلات يسألونهن عن الخبرة السابقة ، وجاءت إجابات النساء بالنفى ، فى ذلك الوقت قمنا بتدريب السيدات على إجابات صحيحة وذات قيمة لهن ولأعضاء اللجان فى نفس الوقت . من هذه الإجابات : " نعم ، لدى خبرة عشرين عاماً ، قمت بإدارة تطوير الموارد البشرية ، اتخذت قرارات حياة أو موت ، إدارة المخزون ، إدارة التدفقات النقدية ، حساب التكلفة والعائد ، التربية الأخلاقية ، التصرف فى الطوارئ ، واتخاذ القرارات الطبية فى شركة صغيرة تنمو ( الأسرة ) . بعد ذلك أشرفت على إدماجها مع شركة صغيرة أخرى . لعلكم قرأتم عن الزواج .. أقصد ، الاندماجات ... فى الصحف ! " . يجب أن نفعل نفس الشىء الآن مع الرجال فيما يتعلق بمساهماتهم فى الأعمال المنزلية ، حتى يستطيعوا أن يتكلموا عنها ويساعدوا الأطراف الأخرى على تقدير ما يقومون به .

إنك حين تقرأ مفردات القائمة قد تقول : " نعم ولكن " ، مثل : " نعم ، ولكن فى منزلنا أنا الذى أقوم بالإصلاحات " . رغم ذلك ، أتمنى أن تسهم قائمتى وقائمة كتاب " Super Woman Syndrome " فى تحقيق التقدير المتبادل ، وليس الانتقام ؛ ويجب أن تستخدم كنقطة للبدء فى خلق نظام جديد

لتوزيع المسئوليات في عائلتك . اعتبر هذه القائمة وقائمة النساء الخارقات دليلك في تتوزيع المهام .

## ما هى النسبة المئوية للقيام بالمهام الروتينية المقسمة بينك وبين شريك الحياة ؟

١. **أنشطة قد تؤدى إلى كسر الذراع أو الساق أو الرقبة أو شرخ في الجمجمة :** في علاقتكما من الذى يتسلق السلالم ليتفحص الأسطح ؟ ومن الذى يفعل ذلك لاستكمال دهانات المنزل ؟ ( لكى يصل إلى أماكن بعيدة في يوم مطير ويكاد ينزلق من على السلم ) ، من يعمل على نظافة النوافذ من الخارج ؟ أو يصعد إلى التسقيفة ؟ من الذى يزيل الثلوج المتراكمة على السطح وتكون النتيجة انزلاق عديد من الرجال وسقوطهم أرضا كل شتاء ؟

إن من يسقط من على السلم أو السطح يكون محظوظاً إذا كسرت له ذراع فقط ؛ فالبعض يصاب بالشلل أو يقتل ؛ آخرون يرون أن إزالة الثلوج يمكن أن تصنفهم بين النوعين التاليين .

٢. **أنشطة غالباً ما تؤدى إلى أزمات قلبية :** إزالة الثلوج من طريق السيارات ؛ دفع السيارة إلى أقرب محطة للوقود عندما ينفد منها ، ممارسة الألعاب مع الأبناء لوقت ممتد أثناء محاولة الأب الإثبات لأبنائه أنه يمكن أن يكون رفيقاً لهم في اللعب ؛ أو حمل طفل نائم من فراشه إلى مقعد السيارة الخلفى ، ثم إرجاعه مرة أخرى إلى فراشه دون إيقاظه . كل ذلك في النهاية يؤدى إلى إصابة الأب بأزمة قلبية .

٣. **أنشطة تؤدى إلى احتمال الإصابة بآلام الظهر أو " الفتاق " :** تحريك قطع الأثاث ، أو ليّ الظهر بصورة فجائية أثناء نقل إحدى الحقائب الثقيلة من مكان إلى آخر ؛ أو محاولة حمل جهاز التلفزيون أو الحاسب الآلى صعوداً على السلم ؛ أو تحريك الثلاجة أو إحدى قطع الأثاث الثقيلة .

٤. **أشياء متفرقة :** الأشياء التى يتم طلبها بالبريد ، الألعاب ، الدراجات ، الأثاث ، حاملات الكتب ، الفُرُش ؛ تركيب أحواض الاستحمام البلاستيكية للأطفال ، إعداد الخيم وبناؤها فى الفناء الخلفى للمنزل .

٥. **الإعداد لحفلات الشواء :** شراء مستلزمات الشواء ، والفحم ، واللوازم الأخرى ثم القيام بالشيّ ؛ وبعد ذلك تنظيف الشواية ومكان الاحتفال .

٦. **الحارس الشخصى : فى المنزل** ( الاطمئنان على كل من فى المنزل عندما يشعر بحركة غير عادية فى الليل ، واحتمال اقتحام المنزل بواسطة أحد المسلحين ؟ ) ؛ **فى الأماكن العامة** ( يلعب دور الحارس الشخصى عندما يحل الظلام ويتحول المتنزه إلى مكان غير آمن ، أو يتحول الشارع الجانبى إلى زقاق خطير ؛ أو حين يتحول المخيم إلى مرتع للأفاعى ؛ أو جبل الجليد إلى انهيار ) . قرأنا عن قصص يقوم فيها الرجل بإنقاذ المرأة من منزل يحترق أو من نهر ثائر أو حادث سير . والنساء غالباً ما ينقذن الأطفال فى مثل هذه المواقف ، وأحداث خارقة مثل قيام امرأة بحمل ثقل سيارة لتنقذ ابنها . ورغم أننى طلبت من ملايين الأشخاص عبر التلفاز والراديو أن يرسل لى أحدهم أية قصة قامت فيها امرأة بإنقاذ رجل بالغ ، إلا إنه لم تصلنى أية إجابة . **فى كل مرة يسير فيها رجل وامرأة مع بعضهما فى مكان عام ، يقوم بدون وعى بمهمة الحارس الشخصى .**

٧. **إقامة المخيمات :** يبدأ الأمر بالاستعداد النفسى لتجنب الكوارث ( مراجعة حالة الجو ، والأمن فى المنطقة ، شراء الخيمة ومقطورة المعدات ، تحمل مسئولية الخطأ فى الاتجاهات ، القدرة على استخدام البوصلة .. إلخ ) ، تحميل المعدات ( من ضمنها الموقد ومصباح الكيروسين ) ثم نصب الخيام ، ودورات المياه ، وجمع الحطب وإشعال النار ، وإبعاد الطعام عن متناول الحيوانات . **إن الرجل هو محور عملية التخييم ، فى مراحل الاستعداد والنقل والتشغيل .**

٨. **شراء السيارة :** التفاوض على الثمن ، مراجعة دليل المستهلك ، والبحث عن النوع ..إلخ .

٩. **صيانة وإصلاح السيارة :** فحص الأنوار والأحزمة وضغط الهواء في الإطارات ، تنظيف الصالون ، مطابقة أسعار قطع الغيار أو أجور الميكانيكي مع الآخرين ( انظر الطوارئ أيضاً ) .

١٠. **أعمال النجارة :** ابتداءً من صنع الأرفف وتعليقها في أماكنها ( الجراج ، البدروم ، والخزانات ) إلى إصلاح سور الحديقة ، وتركيب خزانة الكتب ، وبناء بيت الكلب .

١١. **لوازم الأعياد :** وضع الأنوار على الشجرة أو المنزل ؛ شراء مستلزمات الأعياد ، إحضار علب الهدايا من المخزن .

١٢. **أعمال النظافة الخاصة بالرجال :** غسل السيارة وتلميعها ، تنظيف أدوات الطلاء لإعادة استخدامها ( الفراشاة ، الأوعية .. ) ؛ تنظيف الدور الأرضي ، تنظيف المدفأة وما حولها ( أكثر الأماكن ظلاماً وقذارة وسخونة وبرودة في المنزل ) ، تنظيف مرشحات أجهزة التكييف البارد والساخن ؛ تنظيف الساحة الأمامية للمنزل ، تولى استحمام الكلب ، وتنظيف حمام السباحة أو " الجاكوزى " إن وجد ... ( راجع مسئوليات نظافة الشواية ، وتغيير حفاضات الصغار ؛ وهي المهام الرجالية المتساوية مع تنظيف الأسلحة والبنادق وهي الأنشطة التي من الممكن أن تؤدى للإصابة .. ) .

١٣. **تدريب الأبناء ورعايتهم :** كل ألعاب الكرة بأنواعها ، والبيسبول والهوكي العادي والذي يلعب على الثلج ، وكرة السلة والألعاب الفردية مثل التنس وألعاب الدفاع عن النفس ( ايكيدو ، الملاكمة ، المصارعة ) .



سي إن إيه ... من أجل كل التزاماتك
لا شيء أغلى من الوقت الذى تقضيه مع أطفالك ، ومساعدتك لهم في التعلم عن طريق كونك مثلاً أعلى لهم لكي تعدهم لتحديات المستقبل . إن شركات التأمين تكون حاضرة حينما يكون وجودك ضروريا وهى تمدك بقطاع عريض من الخدمات التأمينية لعائلتك ومنزلك وعملك .

١٤. **شراء أجهزة الحاسب** : البحث عن أفضل المعدات والبرامج ، مقارنة الأسعار ، واتخاذ قرار شراء الجديد أو المستعمل .

١٥. **المواجهات مع الجيران أو الغرباء** : " اذهب وقل للجيران إن نباح كلبهم مزعج " . أو التراشق بالألفاظ مع قائد سيارة اصطدمت بكم .

١٦. **دفن الحيوانات المنزلية الميتة** : يحدث ذلك عندما يقوم الأب بدفن الحيوان الأليف الميت ، أو الجرذان فى المصيدة ، أو الكلب الذى دهسته سيارة ؛ والأسوأ فى كل ذلك هو عندما يضطر لقتل حيوان على وشك الموت .

١٧. **تجهيز الأرضيات** : بناؤها ، وتشحيمها .

١٨. **تبديل الحفاضات ، النموذج الرجالى** : تنظيف المراحيض ، إزالة آثار قيء الأطفال خلال الرحلة بالسيارة ، إزالة مخلفات الكلاب .

١٩. **الحفر** : لزرع الأشجار ؛ لإزالة مخلفات الأمطار .

٢٠. **إعداد العشاء عند دعوة الأصدقاء** : إعداد لحم الشواء ، شراء المشروبات ، إعداد المكان للحفل ( يجب أن نتحفظ هنا حيث تقوم معظم النساء بهذه المهمة ) .

٢١. **انضباط الأبناء** : " سأخبر والدكم حين يعود من العمل " .

٢٢. **النموذج الحديث لقاتل التنين** : ضرب الذباب ، دهس الصراصير ، سحق العناكب - كل ذلك بدون سيف ( أو لمن لا يريدون استخدام العنف ، إزالة العنكبوت بدون قتله ) .

٢٣. **قيادة السيارة** : من وإلى الأماكن التى يرتادونها معاً ، خاصة فى الظروف التى تكتنفها المخاطرة ( ساعات الازدحام فى مدينة غريبة ؛ أو عندما يعلقون فى الثلوج فى طريق جبلى ، أو حالات المطر الشديد أو الضباب ليلاً ، أو التواجد فى دولة أخرى ) ، أو عندما يكون الأب والأم غاية فى الإرهاق فى الرحلات الطويلة خاصة ليلاً ، عندما يكون كل أفراد الأسرة نائمين ، أو إذا كانوا يركبون دراجة نارية ( هل سبق أن رأيت امرأة تقود دراجة نارية وخلفها رجل ؟ ) إن السيارة والدراجة النارية هى النماذج العصرية للجواد الأبيض الذى يمتطيه الرجل ، ويتضمن بدوره توقع مزيد

من الحوادث ؛ ولكن الرجل الذى يمتطى الجواد الأبيض لم يكن بحاجة لأن يقلق من وجود الرادار !

٢٤. **الوقاية من الحوادث** : فى المنزل ( مراقبة وإصلاح الأسلاك الكهربية ، والمكابس ، والمدخنة .. ) ؛ فى السيارة ( وضع السلاسل حول الإطارات فى حالات الجليد ، فحص السوائل فى السيارة طبقاً لنوعياتها ومواعيد تغييرها ، مراجعة الأنوار ) ؛ مقاومة الكوارث الطبيعية ( تثبيت النوافذ ، وضع أكياس الرمل فى حقيبة السيارة لمنع الانزلاق ، مراجعة ثبات الأشجار قبل الأعاصير ) ؛ فى المدينة ( التأكد من توافر السيولة النقدية ، وامتلاء السيارة بالوقود ) .

٢٥. **عند حدوث الكوارث رغم اتخاذ الاحتياطات** : إعادة ملء أكياس الرمل ، استبدال الإطارات خلال الليل فى ليلة باردة ممطرة وخطورة ذلك فى منطقة منعزلة ؛ السير على الأقدام لإحضار الوقود بعد نفاده من السيارة ، أو إحضار كابل وتوصيله بالطريقة الخطأ وخطورة ذلك على الشخص .

٢٦. **ما بعد الحوادث** : إصلاح الأسقف ( الثغرات ، الوصلات ، إلخ ) ؛ إزالة الأشجار الساقطة ؛ إعادة البناء أو الإصلاح للأجزاء المتأثرة ؛ أو مساعدة العمال أو الإشراف عليهم فى ذلك .

٢٧. **الأسوار** : بناء الأسوار بالحجر أو بالأخشاب ، أو بالسلك الشائك .

٢٨. **إشعال المدفأة ، وإزالة الأخشاب المحترقة** : بدون إحداث أى أضرار أو التسبب فى اتساخ السجاجيد داخل المنزل .

٢٩. **القمامة** : يتولى الرجال الحقيقون مهمة التخلص من القمامة ، وذلك لأنها صفة تحملها جيناتهم الوراثية ، لأنهم يعرفون كيف يستخدمون غطاء الوعاء وكأنه درع تحسباً لحدوث أى شىء أثناء رحلتهم من المنزل إلى الشارع . وهو عندما يقوم بإخراج المواد التى يعاد تصنيعها ومخلفات

الأشجار فإنه يفعل ذلك ، لأنه يريد أن يحافظ على تخصصه كرجل القمامة ( مع الاعتذار لمهندسى إدارة المخلفات ) .

٣٠. **إعادة تشغيل الكهرباء / الغاز** : إعادة ضبط الساعات ، إعادة توصيل الكهرباء ، ومراجعة الأعطال .

٣١. **المسئول عن الحفاظ على الرومانسية ، ومانح الهدايا** : غالباً ما نقول إن الرجال لا يتمتعون بالرومانسية ، ولكننا ننسى أنهم الذين يقدمون الزهور التى تحبها المرأة ؛ وفصوص الألماس ذات الأربعة شروط ( الحجم ، والنقاء ، وطريقة الصقل ، واللون ) ثم يقلقون من الشرط الخامس وهو السعر ؛ ويختارون الأقراط المتميزة والخاتم المناسب للإصبع المناسب ؛ أو أفضل المطاعم التى تتناسب مع تعريفها للرومانسية ، وطبقاً للمناسبة ، ثم اصطحابها إلى هناك ، ثم دفع الحساب . أشك فى أن كل ما سبق قامت إحدى السيدات بترتيبه لأحد الرجال ( وهو المقابل لعدم تكليف رجل بالغسيل بدلاً من المرأة ، أو بإعداد الطعام ، أو حتى إعداد فنجان شاى ) .

٣٢. **البنادق والأسلحة** : شراء ، وتنظيف ، واستخدام الأسلحة لحماية الأسرة من اللصوص فى المدينة ، والحيوانات الضارية فى المناطق الريفية .

٣٣. **التعليق** : للصور ثقيلة الوزن ، الساعات ، أجهزة الهاتف ، عندما يتطلب الأمر تركيب معدات تعليق .

٣٤. **التركيبات** : الغسالات ، المجففات ، أجهزة الحاسب الآلى ، التلفاز ، الأسلاك ، والهوائيات اللاقطة .

٣٥. **التأمين على الحياة** : اختيار أنسب الوثائق .

٣٦. **تحمل مخاطر الاستثمار** : ( السندات ، الاستثمار المشترك ، إيجار الأملاك ) : وهو ما يترتب عليه اللوم فى حالة الفشل ، والتوتر فى حالة النجاح .

٣٧. **فتح** : الأبواب ، الصناديق الكبيرة ، أوانى الحفظ ، علب الطلاء ، النوافذ المتجمدة أو العالقة .

٣٨. **البحث عن البدائل** : عادة ما يوجد الرجل البدائل فى حالة الأزواج ، وتبدى المرأة الاعتراض . مثلاً قد يقول الرجل متسائلاً : " أين ترغبين تناول العشاء الليلة ؟ " تجيب المرأة : " أى مكان " . يواصل الرجل سؤاله : " أتفضلين مطعماً صينياً ؟ " تقول له : " لقد كنا هناك قريباً " . إذن قد تفضلين الطعام الإيطالي ؟ ترد عليه : ولكن هذا الطعام ثقيل جداً . يواصل الرجل اقتراحاته : " ما رأيك فى هذا المطعم الجديد ـ ما اسمه ؟ " ، تقول له : " لقد سمعت أنه مكلف للغاية " . عندما يتعلق الأمر بالمطاعم أو دور السينما ، يطرح الرجل البدائل ، وتقوم المرأة بالاختيار بعد أن تقول : " لا فرق " . إن مواصلة طرح البدائل ومقابلتها بالرفض يؤدى إلى إحباطات عاطفية .

٣٩. **الطلاء** : داخل وخارج المنزل ، وتجهيز المناطق التى سيتم طلاؤها ( انظر أيضاً الأنشطة التى تؤدى إلى كسر ذراع الرجل ) .

٤٠. **تجهيز الممشى ومكان الجلوس** : وإصلاح التشققات ، وخلط الأسمنت ، وبناء السور المحيط وتسوية الأرض ، والتعايش مع كل خطأ محتمل بعد بنائه بالأسمنت المسلح .

٤١. **الزراعة** : زرع أشجار جديدة ، زرع أسوار نباتية وتسويتها .

٤٢. **أعمال التجصيص وسد الشقوق** : وعمل القوالب بمواد البناء .

٤٣. **التعرض للسموم** : استخدام المبيدات الحشرية للتخلص من النمل والصراصير ، ورش الأشجار والزهور ونباتات الحديقة .

٤٤. **إعداد البرامج** : ضبط برنامج توقيت تسجيل جهاز الفيديو . ( يا حبيبى ، أرجوك اضبط التسجيل على برنامج المهام المنزلية للرجال ) ؛ أو ضبط مسجل الهاتف أو مشغل الأسطوانات المدمجة .

٤٥. **ضخ الوقود ، ودفع قيمته وتغيير الزيت** : عندما يكون الرجل والمرأة فى السيارة ، ألاحظ أن ٨٠ ٪ من الحالات فى شمال شرق البلاد ومناطق الساحل الغربى ، والمدن الجامعية يقوم الرجال بهذه المهمة . أما فى جميع المناطق الأخرى فالمهمة رجالية ١٠٠ ٪ .

٤٦. **قراءة صحف المال والأعمال** : للتعرف على التوجهات السائدة والمعلومات المطلوبة لاتخاذ قرارات الاستثمار ( بصورة مماثلة لقراءة المرأة لوصفات إعداد الطعام فى المجلات " النسائية والمنزلية " وهى تعتبر أكثر المجلات مبيعاً ) . كما يقرأ الرجال أيضاً صفحات الرياضة .

٤٧. **التشطيبات الداخلية** : هدم الحوائط ، تركيب النوافذ ، طلاء الجراج أو البدروم أو حتى بناء وتجهيز غرف كاملة .

٤٨. **التصليحات** : دورات المياه ، الأحواض ، الصرف الصحى ، الكهرباء النوافذ المنزلقة ، المشاكل الخاصة بمرافق المنزل عامة .

٤٩. **شحذ الأنصال** : السكاكين ، وآلات قص الحشائش ...

٥٠. **القيام بشراء** : العدد والأدوات ، معدات الطلاء ، آلات قص الحشائش ، المشتريات الكبيرة ( تجهيزات المكتب والمنزل ، ... ) ( انظر أيضاً شراء أجهزة الحاسوب ؟ شراء السيارات والراديو ووثائق التأمين ... ) .

٥١. **شراء أجهزة الاستريو والفيديو :** تركيبها ، ومعرفة أعطالها ، والإنفاق والإشراف على إصلاحها .

٥٢. **العناية بلعب الأطفال والدراجات :** طلاء وتزييت وإصلاح دراجات الأبناء ، وكذلك الأمر بالنسبة لكل الألعاب خارج المنزل .

٥٣. **الوقاية ضد التقلبات الجوية :** حماية المرأة من التعرض للمطر ، وتساقط الثلوج ، وإعطاؤها معطفه عندما يكون الجو بارداً ويكون هو أيضاً معرضاً لنفس الظروف ؛ السير بين المرأة والشارع حتى لا يصيبها رذاذ الماء الذى تحدثه السيارات المارة بسرعة ؛ إزالة الثلوج المتراكمة فوق زجاج السيارات فى أحد الأيام التى يتساقط فيها الثلج ؛ توصيل الأسرة إلى المطعم أو دور السينما فى أحد الأيام المطرة ثم اللحاق بهم بعد أن يصف السيارة ، ( وخاصة إذا لم تكن هناك مظلة ) . تدفئة السيارة قبل ركوب الأسرة ، إحضار الصحف فى يوم مطير ؛ رش الملح المبلور على طريق القيادة والممرات والدرج عندما تتجمد الأمطار ، وحتى لا يسقط أحد ، ثم تنزلق قدمه هو . ( انظر أيضاً أنشطة تجلب الأزمات القلبية ) .

٥٤. **العمل فى الباحة الأمامية :** قص الحشائش ، التسميد ، تجميع أوراق الشجر المتساقطة ، تقليم الأشجار .. إلخ .

إذا كان الرجال يقومون بكل ذلك ، فلماذا لا نعرف شيئاً عن ذلك ؟ يرجع السبب جزئياً إلى أنه بدلاً من الشكوى ، يسارع الرجال بحمل الحقائب وإعداد حفلات الشواء ، وبناء الأرفف ، أو يقومون بشراء الاستريو . كما يرجع ذلك جزئياً إلى أننا نؤدى أدوارنا بلا وعى ، مثل أدائنا لدور حماية الأبناء ؛ فنحن لن نشتكى من شىء نقوم به دون وعى . إن الشكوى هى الوجه المعتم للوعى . ولكن الرجال يأملون دائماً فى الوجه المشرق : أى التقدير والحب ... ولكن يبدو أن شخصاً ما أخذ التقدير والحب مع القمامة .

أرجو أن تقضى هذه القائمة على بعض الأساطير التى أوجدت الغضب ضد الرجال ، وأرجو أن توجد الفهم بدلاً من ذلك .

أسطورة : لا ينال عمل المرأة المنزلى التقدير الكافى .

**حقيقة : العمل المنزلى لكلا الجنسين لا ينال التقدير ، حيث إننا جميعاً ننظر إلى ما نفعله أكثر مما ننظر إلى ما يقوم به الشريك . وحقيقة أن كل الدراسات عن العمل المنزلى تسقط من اعتبارها ٩٠ ٪ من عمل الرجال ، يعنى أن مهام الرجال غير مقدرة على الإطلاق .**
**إن تكرار الشكوى من عدم تقدير عمل المرأة هو فى حد ذاته تأكيد على تقدير عملها ، وسوف يشعر الرجال بكثير من التقدير عندما نقول إن عملهم المنزلى لا يتم تقديره .**

أسطورة ( الجزء الأول ) : العمل المنزلى للمرأة لا يكون له مقابل .

طبقاً لما جاء حرفياً فى تقرير الأمم المتحدة " معظم أعمال المرأة غير مدفوعة الأجر " .

**حقيقة ( الجزء الأول ) : تظهر قائمة الأعمال المنزلية الخاصة بالرجال أن كلا الجنسين يقوم بأداء مهام منزلية ، لا يحصل فى مقابلها على أجر ، ولكن الحقيقة أن هذه الأعمال تعتبر مقابلا فى حد ذاتها لعمل الجنسين .**

بمعنى أن المرأة التى تقوم بالأعمال المنزلية التقليدية تدفع لزوجها ، لأنه كان سيدفع مقابلا لشخص يؤديها بدلاً منه أو سيقوم بها بنفسه . وبالعكس ، فإن ما يقوم به من عمل كانت ستقوم هى به أو تستأجر من يقوم بعمله . الأكثر أهمية أن ما يحصل عليه الزوج من أجر عن عمله الخارجى يدفعه فى مقابل ما تشتريه الزوجة من مستلزمات خاصة بها ( ويكون لديها وقت فراغ أكثر للاستمتاع ) . وحيث إن الطلاق يحول منزلهما فى الغالب إلى منزلها ، فإن كل

**عندما يسمع : " إننى أعمل طوال النهار ... ولكنك لا تقوم حتى بتنظيف الأطباق " ؟**

ما يقوم به يصير ملكا لها . كما أن اتفاق الطلاق يرهنه منزله وممتلكاتهما المشتركة . ( الطريف أن كلمة رهن " Mortgage " تعود إلى الأصل اللاتيني " رهان الموت " ) .

أسطورة : الناتج القومى الإجمالى للدول يقيس أعمال الرجال ، وليس النساء .

**حقيقة : هذا المعدل لا يتضمن أية أعمال منزلية لأى من الجنسين .**

عندما يخبرنا الإصدار الرسمى للأمم المتحدة أن عمل النساء فقط هو الذى لا يُدفع مقابله أى أجر ، وأن بيانات الناتج القومى الإجمالى يجب أن يعاد النظر فيها لإدراج قيمة الأعمال النسائية غير مدفوعة الأجر ، تكون هذه التوصية ذات طبيعة متميزة لأحد الجنسين : إذا كانت ستراجع ، لابد من إدراج العمل غير مدفوع الأجر للجنسين . معظم هذا العمل ، مثل الاستشارات المالية ، تزيد فى المقابل على أعمال النظافة ؛ ولكن بعضها ، مثل شخص توقظينه فى الساعة الثالثة صباحاً لكى يعثر على اللص وأنتِ نائمة منتظرة أن يصاب بطعنة ، مثل هذا الرجل لن تجديه فى دليل الأعمال بأى ثمن .

أسطورة : إن عمل المرأة يتطلب أن تكون باستمرار فى حالة طوارئ .

**حقيقة : كلا الجنسين فى حالة طوارئ ، ولكن كل منهما يتحمل مسئولياته التقليدية .**

إن الرجال فى حالة طوارئ : للإصلاحات ، لتحريك قطع الأثاث ، للقيام بمهمة الحارس الخاص ، والحماية من سوء الأحوال الجوية ، وفاتح للأوعية ، ومعالج للمشاكل ( عزيزى ، إن الماء يتساقط من السقف ) .

أسطورة : النساء يتحملن المسئولية ، ولكن الرجال مجرد مساعدين فى أعمال المنزل .

**حقيقة : من النادر أن يتشارك أحد الجنسين نفسياً فى المسئوليات التقليدية للجنس الآخر .**

قد يقوم رجل بتغيير الحفاضات لطفله فى منتصف الليل ، ولكن المرأة قد تفقد القدرة على النوم إذا مرض طفلها . وهذا مؤشر على تحملها النفسى للمسئولية عن طفلها ـ حتى ولو قام الزوج بتغيير الحفاضات أكثر منها . على عكس ذلك ، إذا لم تكن الموارد المالية كافية ، فقد تساعد المرأة فى توفير الدخل وقد تحصل على عائد أكبر من الرجل ـ ولكن الأب هو الذى يصاب بالقلق لتفكيره فى كيفية دفع فواتير الأطباء والرهن العقارى والتأمين . وبدلاً من أن يتخلى عن وظيفة يكرهها تدر له دخلاً مناسباً ، فهو يستمر فيها ويكتم مشاعره ، وقد يلجأ إلى ممارسة العادات السيئة ويصاب بالإحباط بسبب عدم قدرته على تحمل هذا الكم الهائل من المسئوليات والذى يفوق قدرته ويفوق ما يمكن أن يعبر عنه . وإذا كان إشباعه لمسئوليته النفسية يرجح كفة تسديده لقيمة وثيقة التأمين على حياته ، فهو بذلك يقوم بالانتحار .

**أسطورة :** قد يعمل الرجل من مطلع الشمس إلى مغيبها ، ولكن عمل المرأة لا ينتهى .

على الرغم من أن هذه هى الأسطورة الأصلية ، إلا أننا حين نراجع عناوين الصحف التى سبق وشاهدناها ، يمكن أن نرى أن النساء تم تصويرهن على أنهن يعملن من مطلع الشمس إلى غروبها ، وفى نفس الوقت يقومون بأعمال لا تنتهى . لقد اختفى الإقرار السابق بأن الرجال يعملون من مطلع الشمس إلى مغيبها .

**حقيقة : بعد أن عرفنا أن الرجال أيضاً يمكن أن يعيشوا فى حالة طوارئ لمدة أربع وعشرين ساعة فى اليوم ، ويتشاركوا نفسياً فى المسئوليات التى تطاردهم وهم نائمون ، فنحن بذلك ندمر أسطورة أن النساء فقط هن اللائى يعملن بلا توقف .**

عندما يسمع : " إننى أعمل طوال النهار ... ولكنك لا تقوم حتى بتنظيف الأطباق " ؟

**أسطورة : يعتقد الرجال أن الزواج يمنحهم خادمة منزلية .**

عادة ما تشكو النساء فى المجلات النسائية ، وفى البرنامج التليفزيونى الذى تقدمه أوبرا أو سالى ويقلن : " عندما كان زوجى أعزب كان يستطيع أن يغسل ملابسه ، ولكنه الآن يظن أن خاتم الزواج الماسى جاءت معه آلة غسيل ملابس بشرية " .

**حقيقة : يتوقع كلا الجنسين من شريكه أن يقوم بالمهام الروتينية التى اعتاد أن يقوم بها قبل الزواج ... على ذلك فإن القضية الحقيقية هى كيف يؤهل الزواج الجنسين إلى تقسيم العمل ؟**

مثلاً ، تقوم المرأة بإخراج المخلفات عندما تعيش بمفردها ، ولكن فى إطار الزواج يتولى الزوج هذه المهمة ، فإذا شاهدت امرأة تخرج كيس القمامة فمعنى ذلك أن المرأة وحيدة ، أو أن الرجل نسى أن يقوم بهذه المهمة . بنفس المنطق ، تتولى المرأة القيادة فى ظروف الخطر إذا كانت وحيدة ، ولكن فى حالة وجود رجل يتولى هو القيادة . ولكن الرجل لا يتبادر إلى ذهنه أن زوجته كانت تقود فى ظروف خطرة أو فى الزحام عندما كانت غير متزوجة ، وأنها بمجرد زواجها وحصولها على الخاتم الماسى ، فإنها بذلك اعتقدت أنها حصلت معه على سائق خاص .

يشعر بعض الرجال فى الأسر التى يعمل فيها الزوجان أن الأعمال المنزلية لزوجته قد تحولت إليه ، إلى جانب الأعمال التى يقوم بها . أو كما يقول أحدهم : " رغم انتقال كل أعمالها إلىّ ، مازلت فى حالة طوارئ عندما يتعطل نظام الصرف الصحى . بعض الأعمال لا يتطلب قوة خارقة أو استعدادا جسمانياً خاصاً ، ولكن تلاحقنى الطلبات للقيام بذلك " . يضيف قائلاً : " تطلب منى كل نساء الأسرة إحضار حيوان " الهامستر " الخاص بابنتى من معمل المدرسة لكى يقضى معنا عطلة الكريسماس ، وعندما أحضرته كانت مهمتى الإضافية هى تنظيف مكانه كل يوم . وأنا الوحيد فى المنزل الذى يقوم بإزالة الفئران من المصائد " . ولكى تكتمل الصورة ، يبلغ طولى ٦ أقدام ، ووزنى مائتى رطل ، عريض الكتفين ، من أصل أفريقى . ولا أؤمن بأننى متميز . صحيح

أننى لست الزوج المثالى ، ولكن زوجتى تذكرنى يومياً بأننى لا أعتبر ثروة بأى حال من الأحوال " .

عندما ننظر إلى قائمة الأعمال المنزلية للرجل ، والعمل الإضافى الذى يقوم به ، والزمن الذى يقضيه فى وسائل المواصلات ، وميل كثير من الرجال لاصطحاب جزء من عملهم إلى المنزل ، والتصدى لمزيد من الأعمال الخطيرة ، سنفهم أن القضية الحقيقية ليست هى توقع الزوج أن تكون الزوجة خادمة ، ولكن توقع الزوجين لتقسيم العمل . ولكى تتأكد ، فإن الجنسين معاً لا يقسمان العمل كما اعتدنا ، ولكن بعد إعدادى للقائمة تأكدت أنهما بالفعل يبذلان جهداً كبيراً لتقسيم العمل ، خاصة بعد الإنجاب .

فوق كل ذلك ، وكقاعدة ، فإن مطالب الرجال أقل . نحن نسمع عن زوجات يضعن قوائم لعمل أزواجهن : " من فضلك يا حبيبى افعل كذا " . ولكن لم نسمع عن أزواج يفعلون ذلك . إن التوجه العام للأزواج الذين تعمل زوجاتهن غالباً ما يكون : " دعها تعمل " : " إذا كانت تطهو العشاء ، فإننى أحبه ؛ إذا كانت ستضع الطعام البارد فى الميكروويف ، فلا بأس ؛ إذا كانت ستطلب بيتزا من الخارج أو طعاماً صينياً ، فلا مانع ، إذا كانت ستطلب أن نتعشى بالخارج فإننى سأوافق " . إذا كان هناك ما يأكله ويشربه ، وزوجته الحبيبة بين ذراعيه والريموت كنترول فى يده ، فإنه لن يجهز قائمة " يا حبيبتى ، افعلى كذا " .

أسطورة : الأم الوحيدة تقوم بكل الأعمال الروتينية التى يقوم بها الجنسان .

**حقيقة : سواء أكان الرجل وحيداً أم المرأة وحيدة ، فإن كلاً منهما يقوم ببعض أعمال الجنس الآخر .**

عندما يكون أحدهما بمفرده يمكن أن يقوم ببعض الأعمال غير التقليدية . والمدهش رغم ذلك أن الأب الوحيد سيقوم بطهو الطعام مع أبنائه . أما الأم أو المرأة الوحيدة فإنها تستأجر آخرين ليقوموا بالمهام الخاصة بالذكور . بالقرب من منزلى فى " سان دييجو " ، أشاهد سيارة للخدمات مكتوباً عليها ، " من فضلك يا حبيبى افعل " ( فى أماكن أخرى يكتبون على السيارات " زوج

للإيجار " ) . بعض النساء الوحيدات يقنعن الآباء أو الأبناء أو الأصدقاء أو الجيران بمساعدتهن .

أسطورة : يقوم الرجال بأداء المهام التى تتطلب قوة بدنية لأنهم أقوياء بالطبيعة .

**حقيقة : أثبتت دراسة أجراها الجيش أن المرأة المتطوعة يمكن أن تحمل ٧٠ ٪ مما يحمله الجندى قبل الخضوع للتدريب . ولكن المرأة بعد التدريب يمكنها حمل ٩١ ٪ من الوزن الذى يستطيع الجندى حمله .**

نستطيع أن نزيد من طاقة بناتنا على الاعتماد على الذات والتقليل من الميل الطبيعى الأنثوى للدفاع بإخبارهن أن مساعدة الفتى على حمل حقائبه يزيد من أنوثتها ، كما هو الحال فى قيام فتى بمساعدة فتاة كعلامة على رجولته . يساعدها ذلك أيضاً على بناء عضلاتها ، بدلاً من الاكتفاء بتربية الأولاد لعضلاتهم بما يؤكد أن الرجال هم الأقوى . ولكن لا يجب أن نتوقع منهم أن يكونوا دائماً حاملين لحقائب الفتيات ، مثلما نتوقع من البغل حمل المتاع .

أسطورة : ترعى النساء الرجال ـ حتى أنهن يقمن بدور الأمهات ـ ولكن الرجال لا يرعون نساءهم .

**حقيقة : كلا الجنسين يرعى كل منهما الآخر ولكن بطرق مختلفة ، وطريقة النساء تسمى احتضاناً ؛ ولكن طريقة الرجال غير مرئية ثقافياً .**

أحد المخاطر فى اعتقاد المرأة أنها هى الوحيدة التى ترعى زوجها ، هو أن ذلك يدفع المرأة لأن تشعر وكأنها " أمه " ، وهذا الشعور يقلل من جاذبيتها الجنسية .

إن الرجل الذى يوضح الأمر أمام زوجته بأن الرعاية هى طريق ذو اتجاهين ، يتيح لزوجته أن تشعر بالحب ويحررها من نقصان أنوثتها إذا لعبت دور الأم . ( وهو ما يحفز الرجال على الكلام ! ) . مثلاً ، الرجل الذى يحفر فى الحديقة كى تستطيع زوجته زرع شجرة الورد يكون بذلك قد أدى نصيبه

فى رعايتها ولكن بأسلوبه الخاص ، وحتى إذا أسهمت هى الأخرى بنصيبها من رعايته . والرجل الذى يقود السيارة فى ظروف الخطر ليلاً بينما زوجته تنام على المقعد الخلفى يعبر عن رعايته لها ؛ وحين يحرص على قتل الفأر والعنكبوت والذباب ، فإنه أيضاً يعبر للمرأة بأنه يحررها من أن تقوم بدور القاتلة ؛ والرجل الذى يضيف حجرة نوم جديدة يوفر لها مكاناً جميلاً ترعى نفسها فيه وتتجمل ليلاً .

أما إذا تولت امرأة القيادة ، وملء السيارة بالوقود بينما الزوج نائم مسترخٍ فى المقعد الخلفى ، وقامت بتغيير الإطار بينما هو يراقبها ، فقد نسمعها وهى تشكو : " إننى أشعر وكأننى أمه " . إلا أن الرجال حين يقومون بهذه المهام لا نسمعهم أبداً يجأرون بالشكوى ويقولون إنهم يشعرون بأنهم آباء لزوجاتهم .

إن أفضل طريقة لاستخدام هذه القائمة فى استبدال الغضب بالحب هى أن نعتنى ببعضنا البعض عن طريق قيام كل منا بما يفعله لنا الطرف الآخر بالطبيعة . فأنا أحزن عندما أعلم أن أحد الرجال لم يقم أبداً بإعداد فنجاناً من الشاى لزوجته ، أو إذا كانت تحب القهوة فهو لا يعرف كيف تحبها . أتذكر امرأة من صديقاتى كانت يوماً تستعد للخروج . وعند ارتداء ملابسها سقط شىء ما لوث قميصها . عندما عادت واكتشفت أننى قمت بغسل القميص وتنظيفه ونشره لكى يجف ، أجهشت فى البكاء من شدة التأثر . لم يسبق أن شملها أحد بمثل هذه الرعاية من قبل . وعندما اشترت صديقة أخرى باقة من الزهور ودعتنى إلى العشاء فى مطعم فاخر بدون سبب محدد ، كانت هذه من إحدى المرات التى تأثرت فيها مشاعرى بقوة . وزاد ذلك من احترامى لها . ( لاحظ أننى لا أعرف امرأة بكت من شدة التأثر عندما دعوتها إلى مطعم فاخر ، وعندما تقوم امرأة بغسل قميص لى فإننى أشكرها ولكن لا أنفجر فى البكاء ) . المسألة إذن هى ( **أن أداء المهام التى عادة ما يؤديها الطرف الآخر لك يكون أكثر تأثيراً من أداء المهام التى تعتاد القيام بها بالطبيعة** ) .

على ذلك فإننى آمل أنه باستخدام قائمتى وقائمة " المرأة الخارقة " أن يتبادل الزوجان أدوارهما لكى يشعرا بالتقدير المتبادل أيضاً عند التعرف على طبيعة هذه الأدوار ـ وهذا سيفيد فى مناقشاتهما التى أوضحناها فى الجزء الأول عند الحديث عن مهارات الإنصات ، وبذلك يخلقان الحب ، ويبتعدان عن الحرب .

عندما يسمع : " إننى أعمل طوال النهار ... ولكنك لا تقوم حتى بتنظيف الأطباق " ؟

## أربعة أخطاء تقع فيها دراسات المهام المنزلية

سوف تستمر الدراسات غير المسئولة حول المهام المنزلية فى التدفق وصنع العناوين الكبيرة فى الصحف وستزيد حالات الغضب تجاه الرجال ، إذا استمررنا فى تجاهلنا لعيوبها وأخطائها وسمحنا بعرضها فى وسائل الإعلام . وأعرض فيما يلى موجزاً لتسترشد به فى إدراك تحيز الصحافة عند قراءتك لأى موضوع يدعى أن الرجال يعملون أقل من النساء .

## التمييز على أساس أحد الجنسين فى مصطلح " الأعمال المنزلية "

نحن نعلم أن كلمة " الأعمال المنزلية " لا تثير فى ذهن الرجل أى تلميحات إلى التدريب ، أو القيادة أو إعادة البناء ، أو أى إسهام للرجل فى أعمال المنزل ، لذلك عندما يكون هناك استقصاء يُظهِر أن المرأة تقوم بمهام منزلية أكثر من الرجل ، نلمح فوراً مدى التمييز الجنسى .

يجب أن تكون التصنيفات واضحة . فهناك إحدى الفئات غير الواضحة وهى التنظيف ونادراً ما يشعر الرجال بأنه يخصهم رغم أنهم يقومون بتنظيف المدفأة ، والبالوعة ، وأدوات الطلاء .أما بالنسبة للشراء ، فإنه نادراً ما يخطر على ذهن الرجل بأنه يقوم بشراء الأدوات ، والأجهزة ، وقطع غيار الحاسوب ، أو شراء السيارات . على ذلك فلابد للقوائم من توضيح الأعمال الخاصة بالرجل بشكل تفصيلى . كثير من الأعمال الخاصة بالرجال موسمية ، لذلك يسهل نسيانها بعد الموسم . لذلك حين يسأل القائم بالاستقصاء فى الصيف عن الأعمال التى يقوم بها رجل ، فإنه عادة ما ينسى أنه يقوم بإزالة الثلوج وذلك لأنه يقوم بها فى الشتاء .

وحيث إن مهام الرجال تختلف من مشروع إلى آخر ، فهى يسهل نسيانها بمجرد انتهاء المشروع ، بصرف النظر عن الموسم .

عندما تضيف عوامل التمييز الثلاثة معاً ، تجد أن الرجل الذى يدرب فريق ابنته لكرة القدم فى الصيف ، عندما نسأله فى ديسمبر لا يتذكر ما قام به فى الصيف : " لقد كان ذلك مشروعاً قديماً " . والقائمة لا تشير إلى هذا العمل رغم أنه قد يكون مرحلة فاصلة فى حياة ابنته .

فـى كتـابْ " هوشـيلد " " The Second Shift " طلبـت " هوشـيلد " مـن الرجال والنسـاء أن يتحـدثوا عـن اليـوم النمطـى أو العـادى لكـل مـنهم ، ومـن إجاباتهم قامت بتكوين قائمتها الخاصة بالأعمال المنزلية التـى رأيناهـا سـابقاً . **إن هذا السؤال المتعلق باليوم يوحي بالتمييز ضد الرجال لأن أعمال الرجال لا تتم يومياً ـ بل تتم عند الحاجة أو الضـرورة** . إن الرجـل لا يصـلح دورة الميـاه كل يوم ولكـن عنـد الاحتيـاج لـذلك ، ونفـس الشـىء بالنسـبة لقـص حشـائش الحديقة ، وكذلك كل محتويات القائمـة الخمسـين . وهـذا هـو السـبب فـى أن ٩٦ ٪ من أعمال الرجال لم تتضمنها قائمة " هوشيلد " .

## إسقاط المهام الخفيفة من اليوميات

لاحـظ أن مهمـة نسـائية مثـل " توصـيل الأبنـاء إلى الحضـانة أو الطبيـب " موجودة فى قائمة " هوشيلد " . وكل ما تقوم به المرأة ويتطلب قيادتهـا للسـيارة موجـود أيضـاً فــى القائمــة . أمـا المهـام التـى يقـوم بهـا الرجـل وتتطلـب قيادة السيارة ـ مثل التنزه مع أفراد العائلة فى الإجازة الأسبوعية فلا وجود لها بالقائمة . هل سيتم إدراج هذا النوع من المهام فى قائمة أحـد الأشـخاص الـذين يستخدمون أسلوب اليوميات فى قياس إسهامات الرجل داخل المنزل ؟ .

تعتبر طريقة اليوميات ، من وجهة نظر مسـتخدميها ، هـى الأفضـل حيـث تسجل المرأة أو الرجل مـا يفعلونـه خـلال سـاعات اليـوم . ولكـن ، فـى المثـال السابق عن قيادة السيارة ، قد نجد أن الرجل سجل يوم السـبت السـاعة ٦ ـ ٧ مساءً ، " اصطحابه لأبنائه إلى جدهم وجدتهم " . إن عبارة " اصطحبت الأبنـاء " لا يمكن أن يترجمها الباحثون إلى أن الأب هـو الـذى قـاد السـيارة حيـث إن الباحث ليس له الحق فى ذلك . أيضاً ، قـد يكـون الأب رتـب الحقائـب فـى السيارة ، ثم ملأها بـالوقود وهـذه أمـور لم يقـم بتسـجيلها . علـى ذلـك لم يـتم تسجيل ثلاث مهام خاصة بالرجال وكأنها لم تكن ـ ولو فـى اليوميـات ـ وذلـك لأن الرجـال لا يعتبرونهـا أشـياء تسـتحق التطـوع ، بـل يرونهـا مـن واجـبهم الطبيعى .

لهذه الأسباب ، فإن الباحثين ممن يعتمدون على اليوميات يجب أن يعلموا أنفسهم أن مهام الرجال تكون غير ظاهرة ، وأن الرجال يحتاجون إلى من يساعدهم فى إدراك ومعرفة إسهاماتهم الموجودة بقائمة الأعمال المنزليه للرجال .

## الاعتماد فقط على بيانات النساء

من أخطر التوجهات التى تبنتها تلك الدراسات هو الاكتفاء بسؤال النساء حول الأعمال التى يقوم بها كل من الجنسين ، وهو ما حدث مثلاً فى أحدث دراسة عن رياضات النساء ، وهو ما يشبه سؤال أعضاء الحزب الجمهورى فقط أو الديمقراطى فقط عن الحزب الذى يعمل أكثر لصالح البلاد .

## اغضب وتمرد ، وانسف أسطورة العمل المنزلى

إحدى النتائج التى عممتها الدراسة التى قام عليها كتاب " The Second Shift " هى أن الرجال لا يعملون داخل المنزل سوى سبع عشرة دقيقة فى اليوم . لذلك دعنا نراجع الحقائق فى هذا الشأن .

**أسطورة :** لم يتغير الرجال ، وهم لا يزالون يقومون بالمشاركة فى العمل المنزلى لمدة سبع عشرة دقيقة كل يوم ، مثلما كانوا يفعلون منذ عام ١٩٦٥.

**حقيقة :** حتى فى عام ١٩٦٥ ، كانت مساهمات الرجل فى العمل المنزلى ورعاية الأطفال تصل إلى ساعة ونصف كل يوم فى أيام العمل ، وثلاث ساعات فى أيام الإجازات .. وهذا الرقم يتزايد منذ ذلك التاريخ .

قامت وسائل الإعلام بنشر رقم " السبع عشرة دقيقة " بدون أن تبذل أى مجهود لمراجعته . ولكن عندما ذهب " جوبليك " والذى كان يعمل فى مركز بحوث " ويلزلى " ، للبحث فى مصدر " هوشيلد " فى ذلك ، كانت المفاجأة أن هذا الرقم مبنى على خطأين رئيسيين هما :

- استبعاد كل ما يقوم به الآباء العاملون فى أيام الإجازات . السبع عشرة دقيقة كانت هى الوقت الفعلى لمهام الآباء المنزلية فى أيام العمل العادية .
- تجاهلت " هوشيلد " تماماً مساهمات الرجال فى الإصلاحات ، ودفع الفواتير والأنشطة الإدارية الأخرى . لقد استبعدت أكبر نوعين من المهام . بنفس طريقة تقرير الأمم المتحدة .

عند مراجعتى لهذه المراجعة للتأكد من أن " جو بليك " لم يخطئ ، اكتشفت أن " هوشيلد " استبعدت أيضاً قيام الآباء برعاية الأبناء .

عند ذلك ، ماذا يحدث لو قمنا بقياس متوسط عدد ساعات عمل الرجل فى الأيام العادية وأيام الإجازات فى منتصف الستينات إذا ما أضفنا الإصلاحات ورعاية الأبناء . **إن الدقائق السبع عشرة المدّعاة ، كانت فى واقع الأمر ساعة ونصف ساعة فى اليوم العادى ، وثلاث ساعات فى العطلات** . وكانت سنوات منتصف الستينات هى الفترة التى كان فيها معظم الرجال المتزوجين ذوى الأطفال يقدمون ٩٠ ـ ١٠٠ ٪ من دخل الأسرة ؛ وقد كان أبى يقضى من ثلاث إلى أربع ساعات فى الانتقال ما بين الضواحى إلى المدينة التى يعمل بها ـ وهى رحلة عادية يقوم بها كل الرجال من جيراننا ، لدرجة أن كل المنازل كانت تمتلك مآرب تكفى لسيارة واحدة . . . وهى التى تستخدمها النساء أثناء تنقل أزواجهن بين وسائل المواصلات المختلفة .

لقد امتلأت دراسة " هوشيلد " بالثغرات . وهذه ثلاث من أهمها :

- لم تخبر قراءها أبداً أن الدراسة التى اعتمدت عليها أظهرت أن معظم النساء كان إجمالى ساعات عملهن يقل عن إجمالى ساعات الرجال .
- تذكر لنا أنه طبقاً لدراسة تمت فى عام ١٩٦٥ ، فإنه وُجِدَ أن الرجال يملكون أوقات فراغ أكثر من النساء . وهذا غير صحيح نظراً لأنها أجرت المقارنة مع الأمهات العاملات فقط ( والفرق أربع دقائق فى اليوم ) . ولكنها لم تذكر لنا مثلاً أن نفس الدراسة ورد بها أن ربات المنازل اللاتى لديهن أبناء كنَّ يملكن ٣٤٦ دقيقة فى الأسبوع من أوقات الفراغ أكثر من أزواجهن .
- اعترفت " هوشيلد " بأن الدراسة الرئيسية التى اعتمدت عليها كانت غير حديثة ، ولكنها أوردت دراسة أخرى تذكر أن عمل الرجال فى المنزل لم

يزدد منذ عام ١٩٦٥ . وهى دراسة " جون روبنسون " . ولكننى حين راجعت نفس الدراسة وجدت أنها تؤكد العكس ، وهو أنه منذ ذلك التاريخ وعمل المرأة المنزلى يتناقص فى حين يتزايد عمل الرجل داخل المنزل . وفى الحقيقة فإنه منذ عام ١٩٦٥ وحتى ١٩٨٥ ، زاد مقدار عمل الرجال المنزلى بنسبة ١٤٧ ٪ .

إن كل حقيقة بمفردها تكون ذات تأثير غير ملموس . ولكن تعمق الانطباعات التى تركتها نتائج الدراسات عن المرأة كضحية تجعلنا ننسى هذه الحقائق بعد التعرف عليها وتترك أثراً لا يمحى بعد نسيان الحقائق . وهذا هو ما يخلق الكذبة الكبرى .

عندما عرضت قضية سوء استغلال البيانات على قيادات نسائية لم أجد إجابات مشجعة مثل : " يا للعجب ، لم أكن أدرك أن الأمر كذلك ، إن هذا يجعلني أعدل من موقفي تجاه الرجال ، سوف أتأكد مما قلته ، وإذا كان صحيحاً فلن أكرر هذا الاعتقاد النمطى بأن الرجال كُسالى " المبنى على صورة نمطية للرجل الكسول " . وبدلاً من ذلك يكون رد الفعل لديهن جميعاً هو " كيف تكون بهذه السذاجة لتثق بما يقوله الرجال عن الأعمال الخاصة بالرجال ؟ " لاحظ أنه ليس هناك تأكيد بل هو مجرد تحويل التركيز من الافتراء على الرجال باتهامهم بالكسل إلى اتهامهم بالكذب ؛ ولكن لأن الاستجابة شائعة ، أردت التأكد من ذلك أيضاً . هل الرجال كذابون بالفعل ؟

**أسطورة :** يبالغ الرجال فى ذِكْر عدد الساعات التى يعملونها . أما النساء فيعملن أكثر مما يقلن .

**حقيقة :** تذكر النساء أرقاماً تمثل ثلاثة أمثال ما يقومون به فعلاً فى رعاية الأطفال ، والمرجع فى ذلك هو ما يسجلنه فعلاً فى يومياتهن . وبالعكس يتذكر الرجال نصف ما يقومون به من مهام داخل المنزل .

بل إن المرأة فى مواقع العمل أيضاً تبالغ فى حجم الوقت الذى تقضيه فى العمل مقارنة بالرجل . **ومتوسط هذه المبالغة ٦ ساعات تقريباً كل أسبوع أكثر من مبالغات الرجال** . وبلغ عدد النساء ضعف عدد الرجال الذين

قالوا إنهم يعملون ٥٥ ساعة أسبوعياً ( فى كتابى الذى سيصدر قريباً " 25 Ways To Higher Pay " سأقوم بعرض التأثيرات البالغة لهذه النتائج ) .

ولكن ، انتظروا قليلاً أيها الشباب قبل اتهام النساء بالكذب ، ولنتذكر أن المرأة قد تشاهد التلفاز مع ابنتها وفى نفس الوقت تقوم بالطهو ووضع الملابس فى الغسالة ووضع الأطباق فى غسالة الصحون ، وكل ذلك يتم فى وقت واحد ولا يستغرق أكثر من ساعة ، وهى تطلق عليها " ساعة لرعاية الطفل " و" ساعة للطهو " و" ساعة لغسيل الملابس " و" ساعة للتنظيف " وهو مجموع أربع ساعات من الأعمال مجمع فى ساعة واحدة . كثير من الرجال يصعب عليهم إصلاح السقيفة وتسوية الحشائش فى نفس الوقت . إن اختلاف طبيعة المسئوليات بين الرجل والمرأة تجعل من السهل على المرأة أن تبالغ فى عدد الساعات التى تقضيها فى هذه الأعمال .

وعلى العكس من ذلك ، فإن الرجال الذين يقللون من مقدار ساعات العمل خارج المنزل ليسوا متواضعين فقط . فخلال لقاءات أجراها باحثون مع رجال ذكروا أنهم عاطلون عن العمل لأنهم لا يعملون أكثر من عشرين ساعة فى الأسبوع ، اكتشفوا أن من يعمل ثلاثين ساعة أو أقل يصنف نفسه على أنه عاطل عن العمل . كثير من الرجال يشعرون بأن العمل أقل من المعدل شىء مخجل ولذلك يعتبرون أنفسهم عاطلين .

من المدهش أن التوجه لدى الرجال والنساء للمبالغة فى تقدير عدد ساعات العمل يتزايد مع الوقت ـ ولكن يتزايد أكثر بالنسبة للنساء وأيضاً يتزايد عدم دقة كل من يعملون أكثر من أربعين ساعة . وهذه الاتجاهات الثلاثة صحيحة فى مختلف الدول ، مثل روسيا .

**أسطورة ( الجزء الثانى ) :** " عمل المرأة " بلا مقابل .

كما ذكرت سابقاً سنتكلم عن ست طرق يدفع بها الرجال مقابل العمل التقليدى للزوجات .

**حقيقة ( الجزء الثانى ) :** يتم فعلاً دفع مقابل لعمل المرأة ـ من خلال ست طرق على الأقل :

## ١. الشيك المصرفى للرجل

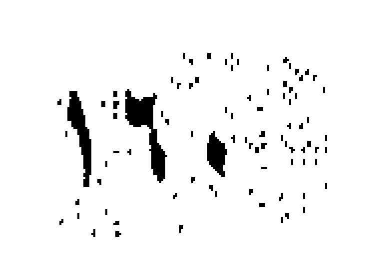
**مثال :** كان الرصيد الشخصى لـ " هيلارى كلينتون " عام ١٩٩٥ صفراً . على الرغم من ذلك كانت تعيش فى بيت غاية فى البياض ، ولها حراس شخصيون ( رجال يدفع لهم لكى يعرضوا أنفسهم للموت قبل أن تصاب هى بأى أذى ) ، وسيارات ليموزين ، وطائرة خاصة رقم ( ١ ) ، وأفضل طعام مجانى أكثر بكثير مما يستطيع زوجها أن يأكله .

إن ما يحصل عليه الرجل المتزوج من دخل ليس له ، ولكنه للأسرة . إذا كان يتحصل على ثلاثة أرباع من الدخل الإجمالي ، فإنه يدفع ثلاثة أرباع المصروفات . وأحياناً أكثر . إن " دخله " يتحول إلى ( منزلهم وحديقتهم وسياراتهم والتأمين على سياراتهم ، وفواتير أطباء الأسرة ومعالجيهم النفسيين ) . أما دخلهم المشترك فيفوق احتمال إنفاقه على احتياجاتها الشخصية ( القلائد والأقراط والخواتم والأحذية وأدوات التجميل وكل ما لا يعنى الرجال أن ترتديه ) سبعة أمثال ما ينفقه الرجل .

عندما تطهو المرأة وتقوم بالنظافة يومياً من أجل رجل ، فإن ذلك يكون فى مقابل ما يدفعه الزوج . لعل الأرقام المرتفعة لحالات الطلاق التى تأتى نتيجة تعرض الرجل للبطالة ، تشير إلى أن الرجل حين لا يدفع للمرأة فإنها قد لا تطهو الطعام أو تنظف منزلها . وكما رأينا ، عندما تحصل المرأة على دخل أكبر من دخل زوجها ، يكون الزوج هو الذى يقوم بمعظم الأعمال المنزلية .

## ٢. زيادة سنوات حياتها أكثر من الزيادة فى سنوات حياته

ليس هناك من وسيلة دفع أكبر من تقديم الحياة . نسمع كثيراً أن المرأة العاملة تقوم برعاية زوجها ، ولكن قليلاً ما نسمع أن الدور التقليدى للرجال أدى إلى ارتفاع أعمار النساء عن الرجال بعام فى المتوسط هذه الأيام . لقد أدى الدور التقليدى للرجل إلى زيادة معدل عمر النساء بتوفير علاجات لمعظم الأمراض ، وصحة عامة أفضل ، وتوفير فى مجهودها باختراع الغسالات الأتوماتيكية للملابس وللأطباق ، وتوافر أقراص منع الحمل ، ووسائل التوليد الحديثة ، والمسكنات والتدفئة المركزية ، والدوائر المطبوعة للحاسوب .. إلخ .



### ٣. إعطاؤها حرية الحب

إن ما يحصله الزوج من دخل يوفر لزوجته فى الغالب اختيار أن يُدفع لها لكى تحب . إن ما يقرب من ربع النساء المتزوجات يعملن كل الوقت خلال خمس سنوات بعد ولادة الطفل الأول . أما الثلاثة أرباع الباقين فهن إما لا يعملن خارج المنزل إطلاقاً أو يعملن لنصف الوقت . إن رغبة الزوج فى الالتزام بالعمل يوفر لها حرية الاختيار لكى تتلقى الأجر لكى تحب . كنتيجة ، فإن الأم تتواجد عندما يخطو الطفل خطوته الأولى : ولكن الأب لا يشاهد ذلك بل ينقل إليه الخبر . وهى تحصل على أجرها مرتين فى حالة الطلاق حين تحصل أيضاً على الأطفال .

وكلما دُفع لها لكى تحب وترعى ، صارت شخصيتها أكثر حباً للاحتضان والرعاية ، ومن ثم يزيد الضغط النفسى عليه نتيجة لتجنب مواجهة رئيسه بما يعتقده الصواب ليحافظ على وظيفته ، وبالتالى يصل إلى حلول وسط على حساب الأخلاقيات حتى لا يعرض زوجته وأطفاله للمخاطر ، ويتيح لهم القدرة على أن يحبوا بعضهم . كما أن شخصيته هو الآخر تتغير . ففى سن الخامسة والأربعين ، ينظر إلى المرأة ويدرك أن الذى أمامه شخص لا يحبه . ولكن زوجته لا تمانع فى الغالب ، حيث قد تم الدفع لها لكى تحب .

### ٤. المخاطرة بحياته لكى يزيد من راحتها

رأينا من قائمة الأعمال المنزلية الخاصة بالذكور كيف أن الرجال غالباً ما يخاطرون بحياتهم حتى لا تتعرض حياة زوجاتهم للخطر . معظم الرجال الذين أعرفهم ممن يعانون من آلام فى الظهر لا يتورعون عن زيادتها بتحريك قطع الأثاث تحت إشراف زوجاتهم . وعندما يصعد سلالم عالية كى يتفحص السقيفة أو يستكمل الطلاء فى مكان عال ، فإنه يقوم بذلك ليوفر لها الحماية . وهذه هى إحدى طرق الرجال للدفع مقابل مساهمات النساء .

### ٥. ابتكار الزوجة متعددة الخيارات

إذا لم تكن ثلاثة أرباع الزوجات اللاتى لديهن أطفال لا يعملن بدوام كامل ، فماذا عن الزوجات اللاتى يعملن طوال الوقت ؟ هل لديهن اختيارات أكثر من أزواجهن ؟ حسناً ، إن التزام الأزواج الأكبر بمقار أعمالهم يؤدى إلى أن يصبح دَخْل الأزواج يمثل ثلثى دخل الأسرة . والسبب فى ذلك هو أن الزوجات

عندما يسمع : " إننى أعمل طوال النهار ... ولكنك لا تقوم حتى بتنظيف الأطباق " ؟

يخترن وظائف أقل خطراً وتتمتع بمرونة أكثر فى عدد ساعات العمل ، وتتطلب ركوب مواصلات أقل ، وفوق كل ذلك تعطى شعوراً بالإنجاز . على ذلك فإن عائد العمل الزائد فى المنزل ، هو اختيار العمل الذى يعطى مرتباً أقل لأنه يستلزم تضحيات أقل .

على الجانب الآخر ، يمكن للزوجة أن تختار مواصلة مستقبلها المهنى نظير راتب أكبر . عادة ما أوجه سؤالاً إلى المستمعين فى برامجى الإذاعية عن مدى الإحساس بالراحة إذا تولى الأب رعاية الأبناء بينما الأم تقوم بالعمل خارج المنزل للحصول على دخل للأسرة . جاءت كثير من إجابات الرجال بالإيجاب ، ومن النادر أن توافق النساء على ذلك .

غالباً ما يكون اشتراك النساء فى فصول التدريبات البدنية الهادفة لإنقاص الوزن على نفقه الزوج الذى يستطيع أن يدفع الاشتراكات الكبير لهذه التدريبات التى تتفرغ لها الزوجة سنتين متتاليتين . والمرة الوحيدة التى شاهدت فيها العكس حين أصيب الزوج بنوبة قلبية وكان هذا التدريب جزءاً من العلاج ، كانت المصروفات تدفع من مدخرات الزوج . ليس السبب فى ذلك أن النساء لا يقدمن مساهمات مهمة ، ولكن من غير العدل أن نقول إنهن لا ينلن التعويض الكافى عن هذه المساهمات .

## ٦. ما بعد الطلاق ، تتوافر لها الحماية أكثر مما تتوافر له ، سواء من دخله أو بدعم من الحكومة .

**مثال :** أحد أصدقائى يحصل من عمله على ٧٠ ألف دولار فى العام ، ولكنه يعيش فى شقة صغيرة ، ويشعر بالأسى لحرمانه من أبنائه . على الرغم من حبه لأبنائه ولبيته ، استولت الزوجة السابقة على الاثنين ، الأبناء والبيت ذى غرف النوم الثلاث . يتبقى له من دخله ما لا يزيد على عشرة آلاف دولار يدفعها مقابل الإيجار والغذاء والمتطلبات الأخرى ، أما الباقى فيدفعه لرعاية الأبناء ، ولمدارسهم ، ولنفقة الزوجة وللضرائب .

حتى إذا وقع الطلاق ، فالرجل يستمر فى الدفع رغم أنه لا يستفيد من عمل الزوجة فى المنزل . وغالباً ما تحصل هى على منزل الزوجية بينما يدفع هو أقساطه ؛ وتحصل على الأبناء ويدفع هو مصروفات معيشتهم .

حتى بالنسبة للأم الوحيدة الفقيرة ، فإنها لا تترك حقها فى مقابل أداء الأعمال المنزلية . قليل من الناس من يعلمون أن الربع فقط من النساء المعيلات

لأبناء تحت خمس سنوات وغير متزوجـات ، يعملـن ٣٥ سـاعة أو أكثـر . وقـد وجدت الدراسات التـى أجريـت علـى الـدعم الحكـومى المقـدم لهـن ولأبنـائهن لتغطية نفقات الحياة والذى يصل إلى ٢٣ : ٣٦,٤ ألف دولار خـلال فـترة أحـد عشر شهراً هى مدة الدعم الحكومى فى معظم الولايات ، مثل كولومبيا ، وجـد أن هذا المبلغ يغطى نفقة الأبناء ، كوبونات الغذاء ، نفقـات الأطفـال الرضـع ، العلاج ، الإسكان ، .. إلخ . ومن الطبيعى أن معظم النساء يحصلن فقـط علـى بعـض هـذه المنـافع ، والـبعض لا يحصـلن علـى مـا يسـتحقونه ، ولكـن هـذه المدفوعات تتوافر من الضرائب التى يدفعها الرجال من دخـولهم ، وهـذه طريقـة أخرى غير مباشرة يساهم بها الرجال مجتمعين للدفع للنسـاء مجتمِعـات عنـدما فشل الرجال فى الدفع للنساء كل على حدة .

## ظاهرة الأم الوحيدة

ذكرنا من قبل أن كـثيراً مـن المهـام التـى يقـوم بهـا الرجـال تقـوم بهـا الأم الوحيدة . هـذه الأم التـى تصـير وحيـدة بـدون أن تـدرك مـا سـاهم بـه زوجهـا بجهوده تكون فى طريقهـا إلى حالـة مـن الضـغط . فمـثلاً ، الأب الـذى يراعـى التوازن فى رعايته لأسرته ، وبيتـه ، ويحـافظ علـى التزامـه ، غالبـاً مـا يجـد صعوبة فى شرح الطريقة التى يفعل بها ذلـك ، والزوجـة بعـد الطـلاق تـرى أن المشكلات التى تحدث سببها هو الطلاق ، وتحاول أن تخفف من ذلك بتلطيـف العلاقات مع الأبناء الذين يشعرون بأهمية دورهم ، ومن ثـم تبـدأ فـى المعانـاة . ومـن الصـعب علـى امـرأة مطلقـة أن تقـول لزوجهـا السـابق : " إننـى لم أدرك أنـك كنـت تسـاهم كـثيراً فـى رعايـة الأبنـاء إلا بعـد أن طلقتنـى ، هل يمكن الآن أن تقدم لى المساعدة ؟ " .

عندما تحدث بعض الأمور البسيطة ـ عطل فى الحمام مـثلاً ـ تنطلـق الـدموع ويبدأ الإحساس بالندم بحيث يشعر كل من يحـيط بـالأم المهمومـة بالأسـى مـن أجلـها . جـزء أساسـى مـن هـذا الشـعور بـالهم هـو انهيـار حلمهـا بتكوين أسرة مترابطة للأبد ، ولكن جزءاً آخر يرجع إلى إحساسها بـأن إصـلاح عطل الحمام ليس من ضمن واجباتـها ، ولكنه من واجبات الـزوج السـابق . قـد يحدث أحياناً أن يتعاطف الزوج مع دموع الزوجة ويكون رد فعلـه : " أشـكركِ على أنكِ أحضرت الأبناء لرؤيتهم ، هل يمكـن أن تأخـذى معـك ملابسـى غـير

**عندما يسمع : " إننى أعمل طوال النهار ... ولكنك لا تقوم حتى بتنظيف الأطباق " ؟**

النظيفة لغسلها ؟ " .
غالباً ما تجد الأم العزباء بديلاً عن الزوج للقيام بالمهام النمطية للرجل حيث تعود للتقارب مع أبيها ـ أو لا تغادر منزل الأب ـ أو تعتمد على رجل من الجيران أو على صديق . كل هذه البدائل تخلق المشاكل ، وخاصة للمرأة التى لا تعرف طبيعة الأعمال المنزلية النمطية للرجال ، لذلك تجد نفسها تدخل فى اتفاقات وصفقات فى مقابل تنفيذ العمل المطلوب .
والمرأة الوحيدة التى تدع الأب يتدخل فى حياتها غالباً ما تشعر بالندم لتدخلاته وأحكامه على أفعالها . كما تلوم نفسها لشعورها بعدم القدرة على الاستقلالية والشعور بأنها لم تكبر بالقدر الكافى .
أما من يعتمدن على الجيران الرجال لإجراء التصليحات باعتبارهم مجرد" صديق للإصلاحات " فهن لا يدركن أن الرجل لا يضحى بيوم إجازته للقيام بذلك فى مقابل مجرد عشاء . الحقيقة أنه إذا كان يقوم بهذا النوع من التضحية ، فهذا بسبب اهتمامه بها . فى حالات كثيرة من هذا النوع من المساعدات ، والذى تظن فيه المرأة أنه مجرد صديق يساعد ، وعندما تفكر المرأة فى الزواج من أحد الرجال ، يشعر هذا الصديق بالغيرة ؛ كما يشعر الزوج المنتظر بالريبة . وتقع المرأة فى هذه الحالات بين شقى الرحى .
ما هو الحل إذن ؟ تخيل أن صديقها الجديد يقضى مساء الأحد كله مع هذه المرأة التى تساعد فى الطهو والتنظيف والغسيل . لابد أنها ستلقيه مع المخلفات المتبقية إذا علمت ذلك . وفى بعض الحالات تكون النساء قد ارتبطن ارتباطاً شديداً بهؤلاء الرجال ، وهذا يتسبب فى بعض المشكلات .

أعتقد أن هناك احتمالين عندما تلجأ المرأة إلى " صديق الإصلاحات " .
أولاً ، أن تكون مدركة أنه يتودد إليها ، وهذا يتضمن أن ما سيقدمه من مهام منزلية سيكون أقل مما تقدمه هى له من مهام منزلية . ثانياً ، أن تكون رغبتها فى عدم الإقرار بالفضل لما يقدمه ، هى استغلالاً له . أما إذا كانت تقوم هى بأعمال نظافة وطهو على أمل أن يبدى بعض الاهتمام بها ، فإن أصدقاءها سوف يجعلونها تتساءل ما إذا كان هذا يمثل استغلالاً لها من جانبه .
هذا الوضع يعتمد على أساس عميق . فمثلما تتجه النساء الفقيرات إلى الحكومة كبديل للزوج ( فى شكل معونات ومساعدات شهرية ) .
تتجه النساء المطلقات أو الأرامل دون وعى إلى بديل لأزواجهن مثل الآباء ،

أصدقاء " الإصلاحات " ، والجيران من الذكور . إذا كانت هذه هي الحالة. فإلى أين ننطلق من هذه النقطة ؟

## إلى أين ننطلق من هذه النقطة ؟

إن تحويل الشعور بالغضب إلى حالة من التفهم يتضمن ما هو أكثر من تغيير الانحيازات التى تشتمل عليها دراسات العمل المنزلى ؛ إن ذلك يتضمن البدء بقيام وسائل الإعلام باختيار الدراسات التى تستحق فعلاً أن يعلن عنها .

**التحيز** : ميل وسائل الإعلام لنشر معظم الدراسات المعادية للرجل بدون أية مراجعة للحقائق أو لمنهجية البحث مثلما يفعلون إذا تضمنت الدراسة أن الرجال يعملون لفترات أطول .

**التغيير** : نظراً لأن العناوين المثيرة هى التى تضمن التوزيع ، فإن كل ما يتضمن أن المرأة ضحية ، " عمل النساء لا ينتهى " يزيد من التوزيع مقارنة بعناوين تمثل الحقيقة مثل " الرجال يعملون أكثر من طاقتهم " . لذلك يجب أن تتم مواجهة وسائل الإعلام بهذه الاتهامات الخاصة بالتحامل . يعنى ذلك ضرورة إجراء دراسات توضح نماذج من الانحياز والتحامل ، يتلوها حملات مقاطعة منظمة من القراء ، وتخصيص مراسلين صحفيين لمناقشة قضايا خاصة بالرجال ودراسات إيجابية كما يتم بالنسبة لقضايا المرأة .

فى نفس الوقت فإن نشر مثل هذه الدراسات المسئولة عبر الإنترنت يشكل قيمة أكبر مادام الربح ليس مستهدفاً . والبرامج الإذاعية الوطنية تعتبر أيضاً ذات قيمة نظراً لأنها تحصل على التمويل من الدولة ، غير أن هذا يمثل تحدياً كبيراً نظراً لتفضيلها التركيز على قضايا المرأة ، ( وخاصة من ناحية النوع ) . الواقع أن هذا يضع البرامج الإذاعية تحت طائلة المادة الرابعة عشرة من الدستور التى تكفل الحقوق المتساوية للجنسين .
إن تحويل الغضب إلى محبة يتضمن أيضاً تحدى التحيزات فى الدراسات المتعلقة بالعمل المنزلى ذاتها . وها هى بعض هذه التحيزات وحلولها المقترحة .

**التحيز** : فى بعض الأحيان ، يستخدم المصطلح للبحث فيما يقدمه الجنسان من مساهمات فى الأعمال المنزلية ، أو لبيان أمثلة معظمها من الأعمال التقليدية للنساء .

**التغيير** : الأمثلة لما يؤديه الرجال داخل المنزل تحتاج لتحديد أكثر مما يتم به تحديد الأمثلة الخاصة بالمرأة .

**التحيز** : لم أسمع عن أى إحصاء لقياس " الاختيارات النوعية " الأكبر التى تواجهها المرأة المعيلة . فمثلاً عندما تشعر المرأة المتزوجة التى لديها أبناء بالمعاناة ، يكون أمامها اختيارات لتقليل ساعات عملها ، أو الانتقال إلى عمل أقرب إلى منزلها .

**التغيير** : على كل دراسة إحصائية أن تقيس " الاختيارات النوعية " للجنسين من خلال أسئلة مثل : " هل يمكنك الالتحاق بوظيفة تتضمن أقل من ٣٥ ساعة من العمل فى الأسبوع بدون الدخول فى صراع مع شريك الحياة ؟ " .

**التحيز** : لم أسمع عن دراسة إحصائية لقياس " الاختيارات النوعية " الأكبر التى تواجهها المرأة المتزوجة التى لديها أطفال ، فمثلاً ، هى نادراً ما تفكر فى تولى أعمال خطرة مثل قيادة سيارة أجرة ، أو عربة نقل ، أو العمل فى البناء ؛ أو فى أعمال ذات طبيعة مُجهدة ومثيرة للتوتر مثل الطهو فى مطاعم الخدمة السريعة ؛ أو الأعمال الشاقة مثل الميكانيكى ، أو عامل محطة الوقود ، أو بواب فى فندق ؛ أو أعمال مثل مناجم الفحم والتى تنطوى على كثير من المشاكل . نفس الشيء ، عندما تحصل المرأة على عمل تعتقد أنه يحقق لها الشعور بالإنجاز ولكنها تكتشف أنه لا يحقق ذلك ، فإنها تعلن عن رغبتها فى تركه للإنجاب ، أو الاستقالة منه لفترة . وعند العودة إلى العمل مرة أخرى ، تلتحق غالباً بعمل يحقق لها فعلاً الشعور بالإنجاز ولكن بمقابل مادى أقل .
على ذلك فإن أى إحصاء يفشل فى قياس مدى حرية الاختيار النوعى للنساء والرجال ، يكون بالتأكيد متحيزاً للنساء أكثر .

**التغيير** : كل إحصاء يجب أن يتضمن سؤالاً ، تكون إجابته متدرجة من ١ إلى ١٠ ، إلى أى درجة تؤثر في عملك الذى لا تحبه ولكن عائده أكبر ومزاياه أفضل من عمل آخر تحبه ( مثلا ، مدرس ، كاتب ، مغن ، فنان ... ) ؟

**التحيز** : هناك إحصاءات كثيرة تقارن بين النساء اللائى يعملن عدداً من الساعات أكثر من أزواجهن ، وعدم وجود إحصاءات تقارن عمل هؤلاء الأزواج الذين يعملون عدداً أكبر من الساعات عن زوجاتهم ، أو حتى تأتى على ذكر الأزواج الذين يؤدون معظم العمل المنزلى المفترض قيام الزوجة به .

**التغيير** : دراسة حالات الرجال الذين يعملون أكبر عدد من الساعات مثلما تتم دراسة حالات النساء اللاتى يعملن لعدد كبير من الساعات .

**التحيز** : تفترض بعض الدراسات الإحصائية أن ساعات عمل الأمهات العاملات مساوية لساعات عمل الآباء ، ومن ثم تقيس فقط عدد الساعات التى يعمل فيها كل منهم فى الأعمال المنزلية . ولكن إذا كان الرجال يعملون مثلاً ١١ ساعة فى الأسبوع أكثر من الأم العاملة ، بالإضافة إلى ساعتين يقضونهما فى المواصلات ، يكون معنى ذلك ١٣ ساعة فى الأسبوع غير محسوبة لصالح الرجل .

**التغيير** : يجب التأكد من أنه يتم حساب ساعات العمل بالإضافة إلى الساعات التى تستغرقها التنقلات بين المنزل والعمل ، هذه التغييرات ستقود لأن تشعر المرأة بأن الرجل الذى تحبه يقدر قيمة وقتها وبالتالى يقدرها . سيشعر الرجل أيضاً بأنه مقدر وبالتالى يكون أكثر التزاماً ، لأن الالتزام يولد الحميمية ، وكل ذلك بدلاً من مطالبته بأداء مهام إضافية .

لعل أكثر ما يشعر المرأة بأن زوجها يقلل من قيمتها ، هو إحساسها بأنها تُظلم وتستغل من قِبَل زوجها . ولعل أكثر ما يشعر الرجل بأنه أقل من رجل هو ضرب امرأة .

ولسوء الحظ ، فإن أسلوبنا الحالى لحل المشكلة غالباً ما يزيد من تعقدها . لكل هذه الأسباب ، ليس هناك من مجالات تتضمن تعميق المحبة بين الرجال والنساء أكثر من فهم ما الذى يخفيه الرجال عن العنف داخل المنزل .

# ... إذا عرف زوجك أنك تخافين من احتمالات استخدامه للعنف ضدك

عزيزتى " آبى " : أود أن أوجه لك كل الشكر على ما سجلته من علامات تحذير ضد شريك الحياة الذى يستخدم العنف والإيذاء الجسدى . غير أنك لم تكونى عادلة عندما صورتِ الرجال كما لو أنهم الوحيدون الذين يسيئون معاملة النساء . ولكن الأمر ليس كذلك ، يمكن للنساء أن يكنَّ أيضاً مؤذيات .

كان شقيقى متزوجاً من امرأة تؤذيه جسدياً وكانت تتصف بالنقاط الخمس عشرة التى ذكرتها فى مقالتك . التحق بمجموعة خاصة بالرجال للمساندة حيث اكتشف أنه ليس وحده الذى يتعرض للضرب من قبل زوجته .

وبعد كثير من البحث وجدت أن النساء مثلهن مثل الرجال من حيث توجيه الإيذاء الجسدى للطرف الآخر فى العلاقة .

إن النساء يفلتن من العقاب على عنفهن ضد الرجال ، لأن معظم الرجال الذين تعرضوا للعنف كانوا يخجلون من الإبلاغ عما حدث ضدهم . ولكن آن الأوان للنظر إلى الجانب الآخر من القصة ، وانتهاز فرصة مناقشة العنف المكثف فى المجتمع ، ومراجعة الاتهام الموجه للرجال فقط .

" إى . فى . ليلاند " ، " دالاس "

" عزيزى " إى . فى . ليلاند " : إذا كان ما تقوله حقيقياً ، فإننى أود الاطلاع على الإحصائيات . رغم أننى لا أشك فى أن كثيراً من الرجال قد تعرضوا للإيذاء الجسدى من رفيقاتهم ؛ ويخبرنى الخبراء أن عددهم صغير مقارنة بالعدد الكبير من النساء ممن لاقين الإيذاء على يد أزواجهن " .

تظل المرأة التى يساء معاملتها أسيرة العلاقة مع الطرف الآخر ، خوفاً من التعرض للقتل إذا هى حاولت الهرب أو هجر الزوج . وعادة ما يقوم الطرف المسيء بعزل المرأة ، وهى لا تمتلك أى نقود أو وسائل مساعدة أو مهارات تمكنها من العمل ، وتشعر دائماً بالعجز عن إعالة نفسها وأبنائها . ولكن العكس ليس صحيحاً بالنسبة للرجال .

لاحظ الرجال الذين يتشاركون فى خبراتهم الشخصية من خلال مراسلة " آبى " أن رد الفعل الدائم ـ بدلاً من التعاطف ـ كان التأكيد على أن النساء يواجهن المصاعب أكثر من الرجال . هذا الاعتقاد ساد بقوة طوال ربع القرن الماضى . وفسد الحلم الجميل لكل فتاة بأن تتزوج من رجل يحميها ، وتحول هذا الحلم إلى كابوس الزوج العنيف المؤذى . وتشعر الزوجة بأنها نُصِحَت بالزواج من العدو . ومما ساهم فى تدعيم هذه المخاوف إعلانات وصور مثل هذه ، التى تولى نشرها كل من المجلس الوطنى للإعلان ، والاتحاد الدولى للصور الإعلانية .






بما أن الرجال هم جزء من كل الأسر ، فقد أدى هذا الرعب إلى تفرقة هذه الأسر وتسميم مشاعر الحب . ولكن العنف المنزلى هو حقيقة واقعة . لماذا إذن فى يوم الزفاف ، يكون لدى معظم المقدمين على الزواج رغبة حقيقية فى الأخذ والعطاء للحب ، ولكن البعض الآخر ينتهى بهم الأمر بآثار سوداء حول العيون وكدمات على أجسادهم ؟

أعتقد أن التوجه لزيادة ممارسة العنف المنزلى تسارع من خلال الافتراضات التى سادت حول المسألة ، وهى أن الرجال هم الذين يضربون النساء ، ومن النادر أن يحدث العكس ؛ وأن النساء يضربن الرجال فى حالة الدفاع عن النفس فقط ؛ وأن النساء لا يغادرن المنزل بعد الضرب خوفاً من التعرض للإيذاء فى الطريق من الرجال الأكثر خطورة . إن هذا المدخل الذكرى لحل المشكلات بضرب النساء ناشئ عن إحساس الرجال بقوتهم وتميزهم عن النساء اللاتى يعتبرونهن جزءاً من ممتلكاتهم .

إذا اعتقدنا بصحة الاعتقاد السائد بأن الرجال هم الذين يضربون النساء ، فسيكون من الصعب أن نرى أن النساء أيضاً يجب أن يتغيرن : سنظل نردد " لابد من تغيير الرجال . إنهم الذين يبادرون بالعنف " . ساهمت مؤسسة " الطريق الموحد " ، وهى مساهم رئيسى فى حملة منع العنف المنزلى - فى تأكيد الأفكار المسيطرة التى مؤداها أن المرأة هى الضحية الوحيدة ، وذلك فى كتيب أصدرته وترى غلافه على هذه الصفحة ، للإعلان عن برنامج تنظمه فى مركز تدريب الرجال :




إذا عرف زوجك أنك تخافين من احتمالات استخدامه للعنف ضدك

هذا الافتراض يمنعنا من إعادة صياغة العلاقة المتناغمة بين المرأة والرجل من وجهة نظر لا تتضمن تبادلاً للاتهامات . الخطوة الأولى هى تحمل الرجال مسئولية كشف حقيقتهم . ولكن يفاجئنى دائماً أن الرجال حتى لو وافقوا على ذلك وقاموا به ، لا ننصت لهم بالشكل نفسه .

## أنقذوا الحيتان ، واضربوا الرجال

واقعة . فى برنامج " أوبرا وينفرى " التليفزيونى ، ظهر أربعة رجال وصفوا كيف قامت زوجاتهم بضربهم بالعصا على أسفل الظهر ، أو على الرأس مستخدمات المقلاة . كانت ضحكات الجمهور تتعالى كلما وصف كل منهم الطريقة التى ضربته بها زوجته . كان هؤلاء الأربعة أعضاء فى مجموعة الدعم النفسى للرجال .

دعنا نتخيل الآن الوضع العكسى حيث الزوجات هن الضحايا ، ويصفن كيف قام الأزواج بتعريضهن لإصابات وجروح فى المخ أو الحبل الشوكى عن طريق ضربهن على رءوسهن أو رقابهن بالمقلاة .

لاحظ أن الأزواج الذين يتعرضن للضرب مازالوا يقيمون مع زوجاتهم . وعندما تقرر الزوجة التى تعرضت للضرب البقاء مع زوجها ، نسارع بتوفير ملاذ آمن لتقيم فيه لنشجعها على الهرب . وإذا قررت عدم الهرب ، نقول عنها إنها تنتمى لظاهرة المرأة الضحية .

عندما تتشكل مجموعة دعم من النساء اللاتى يتعرضن للضرب يكون الشعار المرفوع هو حماية الضحايا . أما فى مجموعات دعم الرجال فيكون الشعار هو إعطاء المبرر للمرأة ، أما كون الرجال الذين تعرضوا للضرب ضحايا فهذا ليس محور الاهتمام . وبالنسبة للرجال فعادة ما تكون البطالة سبباً وراء الإيذاء ، ولكن نادراً ما تشكل النساء مجموعات خاصة بزوجات العاطلين لمساعدتهم على فهم القضية المسببة للإيذاء الجسدى وهى البطالة . نلاحظ أن التركيز فى مجموعات دعم الرجال يكون على التفهم ، والمسايرة ، وتغيير الموقف ؛ ثم - إذا فشلت كل المحاولات - ترك المنزل ؛ ولكن التركيز فى مجموعات النساء المتضررات هو ترك البيت أولاً ، ثم إلقاء الرجل فى السجن .

باختصار ، عندما تمارس النساء العنف ، تكون المهمة الأولى للرجال هى دعمهن ومساعدتهن على التغيير ؛ ولكن حين يكون الرجال هم الذين يمارسون العنف ، تكون المهمة الأولى هى مساعدة المرأة على الهروب من الرجل ، ووضعه فى السجن . فى كل الحالات ، ألا يجب علينا إعادة صياغة المقولة التى ترددها الحركات النسائية : " ليس هناك أى عذر لممارسة العنف ضد المرأة " ، لكى تصبح : " ليس هناك أى عذر يبيح الضرب " ؟ لم يسبق أن حاول أى من المهتمين بالقضية بذل جهد لمثل هذا التمييز .

هناك توجه عام فى الثقافة الأمريكية يساند العنف ضد الرجال مثل مساندته إنقاذ الحيتان . فى ١٠٠ ٪ من الإعلانات التى يضرب فيها أحد الجنسين الجنس الآخر ، تكون المرأة هى التى تضرب الرجل . وفى ١٠٠ ٪ . من المجلات الهزلية ، نجد دائماً أن المرأة تضرب الرجل ، ولا نجد أية صورة لرجل يضرب المرأة . عندما يفشل الرجل فى مغادرة المنزل لا نسميه " الرجل الذى تعرض للضرب " مثلما نفعل مع المرأة ؛ ولكننا نطلق على الأمر كوميديا . فى الفصل الخاص بمعاناة الرجل من الإيذاء ، سنرى كل النماذج لذلك ، من كروت التهنئة بالأعياد التى ترسلها النساء إلى بعضهن البعض ، إلى أفلام " ديزنى " التى يشاهدها الأطفال . كل ذلك يصعب إمكانية الاستماع إلى وجهة نظر أخرى حقيقية ـ هى أن الرجال فعلاً يتعرضون للأذى الجسدى من النساء .

## حقيقة مختلفة

**واقعة .** " مايكل " ، ٣٨ سنة ، عامل بناء ولاعب كرة قدم هاوٍ ، يلجأ دائماً إلى سرير متهالك فى غرفة النوم الأخرى لكى يتجنب الإيذاء والضرب من زوجته ضعيفة البنية . خلال سنوات الزواج الثلاث عانى من الطعن ، واللكم ، والركل ، والإصابات من أوانى الزهور المقذوفة تجاهه . ورغم علامات القوة الرجولية ووزنه الذى يصل إلى ٢١٠ أرطال ، إلا أنه كان يخشى النوم ليلاً خوفاً من الهجوم والعنف . " لن يصدقنى أحد إذا قلت إن الخدوش الدائمة على جسمى ناتجة عن ضرب زوجتى لى . مازالت آثار أظافرها فى لحمى ، ولن أنسى الرعب الذى ملأ عيون ابنتى وصرخاتها عندما شاهدتنى وأنا أتعرض للضرب " .

**واقعة .** " بول " ، ٣٢ سنة ، جندى سابق فى البحرية ، قال إن زوجته " كلير " ، مديرة الإعلانات ، يمكن أن تتحول فجأة إلى " قطة برية متوحشة " لمجرد حدوث أشياء بسيطة . تدفعنى أرضا ، وتركلنى بقدمها ، وتقتلع خصلات كاملة من شعرى . وأنا لا أدافع عن نفسى لأن بنيانها ضعيف جداً ، وهى أمرأة قليلة الحجم .

**واقعة .** ضابط شرطة بريطانى ، يبلغ عمره اثنين وأربعين عاماً ، تدرب على مواجهة المجرمين المسلحين ( لا يحمل رجال الشرطة فى بريطانيا أسلحة ) ، دخل المستشفى مرتين بسبب ضرب زوجته له ، وهى بالمناسبة لا يزيد طولها على ٥ أقدام . لم يقم بالإبلاغ عن هذه الوقائع . وعندما سئل عن السبب فى ذلك قال : " إذا توجهت إلى رفقائى فى العمل وقلت لهم إن زوجتى تضربنى بصفة مستمرة على رأسى وسائر أجزاء جسدى بأى شىء تطاله ، فسيموتون من الضحك " .

هذه النماذج الثلاثة ظهرت فى مجلة " لندن تايمز " . ومن النادر أن تذكر مجلة أمريكية لها مثل هذه السمعة الحسنة قصصاً يعبر فيها الرجال عن أحاسيسهم عندما يتعرضون للإيذاء الجسمانى بكل صدق وبتعبيراتهم الخاصة . لاحظ أيضاً أن الزوجات الثلاث ضعيفات جسدياً ، والرجال من ذوى البنية القوية وليسوا جبناء . لاحظ أيضاً تخوف الرجال من أنهم إذا أبلغوا السلطات فلن يصدقهم أحد ، ليس هذا فقط بل إنهم سيجعلون من أنفسهم مادة للسخرية .

استعرضت المجلة الصدمة التى يشعر بها كثير من رجال الشرطة من العنف الذى تمارسه المرأة . وقال أحدهم : " لابد أن نراجع توجهاتنا ، من عشر سنوات لم يكن أحد يتصور إمكان تعرض رجل للضرب على يد امرأة . الآن يحدث ذلك بشكل منتظم " . الواقع أن هذا غير صحيح ، فضرب الأزواج قد يكون موجوداً طوال هذه السنوات ولكن عدم الرغبة فى الاعتراف بصحة هذا الاحتمال هو الذى جعل السلطات لا تدرك تكرار حدوثه .

بدأت الصحف الأمريكية مؤخراً فى الاعتراف بصحة ما يشعر به بعض الفتيان من أنهم ضحايا لعنف البنات ، وليس الرجال . مثال لذلك يشرحه " بوبى بابير " ، خمسة عشر عاماً ، من مواطنى هيوستن :

دائماً ما يقول لى أبى وأمى هذه العبارة التى أكرهها : " هذا الأمر مثل ضرب شقيقتك لك " ، بمعنى أن شقيقتى إذا ضربتنى فهذه مسألة غير مهمة لأنها مهما حاولت فلن يكون ضربها مؤلماً . ولكن أحياناً يكون الضرب مؤلماً ، ولا يُسمح لى برد الضربة . لذلك حين يغيب والداى تقوم بضربى وتهددنى بأنها ستخبرهما لو ضربتها . وأنا لا أحب هذه العبارة .

لاحظ أن الفتى كان يمكن أن يخبر والديه بهذه القصة ولكنه لم يفعل . ألا يرتبط ذلك بشكل مباشر بعنوان الكتاب " النساء لا يسمعن ما لا يقوله الرجال " ؟ إن الرجال والشباب لا يتكلمون عن العنف المنزلى الذى يمارس ضدهم .

لماذا هذا الصمت ؟ لماذا نفكر فى كل الطرق التى نُعلِّم بها الأبناء أن يصبحوا رجالاً من خلال " تحمل الألم " : كرة القدم ، هوكى الجليد ، الملاكمة ، الروديو ، التجديف ، سباق السيارات ؟ **الرجال يتعلمون تسمية الألم " المجد والفخر " ؛ ولكن عندما تتعرض المرأة للألم تستدعى الشرطة .**

ما هو السبب فى أن كل الثقافات تكافئ الرجال عندما يتحملون آلامهم ؟ السبب هو الرغبة فى تكوين كوادر صالحة للعمل فى الجيش لتوفير الحماية فى الحرب . والشعوب تعتبر أن الحماية يجب أن تتوافر للنساء والأطفال . أما الجنس الذى يسهل التخلص منه فهو الرجال ـ أو الذكور .

كلما تدرب الرجل أكثر على أن يكون " رجلاً " ، تدرب على حماية النساء والأطفال ، وليس إيذاءهم . لقد تدرب على التطوع لكى يموت قبل أن يتعرض أحد ـ حتى الغرباء ـ للإيذاء ، وخاصة النساء والأطفال . لهذا السبب نجد أن معظم رجال الإطفاء متطوعون ، ويكادون يكونون كلهم من الرجال .



حاول ألا تصيب الإناث

لعل أحد عناصر الضغط التى يتبادلها الرجال فى هذا الإطار هو السخرية من أى رجل يشتكى إذا تعرض للإيذاء . دائماً ما نفكر حين يسخر رجل من رجل آخر ويصفه بأنه " فتاة " بأن الإهانة تعكس ازدراء للمرأة . ولكن لا . فهذا يعكس الازدراء لأى رجل لا يريد أن يجعل نفسه قوياً لكى يحمى شيئاً له قيمة كبيرة مثل المرأة . إنها إهانة لأى رجل لا يتحمل الألم لكى ينقذ حياة امرأة - بما فى ذلك ألم فقدان حياته ذاتها . تخيلى لو أنك امرأة وسمعت من يصفك بأنك " طفلة " لأنك بكيت بدلاً من محاولة إنقاذ حياة ابنتك المعرضة للخطر . ستعرفين أن كلمة " طفلة " لم يقصد بها الإساءة إلى الأطفال ، ولكن إهانتك لعدم إبدائك القدرة على حماية وإنقاذ شخص بهذه القيمة الغالية . إن السخرية هى نوع من الضغط لكى نعتبر أنفسنا أقل أهمية من شخص آخر أكثر قيمة : إن طفلاً يمثل قيمة أكبر من الأم ؛ والأم أكثر قيمة من الرجل .

إن ما تقوله قائدات الحركات النسائية من أن الذكورة تتعلق باعتقاد الرجال بقدرتهم على إيذاء النساء ، إنما يعبر عن جهلهن التام بالرجولة والذكورة . إن **ضرب امرأة ما هو إلا تجاوز للدور الذى يقوم به الرجل . والرجل الذى يؤذى امرأة يكون مثل المجنون الذى يلبسونه القميص المقلوب : شخص شاذ عن**

القاعدة . فى المرحلة التطورية الأولى التى كانت مبنية على محاولة البقاء على قيد الحياة ، كان دور الرجل هو حماية النساء بالسيطرة على ضرورات الحياة . وهذا هو السبب مثلاً فى أن القوانين البريطانية والأمريكية فى القرن التاسع عشر كانت تقضى بسجن الرجل الذى تكون زوجته مسرفة . ومن خلال هذه المسئولية نشأت القدرة على الإجبار . كان دور الرجل فى أسرته مثل دور الجيش للأمة : كلاهما يؤدى دور الحماية ؛ ولكن السلطة التى يتحصل عليها لتوفير الحماية عندما تنهار تتم إساءة استخدامها . ولكن الإساءة لم تكن هى الدور ، بل هى انهيار الدور . كان الرجل لا يتعامل معها على أنها ملكية خاصة ، بل كانت مسئوليته هى حماية الملكية لصالح كل الأسرة . وإذا لم يوفق فى ذلك ، كان يودع فى السجن . وهذا هو السبب فى أننى أسمى هذه المسئولية الانضباط ، بدلاً من امتيازات الرجال .

من الواضح أن كل ثقافة ، تنظر إلى الرجولة على أنها تستند إلى تعلُّم الرجال حماية النساء ، وليس إيذاءهن .

## من يستخدم العنف ضد من ؟

إذا راجعنا سجلات الشرطة ، وإحصائيات جماعات مساندة المرأة ، فسنجد أن الرجال يرتكبون ٩٠ ٪ من العنف المنزلى . ولكن إذا راجعنا الدراسات التى تقوم بها جماعات المساندة لأعضائها الرجال ، فسنحصل على صورة مختلفة : ٦ ٪ فقط من الرجال الذين اشتركوا فى أحداث عنف منزلية يقرون بأنهم هم المعتدون ؛ بينما ٨١ ٪ يقولون إن الزوجة هى المعتدية ( ١٣ ٪ يقولون إن الاعتداء كان متبادلاً ) . إذن ، من الذى نصدقه ؟ ٩٠٪ من الرجال معتدون أم ٦ ٪ ؟

إن الاختلاف الشديد فى النسبة المئوية يرجع إلى أننا نسأل عينات مختلفة من حيث إن الكل قد يروى السيناريو من وجهة نظره . إذن هناك شىء ناقص ونحتاج إليه : دراسة شاملة لكل أفراد المجتمع عن العنف المنزلى لكلا الجنسين .

فى عام ١٩٧٥ ، عندما بدأت أول دراسة عملية أولية فوجئ الباحثون الذين قاموا بها بنتائجها ( " سوزان ستيميتز " ، " مورى شتراوس " ، " ريتشارد جليز " ) . لقد تبادل الجنسان الإيذاء الجسدى بشكل متساوٍ . هنا ، برزت

عشرات الأسئلة ( ألا تبادر المرأة بالعنف فقط دفاعاً عن النفس ؟ ) ؛ ( ألا تتأذى المرأة أكثر من الرجل ؟ ) . خلال السنوات الخمس والعشرين التى تلت هذا ، قام مئات من الباحثين بدراسة هذا الموضوع ، وكان نصفهم من الباحثات ، ونصف السيدات الأكاديميات فى هذه الأبحاث كُنَّ من رائدات تحرير المرأة . وكان متوقعاً من معظم الباحثين إثبات عكس النتائج التى توصل إليها " ستيميتز " و " شتراوس " و " جليز " .

ورغم الافتراضات التى بدأت بها الأبحاث من أن الرجال كانوا هم من يرتكبون الاعتداءات ، ( فى كل من الولايات المتحدة ، كندا ، انجلترا ، نيوزيلاند ، أستراليا ) ـ وقد أدرجت فى الملحقات أكثر من ٥٠ بحثاً منها ـ وجدت إحدى هذه النتائج : **يتساوى معدل إيذاء الرجال والنساء لبعضهم البعض ، أو أن الإيذاء الذي تقوم به النساء أكثر . فضلاً عن ذلك ، وجدت معظم الدراسات أن النساء كن فى الغالب البادئات بالعنف ، وتطويره إلى عنف حاد . اعترفت النساء بأنهن أكثر ميلاً للسلوك العنيف وأنهن البادئات بالعنف . وثبت أن المرأة تميل إلى الاشتباك فى العنف مع عدم تلقى أى رد فعل من غريمها** . وكلما كانت الدراسة أكبر والمنهجية أفضل ، أثبتت النتائج أن المرأة أصبحت أكثر ميلاً للعنف عن ذى قبل .

هذه الدراسات أوضحت بجلاء أن نسبة النساء تصل إلى ٧٠ ٪ حين يتعلق الأمر باستخدام الأسلحة ضد الرجل مقارنة باستخدام الرجال للأسلحة ضد المرأة . وتتنوع الأسلحة التى تستخدمها المرأة وتختلف عن تلك التى يستخدمها الرجل ، ويبدو أن هذا تعويض عن ضعف عضلات المرأة .

**قصة** . " حيلة طريفة ابتكرتها إحدى السيدات ضد زوجها الذى كان يضربها بشكل متكرر . بعد أن استغرق فى النوم قامت بحياكة ملابسه بالسرير ، وقامت بضربه بمضرب البيسبول حتى تكسرت عظامه " .

" باربارا سبنسر " ـ " باول " ، " أوفرلاند بارك " ، " كنساس " .

إن حقيقة استخدام المرأة للعنف المفرط لا تعنى بالضرورة أن إصابات الرجال أكثر . سأشرح بعد ذلك لماذا لا توجد لدينا معلومات يعتمد عليها عن الجنس الذى تحدث فيه إصابات أكثر .

فيما يلى النتائج الأساسية لأكثر الدراسات احتراماً على المستوى القومى عن العنف المنزلى ، وتتناول معدلات الضحايا ( زوجات وأزواجاً ) عند التعرض للعنف المفرط .

---

**الضرب العنيف للزوجات فى مقابل الضرب العنيف للأزواج**

| | |
|---|---|
| زوجات ضحايا | ١,٩ ٪ |
| أزواج ضحايا | ٤,٥ ٪ |

توضيح : خلال العام الذى سبق إجراء هذا الإحصاء ، كان أقل من ٢ ٪ من الزوجات وأكثر من ٤ ٪ من الأزواج ضحايا أحداث العنف المنزلى الشديد . وكان العنف المفرط يقاس على معيار " مورى شتراوس " لتكتيكات الصراع ومن ذلك : الركل أو العض بالأسنان ، الإصابة بأحد الأشياء المقذوفة أو قبضة يد ، الضرب المبرح ، التهديد بسكين أو بمسدس ، أو الطعن والجرح .

---

إذا رأينا عنواناً كبيراً يقول : " الضرب المبرح للزوج " وتكرر هذا العنوان مرتين أكثر من عنوان " الضرب المبرح للزوجة " ، سنشك فوراً فى أن هناك خطأ مطبعياً .

وحيث إن أساس هذا الفصل يستند إلى أن الرجال والنساء الذين يتعرضون للإيذاء من الجنس الآخر عددهم متساو ـ بل وأحياناً النساء تؤذى أكثر ـ فقد أدرجت كل الدراسات ، وملخصات النتائج ، فى ملحق هذا الكتاب . قمت بذلك لكى يعرف القارئ أننى لم أختر دراسات بعينها لكى أثبت وجهة نظرى .

ومن المهم للقارئ أن يعرف أيضاً أننى اتصلت بإحدى المؤسسات الوطنية الخاصة بالمرأة لسؤالهم إذا كان قد نما إلى علمهم أية دراسات عن العنف المنزلى تتضمن أن الرجال يؤذون النساء جسدياً أكثر من العكس ، إلا أنهم لم يتمكنوا من الإشارة إلى دراسة واحدة تتضمن أن النساء يتم إيذاؤهن أكثر .

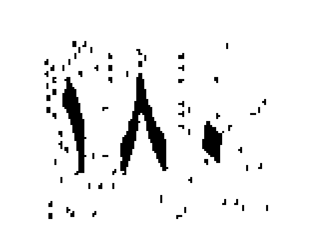
إن الإحصاء الوطنى لضحايا الجريمة ليس دراسة عن العنف المنزلى ، ولكنه عن الجريمة بشكل عام كما يتضح من عنوانه . وهذه مشكلة كبيرة ، لماذا ؟ إذا تم سؤال رجل : " هل سبق أن ضُربت ؟ أو رُكلت ؟ " ونحن نقصد من سياق السؤال زوجته ، فهو يفكر فى زوجته عندما يجيب ؛ ولكن عندما نسأله فى سياق الجريمة ؛ يفكر فى أى شخص آخر بخلاف زوجته . كيف نعرف ذلك ؟ من خلال المقارنة بين إحصائيات العنف المنزلى وإحصائيات الجريمة ، فى كل الاستقصاءات عن العنف المنزلى سيؤكد الرجال أنهم كانوا ضحايا للعنف من الطرف الآخر .

ما الذى يخلق هذا الفرق ؟ لقد ربينا النساء وعلمناهن أن يفكرن فى أن اللكمة أو الركلة الموجهة لهن هى جريمة ، لذلك تتمكن لجان الاستقصاء عن الجرائم فى دفع النساء للتبليغ عن هذه الأحداث كجرائم ؛ ولكن لم نُعلم الرجال حتى هذه اللحظة أن لكمة ، أو لطمة أو ضربة بالمقلاة تمثل جريمة ، لذلك فإن إحصائيات الجريمة لم تنجح فى دفع الرجال للإبلاغ عن هذه السلوكيات باعتبارها جرائم . على ذلك فإن إحصائيات الجريمة لم تسمع ما لم يقله الرجال .

هناك اعتبار آخر يقود الرجال إلى عدم اعتبار العنف المنزلى جريمة : وهو عدم الاكتراث من جانب الجنسين بالجروح التى تصيب الرجال من العنف المنزلى - حتى ولو كانت هذه الجروح مماثلة للجروح التى تصيب الزوجات . مثلاً ، أظهرت دراسة قامت بها وزارة العدل الأمريكية أن ٤١ ٪ من الأمريكيين يعتبرون أن الطعن بالسكين حتى الموت لا يعتبر عنفاً حاداً ، حين تقوم بذلك الزوجة ، ولكن يعتبر كذلك إذا قام به الزوج .

على مستوى تبادل العنف بمستوى أقل حدة مثل الضرب ، والعض والقذف بالأشياء ، فإن كلا الجنسين يرى أن ذلك يكون خطيراً فقط فى حالة إصابة المرأة . أما القول المأثور الذى نضعه دائماً على لائحة التعليمات للرجال فهو : " إذا بُليتم فاستتروا " . لذلك لن تجد فى هذا النوع من الإحصائيات أرقاماً صحيحة تخص إصابات الرجال .

المفتاح الثانى للحصول على معلومات دقيقة من الرجال هو دقة صياغة الأسئلة . فنحن إذا وجهنا سؤالاً غامضاً مثل : " هل سبق أن تعرضت للضرب المبرح ؟ " ستكون الإجابة فى الغالب : " لا " حتى وإن كان الرجل يتعرض بشكل متكرر للضرب بالمقلاة أو بالسكين . ولكن إذا كان السؤال المحدد هو ،



" هل سبق أن ضُرِبتَ بالمقلاة ؟ " ، فستكون الإجابة هى " نعم " . ( حتى كلمة " ضرب مبرح " تعبر عن الضرب بقبضة اليد ، وهى الأسلوب الرجالى للضرب ، لذلك تعتبر تحيزاً ضد الرجل ؛ ولكن مصطلح العنف المنزلى أكثر حيادية ) .

عند بداية اهتمامى بهذا النوع من الدراسات ، أخبرت عنها إحدى الصديقات وهى " ليز " التى كانت مديرة قسم الرياضيات فى مدرسة ثانوية . فى البداية ، كانت غير مصدقة للنتائج . ولكن عندما سألتها أن تفكر فيما تشاهده فى المدرسة ابتسمت وقالت : " حسناً صحيح أننى أرى كثيراً من البنات يضربن الفتيان ، ولكن لا أتذكر سوى مرة أو مرتين ضرب فيها أحد الأولاد بنتاً " . ثم انطلقت فى الضحك وقالت : " ولكننا لا نرسل سوى الفتيان إلى المدير كى ينالوا عقابهم ، لذلك هذا هو ما يسجل رسمياً وينال الاهتمام ـ بما فى ذلك اهتمامى شخصياً ، وأظن أن هذا يوضح لماذا كان من الصعب علىّ أن أصدقك فى البداية " .

كانت هذه ملاحظة تتسم بالموضوعية من جانب أستاذة الرياضيات ، وهذا شجعنى على أن أطلب منها مواصلة مراقبة هذه الظاهرة ووافقت . طلبت هى بدورها من أحد المشرفين على فصل محدد أن يسجل كل حالات مبادرة بنت أو ولد بضرب الطرف الآخر داخل الفصل أو فى الملاعب .

عندما أخبرتنى " ليز " بالنتائج كانت تعانى من حرج بالغ حيث قالت : " كانت النتيجة أن البنات يبادرن بتوجيه الصفعات واللكمات إلى الصبيان بنسبة عشرين إلى واحد . وهذا ما دفعنى للتوقف عن استكمال البحث والبدء فوراً فى إعطاء محاضرات قصيرة عن ظاهرة " عنف الفتيات وكيف يبدأن دورة العنف " كما أوضحتها أنت لى . ثم اشترك البنات والأولاد الذين ساعدونى فى إجراء البحث فى إعطاء هذه المحاضرات لغيرهم من التلاميذ إلى أن اختفت هذه الظاهرة تقريباً " . ثم اعتذرت لى عما سببته من إفساد للبحث ! .

من جانبى ، أكدت لها إن إيقاف العنف أكثر قيمة من البحث ذاته ، ولكننى تساءلت بينى وبين نفسى ، هل تنطبق هذه النتائج على طلبة السنوات النهائية وطلبة الجامعات حيث يبدأ البنات والبنون فى المواعدة ؟ اتضحت صحة هذا الافتراض إلى حد ما . وكانت نسبة المبادرة بالعنف ضد الجنس الآخر هى أربعة إلى واحد ( ٥,٧ ٪ بنات فى مقابل ١,٤ ٪ بنين ) .

أصبح لدينا مزيد من المعلومات عن طلاب الجامعات وتوصلنا إلى أن نسبة عنف البنات ضد الأولاد تزيد بنسبة ٤٠ ٪ . وعندما يكون السؤال محدداً بدقة حول أسلوب العنف ؛ اشتملت الإجابات على الركل ، والعض ، والقذف بأى غرض تطاله يد الفتاة . وتتكرر هذه الحادثة للفتى مرتين أو ثلاثاً فى الغالب .

قد يكون إجراء البحث فى الأوساط الجامعية متحيزًا ضد الرجال حيث لا تنطبق النتائج على من لم يلتحق بالجامعة ( حيث تعتدى النساء الأقل تعليماً على الرجال الأقل تعليماً بنسبة أكبر ، كما يظهر ذلك من البرنامج الأسبوعى " جيرى سبرنج شو " . حتى الآن لم أشاهد أى رجل يضرب امرأة ، ولكن شاهدت ثمانين امرأة يضربن الرجال ، وهذا ما لم أستطع تحمله فى هذا البرنامج ) .

نجد عند التعميم أن معظم أعمال العنف متبادلة ما بين الجنسين . ولكن إذا كان العنف من طرف واحد فهو غالباً من جانب المرأة . مثال ، فى دراسة أجريت على ٥٠٠ طالب جامعى ، وجد أن نسبة المبادرة بالعنف من جانب المرأة تزيد ثلاثة أضعاف على الرجل ( ٩ ٪ نساء ، ٣ ٪ رجال ) .

## كيف يسىء كلا الزوجين كل منهما للآخر بالتحديد ؟

ما الذى يفعله الزوج والزوجة بالتحديد عند إساءة أحدهما للآخر ؟ فى أحدث دراسة علمية تحليلية فى العنف على المستوى القومى ، تم تطبيق نموذج القياس المعترف به عن التكتيكات المستخدمة فى الصراعات المنزلية ، وهو أكثر النماذج قبولاً للقياس فى هذا الحقل . خلال هذا الفصل ، عندما أشير إلى درجة حدة العنف ، فإننى سأستخدم أربع فئات من التسع الموجودة فى الجدول التالى :

## أنواع الإيذاء الجسدى بين الزوج والزوجة

| نوع العنف | إيذاء الزوج للزوجة | إيذاء الزوجة للزوج |
|---|---|---|
| أ ـ أعمال العنف غير الحاد | | |
| ١. القذف بالأغراض | ٤,١ ٪ | ٧,٤ ٪ |
| ٢. الدفع / الجر / الدفع العنيف | ١٠,٤ ٪ | ١٠,٩ ٪ |
| ٣. الصفع | ٢,٦ ٪ | ٣,٨ ٪ |
| ب ـ أعمال العنف الحاد | | |
| ٤. الركل / العض / اللكم | ١,٣ ٪ | ٣,٤ ٪ |
| ٥. الضرب / استخدام غرض للضرب | ١,٦ ٪ | ٢,٨ ٪ |
| ٦. الضرب المبرح | ٠,٨ ٪ | ٠,٦ ٪ |
| ٧. الخنق | ٠,٨ ٪ | ٠,٦ ٪ |
| ٨. التهديد بسكين أو مسدس | ٠,٤ ٪ | ٠,٧ ٪ |
| ٩. استخدام سكين أو مسدس | ٠,٢ ٪ | ٠,١ ٪ |

عدد الحالات : ١,٩٧٠

مثال : ٤,١ ٪ من الأزواج يقذفون أغراضاً على زوجاتهم و ٧,٤ ٪ من الزوجات يقذفن أغراضاً على أزواجهن .

إذا أجرينا أبحاثاً على الأزواج والزوجات ممن هم ليسوا طلاب جامعات ، فسنجد أنها انعكاس لهذه الدراسة . إلا أن الأبحاث تثبت أن المرأة أكثر نزوعاً لاستخدام العنف الحاد . مثال : فى أحد الأبحاث القومية التى تم إجراؤها على عينة من الرجال والنساء المتزوجين ، وُجد أن اتجاه المرأة لاستخدام العنف الحاد يفوق الرجل بحوالى خمسة أضعاف . ووجد أن اتجاه المرأة نحو

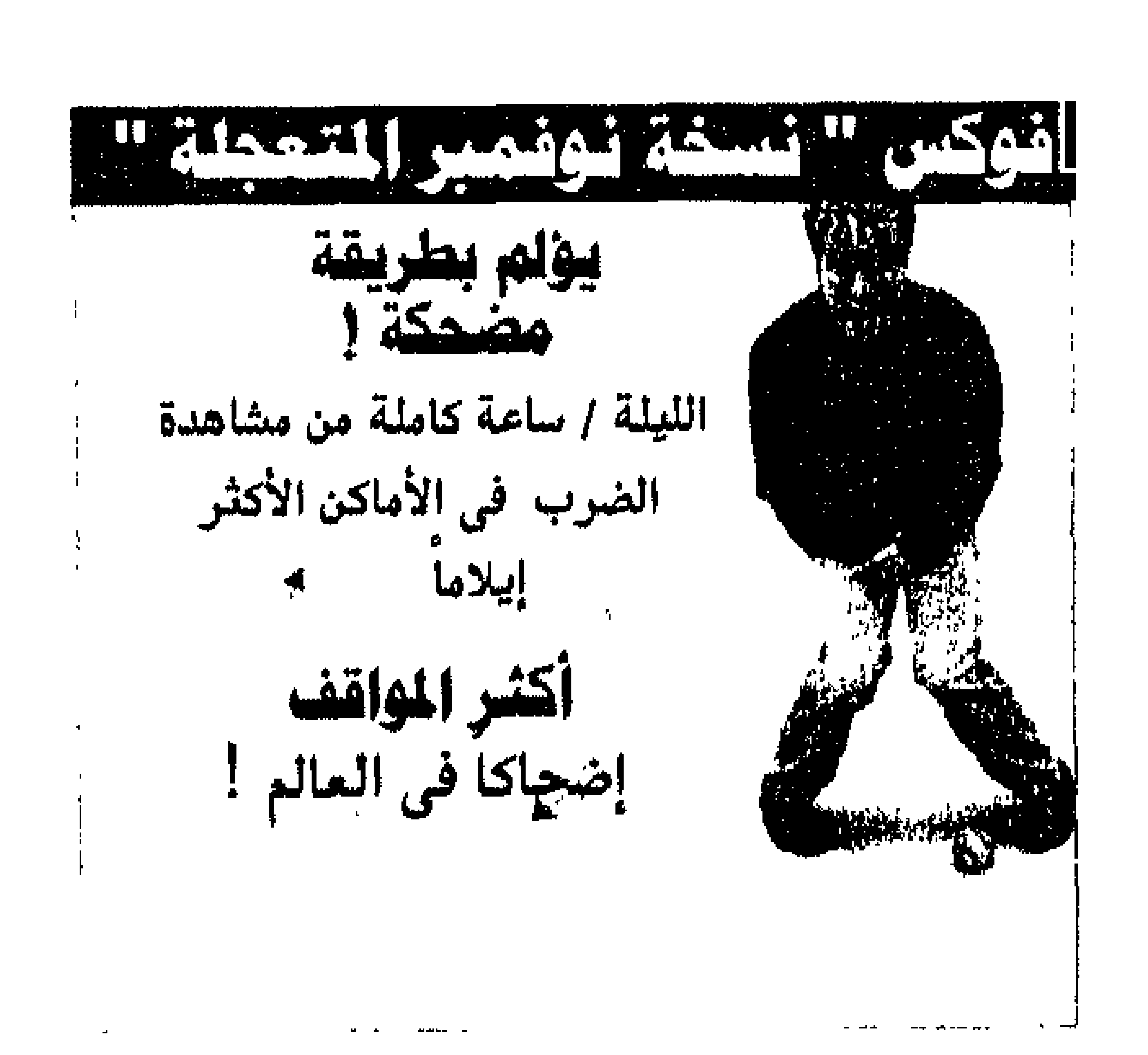
العنف الحاد يزداد عن ذلك كلما ازداد عمق العلاقة ، حيث تتراكم داخلها كثير من المشاعر .

## إذا كان تعرض الرجال للضربٍ والإيذاء أكثر ، فلماذا لا يبلغون عن ذلك كثيرا ؟

**واقعة** . نادراً ما يقوم الرجال بالإبلاغ عن تعرضهم للضرب إلى أن تتضح نوايا الزوجة للقتل بالسكين أو المسدس .

**واقعة** . فى فيلم " الحب عموماً " هناك مشهد يتعرض فيه الممثل " توم بيرنجر " للضرب من فتاة وتؤدى اللكمة إلى طرحه أرضاً ، وكان رد الفعل مفاجأة تعبر عن التقدير ، حيث قال : " ( يا إلهى ) هذه هى المرة الأولى التى نتلامس فيها " .

يخشى الرجل من الإبلاغ عن تعرضه للضرب حتى لا يتعرض للسخرية ويثير نوبات من الضحك ، وهذه المشكلة تتدعم بإعلانات من هذا النوع :




ما هو السبب فى أن الإعلان يظهر الرجل الذى تعرض للضرب ضاحكاً ؟ كما فى هذا الإعلان أو كما فى الفيلم السابقة الإشارة إليه ، حيث يعبر الرجل عن تقديره . بينما يثير أى إعلان يتضمن امرأة تتعرض للضرب الغضب والتذمر ؟ إن ما يثير الضحك هو رغبتنا فى رؤية الضعيف يهزم القوى ، ولأن

غضبنا جاهز نحو الرجال ، ولأن عقلنا الباطن يخزن صورة الرجل الذى يسىء إلى المرأة بالضرب والإيذاء ، وهو يسمى هذا السلوك حباً .

وإليك الدافع الحقيقى : **تعلّم الرجال أن يربطوا بين التعرض للإيذاء والحب** . فنجد مثلاً ، أن لاعب الكرة أو هوكى الجليد المشهور الذى تحبه النساء ( ويحترمه الرجال ) يجب أن يتصف بالقدرة على تحمل الإيذاء ، والشتائم ، والإنهاك ، وكبت المشاعر . لعل الصورة على غلاف مجلة " ماكلين " توضح المثال على تأثير وسائل الإعلام فى تدعيم فكرة أن الرجل إذا تعرض للأذى نصفه بأنه " بطل " ولكن إذا تعرضت المرأة للأذى نصفها بأنها " ضحية " .




إن التعرض للأذى يدفع الرجل إلى الدخول فى مغامرة ركوب الزوارق الخطرة ليصبح بعد ذلك ضابطاً ينال إعجاب إحدى الحسناوات ؛ أو الالتحاق بإحدى المهن الخطرة التى تهدد بالموت مثل العمل كرجل إطفاء أو عامل فى منجم ، ليحقق دخلاً كبيراً يكفى للزواج . وفى الوقت الذى يصبح فيه جديراً بالحب ، يكون قد تم تدريبه على كبت المشاعر والتوتر والتعرض للإيذاء .

## " ظاهرة الضعف المكتسب " الخاصة بالذكور

إن ضعف الرجال يعتبر واجهة للقوة ،
وقوة النساء هي واجهة ضعفهم .

إن الرجال لا يتوقعون أن يحميهم أحد في الحياة ، ولا حتى زوجاتهم . ولكن يتوقعون من أنفسهم أن يقدموا الحماية للزوجة . لذلك ، حتى إذا قام الرجل بضرب زوجته دفاعاً عن نفسه ، فهو أيضاً يتوقع أن يتم الإبلاغ عنه ؛ وحتى لو بادرت الزوجة بالضرب ، فنادراً ما يقوم الرجل بالإبلاغ عن الواقعة .

لا يقوم كثير من الرجال بالإبلاغ عن تعرضهم للضرب لاعتقادهم بأن المشاكل الشخصية يجب أن تظل في السر ، إنهم يعتبرون ذلك بمثابة إعلان لفضائحهم أمام الناس ، وخرق لقدسية العلاقة . وهذا يفسر أيضاً السبب في أننا لا نقوم حتى بإبلاغ أصدقائنا من الرجال .

وهناك رجال لا يفضلون الإبلاغ عن تعرضهم للضرب على يد زوجاتهم لأنهم يعتقدون أن الأمور كلما استحكمت حلقاتها وضاقت ، تعود إلى الانفراج ، وهم يميلون إلى الاعتقاد بأنهم يستحقون ما حدث لهم ، وأنهم يجب أن يتغيروا . ولكن قد يندهش الرجل حين يرى المرأة تفعل نفس الشيء وتقول : " أنا أشعر بأنني كنت مخطئة " ثم يجدها تذهب للاتصال بالشرطة . أما الرجل فإنه إذا أقر بأنه مخطئ فلن يستدعي الشرطة .

ويتصور الرجل أنه لو فعل ذلك وقال للشرطة : " احضروا لأن زوجتي ضربتني " ، سيُقابَل بلاغه بالسخرية . **إن الرجل الذي تعرض للضرب يعرف أنه ليس هناك ملاذ للرجال الذين يتعرضون للضرب حيث لا يصدق أحد وجود مثل هؤلاء الرجال** . يخشى الرجال من اتهامهم بإيذاء النساء إذا قاموا بضرب امرأة ، أو السخرية منهم إذا حدث العكس .

يشعر الجنسان بالعجز عندما يتحول حبهما إلى كابوس . ولكن الرجال لكل الأسباب السابقة يشعرون بالعجز أكثر لعدم قدرتهم على طلب الدعم الخارجي . باختصار ، قوة المرأة تكمن في معرفة الوقت الذي تكون فيه ضعيفة . وضعف الرجل يكمن في أنه لا يعرف متى يشعر بالعجز ، وبما أننا تعرفنا على " ضعف المرأة المكتسب " ، وليس ضعف الرجال ، إلا أنه يبدو أن هذه إشارة

إلى أن مشكلة المرأة على وشك الانتهاء ومشكلة الرجل لم يتعرف عليها أحد بعد .

## " ظاهرة اكتساب الضعف " بالنسبة للرجال المسنين

كانت زوجة " كارلوس ميللو " لا تدعه يهنأ بالنوم ، فقد أبلغ أن زوجته كانت تجذبه من فوق الفراش وتوسعه ضرباً فى أماكن متفرقة وحساسة فى جسده ، وكان لا يتحمل الآلام الشديدة مما يدفعه إلى البقاء مستيقظاً . ولم يجرؤ على الذهاب إلى المستشفى والإبلاغ عما حدث إلا بعد أن استمرت فى تعذيبه ثلاثة أيام متواصلة وأصبحت مناطق متعددة فى جسده شديدة التورم ، وهذا طبقاً لتقرير المستشفى . ورغم تأكيد الجيران سماعهم صرخات مكتومة طوال هذه الأيام الثلاثة ، ومحاولتهم معرفة ما يحدث فإن " ميللو " كان يرد على تساؤلاتهم بإجابات غامضة . عندما قرر أخيراً إبلاغ الشرطة ، أنكرت الزوجة وقالت إن السبب هو سقوطه من على الفراش .

طبقاً لأقوال الرجال المسنين الذين تعرضوا للضرب على أيدى زوجاتهم ، فإن سبب غضب الزوجة هو عجز الرجل عن القيام بأى عمل لإعالة الأسرة أو حتى الأعمال المنزلية المطلوبة . لقد تحول الرجل من دور الحامى إلى دور الباحث عن الحماية . ويمنع الخجل الرجل من الإبلاغ عن تعرضه للإيذاء على يد زوجته ، وأيضاً إحساسه بالاعتماد على زوجته . كما يرجع ذلك إلى ظاهرة تقليدية وهى " اكتساب الرجل المسن للعجز " . إن الرجل المسن يشعر بالعجز جسدياً ، وعاطفياً ، واجتماعياً : جسدياً لاقترابه من الموت ؛ وعاطفياً ، لأنه تربى على عدم إظهار عواطفه ؛ واجتماعياً ، لأن شبكة الأصدقاء التى كونها فى العمل قد تفرقت بينما تزداد شبكة صداقات الزوجة من الجيران والمجتمع المحلى . هذا المزيج الجسمانى العاطفى الاجتماعى يخلق " ظاهرة اكتساب المسن للعجز " .

## هل يمر الرجال بتجربة " الرجل ضحية العنف " ؟

ساعدت أدبيات حركة تحرير المرأة على فهم الأسباب العديدة التى تدفع المرأة التى تتعرض للعنف للاستمرار فى العلاقة ـ من المخاوف الاقتصادية إلى ضعف الثقة بالنفس إلى خشيتها من أن هجرها للرجل سيؤدى إلى إشعال غضبه

وملاحقته لها ومحاولة إيذائها بصورة أكثر خطورة . الصورة المعتادة هى أن المرأة لا تستطيع المغادرة ، ولكن المرأة الأكثر فقراً تستطيع أن تقوم بذلك أكثر من المتيسرة مادياً . يعنى ذلك أن القدرة المالية للرجل يمكن أن تقنع الزوجة باستمرار العلاقة ، فى حين أن فقدان هذه القدرة لا يمنع المرأة من هجره .

أما مخاوف الرجل من هجر المرأة فقد تكون لنفس الأسباب ، ولكن عادة ما تختلف تماماً . لقد ناقشنا للتو خوف الرجل من طلب المساعدة والإبلاغ عن التعرض للإيذاء وضعف الرجال المسنين المكتسب . ولكن هناك ثلاثة أسباب أخرى أكثر أهمية هى :

**أولاً ، أن الرجل الذى تعرض للضرب يعرف أنها كما تقوم بإيذائه فإنها تؤذى الأبناء أيضاً ؛ وعلى ذلك فإن مغادرته تعنى ترك الأبناء بلا حماية .**

ثانياً ، الرجل الذى يفقد زوجته عادة ما يشعر بأن أبناءه هم مصدر الحب الوحيد المتبقى .

أخيراً ، يشعر الرجال الذين يتعرضون للضرب بأنهم إذا غادروا البيت ، فإن الزوجة ستحصل على الأبناء ، إلى جانب المنزل ، ومن ثم يضطرون للبحث عن سكن آخر قد يكون غير مريح أو لائق .

على ذلك ، يتحمل كثيرون الإيذاء الجسدى بدلاً من التعرض للعذاب النفسى والعاطفى للتخلى عن الأبناء بلا حماية ، وفقدان الحب والبيت . وعندما تتضافر هذه العوامل مع الشعور بالعجز الناتج عن عدم طلب المساعدة الخارجية فإن ذلك يؤدى إلى انبثاق ظاهرة " الرجل ضحية العنف " .

## ألا تصاب المرأة بالجراح أكثر من الرجل ؟

عزيزى المحرر : إن مقالتك عن العنف المنزلى تشير إلى أن النساء لا يحدثن فى الرجال إصابات كثيرة حيث إنهن أصغر فى الحجم . رغم ذلك فإن خبرتى كمشرف على غرفة العناية المركزة تؤكد أن جراح الرجال أكثر ... كثيراً ما عالجت رجالاً تعرضوا للضرب بالفئوس ، أو الاحتراق بالماء المغلى ، أو كسر العظام نتيجة استخدام أدوات ثقيلة أو حتى نتيجة الضرب بالأحجار ، وغنى عن البيان أن هناك أيضاً إصابات بأسلحة نارية . عالجت ذات يوم امرأة كسرت أنفها نتيجة لكمة من زوجها ، وبعد الجراحة عادت إلى منزلها . بعد ساعتين أحضروا زوجها على كرسى متحرك نتيجة

كسر فى العمود الفقرى ، لقد أمسكته الزوجة من ياقة السترة وألقت به على الفرن فى المطبخ فور عودتها من المستشفى .

دكتور " فيلمير سفورين " ؛

" شاتسورث " ، مجلة " تايم " ، يناير ١٩٨٨ .

رغم حقيقة أن المرأة أكثر ميلاً لاستخدام الأسلحة والعنف الحاد ضد الرجل ، فإن ١,٩ ٪ من الرجال و ٢,٣ ٪ من النساء الذين أجريت عليهم إحدى الدراسات عام ١٩٩٢ ذكروا أنهم احتاجوا إلى تدخل جراحى لعلاج إصابات نتجت عن ضرب الطرف الآخر . هل يرجع ذلك إلى أن المقلاة لا تسبب للرجل نفس الجرح الذى تحدثه فى المرأة قبضة الرجل ؟

هل يرجع السبب إلى الخطأ فى الطريقة التى نقيس بها الجنس المصاب ؟ أن نقيس إصابات أحد الجنسين عن طريق اللجوء إلى تقارير المستشفيات ، هو نفس الخطأ الذى نقترفه عندما نفترض أن النساء تعرضن أكثر للضرب لأنهن أبلغن عن العنف المنزلى للشرطة أكثر مما أبلغ الرجال . إن عدد النساء اللائى يذهبن إلى الأطباء فى مثل هذه الحالات يكون ضعف عدد الرجال - ولكن الرجال لا يلجَئون لطلب التدخل الطبى إلا إذا كانت إصاباتهم خطيرة .

ولكن كل ذلك ما هو إلا قمة الجبل الجليدى . عندما أقوم بتقديم برنامج إذاعى ، أطلب من الرجال الذين تعرضوا للإيذاء الجسدى الشديد الاتصال بى مع عدم ذكر أسمائهم . واتضح أنه من النادر أن يلجأ الرجل إلى العلاج حتى لو كسرت ذراعه ، ولكنه إذا قام بذلك فهو يدعى أن السبب هو إصابته أثناء ممارسة الرياضة . ( عندما كنت ألعب كرة السلة تعرض لى لاعب من الفريق المضاد ، اعترض طريقى ووضع مرفقة فى وجهى مما أدى إلى سقوطى على الأرض وكسر ذراعى وإصابة عينى بهذه الكدمة ) . لم أقابل رجلاً قال إن هذا الادعاء يثير الشك . على ذلك ، لا يمكن الاعتماد على سجلات الأطباء فى تحديد أى الجنسين يتعرض للعنف أكثر لأن الرجال يجدون عذراً فى ربط الإصابات التى يصابون بها بالألعاب الرياضية .

بالإضافة إلى ذلك لم يتدرب الأطباء على استجواب المصابين من الرجال لمعرفة حقيقة سبب الإصابة وهل هى إصابة ملاعب أم أن هناك أسباباً أخرى . إذا كان الطبيب رجلاً فربما يستطيع استجواب المصاب بمواصلة سؤاله عن فنون اللعبة ، ولكن الأطباء الآن مدربون أكثر على استجواب المرأة . تقوم رابطة

الجراحين فى الولايات المتحدة بإرسال معلومات إلى أعضائها تتضمن إصابات المرأة ، وهذه المعلومات ترسل فقط إلى أطباء النساء والولادة ( وعددهم ٢٨,٠٠٠ طبيب ) والهدف من ذلك تدريبهم على ملاحظة أبسط العلامات الدالة على العنف ضد النساء ، وتشجيع هؤلاء الأطباء للنساء على الإبلاغ عن الإصابة . ولاشك أن ذلك ناتج عن الضغوط التى تمارسها حركة تحرير المرأة لتعليم الأوساط الطبية . فى المقابل ، لم يخلق صمت الرجال أى نوع من أنواع الضغط .

هذا الموقف مماثل تماماً للشعور العام السائد بأن الرجال هم الأقوى ـ وهذا حقيقى فى العادة ـ وهو ما يعطى الحق للمرأة بأن تضربه بقوة وأن تستخدم الأسلحة . بل إن هذا ينطبق أيضاً على معاملة المرأة لابنها مقارنة بمعاملتها لابنتها . **إذا قامت المرأة بضرب أبنائها فإن نسبة إصابة الأولاد تكون ضعف إصابات البنات .**

كيف إذن نصل إلى حقيقة نسبة الإصابات ؟ أولاً ، يجب أن نتذكر أن مدخل " جرحى أسوأ من جرحك " لا يمثل مدخلاً لحل المشكلات ، ولكنه يدعم حجة طرف ضد طرف آخر وينسف إمكانات التوصل إلى حلول مثل تلك التى توفرها مهارات التواصل .

إذا أردنا مزيداً من البيانات حول من ينال المزيد من الإصابات ، فعلينا أن نتوقف عن السؤال عن أساليب التكيف والتواؤم ـ مثل توجيه سؤال : من الذى يراجع فحوص الأطباء ؟ ـ وأن نبدأ فى سؤال الجنسين أسئلة مفيدة محددة عن مدى الضرر والوقت الذى استغرقه الجرح للشفاء : " هل تأذى سطح جلدك أم جُرح ؟ هل حدث نزيف ؟ هل حدثت رضوض ؟ هل توجد خدوش وسحجات ؟ هل هناك كدمات سوداء حول العينين ؟ أو كسر فى العظام ؟ وكم من الوقت تطلب الأمر حتى يتم شفاء الجروح ؟ هل تم ذلك بدون علاج ؟ " . ولكن علينا أن نبحث عن الحلول بدلاً من الاستغراق فى البحث عن الأكثر تعرضاً للإيذاء ، والتساؤل عمن يكون الضحية . فى هذا الكتاب ، السبب الوحيد الذى يجعلنى أرى نفسى وباقى الرجال كضحايا هو الافتراض السائد لدى الجميع بأن الرجال هم المعتدون دائماً ، وهذا ما قاد إلى تجاهل إنسانية الرجال أو توجيه اللوم لهم ـ وهذا ما أدى إلى تسميم مشاعر الحب بين الجنسين .

أحد الاعتراضات القوية على الإحصائيات المتعلقة بالعنف المنزلى كان افتراض أن المرأة تكون عنيفة فقط إذا ما كانت فى حالة دفاع عن النفس . الطريف أن " شتراوس " و " جيلز " اختبرا هذه الفرضية ، وسألا النساء عن رأيهن فيمن الذى يبادر بتوجيه الضربة الأولى ؟ وأوضحت النتائج أن ٥٣ ٪ من النساء اعترفن بتوجيه الضربة الأولى .

باحثون آخرون وجهوا نفس السؤال إلى الجنسين معاً . وأضافوا سؤالاً آخر عمن قام بذلك بدون وجود رد للاعتداء ؟ وهذه هى النتائج :

**من الذى قام بالضربة الأولى فى العام السابق على الزواج ؟**

| | |
|---|---|
| الرجال | ١٣ ٪ |
| النساء | ٢٦ ٪ |

**من الذى وجه الضربة الأولى خلال ٦ : ١٨ شهراً بعد الزواج ؟**

| | |
|---|---|
| الرجال | ٨ ٪ |
| النساء | ١٧ ٪ |

**من الذى بادر بالضربة الأولى خلال ١٨ : ٣٠ شهراً بعد الزواج ؟**

| | |
|---|---|
| الرجال | ٩ ٪ |
| النساء | ١٦ ٪ |

توضيح : النسبة المئوية كانت لإجابات كلا الجنسين عن أنفسهم وعن الطرف الآخر ، وكلاً الجنسين ذكر أن معدل قيامه بالعدوان يقل ١٠ ٪ عن الطرف الآخر .

تؤكد عدة دراسات معاصرة أن النساء يكنَّ أكثر ميلاً للمبادرة بالضربة الأولى ، أو السلوك العنيف بدون تلقى رد فعل من الرجل . لقد رأينا كيف بدأ ذلك فى المدرسة الثانوية . ولم يرد إلى علمى أن دراسة أخرى أثبتت العكس ،

بل إن إحدى المؤسسات الوطنية الخاصة بالمرأة ، والتى قمت بالاتصال بها لم تعلن عن أية نتائج من هذا القبيل .

أليس من المعتاد أن نقرأ أن المرأة التى قتلت زوجها ، قامت بذلك دفاعاً عن النفس ؟ بلى ، ولكن عندما قامت الدكتورة " كورامى ريتشى مان " بدراسة ذلك اكتشفت أن هذا لا يحدث إلا بنسبة عشرة فى المائة فقط . فعندما تقتل النساء أزواجهن ، يقلن إن ذلك كان دفاعاً عن النفس حتى ولو كان هؤلاء الأزواج مقعدين على كراسي متحركة . وادعت أخريات أن ذلك حدث عندما كان الزوج نائماً . إذا كان الدفاع عن النفس كما عرفناه دائماً فى القانون ، هو رد فعل تجاه تهديد مباشر وفورى لحياة الإنسان ، ولا يستطيع الإنسان أن يهرب من هذا التهديد ، فكل ما سبق لا يتطابق مع هذا التعريف . ولكن الحركات النسائية صنعت تعريفاً للدفاع عن النفس خاصاً بالنساء فقط ( الدفاع ضد الضعف المكتسب ، المبنى على " ظاهرة المرأة ضحية العنف " ) ، بما يتيح للمرأة التى تستطيع الهروب ، ولكن الخوف يمنعها من ذلك ، أن تقتل زوجها النائم وتقول فى المحكمة إن ذلك كان دفاعاً عن النفس لأنه كان دائم العنف معها ، وأنها كانت خائفة من الفرار . والمشكلة هنا ، أن الزوج كان فى حالة عجز كامل عن الدفاع عن نفسه ، وأن المحكمة ليست لديها أية فرصة للاستماع إلى رجل ميت .

على النقيض من ذلك ، عندما يدعى الرجال أنهم كانوا فى حالة دفاع عن النفس ، لا يصدقهم حتى المدافعون عنهم . ومثال على ذلك ، عندما وصف " ستيف مورى " بعض الرجال الذين دافع عنهم ، قال : إنهم يصرخون مستنجدين : " إنها هاجمتنى أولاً " ، أو " هذا ما حدث لى أيضاً " . أضاف " مورى " قائلاً : " عندما يجد زوج أن الوسيلة الوحيدة لحل مشكلة ما هى ضرب الزوجة ، لا يكون هناك جانبان للقصة . وأرى أنه ليس هناك إنسان يستحق الضرب " .

وعلى الرغم من أن " مورى " يقول : " ليس هناك إنسان يستحق الضرب " إلا أنه يسقط الرجال من حسابه عندما يقولون إنهم تعرضوا للضرب . حتى لو قال الرجال إنهم فى حالة دفاع عن النفس فإننا ننظر إليهم على أنهم شكاءون بكاءون أساءوا إلى زوجاتهم . وعندما لا نصدقهم وتصدق زوجاتهم فقط ، يقوم الباحثون الاجتماعيون بضم الرجال إلى مجموعات المعتدين ، والنساء إلى مجموعات الضحايا . وإذا أقرت النساء جميعاً بأن الرجال بادروا بالضربة

الأولى ، فإن هذا الإقرار سيستخدم لتدعيم الفكرة النمطية بأن النساء لا يبادرن بالضرب إلا دفاعاً عن النفس .

## هل هذا العنف النسائى ضد الرجال يعتبر ظاهرة حديثة ؟

هل هذه الفجوة بين عنف النساء والرجال فى المنازل حديثة ( حيث إن تشديد القوانين المتعلقة بضرب الزوجات حدث مؤخراً ) ؟ هذا غير صحيح ، ولكن لا نستطيع أن نؤكد ذلك تماماً نظراً لأن أول دراسة كبرى على عينات عشوائية على المستوى القومى لم تتم قبل عام ١٩٧٥ ، ولم تكن هناك دراسات مماثلة قبل ذلك . على أية حال نعرض هنا لنتائج هذه الدراسة مقارنة بأرقام ١٩٩٢ .

**التغير فى ظاهرة حدة عنف الزوجة مقارنة بحدة عنف الرجل ١٩٧٥ - ١٩٩٢**

| | ١٩٧٥ | ١٩٨٥ | ١٩٩٢ |
|---|---|---|---|
| الزوجة كضحية | ٣,٨ ٪ | ٣ ٪ | ١,٩ ٪ |
| الزوج كضحية | ٤,٦ ٪ | ٤,٤ ٪ | ٤,٥ ٪ |

لحسن الحظ ، تناقص العنف الحاد ضد الزوجات بنسبة ٤٨ ٪ ؛ وضد الأزواج بنسبة ٢ ٪ . ولكن ما لم يظهره هذا الجدول هو نتيجة مقارنة أخرى : رغم التناقص فى النسبة الكلية للعنف ضد النساء ( شاملاً العنف الأقل حدة مثل الصفع ) ، فإن النسبة الكلية للعنف ضد الرجال زادت .

## هل تخضع أحداث العنف ضد الرجال للرقابة ؟
## وهل هذا هو السبب فى أننا لا نعلم شيئا عنها ؟

نعم ، هناك رقابة على نشر الدراسات المتعلقة بالعنف ضد الرجال . والقوى التحتية المحركة لهذه الرقابة ستكون محل البحث فى الفصل الثامن الذى أسميته " الستار الحريرى " ، ولكن عندما يتعلق الأمر بالعنف المنزلى ، تكون الرقابة مباشرة فى تقديم قصة رنانة ، وتكون فى ذات الوقت غير مباشرة فى تقديم القصة الحقيقية .

أولاً ، الطريقة المباشرة : ذكرت لى " سوزان شتاينمتز " أنها بعد نشر مقالتها عن " ظاهرة الزوج ضحية الضرب " عام ١٩٧٨ ، تلقت تهديداً بتفجير قنبلة أثناء إلقائها محاضرة فى جامعة " ديلوير " ، وتهديداً آخر عبر الهاتف من امرأة قالت لها : " إذا لم تتوقفى عن الكلام حول الرجال الذين يتعرضون للضرب ، سيتعرض أبناؤك للإيذاء ، كما ستتعرضين أنت أيضاً للخطر " . والمفارقة هنا هى أن النساء اللاتى يدافعن عن المرأة ويقلن إن النساء لا يقدرن أن يكنّ عنيفات هن ذاتهن اللاتى يوجهن هذه التهديدات " .

ورغم أن " سوزان " لم تتعرض للإيذاء الجسدى ، إلا أن المجموعات النسائية حاولت التأثير على أدائها المهنى ، وتذكرت " شتاينمتز " أنها لم تكتشف إلا بعد سنوات طويلة أن هؤلاء النساء قد اتصلن فى السر بالجامعة التى تعمل فيها وكن يضغطن على النساء المسئولات فى الجامعة للعمل ضدها ووقف ترقياتها وعدم تثبيتها فى العمل .

يقول " ريتشارد جيلز " زميل " سوزان وشتراوس " فى دراساتهم المبكرة ، إن " شتراوس " نادراً ما كان يدعى للمشاركة فى المؤتمرات المتعلقة بالعنف المنزلى بعد نشر الدراسة التى شاركوا ثلاثتهم فيها . وعندما كانت تتم دعوته ، كانت تتم مقاطعته حين يتكلم ويقابل بالصياح والرفض الذى لا يتوقف إلا بعد نزوله من على المنصة . وبينما كان من المعتاد أن يترشح للمناصب فى الجمعيات العلمية ( مثل اتحاد علماء الاجتماع الأمريكيين ) ، إلا أنه لم يتم ترشيحه لأى منصب بعد نشر هذه الدراسة .

ثانياً ، الطرق غير المباشرة : أراد " ريتشارد جيلز " أن يقدم وجهات النظر الموالية والمناهضة للنساء حول العنف المنزلى فى كتاب يحرره . بعد أن وافقت إحدى رائدات الحركات النسائية على المشاركة عادت وقالت لـ " ريتشارد "

إنها لا تقبل أن يكون هناك مشارك آخر مضاد للحركة النسائية ، لذلك فإنها لن تشترك في الكتاب ، ولكنها لم تكتف بذلك فقط ، بل أخبرته أنها ستتأكد من أنه لن يشارك أى شخص موال للحركة النسائية فى هذا الكتاب .

وعندما أجريت دراسة فى جامعة " ألبرتا " فى " كندا " ، أظهرت النتائج أن نسبة الأزواج الضحايا كانت ١٢ ٪ والزوجات الضحايا ١١ ٪ . لم يسمح بنشر هذه النتائج جميعها ، ولكن ما يتعلق بالزوجات كضحايا هو ما تم نشره فقط . وبعد ست سنوات من هذه الدراسة تمكن " إيرل سيلفرمان " من الحصول على النتائج من أحد المساعدين الذين شاركوا فى الدراسة الأصلية ، ولكن لم يتمكن من نشرها .

وأوضحت دراسة رئيسية أخرى من كندا أن ٤٦ ٪ من النساء فى مقابل ١٨ ٪ من الرجال يلجّئون إلى العنف الجسدى . والغريب أنه قد تم نشر أخبار العنف تجاه النساء ولم يذكر شيء عن عنف النساء أنفسهن ، ليس هذا فقط ، ولكن المسئولين عن الدراسة لم يذكروا أنها تضمنت إحصائيات عن العنف ضد الرجال عندما أتيح لهم النشر فى المجلة الاجتماعية الكندية .

وعندما طالب أحد الأساتذة بالاطلاع على النتائج ، قوبل طلبه بالرفض . استمر هذا الرفض لمدة ٣ سنوات إلى أن تمكن من نشر نتيجة الـ ٤٦ ٪ الخاصة بعنف النساء . حتى ذلك الوقت ( ١٩٩٧ ) كانت سياسة الحكومة الكندية هى تقديم الدعم الحكومى إلى النساء المتعرضات للإيذاء فقط دون الرجال . وكانت هذه السياسة هى المتبعة أيضاً فى المحليات وفى مؤسسات القطاع الخاص مثل " الطريق الموحد " .

بحلول عام ١٩٩٩ زادت الحصص السنوية لمؤسسة " الطريق الموحد " لـ " تورنتو " المخصصة للنساء والأطفال ضحايا العنف من مليون دولار إلى ٣,٣ مليون دولار فى العام . أما الرجال والأطفال الذين يتعرضون للعنف ، فكانت حصتهم صفراً ، وعندما سألت مدير البحث ما إذا كان قد تضمن الرجال والأطفال الذين يتعرضون للعنف ضمن الأشخاص الذين يستحقون الإعانة جاءت إجابته بالنفى .

ومع ذلك فقد كانت الولايات المتحدة هى صاحبة السبق فى فرض هذه الرقابة . ففى عام ١٩٧٩ قام " لويس هاريس " بعمل دراسة حول العنف المنزلى وذلك بتكليف من مفوضية " كنتاكى " للمرأة . ولكن عندما نشرت نتائج الدراسة ، تم فقط إدراج النتائج المتعلقة بممارسة العنف ضد المرأة ؛ وتم حظر

نشر ما يخص العنف الذى تمارسه المرأة ( اعترفت النساء بأنهن يهاجمن الرجال الذين لم يمارسوا أى نوع من العنف ضدهن فى ٣٨ ٪ من الأوقات ) . ولم يتح نشر كل النتائج إلى أن تمكن بعض العلماء من الحصول فى وقت لاحق على تسجيلات الحاسب الإلكترونى الأصلية .

لماذا تم تجاهل هذه النتائج بواسطة أكاديميين تتمحور حياتهم حول معرفة الحقيقة ؟ يقول أحد زملائى هو " آر . إل . مكنيلى " ، والذى شارك فى تحليل نتائج بحث عن العنف المنزلى : " سأقول لك السبب ، بمجرد أن قمت بنشر النتائج ، تلقيت خطاباً يتضمن تهديداً بإيقاف تمويل أبحاثى " .

يذهب جزء كبير من تمويل الحكومة لأحد أساتذة الجامعة إلى الجامعة ، وذلك ما يجعل الجامعة تتمكن من تعيين الأستاذ الجامعى والإبقاء على وظيفته وإذا كان الأستاذ الجامعى يعول أسرة ، فسوف يقع فى حيرة أخلاقية : متى يصبح تحمل المسئولية تنصلاً منها ؟ وبالطبع سوف تدفعه غريزة حماية المرأة إلى الخوف من الاعتراف بآلام الرجل ، لأن ذلك قد يعنى التقليل من آلام المرأة .

## هل تعبر هذه الإحصائيات عن الحقيقة ؟

إن عناوين رئيسية مثل هذه تجعل من الصعب علينا تصديق أن هذه الإحصائيات قائمة على عينات متساوية من الجنسين :

**٥٠ ٪ من النساء**
**يشعرن ببرودة يد**
**الرجل الذى يضربهن**

**نساء العالم يتضافرن**
**ضد التعرض للعنف**

- **استراتيجية : من فيجى إلى الأردن ومن أوغندا إلى الولايات المتحدة ؛ تطلق رائدات الحركة النسائية صيحة الحرب : ضرورة التعامل مع قضية العنف ضد المرأة باعتبارها خرقا لحقوق الإنسان .**

هل مثل هذه العناوين صحيحة بأية صورة ؟ نعم . صحيح أن حوالى ٥٠ ٪ من النساء يتم صفعهن أو دفعهن بقوة أو يتعرضن للإساءة بطريقة أو بأخرى خلال حياتهن ( وهو ما تشرحه المقالة تحت العنوان ) ، ولكن صحيح أيضاً أن هناك نسبة أكبر من الرجال . لماذا إذن نسمع فقط عن النساء ؟ السبب ، كما أوضح العنوان الثانى أن من يتضافر ضد العنف ويتحدث بصوت واحد هن " نساء العالم " ، ولكن رجال العالم لا يتحدثون . إن الرجال هم " ضحايا العنف الصامتون " .

ما هى النتيجة إذن ؟ لقد جمدنا نظرتنا للرجال بأنهم هم الجناة ، مما جعل اعتبارهم ضحايا شيئاً مثيراً للدهشة والشك .

أحد العوائق الكبرى التى تحول دون سماع هذه المعلومات هو الاعتقاد بأن المرأة إذا قامت بالضرب فهذا نوع من الدفاع عن النفس . دعنا إذن نراجع ذلك من الجانب العاطفى أولاً ، وهو ما يتطلب مراجعة تجارب حياتنا الشخصية . خلال لقاءاتى التدريبية أطلب من المشاركين أن يسألوا أنفسهم سؤالين يتعلقان بكل علاقة عاطفية مروا بها :

- باستخدام اليد اليمنى ، استخدم أحد الأصابع للتعبير عن علاقة قمت فيها بضرب الطرف الآخر فى المرة الأولى ـ قبل أن يضربك هو . الرقم هو ؟ ـــــ
- باليد اليسرى ، استخدم إصبعاً للتعبير عن كل علاقة قام فيها الطرف الآخر بضربك للمرة الأولى . الرقم هو ؟ ـــــ

تذكر ، إصبع واحد فقط لكل علاقة ، والمطلوب هو أول مرة فقط . خذ وقتك لتقوم بذلك . إن هذا شديد الأهمية من أجل فهم هذا الفصل على المستوى العاطفى .

ما هى فرص التذكر ؟ إذا كنت رجلاً ، فسيكون من الصعب عليك التذكر ـ فالرجل يعتبر الصفعة شيئاً يُنسى ؛ ولكن المرأة لا تنسى . على أية حال إذا كنت قد تعرضت للضرب أو قمت بذلك ، فمن المرجح أكثر أن تكون امرأة قد ضربتك للمرة الأولى أكثر من أن تكون قمت بها . كرر هذه التجربة مع عدد من الأصدقاء . ستجد أن الرجال يتذكرون المرة الأولى التى ضُربوا فيها أكثر من العكس ؛ والنساء يتذكرن الجانبين بنفس المعدل ، بزيادة بسيطة فى تذكر المرة الأولى التى تعرضن فيها للضرب ، وهو ما يتطابق من حيث المبدأ مع نتائج

خمسين بحثاً قمت بمراجعتها ( تم تطبيق كل هذه البحوث على بلاغات حقيقية ) .

وعلى الرغم من كل هذه النتائج ، مازال قدامى الباحثين يخلصون إلى ضرورة الاستمرار فى السياسات الاجتماعية التى تركز الاهتمام على الزوجات . ولتبرير ذلك ، افترضوا أن النساء كمجموعة مقيدات برابطة الزوجية لذلك لا يستطعن الهرب من العلاقة التى تتضمن استخدام العنف . لقد تجاهلوا البيانات التى تخبرنا بأن ٦٠ ٪ من حالات الطلاق تمت بناء على طلب من جانب المرآة - وعندما يكون للمرأة أبناء ، تزيد هذه النسبة إلى ٦٥ ٪ . كما تجاهلوا النتائج التى تشير إلى أن **الرجل الذى تعرض للعنف يشعر أيضاً بقيود رابطة الزواج وبأن الزوجة ستحصل على الأبناء فى حالة الطلاق ، ويتخوف من تعرض الأبناء للعنف .**

## ما الذى يحدث فى الثقافات الأخرى ؟

راجعت عديداً من الدراسات التى تتناول نفس الموضوع فى ست دول أخرى ( بريطانيا ، نيوزيلندا ، فنلندا ، هندوراس البريطانية ، كندا ، بورتوريكو ) وعدداً من الثقافات الفرعية داخل الولايات المتحدة ذاتها ( الكويكرز ، المورمون ، الجيش ، والأمريكيين ذوى الأصول المكسيكية ) .

وفى معظم هذه الثقافات ، تتساوى نسبة عنف المرأة ضد الرجل أو تزيد على عنف الرجال ضد النساء ( باستثناء " بورتوريكو " ) . بالإضافة لذلك تزيد نسبة النساء اللائى يلجأن إلى العنف الحاد . لم يكن من الغريب أن أجد أن هذه النسبة تصل أحياناً إلى ثلاثة أمثال نسبة لجوء الرجال إلى العنف الحاد ضد المرأة ، ولكن فى العموم تصل هذه النسبة إلى الضعف .

إحدى أفضل الدراسات غير الأمريكية هى تلك الدراسة التى أجريت فى " نيوزيلندا " والتى تتبعت ما يزيد على ألف طفل من الثالثة حتى وصلوا إلى سن الواحد والعشرين . ولأن الباحثين عاصروا أفراد عينة البحث لمدة ثمانية عشر عاماً ، كانت نسبة الاستجابة عالية جداً ، كما كانت درجة الثقة عالية أيضاً ( أو على الأقل هذا ما يقولونه لنا ) . ماذا عن نتائج البحث ؟ فى سن الواحد والعشرين كانت المرأة هى المبادرة بالاعتداء فى العنف البسيط ضد الرجل بنسبة ٣٦ ٪ فى مقابل ٢٢ ٪ للرجال . وفى الاعتداءات الحادة ١٩ ٪

مقابل ٦ ٪ للرجال ، وهو ما يزيد على ثلاثة أمثال الرجال فى معدل العنف الحاد .

كان لدىَّ فضول لمعرفة ما إذا كانت طائفة " الكويكرز " أقل ميلاً لاستخدام العنف كما تنادى مبادئها ؟ الإجابة هى نعم ، ولا . لقد قال الأزواج والزوجات إنهم تعرضوا للدفع العنيف والجذب الشديد بما يقارب ١٥ ٪ ، وهى نسبة تزيد قليلاً على المعدل العام السائد فى أمريكا وقت الدراسة الخاصة بالـ " كويكرز " ( ١٢ ٪ للنساء مقابل ١١٪ للرجال ) . أما بالنسبة للعنف الحاد فقد كانت نسبة العنف لدى النساء من " الكويكرز " أقل من المرأة الأمريكية العادية ( ٢,٥ ٪ مقابل ٤,٤ ٪ ) وكان معدل رجال " الكويكرز " أقل من معدل الرجل الأمريكى العادى ( ٠,٨ ٪ كويكرز ـ ٣ ٪ معدل عام ) . مرة أخرى ، فى داخل " الكويكرز " مثل أية مجموعة بشرية أخرى ، كان معدل استخدام المرأة للعنف الحاد ضد الرجل أكثر ثلاث مرات من معدل استخدام الرجل العنف ضد المرأة .

فى طائفة " المورمون " ، كانت نتائج البحث التى أجريت على عينة منهم مماثلة إلى حد كبير للمعدلات السائدة فى المجتمع الأمريكى ككل . أما الأزواج والزوجات داخل الجيش فكانت النتائج تشير إلى التساوى فى معدل اللجوء إلى العنف ، وبقدر أعلى قليلاً مقارنة بالمعدل العام . وكانت نتائج البحث داخل مجتمع الأمريكيين ذوى الأصول المكسيكية تتساوى بين الجنسين بشكل عام .

ترجع القيمة الحقيقية لإجراء الدراسة على الطرفين إلى الإرشادات التى نحصل عليها لمساعدتنا على التقليل من العنف المنزلى خاصة ما يتسم منه بالحدة . مثلاً ، فى كثير من الثقافات التقليدية ، مثل " بورتوريكو " والمجتمع العسكرى ، لا يملك الجنسان أدوات إيقاف النزاع أو الحد من تصاعده . بينما فى مجتمع " الكويكرز " ، بما يمتلكونه من أدوات سلمية لحل النزاعات والمشاجرات ، نجد أن لجوء المرأة إلى العنف الحاد قليل جداً ، ونادر بالنسبة للرجال .

يتضح مما سبق أن توجه التعليم نحو عدم استخدام العنف يفيد . وبشكل خاص يفيد الرجال . ولكن إذا اتخذنا " الكويكرز " كمثل أعلى ، فالميزة فى ذلك هى أنهم عن طريق الرجال يتمكنون من تحقيق هذا المستوى السلمى فى إطار مجتمع يتميز بالعنف ؛ أما الأخبار التى تفرض مزيداً من التحدى فهى أن العملية التعليمية لديهم ليست مجرد فصول دراسية ، ولكن أسلوب حياة ،

وهذا يفسر السبب فى أن القسم الأول من هذا الكتاب هو أكبر الأجزاء فى إطار " الحل " للعنف المنزلى .

## هل التعسف والإيذاء الجسدى هو نتيجة لامتلاك القوة - أم نتيجة للشعور بالعجز ؟

غالباً ما يفترض المهتمون بقضية العنف المنزلى أن الرجال يسيئون إلى النساء استناداً إلى الإحساس بالقوة الذكورية والمزايا التى يتمتع بها الرجل . على ذلك فإن برامجهم العلاجية تتضمن هذه الفرضية .

غير أنه يثبت فى النهاية ، أن الدلائل تدعم نتائج مختلفة تماماً : إن **النساء عندما يتسببن فى الإيذاء ، يكُنَّ أحياناً فى وضعية القوة ، وأحياناً أخرى بلا حول ولا قوة ، وقد يكُنَّ فى موقف يخلط بين القوة والضعف . وعندما يتسبب الرجال فى الإيذاء ، يكونون فى الغالب فى حالة عجز .** القيام بالإيذاء كتعبير سريع عن القوة لتعويض ما يشعر به الشخص من عجز . وها هو دليل على التحول فى هذا النموذج بدءاً بالمرأة .

إن السيدة المسنة تزداد احتمالات ممارستها العنف ضد زوجها حوالى أربعة أمثال عما قد يقوم هو به . ما السبب فى ذلك ؟ إذا كان الرجل أكبر منها بثماني سنوات ، وأمامه خمسة عشر عاماً على الأكثر قبل أن يموت — ويعانى من تصلب العضلات أو أية أمراض أخرى ، فستصبح هى المسئولة عن رعايته إلى جانب رعاية نفسها . بذلك أصبح فى حالة عجز كامل ولا يملك أية قدرة على الإيذاء ، بينما هى الأقوى نسبياً وتمارس الإيذاء أكثر . ولكنها بلاشك تشعر هى الأخرى بالعجز بسبب تحملها مسئوليات رعايته ورعاية نفسها .

بنفس المنطق ، ثلثا الأمهات يضربن الأبناء دون السادسة عدة مرات خلال الأسبوع . أثبتت إحدى الدراسات الحديثة حول الضرب المستمر للأطفال أن الأمهات يفعلن ذلك لحوالى ٥٨ ٪ من الوقت ، والآباء لمدة ١٣٪ من الوقت أما الأبوان معاً فمعدلهما ١٣ ٪ . يمكن النظر إلى هذه النتائج من زوايا ثلاث : إما أن الأم تمارس قوتها على أطفالها ؛ أو تعبر عن عجزها مقارنة بأطفالها ؛ أو تقوم بالحالتين معاً . لاشك أن الأم أقوى ، وخاصة إذا كان الطفل يبكى ولا يبتسم : إن الصراخ يجعلها تشعر بالعجز وهذا يدفعها لممارسة العنف الجسدى . ( فكر فيما نسمعه بين الحين والآخر عن أم قذفت بوليدها فى

مستودع القمامة . إن الأم تمتلك قوة القتل ، ولكنها غالباً ما تكون أماً صغيرة وحيدة لا تملك ما تقتات به ) .

ما السبب فى أن النساء يمارسن العنف ضد الرجل الضعيف فى حين يعمل الرجال أكثر على حماية المرأة الضعيفة ؟ أو ، بطريقة أخرى ، ما السبب فى أنه إذا شعر بالعجز قد يلجأ للإيذاء ومن ثم تشعر هى أيضاً بضرورة اللجوء للإساءة ؟ **إنها تعتبره غير قادر على حمايتها ، على ذلك تتصرف طبقاً لغريزتها للتخلص من هذا الرجل الذى فقد القدرة على حمايتها** . ( تذكر ، لقد واصلت المرأة البقاء على قيد الحياة لملايين السنين بسبب اختيارها لمن يحميها ، وهو ما يعنى معرفة كيفية التخلص ممن لا يستطيع ذلك ) . بعبارة أخرى ، تعتبر إساءة معاملة من لا يوفر الحماية مسألة غريزية لدى المرأة . إنها تشعر بالعجز عندما يبدى العجز .

على ذلك ، يكون شعور المرأة بالقوة أو بالعجز - أو بمزيج من القوة والعجز - هو سبب لجوئها للإيذاء بالطرق المختلفة .

أما بالنسبة للرجال فالأمر يختلف . فى عام ١٩٩٧ ، أثبتت إحدى الدراسات المتعلقة بالعنف المنزلى والتى نشرت فى الصحيفة الرسمية لجمعية علماء النفس الأمريكيين ( صحيفة الأطباء الممارسين والاستشاريين ) ، أن أعمال العنف التى يمارسها الرجال ترتبط بمؤشرات العجز أكثر من ارتباط نفس المؤشرات بلجوء النساء إلى العنف . وجد الباحثون أن العنف الجسدى لدى الرجال أكثر ارتباطاً بالبطالة ، والمعدل المنخفض للتحصيل العلمى ، وقلة مصادر الدعم الاجتماعى ، والمخدرات ، والشخصية غير السوية ، والإحباطات ، وكل هذه العوامل تشير إلى إحساس دفين بالعجز .

قد توحى قوة الذكور الفائقة بلجوئهم إلى ممارسة العنف ضد النساء كتعبير عن هذه القوة والسيطرة . ولكن كما سبق أن عرضنا ، فهذه خدعة كبرى ، لأن الرجال تعلموا ونشأوا على استخدام هذه القوة لحماية النساء ، وبالتالى يضربون أو يقتلون أى رجل يستخدم هذه القوة ضد امرأة . ولكن حين تنهار قوته الذكوريه تزيد احتمالات لجوئه للعنف ضد المرأة .

كثير من الناس يغضون الطرف عن ضعف الشخص المعتدى لأننا دائماً نفترض أنه رجل ونحن لا نريد أن نلوم المرأة التى تم الاعتداء عليها . أما فى الحب فقد يشعر الطرفان بالقوة أو الضعف .

إن مؤشرات العلاج كثيرة جداً مما يخلق الكثير من الأمل . ولكن حتى الآن يقوم كل من يتعاملون مع " الرجل الذى يعتدى على المرأة " بنصحه بالتخلى عن افتراضه بامتلاك الرجال للقوة والوضعية المميزة ، ومن هؤلاء المعالجون النفسيون والاخصائيون الاجتماعيون ، والمشرفات على دور إيواء النساء المتعرضات للعنف . ولكن إذا قامت امرأة بضرب رجل ، فبحكم التعريف تكون فى حالة دفاع عن النفس ـ أليس هو الذى يمتلك القوة ؟

إن فلسفة " المرأة ضحية فى كل الأحوال " ، تلقى باللوم على الرجل فى جميع الأحوال ، وتزيد من التوتر واحتمالات انهيار الزيجات . هذه الفلسفة تجعل ملايين الأبناء ينشأون بدون آباء . وتوفر كثيراً من الوظائف للمحامين والأطباء النفسيين .

## إذا كان الرجال قد تعلموا " ألا يضربوا امرأة أبداً " ، فما السبب إذن فى أنهم يفعلون ذلك ؟

إذا كانت الأميرة الجميلة تختار الرجل الذى يضحى بحياته فى سبيل حمايتها ، فكيف ينتهى بها الحال بأن تتعرض للأذى على يد نفس هذا الرجل ؟

فى رسالة إلى باب " عزيزتى آبى " فى إحدى المجلات كتب رجل يقول إن زوجته تسببت فى كسر ذراعه وبعض ضلوعه عندما قذفته بمقعد ثقيل ؛ وأنها كثيراً ما تهاجمه مستخدمة أظافر يديها ولا تتركه إلا بعد أن يملأ الدم وجهه ورقبته . ولكن ما تربى عليه من عدم إيذاء النساء كان يحول بينه وبين الرد ، وكان يخترع المبررات عند لجوئه إلى المستشفى للعلاج . يقول الرجل إن السبب فى إبقائه على الزواج هو الأبناء ، ولكن حين اضطر فى النهاية لطلب الطلاق اتهمته زوجته بالاعتداء الجنسى على أبنائهما . ورغم اتضاح كذب هذا الادعاء وبراءته فقد شعر بأنه تم تدميره كلياً .

هذا الرجل لم يرد الاعتداء بالاعتداء . لماذا إذن يتجاوز بعض الرجال العرف السائد بعدم الإيذاء ويقومون بالرد ـ أو يبادرون هم بالاعتداء ؟ عندما يشعر الرجل بأن المرأة التى يفترض أن يحميها تهدده أو تشتمه بعنف ، يبدأ فى الانتقال من حمايتها إلى حماية نفسه منها . وتفقد هى وضعيتها كامرأة . فى

نهاية الأمر يتخلى عن غريزة الحماية ، وتقريباً يصاب بازدواج فى شخصيته : يحميها ، أم يحمى نفسه . فى المقابل يصبح حبها له موضع شك ، ويصبح خوفها غير منطقى وتفقد تفكيرها المنطقى - وهذه هى طريقتها فى حماية نفسها .

يتواكب مع هذه النتيجة رسالة متضاربة أخرى : " الرجال لا يؤذون النساء " حيث تتضارب مع : " إنها لن تحترم رجلاً تستطيع أن تضربه " . والمفارقة هنا هى أن الرجل لا يستطيع امتلاك القدرة على الحماية إلا بعد أن يمتلك القدرة على حماية نفسه أولاً . وفى بعض الأحيان تحاول المرأة استفزاز الرجل لكى تحصل على عاطفته وقوته وهى تفعل ذلك لكى تحقق معه التواصل المفقود . باختصار ، هناك على الدوام رقصة مشتركة بين الزوجين ، بحيث لا يمكن توجيه اللوم إلى أحد الأطراف دون الآخر إذا اختلت هذه الرقصة .

## ألا يقتل الأزواج زوجاتهم بالفعل أكثر من قتل الزوجات لأزواجهن ، ولهذا السبب تفزع النساء من التعرض للضرب المبرح ؟

لقد بدأنا هذا الفصل بالإعلان الذى يتضمن صورة عروسين تحت عنوان " الزواج من العدو " . ولكن السبب فى أن أحداً لم يعترض على نشر هذا الإعلان هو أنه يستدرجنا إلى الاعتقاد بأن هذه حقيقة موثقة . وسنرى فيما يلى كيف يحدث ذلك ...

التحذير موجه إلى العروس السعيدة : ٤٢ ٪ من النساء المقتولات تم قتلهن بواسطة نفس الرجل . انظر إلى الإعلان مرة أخرى وسجل ما تشعر به من إحساس وخواطر .

عندما تتخيل امرأة اليوم الذى من المفترض أن يكون أسعد أيام حياتها ، فهى تمر فى هذا الوقت بتجربة عاطفية ؛ ولا يفترض بها أن تقوم بإجراء تحليل بيانى إحصائى عن نسبة الـ ٤٢٪ . لقد تم استدراجها للتوحد مع هذا الإعلان والإحساس بما تثيره الإحصائيات من مشاعر سيئة .



اثنان وأربعون في المائة من القتلى من

النساء قتلهم نفس الرجل

وكانت تتمنى ألا ينتهى أسعد أيام حياتها بقتلها . تشعر معظم النساء بأن هذا يمثل نوعاً من الاستغلال الإحصائى ، ولكن يظل الانطباع والإحساس بالخوف كامنا فى داخلها . وهذه هى النية الخفية وراء هذا الاعلان .

إن قيمة وقف القيام بالإحصائيات المصورة تكمن فى جعل الخوف ملائماً ومطابقاً للواقع ، وعندما لا يكون الخوف ملائماً للواقع نطلق عليه " وسواس جنونى " . إن الأشخاص الذين يرفضون الالتفات إلى الإحصائيات بحجة الحفاظ على سلامة قلوبهم يكونون أكثر الناس عرضة لاستغلال مشاعرهم وأحاسيسهم فى الحياة الواقعية ، يتم قتل تسعمائة امرأة كل عام على يد أزواجهن ، وهذا العدد من ضمن أربعة وخمسين مليون امرأة متزوجة فى الولايات المتحدة . وهذا يخلق شعوراً مختلفاً . ولكن دعونا ننتقل إلى الإحصائيات الدقيقة والصحيحة : " إن اثنين وأربعين فى المائة من جميع النساء المقتولات تم قتلهن على يد نفس الرجل " .

الخدعة الأساسية هنا هى أن نسبة كبيرة من الزوجات قتلن على يد الأزواج الحاليين أو السابقين والسبب هو ندرة قتل الزوجات . هذا فى البداية .

ولكن على الرغم من عدم رغبتى فى الدخول فى جدال حول من هو الضحية الرجل أم المرأة ؟ فإننى أذكر رائدات الحركات النسائية بأن العدد يتساوى تقريباً بين الجنسين . على ذلك لا يجب التركيز على إقناع الرأى العام بأن

الزوج دائماً هو القاتل ، حيث يترتب على ذلك توجيه كل البرامج والأموال إلى دور إيواء النساء وخطوط الاتصال الساخنة المخصصة فقط للمرأة ؛ وعدم تخصيص أى موارد لإيواء الرجال أو تخصيص خطوط ساخنة لهم عندما يتعرضون للخطر ، وبالتالى يشكلون خطورة على زوجاتهم ، بعكس من يجدون دعماً إيجابياً وتشجيعاً وتدريباً لهم لاستعادة دورهم الحامى للمرأة .

إن الإجابة المختصرة لهذا الاتهام هى أنه لا أحد يعرف على وجه القطع أياً من الجنسين يقتل الجنس الآخر أكثر . سنرى فوراً السبب فى أن الزوجات يقتلن الأزواج أكثر ، ولكن لأن الحكومة لا ترغب في تجميع بيانات عن الطرق الثلاث التى تتبعها الزوجات لقتل أزواجهن ، سنحاول فى الفقرات التالية الاجتهاد فى هذا الشأن وتوضيحه .

على السطح ، وطبقاً لبيانات وزارة العدل ، تكون النساء هن المعتديات فى ٤١ ٪ من الجرائم الزوجية . بينما تنحصر طرق القتل الخاصة بالرجال فى الطعن بالسكين أو استخدام المسدس بنفسه ، وبذلك يسهل اكتشاف تورطه .

أما الطرق الثلاث الرئيسية التى تتبعها المرأة فى قتل زوجها فيصعب اكتشافها فهى تحاول أن تجعل موت الرجل يبدو كأنه حادثة حتى تتمكن من الحصول على مبلغ التأمين على حياته . وأولى الطرق التى تتبعها النساء وأكثرها شيوعاً هو استخدام السم . والثانية هى استئجار قاتل محترف . أما الثالثة فهى إقناع العشيق بقتل الزوج .

والطريقتان الأخيرتان إذا تم اكتشافهما لا يتم تسجيلهما فى إحصائيات مكتب التحقيقات الفيدرالى على أن زوجة قتلت زوجها . بل تسجل على أنها " اشتراك فى ارتكاب جريمة " ، **وفى هذا النوع من الجرائم نجد أن عدد الأزواج الضحايا يفوق عدد الزوجات بحوالى أربعة أضعاف ، وذلك طبقاً لإحصائيات مكتب التحقيقات الفيدرالى . وهذا يعنى أن نسبة الواحد وأربعين فى المائة السالفة الذكر لا تشمل أياً من الطريقتين السابقتين للقتل اللتين ترتكبهما النساء .**

ما مدى شيوع جريمة " تعدد القتلة " ، والتى تكون فى الغالب مقابل أجر ؟ الإجابة غير معروفة . قد يكون أفضل مصدر للمعلومات هو سجلات مكتب التحقيقات الفيدرالى التى توضح أن ما يقرب من ٧٨٠٠ رجل تم قتلهم دون التعرف على الجانى ( فى مقابل ١٥٠٠ امرأة قتيلة ) . يمثل هذا الرقم تسعة أمثال القتلى من الزوجات اللائى قتلهن أزواجهن الحاليون أو السابقون

معاً . قد تكون هذه النسبة غير دقيقة حيث إن هؤلاء القتلى من الرجال قُتِلوا على يد رجال أيضاً . وكثير منهم غير متزوج أصلاً ، ولكن ذلك يجعلنا ندرك أننا يجب أن نضع فى اعتبارنا جرائم القتل التى يشترك فيها عدد من القتلة قبل أن ندعى أن الرجال الذين يقتلون زوجاتهم يفوق عددهم النساء اللاتى يقتلن أزواجهن .

الأكثر أهمية هو ما استنتجته من مراجعة مائة قضية قتل مأجور ، وهو أن التعمق فى تحليل القضية يقود إلى أن الغرض الرئيسى من استئجار قاتل محترف هو إظهار موت الزوج على أنه حادث ومن ثم حصول الزوجة على قيمة وثيقة التأمين .

لم يكن لدى " روبرتا بيرس " المُدَرِّسة المساعدة المال الكافى لاستئجار قاتل محترف حقيقى . كانت على يقين من أنها لو قتلت زوجها ولم تتم إدانتها فستحصل على ٢٠٠ ألف دولار هى قيمة وثيقة التأمين فضلاً عن المنزل . لهذا السبب عرضت على تلميذين فى سن الخامسة عشرة مبلغ ٥٠ ألف دولار لكل منهما ومنحهما سيارة إذا قاما بقتل الزوج . إذا أدرجنا هذه الجريمة فى الإحصائيات ، فلن تكون أبداً فى خانة الزوجة التى قتلت زوجها .

غالباً ما يكون الزوج فى حالة اهتياج مشاعر غضب عندما يرتكب جريمة القتل ( وهو شيء كبير بالنسبة للعاقل ! ) أو يقتل زوجته ثم أبناءه ثم يدير فوهة المسدس نحو رأسه ليخر صريعاً . فى المرة التالية التى تقرأ فيها عن زوج يقتل زوجته ، واصل القراءة فى التفصيلات وستفاجأ بأنه قام بعد ذلك بقتل نفسه ، وهذا مؤشر إلى أن المال ليس هو الدافع الأول للجريمة ، فعندما ينتحر الإنسان ، يكون ذلك نتيجة لشعوره بأنه لا أحد يحبه أو يحتاج إليه .

باختصار ، أسلوب الزوجات فى القتل يعكس دوافعهن ، وهو ما يتطلب عدم اكتشافهن ؛ أما أسلوب الأزواج فهو يعكس دوافعهم ، وقتلهم لأنفسهم يشابه إلقاء القبض عليهم . وحتى لو تم اكتشاف جريمة المرأة ، فمن المرجح أن يتم اعتبارها شريكة فى الجريمة وليست القاتلة ، أو حتى يعتبروا موت الزوج كان نتيجة حادثة أو أزمة قلبية . عندما تُقتَل المرأة نميل دائماً إلى تَتَبعُ القاتل والإمساك به ، وهذا ما لا يحدث فى حالة الرجل عندما يتم قتله .

تستفيد المرأة التى تقتل زوجها من الصورة النمطية للمرأة بأنها بريئة وذلك نتيجة للأساليب الخفية التى تتبعها فى القتل وتعامل بشكل مختلف من وجهة النظر القانونية : ١٣٪ من النساء المتهمات بقتل أزواجهن تتم تبرئتهن ، فى

مقابل ١ ٪ للرجال . أيضاً معدل أحكام السجن ( مع استبعاد السجن المؤبد أو الإعدام ) تصل إلى ١٧,٥ سنة فى المتوسط للرجال فى مقابل ٦,٢ سنة للسيدات . وحتى هذه اللحظة لم يتم تنفيذ حكم الإعدام فى أية زوجة قتلت زوجها . فى هذا الإطار العام الذى لا نرى فيه المرأة إلا بريئة ، تصبح العدالة عمياء هى الأخرى .

مثلما تختلف طرق قتل النساء لأزواجهن عن طرق الرجال ، وتكون طرقهن فى نفس الوقت غير مرتبة ، توجد أيضاً اختلافات بين أساليب العنف الخاصة بالرجال والنساء ، والتى لا تشمل القتل . وقد كان أسلوب النساء خفياً وغير مرئى لدرجة أن أحداً لا يمكن أن يطلق عليه عنفاً منزلياً .

## العنف المنزلى ، الأسلوب النسائى

### " تدمير سمعة الرجل " عن طريق الاتهامات المزيفة بالإيذاء

حضر " توماس كيرنان " مؤلف كتاب " Citizen Murdoch " ( بالإضافة إلى خمسة وعشرين كتاباً آخر ) أربع ندوات تضم الزوجات اللائى فى سبيلهن للحصول على الطلاق ، وسجل هذه التجربة فى المجلة القانونية لـ " نيوجيرسى " . وذكر أنه فى الحالات الأربع كانت محامية هى التى تدير كل ندوة ، كل واحدة منهن كانت توصى بإنشاء سجل شامل بأحداث العنف المنزلى ، صادقاً كان أو كاذباً ، قبل تقديم المرأة دعواها بطلب الطلاق . بحيث لا تترك شاردة أو واردة يقوم بها الزوج .

وما أثار إزعاج " كيرنان " هو أن " قانون منع العنف المنزلى " والذى تم وضعه للحد من العنف المنزلى قد تم استغلاله لاتهام الرجال زوراً بإيذاء شريكة الحياة . والنتيجة هى تدمير سمعة الرجل ومستقبله المهنى ، ليس هذا فقط ، بل الأكثر خطورة هو أن الاتهامات الكاذبة من قبل الزوجة تحرم الزوج من حضانة الأبناء لأن والدهم متهم بالاعتداء والإيذاء . كما أن هذه الاتهامات الكاذبة تبرر أيضاً استصدار حكم بطرد الرجل من منزله قبل صدور حكم الطلاق ، ويكون ذلك أدعى لقيامها برعاية الأبناء لأنهم يعيشون مع الأم وهذا يوفر لهم " الاستقرار " .

ولكن إليك ما أثار دهشة " كيرنان " : " كثرة عدد النساء الحاضرات فى هذه الندوة واللاتى أعلَنَّ وهنَّ فى غاية السرور أنهن تقدمن بالفعل بادعاءات كثيرة كاذبة ضد الأزواج بارتكاب أعمال عنف ضدهن ، وأن هذه الوسيلة نجحت مع الكثيرات منهن ! ومما أضاف العجب إلى الدهشة أن السيدة المحامية سارعت بتهنئة هؤلاء النسوة المدعيات " .

إن الاتهامات الملفقة وغير الحقيقية بالإساءة إلى الزوجة وإلى الأبناء تدمر سمعة الرجل حتى لو تبين فى نهاية الأمر أنه برىء من هذه التهم .

ما السبب فى أن تشويه سمعة الرجل يؤدى إلى تدميره ؟ إن قدرة الرجال على كسب العيش تقود إلى قدرتهم على الحصول على الحب . وتدمير حياتهم المهنية يعنى تدمير احتمالات حصولهم على الحب . لاحظ كيف يسقط الرجال مصابين بأزمات قلبية أو سرطان ـ أو ينتحرون ـ بعد فترة قصيرة جداً من مثل هذا الحدث . ومع ذلك لا يتم تسجيل هذه الحالات على أنها إساءة وتعسف ضد الزوج . ولا على أنها جريمة قتل .

## إفساد الممتلكات وتدمير المستقبل المهنى

**واقعة .** عندما دخلت مقهى " بانيكين " الذى اعتدت ارتياده عندما أرغب فى الاختلاء بنفسى لمواصلة التأليف ـ لمحت أحد أصدقائى ولاحظت أنه يعانى من حالة اكتئاب . وتبين أنه قام بتطليق زوجته مؤخراً ، وأن زوجته بعد أن حصلت على الطلاق قامت بتدمير كل مخططاته الهندسية التى كان يعمل فيها .

جرى العرف على أن ننظر إلى كل ما يقوم به الرجل من أعمال على أنها المرادف النفسى لإنجاب المرأة للأطفال خلال رحلة حياتها . فهل يعتبر " تدمير وظيفة الزوج " عن طريق إفساد أملاكه أسلوباً نسائياً غير معروف وبالتالى خفى وغير مرئى ؟ اللافت للنظر هنا هو أن الضحية إذا كانت امرأة نهتم بما يحدث لمتلكاتها . على النقيض من ذلك ، عندما كنت أشاهد فيلم " نادى الزوجات " حيث تدمر الزوجات السابقات المستقبل المهنى لأزواجهن ، كنت أشعر بالحزن عندما أسمع صيحات الإعجاب من المشاهدين ، خاصة النساء .

إن الإيذاء النفسى يتم الإعلان عنه عندما يكون هناك دليل واضح على الإيذاء الجسدى للجنسين لبعضهما البعض بنسبة متساوية . وبالتالى يكون أول رد فعل هو " عندما تقوم النساء بإيذاء الرجال جسدياً يكون هذا نتيجة للإيذاء النفسى الذى سببه الرجال لهن منذ البدء " .

لماذا نتردد كثيراً فى دراسة الإيذاء النفسى لدى النساء ؟ هل يرجع ذلك إلى أن المرأة يعرف عنها أنها تميل إلى إيذاء الرجل نفسياً لأن قوتها تكمن فى التواصل اللفظى الذى هو فى الوقت ذاته نقطة الضعف لدى الرجال ؟ هل كنا نخشى أن نكتشف أى شىء يبرئ ساحة الرجل ولو حتى بنسبة ضئيلة ( الرجال أيضاً يتعرضون للإيذاء ) . وبذلك نضع المرأة فى وضع المتهمة ( النساء أيضاً يستطعن إيذاء الرجل ) ؟ إذا كان كل ما سبق ليس هو السبب ، لماذا إذن أصبح الإيذاء النفسى شديد الأهمية عندما أصبحت المرأة ضحية له ، أو عندما تكون هى المعتدية جسدياً على الرجل ؟

الآن وقد عرفنا أن الرجال يتعرضون للإيذاء على الأقل بنفس القدر الذى تتعرض له النساء ، سوف يكون من السهل دراسة موضوع الإيذاء ككل ، سواء بالنسبة للرجال أو النساء ، على المستوى الجسدى والنفسى .

إن القدر القليل الذى نعلمه عن الإيذاء النفسى بين الجنسين يشير إلى أن الجنسين يسيئان إلى بعضهما بنفس القدر تقريباً ، وأن النساء يهددن باستخدام العنف بقدر أكبر . وهذا طبقاً لدراستين ، واحدة من " نيوزيلاند " ، والأخرى بيانات أولية لم يتم نشرها ومصدرها معمل بحوث فى جامعة " نيو هامشاير " .

قال لى بعض الرجال : " إن النساء يستغللننا نفسياً من خلال قدرتهن على البكاء أكثر " . وقد أكدت الدراسة النيوزيلاندية أن النساء يبكين أكثر خلال الصراعات : ٥٥ ٪ للنساء مقابل ١٦ ٪ للرجال ، ولكن من جانبى لا أستطيع أن أصنف كل البكاء على أنه استغلال ، ومن ثم إيذاء نفسى . وذلك لأن كثيرا من الرجال يشعرون فعلا بأن النساء يستغللنهم بالبكاء ، ولكن هذا لا يعنى بالضرورة أن المرأة كانت تقصد الاستغلال .

من خلال ملاحظاتى الشخصية للجنسين على مدار ثلاثة عقود ، وجدت أن الرجال والنساء يتبادلون الإيذاء ولكن بطرق مختلفة . اعتاد الرجال الانغماس فى العمل ، أو الانشغال بأحد الأعمال فى جراج المنزل ، أو الانسحاب إلى ما

وراء صفحات الجريدة أو أمام شاشة التليفزيون ؛ أو الانشغال بأحد الأعمال أو المباريات الرياضية . أما النساء فيهربن عن طريق التسوق والإسراف ، والاستغلال من خلال التدلل ، أو الهروب من العلاقة الزوجية أو الاستغراق فى رواية رومانسية . وخلافاً للرأى العام ، كلاهما يتساوى فى الاتجاه إلى تكوين العلاقات خارج الإطار الزوجي . وكلا الجنسين يوظف صوراً مختلفة من ممارسة القوة للتعويض عن الإحساس بالضعف . كلاهما يحصل على انتصارات ذات ثمن باهظ .

### " شريك العمر يعرف الأشياء التى تثير غضبى "

لعل أغلى الانتصارات ثمناً هو " فعل الأشياء التى تثير غضب شريك الحياة " . عادة ما تسبق الاعتداءات والإساءة حوارات " غير مرغوبة " " متكررة " بشكل أو بآخر . وكل من كلمتى " غير مرغوبة " و " متكررة " تثيران التساؤل . إن هذا يعنى أن كلا الجنسين يعرف أنه يُصعد من غضب الطرف الآخر ، ويواصلان ذلك مهما حدث . هل يفضل البعض أحياناً الإيذاء الجسدى بدلاً من التعرض للإيذاء اللفظى ؟

نعم . لماذا ؟ لأن الكلمات قد تؤذينا أكثر من الإيذاء الجسدى . وعلى رأى المثل القديم ، " العصىّ والأحجار يمكن أن تكسر عظامى ، ولكن الكلمات تحطم قلبى " . إن الإيذاء الجسدى يسمح للبعض بالتعبير عن المشاعر بدون خسائر تذكر مقارنة بالإيذاء اللفظى . وهذا هو السبب فى أن الحل هو تنقيح نظام توجيه النقد وتلقيه كلياً . حينئذ نستطيع أن نركز ليس فقط على الإساءات والضحايا ، ولكن على الطرق التى تتيح لنا اعتبار الخلافات فرصة لتعميق الحنان ومن ثم الحب .

## إلى أى مدى يتعرض الأطفال الأبرياء للإيذاء إذا ما تمت تبرئة امرأة مذنبة ؟

واقعة . كانت " لورى دان " مازالت تحت الاستجواب لدى مكتب التحقيقات الفيدرالى بتهمة الابتزاز . ( كانت تطالب بقدر من المال فى مقابل توقفها عن التحرش عن طريق الهاتف بعائلة طبيب كانت تواعده قبل ثمانية

عشر عاماً ) . وقد سجلت شرطة منطقة شيكاغو ما يزيد على عشر شكاوى ضدها . عندما انفصلت عن زوجها " روسيل " أبلغ الشرطة بأنه تعرض للإيذاء الجسدى على يديها ، وتعرض للطعن عدة مرات وهددته بالقتل بعد أن اشترت مسدساً . وأبلغ مرة أخرى عن أنها اقتحمت المنزل وطعنته فى صدره بآلة كسر الثلج بينما كان نائماً .

وعندما اشترت " لورى دان " مسدس ماجنوم عيار ٠.٣٥٧ " أبلغ " روسيل " الشرطة بأنها هددت بقتله بهذا المسدس ، ولكن الشرطة لم تصادر المسدس ، ولم تتم مواجهة " لورى " ؛ بل قابلوا فقط والدها . بعد ذلك حملت " لورى " المسدس وسلاحين آخرين وأطلقت النار على ستة أطفال فى مدرسة ابتدائية ، تاركة وراءها الطفل " نيكولاس كوروين " ذا الثمانى سنوات يصارع الموت .

عندما لا نصدق الرجال الذين يبلغون عن الإيذاء ، فإننا نعرض الأطفال والمجتمع للخطر . هل هذا خطأ النظام ، أم أن توجهاتنا هى التى تخلق هذا النظام الخاطئ ؟ على الرغم من كل البلاغات المقدمة ضد " لوري " ، لم يتخذ ضدها أى أجراء ، وحتى بعد أن أدينت بالتهديد بقتل زوجها بالسلاح الجديد الذى اشترته ، لم يواجهها أحد من رجال الشرطة . ولو أن العكس قد حدث لصارت فضيحة تواجهها الشرطة على المستوى الوطنى .

عندما نعتقد أن الرجال فقط هم القتلة ، فالأرجح أننا لا نبحث فى شكوى مقدمة عن امرأة ، ومن ثم لا نسعى لإلقاء القبض عليها ، وهذا يُعَرض أحباءنا للخطر . عندما لا نأخذ بلاغ رجل ضد امرأة على محمل الجد ، نشارك بدون وعى فى إيذاء أطفالنا . وعندما لا نأخذ على محمل الجد ممارسة امرأة للجريمة ، فإنها من جانبها تعتبر ارتكاب الجريمة شيئاً جاداً .

## هل يحمى القانون المرأة أكثر من الرجل ؟

**واقعة** . كانت " ايفيلين همفرى " ليست فى وعيها نتيجة لتناولها الأقراص المخدرة ، حملت مسدسها وقتلت " ألبرت هامبتون " ، وهو زوجها . وادعت أنه أساء إليها فى اليوم السابق على قتله . ولكن موته حال دون أن ينكر هذه التهمة . كان إعلانها هذا تجسيما لظاهرة " المرأة ضحية الاعتداء " .

حكمت محكمة " كاليفورنيا " العليا ببراءتها . وحتى عام ١٩٩٦ كان مثل هذا الدفاع يستخدم لتخفيف الاتهام الموجه إلى المرأة لقتلها زوجها . أما الآن ، فيستخدم هذا الدفاع للحصول على البراءة ـ براءة المرأة وليس الرجل .

إن الدفاع القانونى المستند على ظاهرة " المرأة ضحية الاعتداء " ليس دستورياً لأنه ليس هناك دفاع قانونى يستند على ظاهرة " الرجل ضحية الاعتداء " . إن السماح للمرأة بالقول إنها كانت غير قادرة على الدفاع عن نفسها يناقض الحقيقة ، حيث كان لديها الوقت لكى تهرب من الإيذاء ، وهذا يعطى المرأة الحق فى القتل وهو ما لا يسمح به أى قانون من قوانين العالم كله . فى الحالتين ، تمثل ظاهرة " المرأة ضحية الاعتداء " خرقاً للمادة الرابعة عشرة التى تنص على الحماية المتساوية لكل بنى الإنسان بصرف النظر عن الجنس . لعل القانون الذى سيكون خارجاً على المألوف ويعوزه الذوق ويكون غير دستورى هو القانون الذى سيعد خصيصاً للرجال . إن ظاهرة " المرأة ضحية الاعتداء " تعد واحدة من ثمانى دفاعات قانونية أقوم بمناقشتها فى كتاب " The Myth Of Male Power " وهذه الظاهرة تستغلها النساء فى القتل والإفلات من جرائمهن ، وهى حصانة لا يمتلكها الرجال . هذا إلى جانب العقوبات التى يتلقاها الرجال مثل السجن لسنوات أكثر عقاباً على نفس الجريمة ، وهم بذلك يقدمون رسالة واضحة للرجال : " أنتم أقل قيمة من النساء ولا يتم تقديركم . أنتم مواطنون من الدرجة الثانية " .

هل الحل يتمثل فى إيجاد ظاهرة " الشخص ضحية الاعتداء " بحيث يُسمح للجنسين بقتل من يبادر بالاعتداء ؟ صعب جداً . وستكون هناك عواقب . إن العدوان الجسدى يستخدم لحل الخلافات الزوجية ، وفى ٦٠ ٪ على الأقل من العائلات . والقتلة لن يكونوا فقط من الزوجات والأزواج . لقد اعترف ٩٣ ٪ من الرجال و ٨٨ ٪ من النساء ممن اتهموا بالإيذاء ، بأنهم تعرضوا فى طفولتهم للإيذاء الجسدى . هل نسمح لهم بقتل آبائهم ونسمى ذلك دفاعاً عن النفس ؟ إن هذا سيخلق قانون الجريمة العائلية الذى سيحل محل قانون جريمة الرجل .

إذا كان الإيذاء بالضرب هو طريقاً ذا اتجاهين ، فإن الحل لذلك هو أيضاً ذو اتجاهين . ولحسن الحظ ، يكمن الحل الذى يساعد على التخلص من الإيذاء النفسى والجسدى فى التركيز على الوقاية ـ وخاصة على تنمية مهارات التعامل مع الانتقاد الشخصى وهو ما ناقشناه فى الجزء الأول .

**هل تساعد القوانين المضادة للإيذاء الجسدى ؟**

لاشك أن القيود القانونية ليست أقوى القيود التى تفرض على الرجال . ولكنه الخوف من فقدان حب المرأة . واحتقار الذات الذى يتكون خلال شهور من المحاولات المستميتة لإعادة بناء الثقة . بطريقة أو بأخرى ، **نجد أن الرجل الذى يضرب امرأة يكون قد قايض دقيقة واحدة من امتلاك القوة بشهور من العجز .**

على مستوى الثقافات كلها ، تكون القوانين التى تعاقب على الإيذاء الجسدى ذات تأثير مثبط ومانع لهذا الإيذاء . ولكن الحقيقة أن هذا التأثير محدود جداً . فيما يقرب من ٨٥ ٪ من اعتداءات العنف المنزلى والقتل ، كانت الشرطة تقوم بعمل زيارات للمنازل التى حدثت فيها هذه الأحداث ، مرة أو مرتين على الأقل فى السنوات السابقة على الاعتداء .

إن العقوبة غالباً ما تكون وسيلة لهروب المجتمع من التعقيدات . فعلى سبيل المثال ، عندما يتم سجن الزوج المعتدى على زوجته الحامل يكون ذلك بمثابة هروب من معالجة الأمر عن طريق استشارى الحمل الذى يعالج التوتر والتعقيدات التى يسببها الحمل فى نفسية الزوجة . ومع هذا ، فإن التكاليف التى تتطلبها متابعة استشارى الجمل تكون أقل بكثير من التكاليف التى تتحملها الزوجة من أموال الضرائب لإدخال زوجها السجن . هذا إلى جانب التوتر الشديد الذى تعانى منه المرأة الحامل عندما يكون زوجها فى السجن ( فى مقابل السجن كبديل احتياطى للاستشارة ) .

إن القوانين الخاصة بحالات الإيذاء ، والتوجهات التى تخلقها هذه القوانين قد ساهما بدون شك فى تقليل حالات العنف الحاد بنسبة ٢١ ٪ . ولكن التطبيق المنحاز لهذه القوانين ضد الرجال أدى إلى انخفاض بمقدار ٤ ٪ فى

الاعتداء العنيف على الزوجات ، وزيادة طفيفة في نوعية الضرب الخفيف ( ولكن ليس العكس أي ضرب الزوجة للزوج ) .

يزيد تعقد المشكلة بالإجراءات المتعلقة بإلقاء القبض على المتهمين . فما إن يلقى القبض على الرجل أو المرأة المتهمة بالعنف المنزلى ، فليس من المرجح إعادة إلقاء القبض عليه مرة أخرى ، كما فى حالة من تم الاكتفاء بنصحه فى المرة الأولى . ولكن هذا لا يعرفنا عدد من لا يقومون بالإبلاغ مرة أخرى ، نظراً لأن نتيجة الإبلاغ فى المرة السابقة تم تسجيلها كسابقة إجرامية تلاحق الشخص مدى الحياة . كما أن هذه القوانين والإجراءات تقيد حركة رجال الشرطة وتحيلهم إلى أشخاص يعملون بطريقة روتينية بدلاً من كونهم محترفين لهم القدرة على الحكم على الأمور . لاشك أنه من الأفضل ، أن يتاح لرجل الشرطة الاستجابة الفورية عند طلب النجدة ، واستخدام سيارة عادية مع اكتساب مهارات اتصال عالية ، وسلطة لاتخاذ عدد من القرارات التى تعتمد على طبيعة الموقف .

عادة ما تستخدم قوانين وإجراءات إلقاء القبض بتحيز كبير ضد الرجال . وإذا لم يحدث ذلك تكون النتائج مثيرة للسخرية . إن رائدات الحركة النسائية كن يجاهدن لتطبيق هذه القوانين ، ولكن عندما كانت الشرطة تصل إلى المنزل ، وتكون المرأة هى المتصلة بهم ، كان يتضح فى النهاية أنها هى المعتدية منذ البداية . وتضاعف عدد هذه الحالات منذ تطبيق هذه القوانين فى " لوس أنجلوس " . وما إن عرفت عضوات الحركات النسائية ذلك حتى بدأن فى مقاومة هذه القوانين التى جاهدن لإصدارها بعد أن علمن أن الرجال ليسوا وحدهم هم من يتم القبض عليهم .

وعندما نعود إلى ملاحظات " سوزان شتينمتيز " والتى تقول إن ٦٠ ٪ من العائلات يعانون من العنف المنزلى منذ بدء الزواج ، وتطبيق القوانين الصارمة لإلقاء القبض على المعتدى ، ستكون مثل السماح بالقبض على كل من يتخطى قيادة السيارة بسرعة خمسة وخمسين ميلاً فى الساعة ، وبذلك سوف يتم إيداع معظم سكان البلاد فى السجن .

باختصار ، لا يمكن استبعاد القوانين أو تحقيقات الشرطة بحجة عدم ملاءمتها من حيث تحيزها لجنس دون آخر ( بحيث تصبح غير دستورية ) ، ولا أن تكون مرنة فى التطبيق بحيث تشمل كل المواطنين تقريباً . الأكثر أهمية ، أن السجن أكثر تكلفة من التمكين وأقل فاعلية أيضاً .



رغم مراعاة الثقافات المختلفة للتركيز على مساعدة المرأة فى إنهاء علاقتها بزوجها ، نجد أن الرجال من جانبهم يخشون هم أيضاً الهجر وإنهاء العلاقة . إنهم يخشون أن تكون مغادرتهم معناها فقدان أبنائهم ؛ لأن هجر الزوجة يتيح لها إيذاء الأبناء ( الأزواج أو الزوجات المؤذون يكونون فى الغالب آباء مؤذين ) . إن الرجال هم الذين ليس لهم ملاذ يلجَئون إليه ، وليس لهم خط ساخن للاتصال بمن يساعدهم ، كما أنهم لا يمتلكون ميراثاً جينيا يدفعهم لطلب المساعدة ، ولم يتعلموا اللجوء للشرطة لطلب منع التعدى ؛ إنهم يؤمنون بأن الشرطة ستهزأ منهم ؛ إن الرجال لا يرغبون فى الإعلان عن فضائحهم على الملأ ؛ وأصدقاؤهم قليلون ، ومجموعات الدعم نادرة ؛ وأخيراً فإنهم يفتقدون حصيلة الكلمات المعبرة عن هذه القضايا .

إحدى الأساطير الهدامة الشائعة هى أن المرأة ليس لديها القدرة على ترك الرجل ـ لأنه سيلاحقها حتى يقتلها . يتم تجسيم هذه الأسطورة من خلال أفلام سينمائية مثل " النوم مع العدو " وفيه تهرب المرأة الضحية بعد أن تزيف واقعة قتلها وتقوم بتغيير هويتها ، ولكن يتتبعها زوجها ويصل إليها فى النهاية . الرسالة هنا هى أنه " لا مجال للفرار من الرجل المعتدى والبقاء على قيد الحياة ، إنهم الأكثر مهارة ، الأكثر جنوناً ، لديهم انفصام شخصية ، وأكثر الناس إثارة للذعر على وجه الأرض . " ولكن هل كل هذا صحيح ؟ .

صحيح أن بعض الرجال يطاردون النساء ، وبعض النساء يستأجرن قتلة محترفين وليس هناك ضمانات لأى من الجنسين بالحماية إذا قرر أحدهم الانفصال أو البقاء فى العلاقة . ولكن فى كل مرة أقرأ عن تتبع أحد الشريكين للآخر وتهديده . كان هناك على الأقل سبب واحد من الأسباب الخمسة التالية التى تحفز على هذا التصرف .

**العوامل الخمسة المحفزة لاستخدام العنف بعد الهجر**

١. فصل حساب البنك .
٢. ترك مذكرة تتضمن نقداً لاذعاً ساخراً ، أو رفض العيش المشترك .
٣. اصطحاب الأطفال .
٤. التسبب في اعتقال الشريك .
٥. اتخاذ زوج آخر .

لاشك أن اعتقال أحد الطرفين قد يكون ضرورياً في بعض الأحيان ، وليس ذلك فقط ولكن قد يكون هو التصرف الملائم . ولكن لابد من موازنة المخاطرة ما بين هذا الاعتقال أو عدمه . فإذا كان هدف الاعتقال هو الحصول على حضانة الأطفال ، فإن ذلك قد يثير الدوافع الانتقامية ويصعدها . وترجع أهمية معرفة هذه المحفزات الخمسة إلى أن هذا يُمكِن الطرف الذى تم الاعتداء عليه من هجر شريكة بأمان . أهم قاعدتين هما ، أن تضع حدوداً واضحة وصارمة وتساعد شريكك على حفظ ماء وجهه حتى وأنت تفرض هذه الحدود .

بالنسبة للزوج الذى يهجر ، هناك عامل سادس : كلما زاد مبلغ وثيقة التأمين الخاصة بك ، زادت احتمالات قتلك ، وإظهار الأمر وكأنه حادث ، كما أوضحنا سابقاً .

فى ضوء ذلك تعتبر ظاهرة " المرأة ضحية الاعتداء " إهانة لذكاء المرأة . إنها تفترض أن المرأة لا تستطيع أن تبتكر طريقة للهرب ؛ عندما يكون الزوج فى العمل ، أو فى جولة مبيعات ، أو أن لديها صديقة تود زيارتها ، أو تزور أهلها ، إلى غير ذلك من أعذار . ولكن فى التحليل النهائى ، ليس هناك من ضمانات لتجنب العنف . وأفضل ما نستطيع أن نقوم به هو معرفة أن الإيذاء يقل كلما زادت فرص الاستماع .

بين حين وآخر نقرأ عن قصة رجل يعود إلى منزله ويؤذى امرأته وأبناءه . ولكن لنتذكر ، يحدث ذلك غالباً عندما يكون الرجل مطروداً من بيته ، وليس عندما تترك الزوجة البيت . وإذا تبادلا الأدوار وحصل على تعهد منها بعدم الإيذاء ومنعها من العودة إلى البيت لمشاهدة الأبناء ، فستزيد أيضاً احتمالات لجوئها إلى العنف .

كلا الجنسين يقوم بإيذاء الطرف الآخر بعد الانفصال . ولكن المرأة تخشى أكثر من الاتصالات التليفونية من جانبه ، حيث قد يشير ذلك إلى احتمال التعرض للاعتداء الجسدى . وأفضل المفاتيح الثلاثة لذلك هى ( ١ ) التاريخ الشخصى لاستخدام العنف الجسدى ؛ ( ٢ ) مدى شعوره بنفورها منه ؛ ( ٣ ) هل حصلت على الأبناء أم لا ( دون علمه ) .

إذا لم يكن له سوابق فى استخدام العنف فالأفضل التفاوض معه ( وليس إملاء أوامرها عليه ) للتوصل إلى اتفاق محدد ، وعلى توقيتات لتبادل الحديث ، ولرؤية الأبناء . يلتزم معظم الرجال بالاتفاقات ما لم يشعروا بأنهم غير مرغوب فيهم ، وكذلك إذا التزمت الزوجة من جانبها بالاتفاق . إن الاتفاق يجعله يركز على ما سيحصل عليه بدلاً من التركيز على ما فقده .

## هل يجب على المرأة أن تهجر الرجل إذا ما صفعها ؟

حيث إن الأكثر ترجيحاً هو قيام المرأة بصفع الرجل ، فإن السؤال البديل لذلك هو " إذا صفعك شريك الحياة هل تهجره ؟ " . إن دور الرعاية والإيواء متاحة فقط للنساء ، ونتيجة لخبرتهم بهذه الحالات يعتقدون أن الرجل الذى يقدم على الصفعة الأولى ، سيتلوها بالثانية ، وفى النهاية يقدم على ضرب زوجته ضرباً مبرحاً . إن المسئولين عن دور الرعاية لا يعلمون أن نسبة النساء اللائى يصفعن الرجل قبل أو بعد الزواج هى الضعف مقارنة بمبادرة الرجل بصفع زوجته . ( وبنسبة ٢٦ ٪ قبل الزواج كما رأينا من قبل ) ، وأن كلا الجنسين يقل لجوؤهما إلى الاعتداء على بعضهما البعض بالضرب كلما نضجت العلاقة . بعض الأزواج والزوجات يكتفون باستخدام الإشارة الموحية باحتمال الصفع ، لأن الموقف كاد يخرج على السيطرة ، وأنهم فى حاجة إلى المساعدة ، وحين يحصلون عليها ، يضعون حدوداً : " إذا تكرر ذلك مرة أخرى ، سوف أترك المنزل " .

إن هجر أحد الآباء يعتبر تجاهلاً للأثر الذى يخلفه ذلك على الأبناء ، حيث تؤدى هذه الصفعة إلى إنهاء الحياة التى اعتاد الأبناء عليها .

إن تأثير صفعة من نحب لن يكون ألمها على المستوى الجسدى فقط ، بل يتساوى الألم النفسى بالألم الجسدى بسبب ما توحيه هذه الصفعة من نفور الطرف الذى وجّهها . فإذا كانت الصفعة ترمز إلى انهيار الرابطة التى جمعت

الطرفين فى الحب ، فإن ذلك قد يكون أشد إيلاماً من كسر الأنف أثناء لعب إحدى مباريات كرة القدم فى لحظة تسجيل هدف . إن القضية ليست قضية الألم ، بل السياق الذى حدث فيه ذلك .

لقد سمحنا بتقليص قدرتنا على وضع الألم فى سياق أو بيئة معينة ، وتركناها تتجمد . هذا ما تمكنت " إيلين لانجر " الباحثة فى علم النفس الاجتماعى من أن تتوصل إليه ، ووجدت أن الشخص ما إن يعيد تفسير ألمه بصورة أكثر إيجابية ، تزيد احتمالات عدم عودته إلى السياق الأصلى المؤلم .

هذا التحول المعيارى للعنف المنزلى ينجح فى المستقبل ، أى أننا يجب أن نعتبر الصفعة بداية لزواج أفضل .

## اختراع الضحية : رفاهية المرحلة الثانية

فى زيجات المرحلة الثانية ، يستطيع كثيرون أن يهجروا الشريك الذى يمارس الإيذاء الجسدى والنفسى ضدهم . ويمكنهم تقبل الحب المشروط : لقد ساعدت هذه الحرية الجديدة على ملء مكتبات كاملة من الكتب التى تساعدنا على اكتشاف " الضحية بداخلنا" ( التبعية المشتركة ، الإدمان ، الاعتداء بالضرب ، التحرش ) . وبينما تتأرجح الكفة ما بين " تحمل أى شىء من أى شخص " و " قم بمقاضاة أى شخص لأى شىء " ، قمنا بتطوير وخلق صناعة جديدة للمنافسة على من يكون هو الضحية الأكبر .

إن المحامين والمعالجين النفسيين يتلقون أجورهم مقابل اكتشاف الضحايا ؛ وعندما لا يوجد ضحايا ، يقومون باختراعهم . نحن الآن فى حالة تحوّل من أمة كانت تؤمن بمقولة : " عندما يتعسر الحال تنفرج الأزمات " إلى أمه تؤمن بمقولة : " عندما يتعسر الحال ويضيق ، استدع محامياً بارعاً " .

عندما تكون الضحية سبباً فى تكليف الطرف الآخر ثمناً باهظاً ، تنتقل الكفة من الزيجات التى يتعهد فيها الطرفان بتحمل الشريك " فى السراء والضراء " إلى زيجات يقول فيها أحد الأطراف : " لقد صفعنى ، سأهجره " ، والتى تعنى فى معظم الأحيان : " لقد صفعنى ، أعطونى الأطفال وادفعوا لى " .

حين يتعلق الأمر بالمجادلات فى إطار العلاقات الزوجية ، تكون المرأة لديها السيطرة والهيمنة مثلما يكون الرجل مسيطراً فى ملاعب كرة القدم . ولكن إساءة استغلال قوة العلاقة من جانب المرأة مشروع وقانونى ؛ وإساءة استخدام القوة الجسدية من جانب الرجل غير قانونى . إن تحريم الإيذاء الجسدى يقيد الرجال عند استخدامهم لقوتهم أكثر من القيود المفروضة على استخدام المرأة لقوة العلاقة . نستطيع أن نطلق على هذه المعادلة " التحيز الأعظم " .

نحن الآن فى مأزق . لقد اكتشفنا الحاجة إلى رؤية جديدة تضع الجنسين فى الاعتبار عند التعامل مع العنف المنزلى ، ولكن الولايات والحكومة الفيدرالية تقوم من جانبها بإعفاء بعض المؤسسات من الضرائب ، ومنها جمعية " الطريقة الموحدة " والتى تشجع وتمول هذا الاتجاه المناهض للرجال . إن الأجهزة البيروقراطية المعوقة ( الأجهزة الحكومية ، والمؤسسات النسائية ) ستغير سياساتها حين يستوعب القراء هذه المعلومات السلبية . يجب على من يعمل بالسياسة أن يعلم أنه إذا فُرض أن الرجال دائماً يكونون هم الجناة ، والنساء هن دائماً الضحايا ، فسيؤدى ذلك إلى تقسيم الناخبين وليس توحيدهم . يجب أن تدرك المؤسسات أن إعفاءها للنساء من دفع الضرائب يعتبر مسألة مثيرة للجدل لأنها تخلق تحيزاً ضد الرجال . يجب أن يروا نسخ الخطابات التى تُرسل إلى أعضاء الكونجرس ، ويجب أن تُعَرض عليهم الحلول .

إذا أردنا أن نساعد الرجال والنساء على مساعدة أنفسهم ، فسيكون علينا أن نقوم بالآتى :

- أن ندرب عدداً متساوياً من المستشارين الإناث والذكور ( على المستوى الدولى ) لتنفيذ النظم التى لا تعتمد على جنس معين عند التعامل مع حالات الضرب المبرح ـ وهو المدخل الذى تناولناه فى الجزء الأول .

- تأسيس ورش عمل تدريبية للتواصل العائلى تتاح للجميع ، بدون أن ترتبط بالعنف المنزلى . وهذا يمثل استثمارا أرخص من إلقاء الزوج فى السجن .

- مطالبة أقسام الشرطة بتحويل كل المكالمات الخاصة بالعنف المنزلى إلى خط ساخن على مدار الأربع والعشرين ساعة ، على أن يمول بقدر كافٍ بما يسمح بإرسال رجل وامرأة لكل زوجين فى أزمة أو مشاجرة .

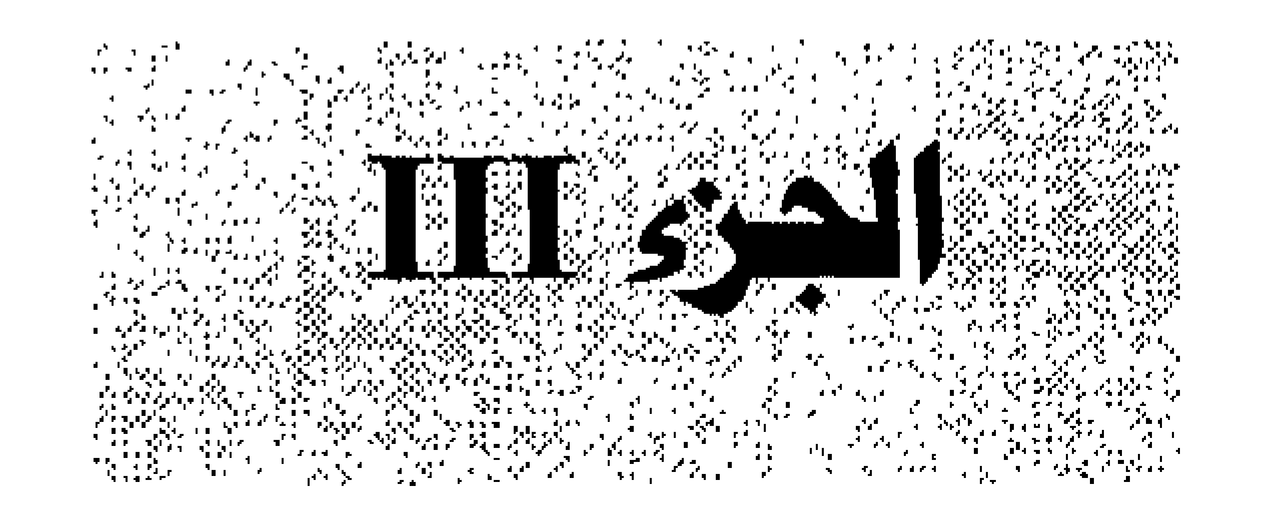
- ألا يتم اللجوء إلى الشرطة إلا إذا أصر الشاكى أو الشاكية على ذلك بعد استنفاد كل البدائل الأخرى .

- إذا تم اللجوء إلى الخط الساخن أكثر من مرة ، يطلب من الزوجين دفع قيمة الاتصال إذا لم يلتزما بحضور ورش العمل المجانية الخاصة بالتواصل بين الزوجين .

## هل التمكين والدعم أرخص فعلاً من الإيداع فى السجن ؟

هل يمكن فرض تطبيق فكرة ورش العمل ؟ نعم . إذا تم إعطاء مرتكب الاعتداء لأول مرة الفرصة للاختيار ما بين السجن أو حضور ورش العمل . ولن يستغرق الأمر وقتاً طويلاً لملء فصول التدريب وإخلاء السجون . وستسهم نقود الضرائب فى زرع بذور الحب بدلاً من زرع الغضب . إن التمكين أقل فى التكلفة من الإيداع فى السجن .

الخلاصة ، عندما ننظر إلى العنف المنزلى على أنه طريق ذو اتجاهين ، نتحرر من نموذج " على الرجال أن يتخلوا عن قوتهم " إلى " على كل طرف أن يسير ويقترب من الطرف الآخر مراعياً ظروفه " . نحن نتحرر حين لا نركز على الظالم أو الضحية ، ولكن حينما نركز على الرقصة التى يعرف كل طرف دوره ومسئوليته فيها ؛ وليس على العقاب ولكن على الوقاية . نحن لا نتحرر حين نعتبر " الصفعة " بمثابة المرض الفتاك الذى يصيب زواجنا ، ولكن حين نعتبرها إشارة لاحتياجنا للتحسين وتدعيم حبنا وعلاقتنا . نحن لدينا فرصة للتحول المعيارى من دنيا الضحية ـ بما فيها من دفاعات لتعويض العجز ، وملاجئ وظاهرة " المرأة ضحية العنف " ، وتعليمات الشرطة للضبط وإعادة النظام ـ إلى عالم من التدريب على تحسين العلاقات فى المدارس الابتدائية ، وندوات وورش العمل التدريبية عن " كيفية تلقى النقد " ، " وكيفية توجيه النقد " ، عالم نعمل فيه على إعادة تعريف الحب .




# خارج المنزل

٧

# ماذا يقول الرجال حين تسمى المرأة اعتداءها عليهم مزاحاً واعتداءهم عليها قهراً ؟

## العنف ضد الرجال :
## مطاردة مبتذلة أم حقيقة لها عواقبها ؟




إن المعتدين على الرجال لا يركزون على مشاكل الرجال ، وإنما يركزون على أخطائهم ، وهم يصبحون معادين للرجال بسبب تركيزهم على مشكلات النساء وإلقاء اللوم على الرجال بأنهم هم المسببون لهذه المشاكل ، وهذه التوليفة تسمى " كره النساء للرجال " . وكره النساء للرجال يرادف كره الرجال للنساء . وإذا لم تكن قد سمعت بمصطلح " كره الرجال " من قبل فمرحباً بك في نادى من لا يعلمون بأن إخفاقنا في إدراك ذلك يكون شديداً لدرجة تجعل موسوعة دقيقة مثل قاموس " وبستر " الكامل تغفلها تماماً ولكن كما قال أحد الكتاب إنه الكره الذى يتحدى قدرتنا على الاعتراف به .

هل عدم الاعتراف بكراهية الرجال راجع لعدم وجودها ؟ أتصور أن الاهتمام بهذا المصطلح سيتزايد بعد أسبوع من مطالعة هذا الفصل ، وسنشاهده في الإعلانات والأفلام ، وسنستخدمه في حواراتنا اليومية . ولكن التحيز الذى تصعب رؤيته هو ذلك التحيز الذى نشارك فيه عندما نستخدم كلمات أو أوصافًا بزعم أنها محايدة بين النساء والرجال مثل " التمييز ضد أحد الجنسين " تتضمن تحيزاً ضد النساء .

إن ممارسة العنف ضد الرجال ليس مشكلة فى حد ذاتها . الشخص الذى لا يستطيع أن يضحك على نفسه يعانى من مشكلة جادة . ولكن عندما تنفرد المجموعات " الذكورية أو النسائية " بنفسها ـ ترفع الرايات الحمراء . وتلتهب الموضوعات ، وأنا ألاحظ الآن أن ممارسة العنف ضد الرجال يزيد حوالى تسعة أضعاف على العنف ضد النساء . وكما تصف مجلة " تايم " هذه التجمعات بقولها : " إن الأمر يبدو وكأن الذكورة بمثابة رائحة كريهة فى الغرفة " .

هذا التوصيف غير المتوازن للمجموعة والذى يجعلنا نعتبرهم أشراراً ، كل ذلك يؤدى إلى تحجر قلوبنا وعدم تعاطفنا فى وقت وفاة أحد أعضاء هذه المجموعة ( الذكور ) . كان العمر المتوقع للرجال عام ١٩٢٠ ينقص عامًا واحدًا عن النساء ؛ هذا الفرق يبلغ اليوم سبع سنوات . ورغم ذلك نجد أن الحكومة الفيدرالية لديها فقط مكتب لأبحاث صحة المرأة . هذا يمثل جزءًا مما نحن فيه من عدم التبصر تجاه العنف المنزلى ضد الرجال ، وأن تهتم الأمة أكثر بقضية إنقاذ الحيتان وليس الرجال .

على المستوى الشخصى ، يسبب العنف ضد الرجال الأذى للنساء لأنه يدمر شيئًا أساسيًا كان هو الذى يحفز الرجال للعمل لصالح المرأة والموت من أجلها عبر التاريخ : وهو التقدير . **لم أر فى حياتى بطاقة مطبوعة تحمل تحية وشكرًا للمعلمين الخصوصيين ، أو لرجال الإطفاء المتطوعين .**

## المعايير المزدوجة وتبعاتها

اليوم ، نجد أن مصطلح " كراهية الرجال " يمثل معياراً مزدوجاً فى استجاباتنا : " الاعتداء على المرأة يستدعى رفع قضية ؛ والاعتداء على الرجل يتم تصويره على البطاقات الساخرة التى يتبادلها الناس . الاعتداء العلنى على المرأه غير قانونى ؛ والاعتداء العلنى على الرجل أصبح عادة راسخة " .

هل الاعتداء على الرجل يكون أخف وطأة من الاعتداء على المرأة لأن الصبيان اعتادوا تبادل الضرب والشجار منذ صغرهم ؟ هناك اختلاف . عندما يتبادل الصبيان الضرب يكون هناك اتفاق ضمني بينهم بأن الاعتداء يُرد بالاعتداء . هذه القاعدة تُطبق مع المرأة التى تعتدى على الرجل بالضرب . إذا ألمحت أنه غير كفء ؛ قد تكون مزحة ؛ ولكن إذا ألمح هو إلى أنها غير بارعة ، فقد تكون مزحة ، أو " قد تكون عملاً عدوانيًا " . إذا اعتبرتها مزحة عندما قالها ، ولكن بعد عام يظل الحال على ما هو عليه ، فإن نكتة الأمس يمكن أن تصبح قضية الغد ، ونهاية للمستقبل المهنى للشخص خفيف الظل .

إن الرجل الذى ينهى مهنته بالعار ينتهى أيضاً زواجه ، وينفصل عن الزوجة والأولاد ، وبعد فترة لا يعرفونه إلا فى زيارات الرؤية ويسمونه " الزائر " ( " هى لديها الأبناء ... هو له حق الزيارة " ) . كان الكابتن " أيرنى بلانشارد " الذى يشغل منصب كبير المتحدثين الرسميين لحرس السواحل الأمريكى معتاداً على إلقاء نكات أقل حدة من تلك التى سنراها فى الصفحات التالية ، ولكن ناشطات حقوق المرأة من المتعصبات تقدمن بشكوى ضده . اعتذر الكابتن ، وقدم استقالته لكى يحافظ على كيان أسرته بشرط أن توقف إجراءات الدعوى المرفوعة ضده ولم توافق القيادة على ذلك . أطلق الكابتن الرصاص على رأسه مستخدماً فى ذلك مسدس جده " سميث أندويسون " .

ما السبب فى أن قيادة حرس السواحل رفضت إيقاف إجراءات الدعوى الجنائية المقامة لمجرد إلقاء النكات ؟ ما إن تبدأ الخطوات لبحث شكوى التحرش الجنسى ، لا يملك أى ضابط أو صف ضابط إيقاف الإجراءات خشية تقديم شكوى ضده هو شخصياً .

هذه المعايير المزدوجة تؤدى فى النهاية إلى إيذاء النساء . إن المدربين والمعلمين المتخصصين لهم دور حاسم فى النجاحات التى تحققها المرأة ، وغالباً ما تختار النساء المعلمين والناصحين من الرجال ـ الأكثر تخصصاً وعلوا فى المقام المهنى . ولكن كلما ارتفع الرجل ، كان سقوطه مدوياً . فى هذا الإطار ، نجد أن القوانين المتعلقة بالتحرش الجنسى تركت هامشاً دقيقاً جداً ما بين مساعدة المرأة للتقدم فى مستقبلها المهنى وبين مساعدة المدرب على تدمير مهنته . إن النصح يستلزم حميمية بين من يسدى النصح ومن يتلقاه وهذا يتضمن إلقاء النكات ، وتوجيه النقد ، والمقابلة على انفراد . إن المزحة التى قد تكون آمنة

فى هذه اللقاءات قد تتحول إلى محور قضية ترفعها المتدربة عندما ترغب فى تكوين شخصيتها المستقلة بعيداً عن معلمها وناصحها . إنها تبدأ بفترة من التمرد مشابهة لما تمر به الفتاة فى فترة مراهقتها عندما تسعى لتكوين شخصيتها المستقلة . تتحول النكات والتعليقات الحميمية إلى هاجس ينتابه . ما إن يرى رجل أن هذا يحدث فى شركته أو فى أى مكان يعمل به ، أو حتى لأحد أصدقائه ، لابد أن يفكر مرتين قبل أن يقرر أن يكون ناصحاً أو معلماً خاصاً لامرأة . معنى ذلك أن الضرر فى النهاية يقع على النساء .

إن المعيار المزدوج الذى يثيره مصطلح " كراهية الرجال " يوجد أيضاً فى لغتنا .

## المعانى المزدوجة

عندما نستخدم المصطلحات المرجعية الإيجابية ، فمن المناسب من الناحية السياسية أن يتضمن المصطلح النساء : فبدلاً من أن نقول عن الرئيس : " chairman " نقول : " chairperson " ليشمل المصطلح الرجل والمرأة ؛ على ذلك نقول : " spokesperson " بدلاً من " spokesman " ؛ أما إذا كان المصطلح يشير إلى معنى سلبى فلن نجد من يصيح فينا قائلاً : " قل " gunperson " ولا تقل " gunman " .

عندما يتزوج رجل عجوز غنى بامرأة تصغره كثيراً نقول إنه " سرق مهد الطفولة " ، ولكننا لا نقول إنها " سرقت البنك " . وحين كان الممثل الأمريكى الشهير " وارن بيتى " أعزب كان يطلق عليه " زير نساء " ، وكأن صديقاته كن جميعهن " ضحايا " ؛ ولكن عندما كانت المغنية " مادونا " غير متزوجة لم يطلق عليها أحد " زير رجال " . كانت توصف إما بأنها متحررة أو متعددة العلاقات . كلا الوصفين لا يشير إلى أن أصدقاءها من الرجال كانوا " ضحايا " . لقد انقلب الحال وتحول المعيار المزدوج القديم الذى كان يدين المرأة متعددة العلاقات ، ويشيد بفحولة الرجل ، ليصبح : المرأة التى لديها علاقات كثيرة بالرجال تكون " متحررة " ؛ أما الرجل الذى يفعل ذلك فهو " زير نساء " .

قد نجد أن الكتاب المستقلين يعبرون فقط عن وجهة نظر المرأة عندما تشتكى من أن الرجال يتركون غطاء المرحاض مرفوعاً . لم يطلب أحد توجيه الشكر للرجل عندما يغطى المرحاض . ولم **يتساءل أحد عن السبب فى توقعات المرأة**



**بأن تكون مثلها مثل تلك الموجودة فى حمامات النساء ، وليس مثل نصف حمامات الرجال والتى تسمى : مباول** . ما السبب فى أن المرأة بمجرد أن تظهر في الصورة ، تصر على أن قواعدها هى التى تسود ؟ وعندما لا يحدث ذلك ، يوجه الانتقاد إلى الرجل ؟ لماذا لا يتم التوصل إلى حلول وسط ؟ عندما يهتم هؤلاء الكتاب بمساعدة المرأة فقط ، هل يكونون بذلك مساعدين لأنفسهم ؟

لسوء الحظ ، فإن أشد معارضى " كراهية الرجال " هم غالباً أشد الكارهين للبشرية . إن حركة مساواة المرأة كانت على حق حين طالبت بإعادة النظر فى المصطلحات المرجعية المتعلقة بالنساء مثل : ( " يا طفلتى " ، " يا حبيبتى " ، " أيتها الدمية " ، " أيتها العانس " ) ولكن هل طالبوا بإعادة النظر فيما تطلقه النساء على الرجال ، ( " كسول " ، " أحمق وغبى " ، " منحرف جنسياً " ، " مغتصب " ، " زير نساء " ) . ولكن إذا أبدى الرجل اعتراضه على ذلك فإنه يوصف بأنه ، ( " منتحب " ، " متعصب " ، " كاره النساء " ) . فى نهاية هذا الفصل ، أقدم مقتطفات تمثل أقوال من يعادون " كراهية النساء " وهى تحمل أفكاراً تتضمن " كراهية الرجال " . هذه المقتطفات لرائدات فى الحركة النسائية مثل " جلوريا شتينم " و " أندريا دروكين " ، ولمؤلفى روايات مثل " مارلين فرنش " ، وصحفيين وكتاب أعمدة فى مجلات مثل " نيويورك تايمز " ومنهم " آنا كويندلين " ، وعضوة الكونجرس السابقة " باربارا جوردان " .

## ألا يقوم الرجال دائماً بتوجيه النقد ؟
## لماذا إذن لا يتقبلونه ؟

عندما يكتشف أحد الأشخاص حالة اعتداء على رجل ، فإنه يتجاهلها وينفيها تماماً بحجة أن هذا الأمر مستبعد تماماً ـ حيث انتقلت الكفة من الاعتداء على المرأة إلى الاعتداء على الرجل . وهذا غير صحيح . إن المجلات التى تتضمن قصصاً كوميدية مرسومة مثل مجلة " داجود " كانت تصور الرجال دائماً فى صورة الحمقى ، وقد درجت على ذلك منذ العشرينات . وقبل ظهور الحركات النسائية ، كانت الاستعراضات " مثل استعراض " المضحكين الثلاثة " التى كانت تسخر من الاعتداء الجسدى واللفظى على الرجل . وفى

استعراضات عديدة أخرى نجد دائماً أن الرجل مخطئ ، وأن الزوجة هى التى تتمتع بالحكمة والسيادة ، وأن عليه دائماً أن يعتذر عن أخطائه .

على الجانب الآخر فإن استعراضات أخرى مثل " أحب لوسى " تسخر من الجنسين معاً وخاصة عندما يكثف طرف ما على دوره الجنسى . غير أن استعراضات أخرى تضع نماذج مثالية لأدوار الجنسين ( مثل مسلسل " الأب يعرف أكثر" كنموذج للذكورة ، إلى " الأمومة وفطيرة التفاح " و " أنا أتذكر ماما " ) .

فى الماضى عندما كان أى من الجنسين يبتعد قليلاً عن دوره الاجتماعى ، كان يصبح هدفاً لسخرية الناس . يُطلق على المرأة أنها رخيصة ، سهلة ، متعددة العلاقات ، سيئة السمعة ؛ أما الرجل فكان يقال له : أحمق ، لعوب ، محتال ، بذىء . لا أتذكر أى وقت فى الماضى لم يكن الرجال فيه أيضاً هدفاً للسخرية . غير أن الحركات النسائية تخصصت فى كشف الإساءات ضد النساء فقط ، وهن بذلك يرين أن كفة الميزان تميل ناحية أحد الجوانب ، وأنه لكى يتحقق التوازن ، يجب أن يتم الاعتداء على الرجل . وبينما يمكن أن يقود اتهام امرأة لرجل إلى القضاء على مستقبله المهنى ، فإن الاتهامات الموجهة من كاتب ضد الرجال قد تكون بداية لمستقبله المهنى عندما يخصص كتابه للتعليقات الساخرة على كروت المناسبات ، أو فى القصص المرسومة أو فى رسوم الكارتون أو فى الإعلانات .

## هل يطلق على الرجال " حمقى " لأنهم بالفعل كذلك ؟

وجدت إحدى الدراسات التى أجريت على آلاف الإعلانات ، أن الإعلانات التى تضم الجنسين معاً يظهر فيها الرجل على أنه أحمق وبنسبة ١٠٠ ٪ من هذه الإعلانات .

ولكن هل يمكن أن يطلق هذا الوصف على الرجال لو أنهم كانوا فى أغلب الأوقات غير حمقى ؟ نعم ولا . إن الرجال يتصفون بالحمق جزئياً لأنهم يقدمون أكثر على المخاطرة . إن المرأة التى لا تتلقى مكالمة هاتفية من الرجل الذى طلب الزواج منها بعد مقابلتها تقوم بالاتصال بإحدى صديقاتها وتتحدثان عنه وتصفانه بالحمق . " **لا يسأل أحد لماذا تتوقع أن يبادر هو بالاتصال** " . إنه لا يسميها حمقاء إذا لم تتصل به .

لنفرض أنه وعد بالاتصال ، وهذا يعتبر جزءاً من توقعاتهما غير المتناغمة ـ وهو أن يعد بأن يفعل شيئاً ، وليست هى التى تعد بأى شىء . هؤلاء الذين نتوقع منهم المخاطرة ، هم الذين يقدمون الوعود ، وهم الذين يؤدون معظم الأشياء ، وهم فى الغالب يُنعتون بالحمق إذا أخفقوا . أما إذا قاموا بكل الأدوار على أكمل وجه فهم يصبحون " أبطالاً " . **على ذلك فإن الأحمق هو بطل محتمل ارتبك أداؤه خلال مسيرته** . إن المرأة التى تقع مراراً فى حب الحمقى تكون فى واقع الأمر قد أحبت المقدمين على المخاطرة بدلاً من أن تتصدى للمخاطرة هى شخصياً .

هل العنف ضد الرجال جعل النساء يعتقدن أن الرجال سيئون فعلاً حتى فى الجوانب التى عادة ما يتفوقون فيها ؟ نعم . هل تتذكر ما رأيناه فى الفصل المتعلق بالأعمال المنزلية من أن الرجال رغم قيامهم بمزيد من الأعمال المنزلية ، فإن النساء يعتقدن أن ما يؤدونه من عمل قليل جداً ؟ الشىء الوحيد الذى يتسق مع هذا الاعتقاد كان هو العناوين الصحفية الهجومية ضد الرجال ودورهم فى الأعمال المنزلية .

من الواضح أن هناك شيئاً أعمق من ذلك يثير هذا الغضب .

## ما هو السبب فى هذا المقدار من غضب النساء ضد الرجال ؟

لاشك أن مقدار الغضب الذى تُكنه النساء ضد الرجال مثلما سنشاهد بعد ذلك يجعلنا نشعر بالغضب تجاه النساء . ولكن فهم ما يخلق هذا الغضب ، وما يمكن عمله للتغيير يتيح مزيداً من التعاطف تجاه النساء ، ويكون أكثر إثماراً للحب المتبادل لنا ولأولادنا .

هل النساء غاضبات لأنهن ضعيفات ، والغضب هو وسيلتهم لإعلان هذا الضعف على الملأ ؟ نعم ولا . لم يسبق تاريخياً أن وَجدت مثل هذه المجموعة من الناس ، على السطح ، مزيداً من الاختيارات ، والثروة ، والتعليم ، والقوة والشخصية ، والامتيازات ، والاحترام مثلما يتوافر حالياً لنساء الطبقة الوسطى وفوق الوسطى فى المجتمعات الصناعية . وفى نفس الوقت لم نشهد مثل مقدار هذا الغضب من هذه الشريحة الكبيرة . لماذا ؟

حتى العصر الحاضر لم يكن هناك سماح بالطلاق . الزواج المضمون مدى الحياة كان يعنى أن الأمان الاقتصادى مضمون مدى الحياة . وأى رجل لم

يستطع أن يوفر ذلك كان يُنبذ ويتهم بالغباء أو يتم تجاهله . لذلك فإن السود والهنود الحمر والمشردين كانوا أكثر الناس معاناة مقارنة بباقى الرجال الأمريكيين . كان هؤلاء جميعاً لديهم عامل مشترك : لم يستطيعوا توفير الأمان الاقتصادى لنسائهم .

لقد بدل الطلاق من صورة العلاقة الاقتصادية بين الرجال والنساء ، ومن ثم ، بدل من طبيعة العلاقة النفسية بينهما . عندما لم يكن الطلاق مسموحاً به ، كان إدمان الرجال للعلاقات النسائية وللمرأة العشرينية ، مفيداً للمرأة . هذا الإدمان كان يجعله يوافق على دعمها مادياً طوال الحياة ؛ وألزمه حظر الطلاق أن يوفى بتعهداته . عندما رفع الحظر المفروض على الطلاق وكانت هى قد وصلت إلى الأربعين ، كان لا يزال يدمن إقامة العلاقات العاطفية مع الفتاه العشرينية ، وكان ذلك ضدها . شعرت بأنها مهجورة .

كان هذا الشعور ينطبق على كل النساء المطلقات ، وكلما ازدادت المرأة جمالاً فى صغرها ، كانت تعامل معاملة المشاهير ـ وهو ما أسميه " الجينات الخاصة بالمشاهير " . ويزيد إحساسها بالغضب أكثر لأن تقدمها فى السن جعلها غير مرئية وسط الجميلات اللائى يتبارين فى جمالهن فى الحياة اليومية وهى التى كانت سابقاً واحدة من هؤلاء الجميلات .

يشعر كثير من المطلقات اللاتى لديهن أطفال بأنهن لا يعاملن كنساء ، ولكن كصفقة : امرأة ولها أطفال . كانت إحدى صديقاتى قد أحبت رجلاً ، ولكنه كان مسئولاً عن الإنفاق على زوجته السابقة وأبنائه منها ، وكان يعمل عملاً إضافياً ليغطي هذه الأعباء . ولذلك عندما لاحظ إحساس صديقتى بالذنب لأنها لا تقضى وقتاً كافياً مع أبنائها ، تخوف من أن يدفعها زواجه بها إلى ترك عملها كما فعلت زوجته السابقة . لهذا السبب لم يقدم على الزواج من صديقتي وذهب كل منهما فى طريق . تركت هذه التجربة لدى صديقتى جرحاً غائراً وعقدة من الرجال لم تنمح أبداً .

إن الحركات النسائية تساعد النساء لكى يصبحن أقوى ، وأكثر استقلالية . ولكن لم تساعد المرأة على اختيار طراز الرجل الملائم إذا أرادت الزواج . فى اللقاءات التدريبية التى أعقدها ، **عندما أتوجه بسؤالى إلى النساء : " هل اعتقدتِ فى يوم زفافك أن الرجل الذى تزوجته يمكن أن يتحصل بشكل دائم على دخل أقل منك ؟ " لم أسمع إجابة واحدة بالإيجاب** . وهكذا فإن النساء اللاتى يتزوجن يعتقدن أن زوج المستقبل سيكون دخله مساويا لها أو أكثر . وإذا

شعرت بأنه ليست لديه إمكانيات ذلك ، ترتبط به أو تحبه ، ولكنها نادراً ما تتزوجه . ما السبب في ذلك ؟

لقد تطورت هذه النظرة كجزء من التاريخ البيولوجي للمرأة وطبيعتها التي ألزمتها بالبحث عن أفضل من يعولها ويحميها ، وليس هي فقط بل وأولادها أيضاً . إن بحثها عن الرجل الناجح كان أولى خطواتها لكي تصبح أماً مسئولة . ولكن بيولوجيا المرأة ، مثل بيولوجيا الرجل خلقت حاجزاً أمام صراعنا لعدم معاملة بعضنا البعض كأشياء وليس بشرًا . لقد تعامل الرجال مع النساء كأغراض للعلاقة الزوجية ؛ والنساء عاملن الرجال كأغراض للنجاح . إن حركة مساواة النساء واجهت إدمان الرجال للنساء باعتبارهن " أغراضًا للعلاقة الزوجية " ، ولكن لم يواجه أحد إدمان النساء في النظرة إلى الرجل باعتباره " غرض النجاح " .

على ذلك ، فالمرأة عالمياً مازالت مغرمة بحلم " الأميرة ديانا " . والرئيس السابق " كلينتون " جعل المشكلة غاية في الوضوح من زاوية الحلم الذكورى ، ولكن أحداً لم يسأل " مونيكا " لإعادة اختبار المشكلة مع الحلم الأنثوى . الذى هو ... ؟

عندما يكون هناك ملياران ونصف مليار من الناس ، معظمهم من النساء ، يقارنون بين حياتهم الشخصية والحياة المستقبلية للأميرة " ديانا " وهم يشاهدون على شاشات التليفزيون مراسم الزواج ، فمن المرجح جداً أن يشعر كثيرون بالإحباط . وعندما تقرأ ٢٥ مليون امرأة أمريكية حوالى اثنتى عشرة رواية رومانسية فى الشهر ، من نوعية : جسور مقاطعة ماديسون "Bridges Of Madison County " حيث يفوز البطل" كلينت استود " بقلب إحدى النساء المتزوجات ، فلابد أن تشعر كثيرات بخيبة الأمل .

حتى في أواخر سنوات الستينات ، وطبقاً للإحصاء الوطنى فإن ٧٠ ٪ من النساء صغيرات السن كن يعتقدن أنهن سيتوقفن عن العمل عند بلوغ سن الخامسة والثلاثين ، ولكن ما حدث بالفعل أنهن بعد بلوغ هذه السن كانت ٧٠٪ منهن مازلن يعملن . هذه الأحلام النسائية ، بأن يخطفها فارس الأحلام كلها اختفت وانتهت . وكل ذلك خلق حالات الإحباط والغضب .

على ذلك ، فإن نساءً مثل " ديانا " والتي تزوجت الأمير ، هن أنفسهن أُصبن بالإحباط ، ولا يعبر الرجال عن وجهات نظرهم ، وبالتالى يتم تفسير

المشكلات المنزلية على أنها مشكلات النساء مع الرجال والمشكلات الزوجية على أنها مشكلات بين النساء والرجال .

إن الثروة والقوة التى تمتلكها المرأة لا تساعدها على التنبؤ بالسعادة ، ولأنها تتجاهل التوقعات المحبطة ، فإن الجرح والألم الذى تشعر به المرأة عندما لا تكون مرغوباً فيها ، واليأس الذى تشعر به عندما تفقد الكثير من فتنتها وسطوتها ، ويصبح لديها عدد أكبر من الأبناء أكثر مما كان لديها عندما كانت فى العشرين ـ بذلك كله يتحول عنها اهتمام الأمراء الذين كانوا يطلبون ودها حين كانت تمتلك الجمال الخارجى ، ويصبح اهتمامهم بها أقل بعد أن أصبحت لا تملك سوى الجمال الداخلى فقط .

إن الدرجة التى نساعد بها بناتنا على مقاومة الرغبة فى الارتباط بالأمير ، ستكون هى نفسها درجة عدم شعورهن بالإحباط عندما يكتشفن أن الأمير الذى تزوجنه هو فى الواقع نصف أمير ونصف ضفدع له عيوبه ومميزاته ... أى قريب الشبه منهن . عندما كنت أرى فى عملى التدريبى امرأة بدون هذه التوقعات ، أو لديها القدرة على رؤية العالم من زاوية الرجال بدون تخل عن رؤيتها الخاصة ، كنت ألمس أن درجة الغضب أخف ، والانفتاح للحب موجود .

## كراهية النفس

إن كل جماعة تكره الآخرين تكون كارهة لنفسها . عندما نلقى نظرة على كل الأشكال التى تكشف عن كراهية الرجال ، من المهم أن نرى أن بعضها تولد من كراهية الذات ، حتى ولو كانت هذه الكراهية نتيجة عدم تحقق التوقعات غير الواقعية . هذا يبدو واضحاً فى القسوة تجاه الرجال فى إعلانات المنتجات والتى توحى دون قصد بأن المرأة ليست كاملة الأوصاف : مثل الإعلانات عن أطعمة تخفيف الوزن ، أو المشروبات الغازية الخالية من السكر ، أو حمالات الصدر ، أو منتجات العناية بالشعر .

أحد إعلانات المشروبات الخالية من السكر يصور امرأة تضرب ثلاثة رجال ضربات قاضية ، ثم تتناول كوباً من هذا المشروب . ولا تعليق . وينتهى الإعلان . إعلان آخر يصور امرأة تخرج من سيارتها ، وتلقى بمتعلقات رجل على الأرض ثم تدوس عليها وهو واقف يشاهد ما يجرى بلا حراك ، ثم تعود



إلى سيارتها ، تشرب زجاجة الكولا الخالية من السكر وتواصل القيادة . مرة أخرى ليست هناك كلمات مصاحبة للإعلان . إن إعلانات الكولا الخالية من السكر في كل العالم ، تصور هذا الاتجاه العدائى تجاه الرجال .

إحدى شركات الملابس الداخلية تشجع المرأة ـ الوحيدة بالتأكيد ـ على أنها ستجد مجموعة أفضل من الملابس الداخلية مما سيغنيها عن الرجال . وأحد الإعلانات عن منتجات العناية بشعر المرأة يصور رجلاً فى صورة " عبد " يباع فى المزاد ، يصل السعر إلى نقطة يقول فيها الإعلان : " إنك لن تستطيعى الاستغناء عنه أبداً ! " .

فى كل الحالات تسعى الشركات المنتجة إلى خلق رابطة مع النساء بإيجاد عدو مشترك : الرجل . يتحقق ذلك بشكل أولى من خلال حوار يدور همسا بين الشركة والنساء . ( وظيفة هذا الهمس هى خلق نوع من الارتباط داخل المجموعة ، بإيجاد عدو خارج المجموعة ) .

يصل هذا التعبير عن الغضب تجاه الرجال عبر أشكال لا حصر لها ، أحد أهم هذه الأشكال هو " جماعة الأخوات " .

## جماعة الأخوات

أحد الأمور التى تسبب الرعب للرجال هى " جماعة الأخوات " . يرى الرجال هذه الظاهرة حين يتجولون فى متاجر بيع بطاقات التحية ، ما عليك إلا أن تنظر إلى محتويات قسم " الحب والصداقة " ، وسترى عشرات البطاقات المصممة خصيصاً لكى ترسلها النساء إلى النساء ، ومعظمها يسخر من الرجل ، ولعله من الغريب ألا تجد فيها بطاقة واحدة تعبر عن حب الرجل . يواجه الرجال هذه الظاهرة أيضاً عند الجلوس على أى مقهى بجوار مجموعة من النسوة ويستمع بالمصادفة إلى ما يقلن ، وكل واحدة تقول : " قال لى ، وقلت له " ، ويصعق الرجل حين يكتشف أن أدق أمور العلاقة وأكثرها حميمية تستخدمها النساء لتدعيم العلاقات مع بعضهن البعض ، كل ذلك على حساب الرجال . وهم يجدون ذلك أيضاً على لسان الشخصيات فى الرسوم المتحركة .




يوميات " سالى " ، من رسوم " جريج هاوارد " و " جريج ماكلنتوش "




يوميات " سالى " ، من رسوم " جريج هاوارد " و " جريج ماكلنتوش "

شرحت سابقاً فى الفصل الخاص بجعل الرجال يعبرون عن مشاعرهم لماذا ومتى يشعر الرجال بأن زوجاتهم شاركن نساء أخريات فى أدق تفاصيل حياتهم وأكثرها حميمية . إن الرجل يعتبر ذلك " أسوأ خيانة " ، مثلما تشعر فتاة فى المرحلة الثانوية عندما تنجرف إلى علاقة مع أحد زملائها لتجد المدرسة كلها تتحدث فى اليوم التالى عن تفاصيل هذه العلاقة . فى الحالتين هناك شعور بالخيانة من أشخاص موثوق بهم .

شكلت عضوات الكونجرس رابطة للشقيقات يتبادلن التراسل عن طريق جهاز الفاكس ، وخاصة النكات التى تسخر من ممارسة العنف ضد الرجال . وعندما تصل مثل هذه المواد إلى مجلة ذائعة الصيت مثل " نيوزويك " تجد أنه من المفيد إعادة طبعها . لا بل تجد المجلة أن من المفيد لها تبرير ما تحمله هذه المواد مثلما جاء فى " نكات الشقراوات الحمقاوات " والتى أصبحت بعد ذلك " نكات الرجال الحمقى " ... قد لا تكون الأولى بنفس قدر الثانية لأن النساء لسن كلهن شقراوات ، ولكن كلمة الرجال تعنى كل الرجال دون استثناء ( تشبه نكات الشقراوات الحمقاوات نكات المحامين الفاسدين ـ ولكننا

حين نسمع الشقراء الحمقاء يتبادر إلى ذهننا امرأة بعينها ، وحين نسمع نكات المحامين الفاسدين يتبادر إلى ذهننا كل الرجال .

نقرأ هنا بعض النكات التى تداولتها عضوات الكونجرس ، وهى التى أعادت نشرها " النيوزويك " بعد أن اختارت منها ما يصلح للنشر تاركة النكات الحساسة التى لا يمكن نشرها . ستجد أنها تعتبر أكثر قسوة على الرجال من النكات التى كان يلقيها كابتن البحرية الذى انتحر . وترددت هذه النكات على ألسنة أعلى المستويات فى الحكومة ، ورغم ذلك لم نجد أن قيادات الحركة النسائية اعترضن على ذلك . ومن هذه النكات :

- ما هو الفرق بين السندات الحكومية والرجال ؟ السندات تستحق الدفع .
- ما هو الشيء الجيد فى وجود رائدات فضاء ؟ حتى يكون هناك من يسأل على الاتجاهات الصحيحة عندما يضل طاقم الصاروخ طريقهم .
- ما هى فكرة الرجل عن المساعدة فى الأعمال المنزلية ؟ أن يرفع قدميه حتى تستطيعين أن تنظفى تحتها .

الآن ، لو افترضنا أن نواب الكونجرس من الرجال هم الذين تبادلوا مثل هذه النكات الساخرة ولكن ضد النساء ، هل ستعيد " النيوزويك " نشرها فى صورتها المعكوسة ، هل ستقدم للموضوع بمثل هذه المقدمات : توجه إلى أى محل لبيع بطاقات التهانى وستجد أن معظمها مصمم لكى ترسل امرأة إلى أخرى بطاقة تعبر فيها عن كرهها واحتقارها للرجال ، ولكن لن تجد بطاقات يستخدمها الرجال تعبر عن غضبهم تجاه النساء . الآن ، وفى قاعات الكونجرس ، ستجد أن الرجال أيضاً يعبرون عن مشاعرهم ، وها هى نماذج من استجاباتهم .... ؟ " لا أظن أننا سنقرأ ذلك فى " النيوزويك " فى أى وقت .

فى الفصل الخاص بالسعى لفهم من نحب ، أتولى شرح فكرة السعى من كل طرف لبذل مجهود للتعرف على تفكير الطرف الآخر ، أو كما يقال : " تضع نفسك فى مكان الطرف الآخر لفترة " ، وهذه إحدى الطرق الفعالة لإيجاد حالة التعاطف على المستوى العاطفى . يمكن أن نقوم بذلك أيضاً من خلال تبادل الأدوار . تخيل إذن لو أن النواب الرجال تبادلوا بالفاكس هذه النكات العكسية التى تبادلتها العضوات :

- ما هو الفرق بين السندات الحكومية والنساء ؟ السندات المعمرة لا تترهل .
- ما هو الشيء الجيد لوجود رائدة فضاء امرأة ؟ لأن وجود شخص دائم الشكوى فى الطاقم ، سيجعل العودة للوطن أقل خطورة .
- ما هى فكرة المرأة عن المساعدة فى الجانب المالى ؟ أن تسحب من رصيدك فى البنك وتجعل كارت الائتمان مديناً .

إذا أحسست بقلة الاحترام التى توحى بها هذه النكات ، وشعرت بأنها أسوأ وأكثر حرجاً من النكات التى تلقيها النساء على الرجال ، فعليك مقارنتها مع السابقة ، واحدة بواحدة .

وإذا تداول النواب الرجال هذه التعليقات ، فلن تعمل " النيوزويك " على تبريرها ولكن ستعتبر أنها بمثابة تحرشات جنسية ضد النساء .

ليس من العدل أن نستنتج ، رغم ذلك ، أن هذا التوجه انتقل من النائبات إلى دوائرهن الانتخابية ، ولكن العكس هو الصحيح ، فالتوجهات السائدة فى الدوائر الانتخابية هى التى أوصلت النائبة إلى الكونجرس . الدليل على ذلك يتضح فى بطاقات التهنئة لأن النساء فى كل مكان يشترونها ويرسلونها بالملايين إلى نساء أخريات . لا يمكن أن ندعى أن النساء تم استغلالهن بواسطة المعلنين ، ومنتجو البطاقات نادراً ما يروجون لرسائل السخرية من الرجال . لننظر إلى صناعة البطاقات باعتبارها مجرد دراسة حالة عن " كراهية الرجال " ، بادئين برسالة واحدة فقط : " إذا كنتِ لم تتزوجى حتى الآن ، فإن هذا بسبب عدم وجود رجال صالحين " ـ وما يكمن من معنى وراء هذه الرسالة .

## إذا كنت لم تتمكنى من الزواج حتى الآن فإن السبب هو عدم وجود رجال صالحين

المرأة التى لا تجد رجلاً يسهل عليها دائماً إيجاد بطاقة .

إذا كانت غير متزوجة ، فإنها يمكن أن ترسل بطاقات إلى صديقاتها غير المتزوجات مثل : " الرجال : كل العظماء منهم متزوجون ، والجيدون مخطوبون .... والباقون غير صالحين ، وحمقى وأوغاد " . أو نجد هذا

التعبير : " الرجال مثل علبة الشيكولاتة ... معظمها محشو بالحلوى والمحمصات ، إذا اخترتِ أية قطعة ، ستندمين بعد ذلك أشد الندم " .

بعض البطاقات قد تشير إلى وجود رجل صالح : " إن ما نحتاجه هو رجل أصغر ... لديه ثروة أكبر " . إذا توقع الرجال أن تتصف النساء بذلك أيضاً بمعنى أن يكنَّ صغيرات ويمتلكن ثروات كبيرة ، فإن صناعة الزواج ستبور . بالطبع ، إذا كانت المرأة أصغر وتمتلك ثروه أكبر ، فإنها لن تحتاج إلى ثروته الكبيرة .

إذا وقع الطلاق ، نستطيع أن نؤكد للمرأة أن السبب هو أنه بلغ من السن أرذله ، وذلك بإرسال بطاقة تهنئة تتضمن : " تهانينا على الطلاق ! ! يمكنك الآن القول : " البيت هو حيث يكون القلب ... " وذلك بدلاً من القول : " البيت حيث يكون هذا العجوز " . وإذا عاد الزوجان إلى بعضهما ، فستختفى البطاقة من المنزل حتى لا يراها .

افترضى أن خطيب أفضل صديقاتك قام بالانفصال عنها ؟ هل سترسلين إليها بطاقة تحمل مثل هذا التعليق : " .. تذكرى ، من الأفضل أن تحصلى على الحب ثم تفقدينه .... بدلاً من أن تتزوجى الأحمق ! " .

ماذا يحدث ، لو أن عيد ميلاد امرأة يذكرها بأن فسخ الارتباط أصبح أسلوباً للحياة ؟ يمكن أن ترسل بطاقة تتضمن الآتى : " كل عام وأنتِ بخير ! دعينا نلتق ونتبادل الذكريات عن علاقتنا السابقة .... أذكرك بأننى أحب اللحم الروستو " . مثل هذه البطاقة من إصدار واحدة من أهم شركات البطاقات هى " مين لاين " .

عندما تنشئ النساء " رابطة الأخوات " من خلال تبادل البطاقات التى تصور الرجال على أنهم حمقى وخاسرون ، ألا يجب أن تعرف لماذا يفعلن ذلك ؟ هذه البطاقات تهدف إلى إعادة ثقتهن فى أنفسهن . ذلك أفضل من الاعتراف بأن " الرجال الرائعين لم يختارونى لأننى لست واحدة من النساء الرائعات " . وهى أيضاً لا تشعر بكثير من الإهانة إذا رفضها رجل أحمق فاشل ، وهذا القدر القليل من الجرح أفضل عندها من أن تعترف بأن أحد الرجال الرائعين قد رفضها .

إن الرجال يفعلون نفس الشيء ، ولكن بطريقة أخرى . فعندما يخشى رجل من أن ترفضه امرأة ، يحاول أن يتلاعب بها ويدخل معها فى علاقة غير جادة . ما السبب فى ذلك ؟ لأن الرفض عندما يأتى من امرأة تافهة يكون أقل

إيلاماً من أن يأتي من امرأة ذكية وناجحة وجميلة ليس لديها الوقت حتى للالتفات إلى الرجل الفاشل . لذلك نجد أن مسألة الرفض من شخص تافه بالنسبة للجنسين أقل إيلاماً من رفض إنسان يتمتع بجميع الصفات الحسنة .

نظراً لأن تصوير الرجل على أنه أحمق وفاسد وخاسر أصبح صناعة كبيرة مربحة ، فإن النساء يجدن ملايين الاختيارات . وإذا اخترنا شعاراً يصلح لوصف تجارة البطاقات الآن فإنه سيكون : " لا يوجد رجال جيدون ، ولكن يوجد كثير من البطاقات الجيدة " .

إن شركات " هولمارك " و " ماين لاين " و" أميريكان جريتاج " يمكن اعتبارها العلامات المسجلة لكراهية الرجال . ولكن كما قالت لى الناطقة باسم " هولمارك " : " إننا نقوم ببحوث تسويق قوية على كل بطاقاتنا ، ونجد دائما أنها لا تسبق زمنها أو تتخلف عنه ... إن بطاقات التهانى هى أكثر أشكال التعبير جرأة . وأرى أن هذا الرأى صحيح تماماً ، وهذه هى المشكلة . إن شركات البطاقات مثلها مثل البنتاجون " وزارة الدفاع الأمريكية " ما هى إلا مصانع للأسلحة . الدافع الرئيسى لهم هو الربح من النساء الساعيات إلى طمأنة أنفسهن بأن الرفض من جانب الرجل هو بالتأكيد نتيجة خطأ ارتكبه هو .

إلى أى مدى نجحت بحوث التسويق على البطاقات ؟ وما الذى اكتشفته عن النساء والرجال ، وأى نوع هو الذى يباع أكثر من غيره ؟

## علامة سيئة لـ " هولمارك "

عندما كنا صغاراً ، كانت الكلمات التي تصيغها " هولمارك " تعبر عن الحب الذى لم نستطع أن نعبر عنه . اليوم أيضاً ، تقدم " هولمارك " الكلمات التى تدل على الكراهية التى لا نستطيع أن نعبر عنها . لحسن الحظ فإن مبيعات بطاقات الحب ازدادت بنسبة ٥٥ ٪ عن فترة الستينات . والسيدات هن أكثر من يشتريها .

إن " هولمارك " لا تقدم كلمات الكراهية فقط ، ولكنها تعبر عن الجرح الذى تشعر به النساء بسبب الرجال ، فهى تجعل الكراهية والألم يبدوان وكأنهما مرح ودعابة ، مما يسهل على النساء طمأنة أنفسهن بأن المشكلة ليست فيهن ولكن فى الرجال مثلما توضح البطاقة التى سنراها فى الصفحات التالية ـ والتى تطلب من الحكومة حماية النساء من المشكلة " .

والمفارقة ، أن بعض هذه البطاقات من تصميم أحد الأقسام الداخلية في " هولمارك " يطلق عليه " امباسادور " ( أى السفير ) . هذا القسم يعطينا صورة عن المراحل الأربع لأية علاقة : " أولاً : شاب يقابل فتاة . ثانياً : يظهر الشاب كل رومانسيته للفتاة . ثالثاً : يبدأ الشاب فى التصرفات الحمقاء . رابعاً : تبدأ الفتاة في التحكم فى الشاب وفرض سيطرتها عليه . ثم تأتى الصورة . آلة تسوية الأسفلت وهى تسوى الشاب بالأرض . وفى التعليق : " ألا تحب بطاقة تعبر عن النهاية السعيدة ؟ " . إذا كان قسم " أمباسادور " يمتلك مثل هذه الآلة ، فتخيل ماذا سيكون عليه القسم الحربى .

القسم الآخر المهم والذى يوصف بأنه قسم حربى هو " صندوق الحذاء " ، " shoebox " ، وتخصصه الأساسى هو السخرية من الرجال . وها هى ثلاثة نماذج من عشرات النماذج المماثلة لوصف الرجال : " إذا كانوا يستطيعون استخراج البنسلين من الجبن المتعفن ... فقد نستطيع أن نستخرج الرجال من الحياة المنمطة التى يعيشون فيها فى هذه المدينة ؛ ستكونين أفضل لو ذهب هذا المغرور " .

يطلق هذا القسم على نفسه " أحد الأقسام الصغيرة فى هولمارك " . لقد كان كذلك عندما أنشئ عام ١٩٨٦. ولكن أصبح هذا القسم من أكثر أقسام " هولمارك " مبيعاً بعد أن صار الاعتداء الساخر على الرجال شيئاً شائعاً وله شعبية واسعة فى عام ١٩٩٨ . كانوا يحصلون على أرباح تساوى مائتين وخمسين مليون دولار سنوياً معظمها تتعلق بالبطاقات التى تصب فيها النساء غضبهن على الرجال . لقد توسع هذا القسم " الضئيل " بسرعة فائقة لدرجة أنه أصبح أشهر ماركة مسجلة لبطاقات التهنئة بعد " هولمارك " ذاتها . من الصعب أن تغالى فى الشهرة والربح اللذين تجنيهما كراهية الرجال .

أين يمكن أن تجد مثل هذه البطاقات التى تعبر عن كراهية الرجال ؟ ابحث فى ركن " الحب والصداقة " وسوف يبدو هذا شبيهاً بتسمية البنتاجون " المبنى المخصص للحب والصداقة فى الحكومة الأمريكية " . وهذا تصوير رمزى للمشكلة . فعندما نطلق على الغضب والتقليل من شأن أى شخص " حباً وصداقة " ، فإننا بذلك نضع صوف الغنم على جسم الذئب . وليس هذا فقط إنكارا لوجود مشكلة . إن الإنكار هو أن نقول إننا لا نعانى أية مشكلة . والحب والصداقة هما الحل الذى يفرض نفسه ، وعندما تكون المشكلة ذاتها هى الحل ، فنحن إذن فى هذه الحالة فى مشكلة حقيقية .

يزداد عمق المشكلة باستمرار لأنها جزء من نمط عام . وحين يصور قسم نفسه على أنه القسم الأصغر فى حين أنه يحقق أكبر المبيعات فذلك الادعاء يعتبر جزءاً من نمط أنثوى ينكر مدى قوته . فعندما تمتلك قوة كبيرة وتطلق عليها قوة محدودة أو صغيرة ، أو توجد بداخلك كراهية شديدة وتطلق عليها " حباً وصداقة " ، فلا يكون ذلك مجرد مشكلة فى شخصك ، بل خطورة على الآخرين . هذه الدرجة من الفهم للقوة الشخصية هى نصيب الأنثى من علاقة الرجل والمرأة .

أما نمط الرجل فهو المبالغة فى تقدير درجة قوته . فالرجال هم المجموعة الوحيدة المجبرة على الالتحاق بالخدمة العسكرية ، والالتزام بالحصول على الأموال التى يقدمها لشخص آخر يقوم بإنفاقها ويموت هو قبل هذا الشخص ( المرأة ) . الرجال هم المجموعة الوحيدة التى تستطيع تحمل حملة كراهية الرجال التى استمرت طوال ثلاثين عاماً ، ولم ينطقوا بكلمة واحدة .

إن دمج مشكلة الرجال والنساء يخلق المفارقة فى رقصتهما المشتركة - وهى أن قوة النساء هى ما يظهرنه من ضعف ، وضعف الرجال هو مظهرهم القوى .

هل أصدر قسم " صندوق الحذاء " بطاقات يرسلها الرجال ؟ وهل يمكن لرجل أن يرسل لامرأة بطاقة تصور فتى ( وليس رجلاً ) يقول : " ليس من اليسير علىّ أن أبدى التواضع وأن أعتذر .. ولكن لسوء الحظ يمكن أن أكون غبياً . أرجوكِ سامحينى " ؟ وهنا سألت " هولمارك " ، ما إذا كان لديها بطاقات مماثلة للنساء ؟ بطاقة تقول فيها المرأة إن من السهل عليها أن تكون غبية ، ولكن ليس من السهل أن تتواضع وتبدى اعتذارها . بالتأكيد ليس هناك مثل هذه البطاقة .

لاشك أن هناك تناقضًا ما بين وسائل التعبير الخاصة بـ " هولمارك " وبين رسالتها . تقول الرسالة إنه من الصعب على الرجل أن يكون متواضعاً لكى يعتذر . ولكن وجدت " هولمارك " سوقاً رائجة لدى الرجال لكى يرسلوا بطاقات يقرون فيها بأنهم أغبياء ( وهو فعل احتقار ) ويبدون اعتذارهم . وإذا كان من الصعب حقيقة على الرجال فعل ذلك ، فلن يكون هناك سوق . وأما إذا كان ذلك أيسر للنساء ، كانت " هولمارك " ستجد سوقاً لبطاقات النساء التى يرسلنها إلى الرجال ويقررن فيها أنهن غبيات ، ويطلبن العفو والمغفرة ، ويعترفن بأن الإعلان عن ذلك لم يكن بالأمر اليسير .

اكتشفت " هولمارك " ما لا يرغب أى شخص أن يعترف به : إن الرجال يرفضون شراء البطاقات التى تسيء إلى المرأة ، ولكنهم لا يمانعون فى شراء بطاقات تعبر عن الرغبة فى المصالحة ولوم أنفسهم ؛ أما النساء فيشترين بطاقات تهين الرجال ، وليس البطاقات التى تعبر عن طلب الصفح ولوم أنفسهن .

ولكن هناك شركة أخرى لإنتاج البطاقات ، نجد عندها بطاقة ترسلها المرأة إلى الرجل وتتضمن العبارات التالية : " أفكر فيك دائماً ... وأتمنى أن تتغير " .

تعتبر شركة " مين لاين " هى ثانية كبرى شركات البطاقات التى تهاجم الرجال . لدى الشركة بطاقات ترسلها النساء لبعضهن البعض وتتضمن عبارات من نوع ، " كان يجب أن أتخصص فى حياتى فى طب الأمعاء ... حيث التقيت فى حياتى بكثيرين ممن يثيرونها ، أو " إن فرصة الالتقاء برجل فى نفس مستوى ذكائك ... هى فرصة منعدمة " . يبدو أن أمان المرأة يتحقق من خلال رابطة وحدة النساء وهو يعتبر كشفاً جديداً لهن ، وهو الذى سمح لهن بالتغلغل إلى عقل الرجال ليضاف إلى عقولهن . كيف ؟

عندما تبدئين فى إغراء الرجل ... يختفى عقله .

تبنت شركة بطاقات " مين لاين " تشجيع استخدام العنف ضد الرجال ، ومن ذلك : " عندما ضحك طبيب أمراض النساء الذى أراجعه عندما شكوت له من مقدار عذابى خلال الدورة الشهرية ، أطلقت عليه النار " ، ومن ذلك أيضاً بطاقة التهنئة بعيد الميلاد التى تصور بعض النساء اللاتى يشوين بعض اللحوم وهن يتذكرن أزواجهن السابقين ( والمقصود هنا أنهن يشوين لحم أزواجهن السابقين ) .

ومن أشهر شركات إنتاج البطاقات فى مجال السخرية من الرجال ، تلك الشركة التى تحتفل بالقاتلتين المتسلسلتين " ثيلما " و " لويز " وهما شخصيتان سنراهما لاحقا فى سياق احتفالاتهما بموت الرجال .

إن بطاقات التهنئة ما هى إلا مثال واحد من أساليب التعبير عن كراهية الرجال . هناك العديد من الرسائل وحاملى الرسائل التى تعطينا الدليل على درجة الكراهية تجاه الرجال وكيفية تغلغلها فى النسيج الاجتماعى للدولة .

## الرجل الوحيد الصالح هو الرجل الميت

**واقعة . عندما حاولت** " فاليرى سولاناس " قتل " اندى وارهول " ، وجهت مسدساً إلى صدره وقالت : " إنك لن تظل مسيطراً علىّ بعد الآن " ، ثم أطلقت الرصاص على صدره . لم يمت " اندى " ولكنه لم يصبح أبداً نفس الشخص . كتبت السيدة " سولاناس " عن خطتها لقتل الرجال فى كتاب " بيان سكم " . ( SCUM ) وهى اختصار لجمعية قتل الأزواج .

**واقعة** . " روزيان بار " الصحفية نشرت تحقيقاً صحفياً تحت عنوان " زوجة من " آوتاه " تطعن زوجها ٣٧ طعنة " ثم علقت على ذلك قائلة : " أنا معجبة برباطة جأشها " .

**واقعة** . أطلق فتى لا يزيد عمره على ثمانى سنوات ملاحظة قاسية تجاه فتاة فى مثل سنه . اتخذت ناظرة المدرسة إجراء يماثل هذه القسوة حين دعت بواب المدرسة وجعلته يضع سكينا على مكتبها وهددت الفتى بأنها ستقطع عضوه التناسلى .

**قولى له : " استنشق الغاز . إننى جادة " . ما عليك سوى فتح باب الموقد بهذه الطريقة ثم تقولين له : " مايكل ، استنشق الغاز " .**

نصيحة الخالة للفتاة المقبلة على الزفاف
لطريقة معاملة زوجها إذا لم تجر
الأمور بطريقة جيدة فى شهر العسل .
مشهد من فيلم " الحب الحقيقى " "True Love" .

**للمرة الأولى فى حياتى أطرح رجلاً على الأرض ... لقد شعرت بالسعادة الغامرة ... بحثت عن بطاريتى وسلطتها على الورقة وبعد ذلك بدأت فى تسجيل ملاحظاتى عن مدى الاستمتاع بإشعار الرجال بالألم إلى أن يطلبوا الرحمة .**

من مقال عن تعليم الدفاع عن النفس للسيدات فى مجلة " إيثاكا تايمز " ، ٢٦ مايو ، ١٩٩٤ .

٢٤٣ أريد أن أرى رجلاً يتعرض للضرب المبرح على يد امرأة ويتم غرز مؤخرة أحد الأحذية النسائية فى فمه ويصبح متورماً مثل الديك المحشو .

إحدى قائدات الحركة النسائية فى محاضرة جامعية ،
ومقتطف من كتابها ، "Ice and Fire" .

هذا التعبير الأخير يعود إلى " اندريا دوركين " ، التى عبرت عن كراهيتها للرجال فى رواياتها على لسان شخصيات قالت صراحة إنها تعبر عن رؤيتها الشخصية . تقول " جلوريا شتاينمن " عن " اندريا دوركين " : " فى كل قرن ، يكون هناك عدد قليل من الكتاب الذين يساعدون الجنس البشرى على التطور . " وأندريا " هى واحدة من هؤلاء . أليس هناك وصف نطلقه على من يتبنون قتل مجموعة من البشر بحيث تتاح فرصة أفضل لتطور البشرية ؟ " .

إن المشكلة الأعمق هنا هى أن تبنى قتل الرجال أصبح تياراً عاماً . لقد حصلت " اندريا دوركين " على المصداقية فى هذا الاتجاه من خلال التعليقات المشجعة المتكررة ، والتغطيه الإعلامية من مجلة" نيويورك تايمز" ، كما سنورد فى الفصل التالى . من الواضح أن " روزيان " و " جلوريا شتاينمن " يمثلان هذا التيار العام . بعد أن أطلقت " فاليرى سولاناس " النار على " أندى وارهول " ، وقد دهشت حين ذهبت إلى إحدى دور السينما لمشاهدة قصة حياة " أندى وارهول " ، ورأيت أن " فاليرى " هى المعلق على حياة وفن " أندى " . إن الرسوم الكاريكاتورية التى تظهر على صفحات المجلات النسائية ( مثل الرسم التالى ، لرجل يقتل نفسه ) بدأت فى الظهور أيضاً فى المجلات الأكثر شهرة وتعبيراً عن الرأى العام والتى تجتذب العقليات المتميزة والمثقفة فى جميع أنحاء العالم مثل مجلة " نيو يوركر "



" حسناً ، أخيراً ـ رجل يقدم على ذلك ! "

ربما تكون عدة أفلام خلال أواخر الثمانينات وكل التسعينات قد اشتركت في موضوع واحد وهو : الرجال لا يطاقون ؛ الطريقة الوحيدة لتغييرهم هي قتلهم ، أو على الأقل التسبب في مرورهم بتجربة تجعلهم يقتربون من الموت . لم أسمع عن أي فيلم يتناول نفس الموضوع ولكن المرأة هي التي تتعرض للموت أو للتجربة التي تقربها من الموت ، حين تتهدد حياة النساء بواسطة الرجال ( الأفلام التي تصور النساء في خطر ) ، يدور الفيلم حول محاولة إنقاذ النساء ، عادة بواسطة رجال أبرياء يموتون في سبيل إنقاذ حياة المرأة المهددة بالخطر ، ( كما سنرى في الفصل القادم ) . ولكن في الموضوعات التالية للأفلام نجد أن موت الرجال أو اقترابهم من الموت لا يشار إليه كنوع من التهديد لهم ، بل كمصدر لتحسين الذات ! ابحث عن هذه الموضوعات في أفلام الفيديو .

في فيلم التحول "Switch" يُحول الموت الرجال الذين يفتقدون الحساسية إلى رجال يهتمون بنسائهم ؛ وفي فيلم الشبح "Ghost" يصبح " باتريك سويزي " بطل الفيلم شخصاً أفضل بعد الموت ، ونفس الشيء بالنسبة لـ " ألبرت بروكز " في " دافعي عن حياتك " . وفي فيلم " بشأن هنري " ، تقتل إصابة في المخ عجرفة المحامي وتحوله إلى محام محب ؛ وفي فيلم " الطبيب " يقتل السرطان الطبيب المتعجرف ومن ثم يتحول إلى طبيب طيب القلب ؛ وفي " دوق هوليود " تتسبب حادثة سيارة وامرأة في قتل البطل . وفي فيلم " روبين هود " ، تمزج القصة بين الحرب وإعدام الأب لكي تتحول

شخصية " روبين هود " من نبيل مدلل إلى شخص ينقذ الفقراء الذين يتعرضون لكبح إمكانياتهم .

لا تصور كل الأفلام قتل الرجال بمعناه الحرفي . في فيلم " نادى الزوجات السابقات " ، نجد الزوجات يستمتعن بالتسبب في إفلاس الأزواج ، أو تدمير سمعتهم ، أو تسميم العلاقة بينهم وبين أبنائهم .

ليس بالضرورة أن يموت الرجل الفاسد غير المهتم ، ولكن المهم أن تصله رسالة واضحة عن تبعات فقدان شخص يحبه . في فيلم " جيم كارى " " كذاب ، كذاب " ، يرى المحامي الكذاب أن حياة ابنه ستنتهي إلى الأبد إذا كذب كذبة واحدة أخرى .

على المستوى المجازى ، تظهر هذه الأفلام قتل البطل للجانب المهني الذى يقتل جانب الأحاسيس والمشاعر في نفسه . وهذا يمثل جانباً إيجابياً على المستوى الرمزى . لماذا ؟ لأن الرجل ينتقل من المرحلة الأولى التي كان يركز فيها على قدرته على البقاء فقط ، إلى المرحلة الإنسانية الثانية حيث التوازن بين مسئوليات البقاء على قيد الحياة والإحساس بالإنجاز ، أى القتل المجازى . أى أنه على الرجل أن يضحى بروحه لخلق الفرص التي تتيح لكل الآخرين اكتشاف أرواحهم .

ولكن شيئاً ما تم تجاهله . حيث إننا لم نجد في أى من هذه الأفلام امرأة تنقذ رجلاً أو تريحه من دوره كحامٍ لها مالياً وجسدياً . بل إنه في واقع الأمر يصبح حامياً من نوع مختلف . فالمحامي يصبح منقذاً لمن اعتاد أن يستغلهم ؛ والطبيب يتحول إلى منقذ لمرضاه الذين كان يستغلهم فيما قبل ؛ وأصبح " روبين هود " منقذاً للفقراء بدلاً من استغلالهم . هذا الأمر يبدو طيباً على المستوى النظرى ؛ ولكن ، إلى أن نرى المرأة تطالب نفسها بالتضحية التي تحرر الرجل ليقدم المساعدة إلى المساكين من خارج أسرته ، سيظل الرجل مشغولاً بالتأكد من الحفاظ على أسرته حتى لا تتحول إلى أسرة من المساكين . إن الرجال والنساء ما هم إلاّ فريق واحد ؛ وعلاقاتهم ما هي إلا رقصة مشتركة .

على أية حال ، لا يمكن أن نقتل رجل المرحلة الأولى ( الحفاظ على البقاء والحياة ) " سواء في العمل أو في اللعب " إلى أن يقوم الجنسان معاً بدورهما في رقصة المرحلة الثانية .

إن الإعلان النسائي عن الاستقلال لا يعتبر ثورة بيضاء بدون دماء . ففي فيلم " ثيلما ولويز " يعتبر موت الرجال بمثابة نتيجة ثانوية لاستقلالية النساء . على

النقيض من ذلك ، عندما يطالب الرجال باستقلاليتهم ، كما فى فيلم " سكان المدينة المتأنقون " ، لا يقتلون النساء حرفياً أو رمزياً ، ولكنهم يكتشفون مدى روعتهن .

أطلقت المنظمة الوطنية للنساء " NOW " فيلم " ثيلما ولويز " فى مؤتمرها الذى أقامته للاحتفال بمرور خمسة وعشرين عاماً على إشهارها ، ووزعت قمصانا تحمل عبارة ( " ثيلما " و " لويز " يتخرجان فى المدرسة ) . كانت المتحدثتان الرئيسيتان ، " جلوريا شتاينم " و" فلو كينيدى " وهى إحدى الرائدات الأوائل للحركة النسائية ، قد أعلنتا أنهما تجسدان شخصيتى " ثيلما " و " لويز " فى سنوات السبعينات . وإذا كانت شخصيتا " ثيلما " و " لويز " ليستا امرأتين ، بل رجلان ، كان سيطلق عليهما وصف " قتلة متسلسلون " .

باعتبارى كنت عضواً فى مجلس إدارة منظمة " النساء الوطنية " فى مدينة " نيويورك" لمدة ثلاث سنوات ، أعرف تماماً أن قيادات هذه المنظمة ليسوا قتلة متسلسلين أو سفاحين . ولكن مشاعر الغضب تجاه الرجال لا يمكن إنكارها ، وتم تجسيدها فى مزيج الفيلمين " ثيلما ولويز " ، و " نادى الزوجات السابقات "( والفيلم الأخير لم يكن قد عُرض عندما عقد المؤتمر الخامس والعشرون لمنظمة " النساء الوطنية " .

إن رحلة " ثيلما " و " لويز " هى رؤية سينمائية تمثل صورة أخرى لـ " اختيارات غبية ، لنساء ذكيات " . فالرحلة تنقلهم من الأزواج الفاسدين الأغبياء ، إلى الرؤساء المتحكمين ، إلى الرجل الذى يخشى الالتزام ، إلى من يتحول إلى مغتصب ، إلى سائق وقح اللسان ، إلى الشخص ذى المظهر الجذاب الذى يدخل فى علاقة غير شرعية مع " ثيلما " ويستولى على كل قرش تمتلكه . ( الرسائل هنا معناها : إذا تركت نفسك على سجيتها مع رجل ، فسيسرقك إلى آخر قرش لديك ) . باختصار ، إن ما تمت الإشادة به طوال الرحلة النسائية للحرية هو السماح للمرأة بقتل أو تهديد حياة الرجال .

لا يمكن أن نجد حادثة للرجال السيئين تتطابق مع كل التجارب السيئة التى مرت بها النساء العضوات فى " المنظمة الوطنية للمرأة " . لقد تعاملت كل من " ثيلما " و " لويز " مع هذه التجارب بذكاء . طوال أحداث الفيلم ، نشعر بالضيق من الرجل الشرير الذى يتمتع بكل الصفات الحسنة والذى قام بشىء رهيب لدرجة أن " لويز " لا تستطيع أن تحكى عنه . هذا الغموض يخلق شيئاً

مثل" بقعة الحبر العشوائية " التى تجعل المشاهد يتخيل كل الشرور المحتملة التى يمكن أن يمارسها الرجل بحيث يجبر المرأة على قتله .

هذا الرجل الشرير لا يمثل فقط كل رجل ، بل الإرهاب لدى كل امرأة . هذه الصورة تروع كل امرأة بعمق بحيث لا يمكن توقع إبلاغ ما يحدث لها إلى الشرطة ، وتخلق المبرر لكل الجرائم ضد المرأة بدون قيود . هذا الرجل الذى يولد الرعب لدى كل امرأة يسمح لأى امرأة بأن تمارس العنف ضد كل رجل وتظل مع ذلك هى الضحية ، وهذا هو مفتاح الفيلم ، والسبب فى أنها لم تكن مصادفة عندما تم اختياره بمناسبة الاحتفال بالعيد الخامس والعشرين للمنظمة الوطنية للمرأة .

لسوء الحظ ، فإن رحلة الاعتداء على الرجل عبر فيلم " ثيلما و لويز " ، احتوت على إنذار لم تنتبه إليه المنظمة الوطنية للمرأة ، فقد ظهرت البطلتان فى النهاية على حافة هاوية .

ملاحظة أخرى هنا . تقول بعض رائدات الحركة النسائية إن الجلبة المثارة حول الفيلم تعبر عن الغباء لأن الرجال بالفعل يقتلون طوال الوقت . نعم . الرجال يقتلون الرجال . وإذا قتلوا نساءً ، فإنهم أشرار وليسوا أبطالاً . **فى مؤتمرات تحرير الرجال ، لا يشيد الرجال بمن يقتل النساء ، ولكن يقتل الرجال من يقتلون النساء** . ويموتون باستمرار وهم يفعلون ذلك . الحقيقة ، أن الرجال يضحون بحياتهم لإنقاذ النساء من القتل على أيدى رجال آخرين ، وهى القصة المعتادة فى الأفلام التى تصور تعرض النساء للخطر . ولكن هناك المزيد من الطرق لقتل الرجل .

يمثل فيلم " نادى الزوجات السابقات " الطريقة الثانية لقتل الرجال ـ قتلهم مادياً ، وانتزاع أبنائهم منهم ، وتدمير سمعتهم ، ومستقبلهم المهنى .

يصور هذا الفيلم ثلاث سيدات محبطات يعانين من تجاهل وازدراء أزواجهن السابقين ، إلى جانب ابنة إحداهن ، كل هؤلاء النسوة يتواطأن لإيذاء رجالهن ، لكى يجعلوهم يعانون أشد المعاناة ، معاناة لم يشهدها أحد من قبل ، " أن يدمرن أعمال هؤلاء الأزواج ، ويسرقن أو يستولين على بيوتهم ، ويدمرنهم وبذلك يتحقق السلام العالمى " . اختار الفيلم النساء بيضاوات من الطبقة المتوسطة العليا بنفس الطريقة التى اتبعها فيلم " فى انتظار الانطلاق " "Waiting To Exhale" عندما استخدم نساء سوداوات من نفس الطبقة ، أما فيلم " ثيلما ولويز " فقد استخدم نساءً بيضاوات من الطبقة الوسطى لكى يرمز

إلى الورطة التى تمر بها كل النساء حين تنحسر عنهن أحلامهن . كل هؤلاء النسوة شعرن بأن هناك مبررات لتدمير حياة الرجال الذين هجروهن ، وأن تدمير عدد قليل من الرجال يعمم وجهة نظر كل النساء .

الجزء المرعب من فيلم " نادى الزوجات السابقات " هو ما حققه من شعبية لدى كل النساء : فى أسبوع الافتتاح ، حضر ثلث جماهير السينما فى أمريكا . معظم المشاهدين كانوا من النساء أو رجال أحضرهن النساء . عندما علق الرجال بأنه لا شيء أكثر رعباً من امرأة مهجورة ، قيل إن هذه نظرة منحازة لأحد الجنسين . ولكن عندما احتفلت النساء بالفيلم وبمحتواه عن " نساء يدمرن الرجال " قيل إن هذه رواية هزلية قدمتها هوليود . فى الحياة الواقعية ، عندما قتلت " بيتى برودريك " العضوة الاجتماعية البارزة فى " لاجولا " زوجها السابق وزوجته الثانية الصغيرة بينما هما فى مخدعهما ، وكان ذلك لشعورها بالخذلان والهجر ، قوبلت جريمتها بكل الدعم من جانب الحركات النسائية ، والزوجات السابقات ، ووسائل الإعلام . هذا هو الجزء المرعب من القضية .

إن المشكلة هى أن الزيجات الفاشلة تؤذى كلا الجنسين ، حيث تتحول كل امرأة بلغت الأربعين إلى امرأتين فى العشرين ، وكل زوج بلغ الأربعين يجد نفسه محاصراً بين زواج بلا جنس ومعنويات منخفضة ؛ أو زوج محبط يسعى لمن يفهم مخاوفه من أن تتركه المرأة إذا لم يحقق النجاح المناسب .

لكل زوجة أولى تخسر الدخل ، هناك زوجة ثانية تحصل على هذا الدخل ؛ ولكل زوج أول يخسر منزله وأبناءه ، هناك زوجة ثانية تكافح مع رجل تآكل رصيده فى البنك وانفطر قلبه ، أو امرأة هجرت هذا الرجل لأن حسابه فى البنك تآكل أو لأن قلبه انفطر .

فى مقابل كل زوجة أولى تُركت بدخل غير كافٍ ، هناك أب يقود السيارة الأجرة لمدة سبعين ساعة فى الأسبوع ، أو يجمع القمامة على أمل أن يحقق لأبنائه حياة أفضل من حياته ، وأن تحصل زوجته على منزل أفضل من سيارة القمامة التى يعيش هو فيها . وعندما يُوَجَّه الانتقاد إلى مثل هذا الرجل حين يعمل لفترة متأخرة ، ويأتى يوماً ما إلى المنزل ليجد مذكرة تركتها زوجته تخبره فيها أنها رحلت واصطحبت الأبناء ، تبدو حياته بلا معنى ، ولا تستقبل مراكز أزمات النساء شكواه .

أمام كل امرأة وحيدة ترعى أبناءها ، وتعمل فى وظيفة ، أو ترعى أبناءها بلا دعم مادى ، نجد أبا وحيداً يجد أن زواجه تحول إلى مدفوعات للمصروفات

الدراسية ، ومنزله يصبح ملكاً لزوجته السابقة ولكنه يدفع أقساط الرهن الخاصة بهذا المنزل ، وأطفاله يحصلون منه على النفقة فى الوقت الذى يشعرون فيه بالعداء النفسى تجاهه .

لكل امرأة واجهت أباً كسولاً ، هناك آباء محطمون ـ الأب الذى يفتقد حب أبنائه ، ويقال له أن يحذر من الاقتراب وإلا فإنه سَيُتَّهَم بإيذاء الأطفال جنسياً أو تدعى عليه الزوجة السابقة أنه ضربها .

بدلاً من الاطلاع على وجهات نظر الجنسين ، نجد أنه حتى أفضل المُعَالِجات النفسيات وأكثرهن إيجابية يفاجأن بغضب النساء تجاه الرجال . مثال على ذلك ، " دان كيلى " مؤلف " ظاهرة بيتربان " " The Peter Pan Syndrome " و " معضلة ويندى " " Wendy's dilemma " ، وجد نفسه يجفل حين انفجرت أربعمائة سيدة فى التصفيق وإبداء صيحات السعادة والابتهاج كرد فعل على ما كان يشرحه عن نتائج بحث قام به ، واتضح منه أن الرجال المنغلقين على ذواتهم معرضون للموت بأمراض القلب ستة أمثال من هم ليسوا كذلك .

يرى " كيلى " خلال حياته العملية كيف أن هذه الكراهية ضد الرجال تترجم إلى رغبة الزوجات فى موت الأزواج . احدى السيدات تمنت أن تسقط طائرة زوجها خلال إحدى رحلات العمل التى يقوم بها . امرأة أخرى ابتسمت فى بساطة ، عندما أبديت ملاحظتى بعد حديثى مع زوجها أنه معرض للإصابة بنوبة قلبية نتيجة انهماكه فى العمل .

كما رأينا ، فإن اللامبالاة تجاه موت الرجال تمثل الآن القانون فى عرف النساء مثلها مثل قانون استخدام العنف ضد النساء ، والتجنيد الإجبارى للرجال فقط ، هذه اللامبالاة أصبحت تمثل الجزء النفسى فى ظاهرة المرأة ضحية العنف . وأصبحت جزءاً من البيروقراطية الحكومية ومكاتب البحث فى الشئون الصحية للمرأة فقط ؛ وأصبحت أشكالاً وصورًا وعبارات فى بطاقات التهنئة ، مثل هذه الصورة ، بما تعكسه من توجه أساسى تجاه الرجال والذى يوصف فى أحسن الأحوال بأنه هجر نصف مُستَحق ونصف كريم .




" ولكننا نعتقد أنه نظام جيد "

## النظر إلى الرجال باعتبارهم أدنى أخلاقياً من النساء

**أعتقد أن النساء لديهن القدرة على الفهم والتراحم وهو ما يفتقده الرجال بشدة ، حيث لا يمثل ذلك جزءًا من تكوينهم . إن الرجل غير قادر على ذلك .**

**" باربارا جوردان " ،**

عضوة الكونجرس السابقة

ومستشارة الأخلاقيات لحاكمة ولاية تكساس السابقة ، " آن ريتشاردز "

**إذا كنت رجلاً ، سأعترض بكل قوة على الادعاء بأن النساء لديهن السيادة الأخلاقية أو الروحية كطبقة . إن هذا ما هو إلا ... شوفينيه نسائية .**

**" بيتي فريدان "**

مؤلفة " The Feminine Mystique " من كتابها It Changed My life

يوجه إلىّ دائماً سؤال عما إذا كانت الحركة النسائية تمارس العنف تجاه الرجال بشكل أو بآخر أكثر من ذى قبل . يمكن أن نشاهد هذا الاتجاه فى التناقض الصارخ بين المقتطفات التى قرأناها الآن : " بيتى فريدان " ، مؤسسة



الحركة الأمريكية للنساء ، تحذر من تصوير المرأة على أنها الأرقى أخلاقياً . و " باربارا جوردان " التى لم تكن قائدة نسائية فقط بل شخصية رئيسية فى مؤتمر الحزب الديمقراطى عام ٩٢ تؤمن بأن المرأة أرقى أخلاقياً . إن التفوق الأخلاقى للنساء هو مقولة لها العديد من المؤيدين فى الوسط الأكاديمى ، من أهمهم " كارول جيليجان " من جامعة " هارفارد " .

من المثير للتهكم أن القيادات النسائية التى تطرى على النساء ككيان بيولوجى أكثر حناناً ، هن اللائى لا يظهرن أدنى قدر من الحنان أو التعاطف .

إن قوة المرأة لاتخاذ الموقف الأخلاقى ، عبرت عنها الروائية " انيتا بروكنر " فى رواية " لويس بيرسى " : " جاء ، طبعاً ، متوسلاً ، يعرف أنه مخطئ كل الخطأ ... خطأ يشعر به الرجال دائماً ، عندما يشعر الرجل بنفسه فى ضوء عدم رضاء المرأة المنطوى على الاتهام ..... " .

إن أفضل وسيلة لاتباع الطريق الأخلاقى هى تعريف الأخلاقيات . فمثلاً لدينا منطقة إدمان الرجال : وهى العلاقات النسائية ، ومناطق إدمان النساء وهى الزواج من الرجال الناجحين ، فعندما تتزوج امرأة طبيباً أو مليونيراً نهنئها جميعاً . ولكن جميعنا يلقى باللوم على الرجل فى منطقة إدمانه ( العلاقة النسائية ) . فنحن نتعلم منذ الصغر أن العلاقة بين الرجل والمرأة تعتبر شيئاً محرماً ، ونحرمهم من مشاهدة أى مشهد عاطفى فى أى فيلم ، ولكننا لا نمانع من رؤيتهم لأحد أفلام رعاة البقر التى يقتل فيها الرجال بعضهم البعض ويشب أبناؤنا على مبدأ أن العلاقة بين الرجل والمرأة محرمة ثم فجأة يجدوننا نشجعهم على الارتباط والزواج والمبادرة فى طلبه ( بالنسبة للرجال ) ونحن أيضاً نعلم بناتنا أن يحذرن من الأولاد لأنهم لا يرغبون سوى التلاعب بهن . فى نفس الوقت لا نجبر الأبناء على الابتعاد عن البنات لأنهن يرغبن فى الحصول على مشروب ووجبة مجانية . هنا لا نعتبر تغذية إدمان البنات مسألة غير أخلاقية ، بل إننا نعلم أبناءنا الوسائل التى توفر لهم المال الكافى لإعطاء الفتيات ما يرغبن فيه . هذه هى بداية استيعاب أبنائنا لعقدة " الدونية " ، والإحساس بالذنب ، والعار ، وبأن النساء أفضل ، وأكثر طهارة ، وأكثر براءة منهم .

كقاعدة عامة ، بما أن الرجال يريدون الأشياء غير الأخلاقية ( العلاقة النسائية ) . فسوف يشعرون دائماً بأنهم فى موضع رفض واتهام المرأة ، وهذا ما يدعمه المسئولون عن الدعاية والإعلان من عدم ثقة وشك . ها هو أحد

الإعلانات حيث تضحك امرأتان فى أخوة ، وتقول إحداهما للأخرى : " أنا أحب الرجال ... أشرب مع الرجال ... أتناول الغداء مع الرجال ... وأحياناً ، أستمع إلى الرجال ... ولكننى أثق فى النساء . بالطبع هذه رسالة مهمة . أليس كذلك ؟ لا تثق فى رجل . ثق فقط فى سيدة " . ( الإعلان عن أقفال ليدى فوت ) .

إعلان آخر عن " فيكس نيكويل " حيث امرأة تعانى من الألم ، ورجل يستطيع أن يقدم لها المساعدة . ولكنه يبتسم ولا يفعل لها أى شىء . ما هى الرسالة ؟ إنك لا تستطيع أن تثق فى رجل . ضع ثقتك فى " نيكويل " .

عندما يستغل فيلم سينمائى إحساس الرجل بالدونية ، يكون من المقبول الأمل فى تجاوز تكلفته من خلال إيراداته المحققة ، وهذا ما فعله فيلم " فى صحبة الرجال " ، ورغم أنه تكلف مبالغ كبيرة فقد تجاهلته وسائل الإعلام فى البداية ، إلى أن أعادت تقديمه والإشادة به " نيويورك تايمز " .

كان الاسم الأكثر ملاءمة له " فى صحبة الرجال ذوى السلوك السيئ " . أو " الرجال كنموذج للمكر الاجتماعى الأخلاقى " . اسمحوا لى أن أشرككم فى تجربتى التى مررت بها ، ثم أديروا شريط الفيديو إذا تطابقت تجاربكم معى .

كانت أحداث الفيلم تجرى أمامنا على الشاشة ، وانتابنى الغثيان . لم تبد أية أمرأة شاهدت الفيلم كلمة طيبة فى حق زوجها أو رفيقها . وتبادلت كل النساء فى الفرق الخاصة بالنساء فقط كلمات تصف الرجال بأبشع الأوصاف بصوت مسموع .

بعد انتهاء الفيلم ، لاحظت امرأتين توقفتا لقراءة بعض ما نشر عن الفيلم . توجهت لهما بالسؤال عن رأيهما فى الفيلم . ارتجفتا من الاشمئزاز ؛ وبدون أى نوع من الخجل قالتا فى صوت واحد : " يا للرجال " . واستدارتا وغادرتا المكان .

ذهلت من رد الفعل . وخلال سيرى صادفت مكتبة قريبة . رأيت السيدتين مرة أخرى . قلت لنفسى : " لعل الوقت مناسب لاستيضاح الأمر " ولكننى تراجعت بعد إحساسى المخيف بأننى أقوم بنوع من المطاردة غير المحببة . شعرت بما كان الرجل الأسود يشعر به فى بداية القرن العشرين فى أعماق الجنوب الأمريكى وهو يسير فى اتجاه حمام الرجال البيض .

هذا الفيلم معبأ بكل أنواع المؤثرات العاطفية والنفسية وهو يصور رجلين يكرهان النساء بشدة ( " النساء ... ، ما هن إلا قطع من اللحم ، والغضاريف ،

والكراهية ـ أنهن جميعاً متشابهات " ) كلاهما تعرض للأذى على يد إمرأة ، والاثنان اتفقا على الانتقام .

عند هذا الحد يتشابه فيلم " فى صحبة الرجال " مع " نادى الزوجات السابقات " ، ولكن رد الفعل يختلف بحوالى مائة وثمانين درجة . فقد اجتذب فيلم " نادى الزوجات السابقات " حشوداً هائلة من جماهير السينما فى الأسبوع الأول من عرضه والذين كان معظمهم من النساء اللاتى كن يشدن بالانتقام من الزوج المنحط . أما فيلم " فى صحبة الرجال " فنحن لا نجد من يشيد بالرجال الذين يؤذون النساء ؛ فنحن نخاف أن تتعرض المرأة للجرح .

فى فيلم " فى صحبة الرجال " الهدف هو " كريستين " التى تجسد كل الصفات الطيبة من البراءة والجمال والأنوثة ، ولكنها صماء وضعيفة . وبسبب صممها أهملها الرجال من الجانب الرومانسى ، ولكنهم كانوا يستخفون بها سراً كل على حدة ، فيتغزلون بها أو يرسلون لها الأزهار ، والبعض يعترف لها بالحب ، ثم بعد ذلك يتضاحكون عليها فتتأذى وتسارع للبحث عن أقراصها المنومة .

تمس نعومة " كريستين " شغاف قلوب المشاهدين ... حتى الرجال منهم . ثم نشاهد فى الفيلم شخصية " تشاد " الشاب الذى يعمل فى حلقة السباق ويتسم بالفقر وبمزيج من شخصيتى " أياجو " و " مانسون " . يظهر " تشاد " ضعفه ونعومته تجاه " كريستين " ويقع فى حبها ( ونشعر نحن المشاهدين ) أنه أصبح بذلك شخصاً جديداً .

بادلته " كريستين " الحب . وتعاطف جميع المشاهدين مع هذا الحب . ثم فجأة وجدنا " تشاد " يسخر منها فجأة ويقول لها إنه كان يتلاعب بها ، وإنه لم يكن يرغب سوى فى إيذائها . ثم يغادر حجرة النوم فجأة ، ينتابنا ( مثل " كريستين " ) شعور جارف بالاستغلال عندما تظاهر " تشاد " بالحب .

النساء فى صالة السينما ، استمعن إلى الكلمات المعسولة التى صبها " تشاد " فى أذن " كريستين " ، وهى كلمات عادة ما يقولها لهن كل رجل . يا له من شعور عندما تشعر بالاستغلال ( مرة أخرى ) ، وعلى ذلك تلاحمت مشاعرهن مع مشاعر " كريستين " كضحية ، وتوحدت النظرة إلى " تشاد " كتجسيد للشر ( أو تجسيد للرجل ) .

مازال من الممكن ، رغم ذلك ، لبعض علماء الاجتماع فى مكان ما ، إبداء قليل من التعاطف تجاه " تشاد " ، متذكرين أن صديقته السابقة تركته ، وأنه

اعترف بأن امرأة تسببت فى إيذائه . إذن كيف يمحو الفيلم هذا الجانب من التعاطف معه ؟ يعترف " تشاد " بأنه كان يكذب بشأن المرأة التى هجرته . ثم بعد ذلك نقابل هذه المرأة ونكتشف أنها محبة ، توحى بالثقة ، لا تبدى الشك فى حبيبها . وهى تعتقد بكل سذاجة أنها تعرف " تشاد " تمام المعرفة . إنها كل امرأة . تلتقى مع كل رجل .

على ذلك ، ما هى النقطة المهمة هنا ؟ عندما يقول رجل إنه تعرض للحرج ، علينا أن نتشكك فى ذلك . لأن طلبه للتعاطف ما هو إلا طُعم ، والمرأة هى السمكة . ما الدليل على ذلك ؟ يؤكد الفيلم أن الرجال يحبون الصيد لأنه يشعرهم بالإثارة وممارسة قوتهم ( بقتل السمكة البريئة التى صدقت حنانه وعطفه ) . لماذا يفعل الرجل ذلك ؟ لأنه يمتلك القوة . باختصار ، أية امرأة تستمع إلى رجل تكون مثل سمكة ساذجة بريئة نزاعة إلى الثقة وستكون بعد لحظات قطعة من سمك التونة فى شطيرة يتناولها الرجل .

ولكن ألا نستطيع أن نظهر الرجال فى هذه الصورة بسبب امتلاكهم للمال والقوة ، ولأن كثيرًا من المشكلات المجتمعية يسببها الرجال ؟ دعونا نر ذلك . ألم يكن النازيون يرون أن اليهود يمتلكون المال والسلطة وأن كثيرًا من مشاكل المجتمع ترجع إليهم ؟ ليس هناك أى فيلم يصور النساء ، أو اليهود أو الأمريكيين ذوى الأصول الأفريقية بهذه الطريقة وينال رد الفعل الإيجابى من الجمهور بمثل هذه الطريقة الواعية للتمييز بين البشر طبقاً لجنسهم كما ظهر فى مجلة " نيويورك تايمز " .

## الرجال كجنس أدنى من النساء

**للرجال مجرد خطأين : كل شيء يقولونه وكل شيء يفعلونه .**

**من إحدى بطاقات شركة**

" ثرى إم كوربوريشن "

عندما أرادت مجلة " إيكونوميست " أن تجرى تقييما للرجال ، فعلت ذلك من خلال موضوع صحفى بعنوان " مشكلة الرجال " . وها هو نموذج : " إن الجيل التالى لن يحتاج إلى السائل المنوى الذى يحمله الرجال فى كل مكان فى

الوقت الراهن . سيكون هناك بنك يتضمن أفضل وأنظف سائل منوى محسن وبذلك يتم الاستغناء عن التأثيرات الجانبية لأوضاع الرجال الاجتماعية " .

رغم أن ما تشير إليه " الايكونوميست " من آثار جانبية اجتماعية للرجال والتى تتضمن بناء المكاتب وتصنيع الحاسبات ، ودور النشر مثل التى تصدر منها هذه المجلة ، والتخلص من المخلفات فى هذه المكاتب . إلا أننا نجد أن المجلة لم تعلن ، هى أو أى كتاب آخر ، تقييماً اقتصادياً للرجال ، مثل الذى قامت بتأليفه الدكتورة " جون ستيفنسون " وهو " men are not cost - Effective ". بدلاً من ذلك ، نجد أن خلاصة الكتاب يصفها العنوان الفرعى له : جرائم الرجال فى أمريكا . وكأنما الأثر الجانبى الوحيد للرجال هو الجريمة ، وأن كل الرجال مجرمون .

## " كل الرجال مغتصبون ، وهذا هو كل ما هم عليه "

**كل الرجال مغتصبون ، وهذا هو كل ما هم عليه .**

**" مارلين فرنش " ،**

ركن المرأة ، " نيويورك تايمز " ، ديسمبر ٢٧ ، ١٩٨٧ .

تخيل لو أن مقدم البرامج الشهير " جى لينو " وهو يهزل قائلاً إن أحد المغتصبين تم استغلاله بواسطة الفتاة ذات الثلاثة عشر عاماً التى كان قد اغتصبها . ما هو رد فعل الجمهور ؟ هل الصدمة والصمت ، أم الضحك ، أم العبوس ؟

فى الحقيقة ، كانت نكتة " جى لينو " تدور حول " كى ليتورنو " ، الأنثى ذات التسعة وثلاثين عاماً والتى كانت تعمل مدرسة ، حيث قامت بفعل اغتصاب على أحد تلاميذها الذى كان عمره ثلاثة عشر عاماً ، وقد ادعت أن هذا الفتى استغلها وتلاعب بها حتى يتمكن من مشاهدة الأفلام الممنوعة . هل هذه مجرد مزحة أم جزء من توجه له تبعات للصبى ؟ حسناً ، الصبى المعتدى عليه كان مستدعى للمثول أمام المحكمة لعقابه .

ليس هناك اعتداء على الرجال أشد مرارة من توسيع تعريف الاغتصاب بحيث يطال كل رجل منجذب إلى الجنس الآخر باعتباره مغتصبا . فى إحدى الدراسات التى تم نشر نتائجها فى وسائل الإعلام على نطاق واسع ذكر أن

٢٥ ٪ من كل النساء اغتصبن خلال سنوات الدراسة بالجامعة ـ واستخدمت الدراسة للوصول إلى هذه النتيجة سؤالاً هو :

**هل دخلتِ فى علاقة لم ترغبى فيها مع أحد الرجال لأنه داوم على ملاحقتك والضغط عليك ؟**

لاحظ أن النساء هنا لم يصفن أنفسهن كمتعرضات للاغتصاب ، ولكن تم الضغط عليهن . ولكن وسائل الإعلام ترجمت ذلك على أنه اغتصاب . وكما قالت ٤٢ ٪ منهن إنهن ارتبطن بعلاقات عاطفية مع هؤلاء الرجال فيما بعد ( بمتوسط ٢,٠٢ مرة ) .

نحن فى الأساس نقول لأبنائنا إن وظيفتهم هى بيع وترويج أنفسهم ، ثم بعد ذلك نطلق عليهم وصف المغتصبين عندما يقومون بذلك ـ إذا أبدى المشترى ندمه على الصفقة .

خلال دوراتى التدريبية أجعل المشاركين يمثلون الأدوار المعكوسة ، وفى أحد هذه اللقاءات طلبت من النساء أن يقمن بدور الرجل فى لقاء غرامى ، والعكس . بدأت النساء مباشرة فى بيع أنفسهن . لماذا ؟ **كلما أحسن المبادر فى بيع نفسه ، قصرت فترة الرفض المحتمل** . عندما كن يخترن شاباً لا ينجذب إليهن كن يبدأن فى إقناعه بالتمادى أبعد مما يفضل ولم أطلق عليهن فى هذه الحالة مغتصبات ، كنت أحاول أن أجعل من ذلك خبرة مستفاده للجنسين ، ولا أركز على فكرة احتمال الحكم على المرأة بعقوبة عندما تبالغ فى أداء المهمة . الحل إذن يتمثل فى تعويد الجنسين على المشاركة فى التوقعات عند المبادرة بإقامة علاقة عاطفية . بذلك نتجنب الاتهامات ونبدى كثيرًا من التقدير .

## الإخصاء

نعيش الآن فى عصر تعارض فيه القيادات النسائية ختان الإناث فى أفريقيا ، وفى نفس الوقت يضحكن ونضحك جميعاً عندما تقطع " لورينا بوبيت " العضو الذكرى لـ " وين بوبيت " وتقذف به فى حقل مفتوح .

على أية حال ، هذا المعيار المزدوج لا يوجد فقط بين القيادات النسائية . فعندما تناقشت حول هذا الموضوع فى برنامج " مورى بوفيتش " ، ساند الجمهور ( ٨٠ ٪ منه من النساء ) وجهة النظر النسائية : " هذه رسالة إلى الرجال " . عندما ذكّرت الجمهور أن معظم الرجال الذين لهم علاقات نسائية خارج إطار الزواج يفعلون ذلك مع نساء أيضاً ، وتساءلت عما إذا كانوا يريدون إرسال رسالة إلى الرجال تقول إنه إذا لاحظ خيانة زوجته يكون له الحق أن يختنها وأن يتخلص من عضوها المكافىء للعضو الذكرى ، وأن يرميه فى الحقل المفتوح ، ثم ينتظر إلى أن يطلق " لينو " أو " ليترمان " نكاته حول ذلك ، لاشك أن هذا يقلل من الحماسة " للورينا بوبيت " .

إن إدانة الرجال لأنفسهم ولجنسهم مسألة دفينة لدرجة أن المجلات الخاصة بالرجال يمكن أن تطلق بكل حرية نكتة على إخصاء الرجال . فمثلاً ، مجلة " بنتهاوس " ، تصور النساء أكثر من الرجال ، ولكن من خلال التباهى والإعجاب بأجسادهن ، وليس بإزالة أعضائهن الجنسية . ومجلة " كوزمو بوليتان " لا يمكن أن تصور صدر امرأة وهو يقطع وتجرى عليه بعض العمليات ، المجلة تعرف أن النساء سيكتشفن الجاني ويقاطعن المجلة .

## ملعون إذا فعل ، وملعون إذا لم يفعل

فى أحد البرامج التليفزيونية تواجه " ديان " " سام " ( بعد انفصالهما ) وتتهمه بأن حبيبته الجديدة تسيطر عليه . تقول : " ما الذى حدث لـ " سام مالون " الذى قال يوماً ما : " إننا سنفعل كل ما أريده أنا منذ اليوم " ؟ رد عليها قائلاً : " لقد تركناه فى المطعم مع طبق من الطعام يغطى وجهه " . ماذا كانت إجابة " ديان " على ذلك ؟ لقد قالت : " لا يعنى ذلك أننى لم أكن أحبه " .

لقد تحدثت كثيراً إلى عدد من الأشخاص فى مثل حالة " سام " الذين يشعرون بأنهم ملعونون إذا فعلوا ، وملعونون إذا لم يفعلوا . وإليك بعض النماذج :

" منذ عدة شهور ، كانت زوجتى تلومنى بشدة على انشغالى الدائم بعملى . على ذلك توقفت . الليلة الماضية قالت لى : " كيف تستطيع أن تنسى عملك بهذه الطريقة ؟ " .

عندما أجامل امرأة فى العمل وأقول إنها تبدو لطيفة وهى ترتدى ثوباً معينا ، أخشى أن يترجم ذلك على أنه تحرش جنسى ؛ على ذلك أتعمد عدم الملاحظة . ولكن فى أحد الأيام سمعت بالمصادفة إحدى السيدات تعبر عن سعادتها بالعمل مع النساء لأنهن يلاحظن الأشياء الصغيرة مثل الثوب الذى ترتديه ، ولكن الرجل النموذجي لا يفعل ذلك . ومهما فعلت ، أشعر دائماً بأننى رجل نموذجى .

## المعيار الجنسى المزدوج الجديد

**واقعة .** اشتكت امرأة لـ " آن لاندرز " من خيانة زوجها ، الذى هجرته بسبب هذه الخيانة . قالت " لاندرز " : " كم أود أن يزيد عدد النساء من أمثالك . كثير جداً من النساء الرائعات يتخلصن من الغش والكذب والمتطفلين " .

**واقعة .** اشتكى رجل لـ " آن لاندرز " من زوجته التى تخونه . شرح لها التفاصيل ثم قال إنه تركها . كانت استجابة " لاندرز " كالآتى : " يبدو أنك مثل الحاصل على جائزة أسوأ أداء فى سباق الظربان ذوى الرائحة النتنة " .

يبدو أن هذا المعيار المزدوج القائم على التمييز الجنسى ليس فى الصحافة فقط ، ولكن فى كل البرامج الحوارية . كنت ضيفاً على برنامج " أوبرا " التليفزيونى عن " الرجال الخائنين لزوجاتهم " ، بهتت " أوبرا " عندما قلت : " إن إعداد برامج تتكلم فقط عن الرجال هو نوع من التمييز الجنسى ، لأن كل رجل يخون زوجته يكون ذلك مع امرأة أخرى - إذن أمام كل رجل خائن هناك امرأة متزوجة خائنة ، أو امرأة غير متزوجة مشاركة فى المؤامرة ( ضد الزوجة ) " .

قد يعترض البعض قائلاً : " النساء يخنَّ لأسباب مختلفة ، فهن يحتجن إلى الحب " . أقول رداً على ذلك : " نعم ، الرجال والنساء حين يتعلمون الحب الفعَّال ، ستقل حالات الخيانة كثيراً . ولكن احتياجك إلى الحب لا يجعل من لجوئك إلى رجل آخر للحصول عليه أقل إيلاما للرجل . عندما تقول النساء للرجال إن الجنس يساوى الحب ، بينما الرجال يخبرون النساء بأن الجنس

يتساوى مع لعبة التنس ، تكون نتيجة ذلك أن المرأة إذا بحثت عن الحب خارج إطار الزوجية يكون الأمر أكثر خطورة من رجل يتوجه إلى أى مكان للعب التنس ! " .

استطاعت " أوبرا " إيقاف الحوار متشاغلة بتنظيم الجمهور ، وقالت بدبلوماسية : " نعم ، نقطة جيدة " .

غالباً ما نسمع أن الرجل حصل على مدار التاريخ على مزايا المعيار المزدوج القائم على التفرقة بين الجنسين . هذا حقيقى إلى حد ما ؛ ولكن غير صحيح إلى حد ما أيضاً . معظم الثقافات لديها صورة من صور الزواج التى يمكن أن نطلق عليها " العلاقة الثلاثية " : يجب على الرجل أن يدعم كل الاحتياجات الاقتصادية لزوجته وأبنائه . وإذا فعل ذلك ، ولكن لم يجد أن احتياجاته الجنسية تمت تلبيتها من قِبل زوجته ، يتخذ زوجة أخرى ولا يتم نفيه خارج المجتمع مادام قد تمكن من توفير احتياجاتها الاقتصادية هى الأخرى . هذا النظام يتيح لامرأتين الحصول على الدعم الاقتصادى ، وترتاح الزوجة الأولى من أعباء العلاقة الزوجية ، ويحصل الرجل على ما يحتاجه من علاقة جنسية . لا أحد من هذه الأطراف الثلاثة يحصل على إشباع لاحتياجاته العاطفية .

قد يُنظر إلى هذه العلاقة على أنها معيار جنسى مزدوج استفاد الرجل منه أكثر ، أو معيار اقتصادى مزدوج استفادت منه النساء : فالمتوقع منه تلبية الاحتياجات الاقتصادية لزوجته سواء وفرت هى له احتياجاته أم لا . وعندما نركز فقط على المعيار الجنسى المزدوج ، يحصل الرجال على أسوأ الدرجات .

اليوم ، ورغم كل شىء ، نجد أن هناك معيارًا جنسيًا مزدوجًا . فالرجال الذين يخونون زوجاتهم ، مثل " بيل كلينتون " ، يجدون أن الخيانة تدمر حياتهم وسمعتهم . وعلى النقيض من ذلك ، النساء حين يقمن بالخيانة ، يتم تصويرهن باعتبارهن تعيسات ، فى احتياج إلى تواصل أفضل ، وعاطفة أكثر ، واهتمام وحب أكثر . قلة من الناس يتساءلون ما إذا كان " بيل كلينتون " أيضاً قد شعر بالتعاسة الشخصية ، أو كان فى احتياج إلى مزيد من الإثارة والاهتمام والرغبة ، ولكنه كان مقيداً ـ فى البيت الأبيض ، وفى الزواج ، وفى التزامه بأن يدعم ويوفر دور السيدة الأولى لامرأة تعشق هذا الدور وحصلت عليه بمجرد أن حصل هو على منصب الرئاسة .

لقد تم تطوير هذا المعيار المزدوج الآن من خلال الروايات الرومانسية عن المرأة التى تتزوج رجلاً ناجحاً لتضمن الحياة الآمنة ، ثم تحصل أيضاً على جانب

عاطفى خارج إطار الزوجية ثم نطلق عليها " رومانسية " . هذا المعيار المزدوج القائم على الهوى ظهر على أفضل ما يكون فى فيلم عن رواية رومانسية اعتبرت علامة على نهاية الألفية الثانية : ( جسور مقاطعة ماديسون ) .

أذكر خروجى من دار السينما بعد مشاهدتى لهذا الفيلم وأنا أمسح دموعى باحثاً عن المنديل ، شاعراً بالأسى على " فرانشسكا " التى قامت بتمثيل دورها " ميريل ستريب " ، وتعاطفت مع أحلامها المحبطة .

ولكن أضواء النهار أو عتمة الليل ـ لا أتذكر ، جعلتنى أتساءل عما إذا كنت قد عبرت الجسر فى اتجاه واحد . على هذا الجسر كانت امرأة متزوجة ( فرانشسكا ) فى علاقة عاطفية خارج إطار الزوجية ، وأنا أسمى ذلك " رومانسية " . وعندما يكون للرجل المتزوج علاقة خارج إطار الزوجية ، نسمى ذلك خيانة ، أليس كذلك ؟

مثلما حدث فى زواج " فرانشسكا " ، عانى كثير من الأزواج أحلاما محبطة وآمالاً لم تتحقق . ولكن عندما يدخل الرجل فى علاقة ، لا يحس الناس بآلامه ، ولكن على العكس يدان ويقال عنه : " زير نساء " ، مستغل ، مغفل وفاسد ، وذلك أمام ملايين النساء فى ساحات " أوبرا " ، و " سالى " ، و " جينى " ، و " جيرى " ، و " مونتيل " ، و " موراى " ، و " روزيانا " ، و " ريكى " ، " وروزى " . كل هؤلاء ، إذا ارتكبت تلك الجريمة ، فهن القاضيات التسع فى المحكمة الدستورية النسائية العليا .

ومن خلال عملى كمؤلف ، فكرت فى موقف دور النشر ، هل كانت دار النشر ستنشر رواية " جسور مقاطعة ماديسون " إذا كان البطل رجلاً وليس سيدة ، وأن يكون اسمه " فرانسيس " بدلاً من " فرانشسكا " بطلة الرواية ؟ إذا كان " فرانسيس " من الريف الإيطالى وكانت لديه أحلام الهجرة إلى أمريكا وأن يتزوج امرأة تملك مساحات شاسعة من الأراضى ، ألا ينظر إليه على أنه مستغل ؟ هل تباع الرواية باعتبارها قصة رومانسية عن رجل ؟ لا . لن تباع نسخة واحدة .

تذكر كيف أن " فرانشسكا " رفضت أن تصاحب زوجها المحب وأبناءها فى رحلتهم إلى معرض المقاطعة الذى يستمر لمدة أربعة أيام ، والذى تأمل ابنتها فى الحصول على إحدى جوائزه . وما إن تمرّ دقائق على مغادرة الزوج والأبناء حتى يظهر " كلينت أستود " من العدم ويعيشان معاً قصة حب ملتهبة ، وبعد ذلك تعد حقائبها لكى تهرب معه وتهجر زوجها وأبناءها . إذا كان " فرانسيس "

هو الذى فعل ما تفعله " فرانشسكا " ، لم أكن لأخرج من صالة السينما وعيونى ممتلئة بالدموع على " فرانسيس " . ولم تكن القصة لتصبح رومانسية من بطولة " ميريل ستريب " ولكن كانت ستصبح رواية من روايات " ستيفن كنج " المرعبة ومن بطولة " كاتى بيتس " .

لقد تعرضت شخصياً للوقوع فى هذا المعيار المزدوج . إذا ما كان البطل هو " فرانسيس " ، وعرض أسرته للخطر وقضى ساعات وساعات تلتقط له الصور علي هذا الجسر الواقع فى إحدى المدن الريفية فى ولاية " أيوا " ، لم أكن أبداً لأتعاطف بنفس الطريقة . كنت سأشعر بالغضب الشديد لأنه ارتبط بعلاقة مع صحفية متجولة لديها علاقات فى كل مكان فى العالم ، ولم يخلص لزوجته .

إذا عكسنا أيضاً دور " فرانشسكا " كأم ، بدور " فرانسيس " كأب سجل كل دقيقة وكل لحظة من العلاقة فى مذكرات مكتوبة بلغ عددها أربعة مجلدات ، ووضعها حيث يسهل على الزوجة أن تعثر عليها ، لن يكون من الصعب أن نحكم عليه بأنه فاقد للإحساس . وإذا كان قد ترك هذه المذكرات ضمن وصيته لكى يقرأها أبناؤه بعد وفاته ، بحيث تتغير نظرتهم إلى أبيهم وأمهم ( من وجهة نظره وبدون أية فرصة للحوار ) ، لم أكن لأغادر قاعة السينما وفى ذهنى صورته كإنسان وكأب ملتزم .

إن أقوى المعايير المزدوجة ، مع ذلك ، يتضح حين ندرك أن امرأة يمكن أن تتلقى التعاطف لتورطها فى العلاقة رغم تسببها فى المخاطر التى يتعرض لها الأبناء ، وخيانتها لزوجها ووالد أبنائها المحب الملتزم . طبقاً لأسلوب الرواية الرومانسية ، لا تحتاج المرأة الخائنة إلى مبررات ؛ ولا تحتاج إلى أن تعامل كعشيقة ؛ إنها تستطيع أن تخون ، وأن تكون على صواب ، ونحن سنبكى من أجلها فى كل الحالات . وقبل أن يظهر المعيار المزدوج بهذه الدرجة ، لم يسبق لنا أن بكينا من أجل من يخون .

يزداد عمق المعيار المزدوج عندما نضع فى الاعتبار إنكار أحلام الرجال فى مقابل قبول الأحلام النسائية . إن الأحلام الخيالية للرجال تكون غير ظاهرة للرأى العام وفى الغالب تسمى بالإباحية . على العكس ، الروايات الرومانسية تمثل ٤٠ ٪ من مبيعات الكتب فى أمريكا ، ورغم ما فيها نسميها رومانسية . غالباً ما تتضمن هذه الروايات شخصية لرجل يمثل نموذج النجاح وآخر يمثل نموذجًا مجسدًا للجنس ؛ فى حين أن الإباحية تتضمن معاملة المرأة على أنها لا

تصلح إلا أن تكون أداة لإشباع غريزة الرجل . وأنا أسمى الروايات الرومانسية إباحية نسائية لأن تعريفى للإباحية هو " إباحة أى شىء " . فى الإباحية الذكورية تعتبر النساء أدوات لإشباع الغرائز ، وفى الإباحية النسائية يكون الرجال على الأقل أدوات النجاح .

ليس الرجل غرضاً ناجحاً لمجرد أنه يجب أن يمتلك المال لكى يحصل على الحب ، ولكن أيضاً لأن الرواية تتجاهل الضغط الذى يعانيه ويتحمله لإيجاد هذه الثروة . هذا يسمح لها بألا تهتم بتقليل هذا الضغط الواقع عليه ؛ ويسمح لها فقط بالحرية كى تعمل طبقاً لاختيارها ، وليس نتيجة للالتزام ؛ أن تعمل إذا أرادت ، فى المجال الذى تريد . وهذه ليست مشاركة ، ولكنها تفويض مفتوح .

هل تتيح هذه الروايات الرومانسية للمرأة أن تحول هذه العلاقة الغرامية إلى علاقة زوجية ؟ صعب جداً . فى رواية " جسور مقاطعة ماديسون "، بعد أن اكتشفت " فرانشسكا " رغبتها المكنونة ، وبعد أن عاد زوجها وأبناؤها من رحلتهم ، قبلتهم ، ولكن لم تقبله هو ، ولم تظهر أية إشارة إلى رغبتها فى تحويل عاطفتها التى اكتشفتها مؤخراً إلى زوجها .

على ذلك تدعم الرواية التفرقة ما بين الزواج والرومانسية . لا ، بل أسوأ من ذلك . إن التدمير النفسى الذى لحق بزوجها يكون عنصراً مركزياً فى الرواية الرومانسية ، حتى فى روايات الكاتب المحترم " دانييل ستيل " . مثلاً ، فى روايته " To Love Again " تجد " إيزابيلا " نفسها واقعة فى حب رجل يرغب فى تدمير زوجها . وفى رواية " Crossings " ، تحب البطلة ملك الحديد الذى يدمر إخلاصها لزوجها . وبالطبع ، فإن حب " فرانشسكا " لزوجها لم يعد أبداً كما كان . ( وبعد كل ذلك تلوم مجلات المرأة الرجال لخوفهم من الالتزام ) .

نادراً ما تجعل الرواية الرومانسية من البطل رجلاً حساساً . فدائماً نجد أسماء الروايات تكون مثلاً " الحب الجرىء الجميل " وليس " ابتعد عنى حين رفضته " والمعادلة فى هذه الروايات هى : هى تجتذب ، تقاوم ؛ هو يؤدى ، ويداوم بإصرار ويلاحقها .

هذا يحير بعض الرجال : عندما تَرفض المرأة وهى لا تقصد ذلك ، تصبح القصة رومانسية إذا ثابر . وعندما ترفض وهى تعنى ذلك ، فإنه إذا واصل تصبح المسألة تحرشًا جنسيًا أو اغتصابًا فى موعد غرامى . باختصار ، إذا

أحسن التخمين ، تكون مغازلة ؛ وإذا أخطأ التقدير ، يكون تحرشاً . وإذا نجح الغزل ، يتحول إلى زواج وتظهر صورتها في الصحف ، وإذا فشلت المغازلة يتحول الأمر إلى قضية في المحكمة وتظهر صورته في الصحف .

إن قارئات الروايات الرومانسية لسن فقط الأمهات القابعات في البيوت ، بل هناك ٧١٪ منهن ممن يعملن خارج المنزل . وبعد أن اكتشفت دار نشر الروايات الرومانسية " هارليكن " هذه الحقيقة عدلت من خططها لكي تجتذب المرأة العاملة ، وقفزت مبيعاتها في عشر سنوات فقط من ١١٠ آلاف دولار إلى ٢١ مليون دولار أى زيادة بحوالى ٢٠,٠٠٠ ٪ . وتحولت " هارليكن " من شركة على حافة الإفلاس في بداية السبعينات إلى شركة تسيطر على ٨٠ ٪ من سوق الروايات الرومانسية في منتصف الثمانينيات . طبقاً للمعادلة السائدة في روايات " هارليكن " الرومانسية مازال هناك بعض الرجال الذين يوفرون للمرأة الأمان والدعم المادى ، وهذا يعطيها مجالاً للاختيار .

ينطبق ذلك على الروايات التى تتحول إلى أفلام . مثل " جسور مقاطعة ماديسون " أو " البيانو " . إذا كان للبطلة رجل يمثل نموذج النجاح ، فإنها تصبو إلى نموذج يشبع رغباتها العاطفية والحسية ؛ وإذا لم تجد المرأة نموذج النجاح ، تظل تحلم به وتتمناه على الدوام مثلما حدث فى فيلمى " فلاش دانس Flash Dance " و " امرأة جميلة Bretty Woman " .

ما الذى تقدمه المرأة إلى الرجل فى الروايات الرومانسية ؟ الخيال هنا هو وجودها المجرد : جمالها ، روحها ، تكاملها ، خفتها ـ كل هذا يفوق ما لديه ، لذلك لا تحتاج لأن تفعل له أى شىء ، إنه لا يحتاج سوى أن تكون موجودة فى حياته فقط . إنه هو الإنسان الفاعل ؛ وهى الإنسانة . فى الحياة الواقعية ، لاشك أن المرأة تقوم بالكثير للرجال ، ولكن فى هذه الخيالات التى نطلق عليها الرومانسية ، مجرد وجود المرأة يكفى الرجل ؛ ولكن مجرد وجوده لا يكفيها ، فلابد أن يكون أيضاً حافظة نقود . يدفع فيلم " البيانو " هذا التعريف خطوة إضافية إلى الأمام . فالزوج يوفر الدخل الكافى لزوجته كى تنمى روحها ، وفنها ، وحبها للخيال ، بينما هى على علاقة خارج إطار الزوجية مع " رجل حقيقى " رفيق الروح الذى يقدم لها الدعم النفسى والحسى . انهال المديح على الفيلم لأنه يصور " عالماً تكافح فيه المرأة لتجد صوتاً " . البطلة ، التى لعبت دورها " هولى هنتر " ، كانت خرساء ، وكان صوتها هو البيانو الخاص بها .

فى الحقيقة ، يمكن النظر إلى " البيانو " باعتباره فيلمًا يتنافس فيه رجلان بطريقتين مختلفتين لكى يستمعا إلى امرأة : زوجها الذى يقدم لها كل ما يلزم لاستمرارها على قيد الحياة ، ورجل أكثر بدائية يوفر لها احتياجاتها الأكثر بدائية . زوجها يبذل كل ما فى وسعه لكى يقدم لها السعادة والحب والأحاسيس ؛ وهى ترفضه فى كل هذه الجوانب . لم يكن مطلوباً منها أن تقدم له أى شىء . وفضلاً عن كونها خرساء ، كانت لديها ابنة من زيجة سابقة أحضرتها ليربيها زوجها الحالى . ورغم كل ذلك كان يقوم برعاية الابنة ، وكان يتولى كل أمور المنزل من طهو إلى تنظيف ، كما خصص لها غرفة مستقلة . كل ما لاقاه منها هو الرفض ، وعزفها على البيانو ، وخيانتها له . لم تبذل أى جهد لتكسب عيشها من اللعب على البيانو . ولو كانت قد قامت بذلك لكان الفيلم متهماً بالاعتداء على المرأة والسخرية منها ؛ ولكن بدلاً من ذلك تبنته الحركات النسائية وتغنت بمضمونه واعتبرته رمزاً لما تنادى به من ضرورة التعرف على احتياجات المرأة .

طبقاً لرؤية فيلم " بيانو " ، الرجال هم من يوفرون كل الدعم المادى والعاطفى لأزواجهم كى يجدوا أصواتهم وأحلامهم ، والنساء ليس عليهن أى شىء . إذا لمس فيلم مثل هذا عصباً حساساً لدى النساء ، فإن الزواج سيكون بداية لوجود المزيد من مثيلات الأميرة " ديانا " واللاتى يصبن بالإحباط والاكتئاب فى نفس الوقت . أين نجد الزوجات اللاتى يوفرن الدعم المادى والعاطفى لأزواجهن كى يجدوا أصواتهم وأحلامهم ؟ من المحتمل ، اليوم ، أننا نعيش فى عالم من الرجال الذين لديهم قليل من الأمل لحصولهم على آلة البيانو ( أى الأحلام ) الخاصة بهم ، ثم يجدون أن الأكثر واقعية أن يصبحوا خرساً .

إن المعيار الجنسى الجديد المزدوج ، الذى يصف غراميات النساء بالرومانسية ، ويعتبر غراميات الرجال اتهامًا بالتقصير ، يسمح للمرأة التى تقيم علاقة بأن تقول الحقيقة بسهولة لأن الرومانسية تخلق تعاطفًا وإثارة ، وليس نفياً أو أحكاماً ؛ بينما إذا أقام الرجل علاقة يشعر بمزيد من الضغط حتى يكذب لأنه سُيدان ، وعندما يكذب يتهم بالحلف كذباً سواء فى المحكمة أو فى المنزل .

إليك أربعة أمثلة تكاد تكون نمطية تعبر عن شعور الرجل بأنه يخضع لمعيار مزدوج فى موقع العمل بما يولد لديه الإحساس بالتعرض للاعتداء الظالم .

" فى الأسبوع الماضى اتخذت قراراً بدون استشارة زميلتى فى العمل . قالت إننى " شوفينى " أو متعصب للرجال . ولكن هذا الأسبوع اتخذت هى قراراً مشابهاً بدون أن تستشيرنى . سألتها عن سبب عدم استشارتى . قالت إنها تتمتع بالاستقلالية ، فلماذا لا أستطيع أن أتعامل مع امرأة مستقلة " .

" كنت منشغلاً فى عملى لكى أتمكن من الانتهاء من أحد المشاريع قبل الميعاد النهائى لتسليمه . طلبت من إحدى الزميلات أن تعد لى فنجاناً من القهوة . قالت : " هكذا الرجال " . رغم أنها فى الأسبوع السابق طلبت منى إعداد فنجان من القهوة لها . كيف يكون طلبها مجاباً وطلبى نوعًا من التعصب ؟ " .

" تم تعيينى أنا " وسوزان " فى نفس الوقت . عندما ترقيت أولاً ، قالت " سوزان " عن ذلك إنه تمييز بين الجنسين . ولكن " كريستين " التى تم تعيينها بعدنا نحن الاثنين ، تمت ترقيتها إلى وظيفة أعلى قبلنا نحن الاثنين ( أنا وسوزان ) . قالت " سوزان " إن هذا تكافؤ فرص " .

" أعمل فى مصنع . الأجر محدود والعمل متكرر . تقول النساء إن الإدارة تستغلهن . والكل يوافق على هذا القول . ولكن ما إن ذكرت مرة أننى أشعر بأنه يتم استغلالى ، طُلب منى أن أترك العمل وأن أبحث عن وظيفة أفضل " .

## لماذا لا يستطيع الرجال أن يسألوا عن الاتجاهات ؟

لن تفوتك السخرية الكامنة فى هذا السؤال . لاحظ ، فى الرسم التالى ، لاحظ أن الدكتورة " ليندا " لا تطلب من المرأة الجالسة فى المقعد الخلفى أن توجه التقدير للرجل الذى يقود السيارة ، ولا تطلب منها أن تتولى مسئولية البحث عن الاتجاهات فى الدليل لأن زوجها هو الذى يتولى مسئولية القيادة ، بدلاً من ذلك ، يوجه اللوم إلى الرجل لما لا يفعله بدلاً من شكره على ما يفعله .

## القرب من المنزل




ورغم أن الرجال هم الأكثر تردداً على زيارة الإنترنت والتجوال والملاحـة فـى " السيبرسبيس " ، حتى إن هناك من يوجه لهم الانتقاد لأنهـم لا يسـألون عـن الاتجاهات . وبالمناسبة وجدت خلال ملاحتى فى الإنترنت هذه المزحة :

**س** : لماذا يتطلب الأمر مليون حيوان منوى للعثور على بويضة واحدة ؟
**ج** : لأن الرجال لا يمكنهم السؤال عن الاتجاهات .

أنا شخصياً مقتنع بأن عدم السؤال عن الاتجاهات يعتبر عيبـاً فـى الـذكور . ولكن هذا الأمر يندر أن يناقش على أنه الجانب المظلـم لعناصـر القـوة الذكوريـه الأربعـة : الاعتيـاد علـى الاعتمـاد علـى الـنفس وحـل المشـاكل والإقـدام علـى المخاطر وعدم الخشية من ارتكاب الأخطاء ـ حتى ولـو أمـام المـرأة التـى يحبهـا ( أو أى شخص آخر ، فى هذا الشأن ) . فى الحقيقة ، إذا كـان للرجـال مثـل هذا الغرور الهش ، لمـاذا إذن لا يتخـذون بعـض الاحتياطـات حتـى لا يظهـروا بمظهر الحمقى ؟ .

نحن دائماً ما نتهم الرجال بأنهم يركزون دائماً على تحقيق أهدافهم أكثر من اللازم . ولكن عندما يقاومون السؤال عن الاتجاهات ، ألا يعكـس ذلـك رغبـتهم فى أن يكونوا أقل تركيزاً على الهدف ( " تبدأ الحفلة فى الساعة الثالثة ، لابد

أن نكون هناك فى الثالثة تماماً " ) وأكثر تركيزاً على العمليات ( " دعينا نكتشف معاً " ) ؟

لاشك أن النساء أفضل كثيراً في السؤال عن الاتجاهات ، وهذه نقطة قوة .
ولكن مثل كل قوة ، هناك أيضاً جانب مظلم : الاعتمادية . إننا لم نسمع أبداً عن نكتة رويت بهذه الطريقة ، للتعبير عن السخرية من النساء لكثرة كلامهن عن المساواة :

س : لماذا هذا العدد الكبير من الحيوانات المنوية لإيجاد بويضة واحدة ؟
ج : لأن البويضة مشغولة جداً بالتمرين على خطابها الذى ستلقيه عن المساواة وضرورة لقاء الحيوان المنوى فى منتصف الطريق .

لعل السؤال الحقيقى الذى يجب أن يُطرح هو : " فى عالم يدّعى المساواة ، لماذا نتوقع أن يتحمل الرجال مسئولية القيادة والسؤال عن الاتجاهات ؟ عندما تتولى امرأة مسئولية تولى الملاحة ، يكون من ضمن مسئولياتها السؤال عن الاتجاهات " .
عندما أكون مسافراً وأضل الطريق ، أشجع شريكتى على الوقوف للسؤال عن الاتجاهات . وإذا لم تتوقف ، أجد أن التصرف الأكثر فاعلية هو أن أسحب خريطة وأشركها معى فى البحث عن الطريق الصحيح بدلاً من فتح فمى والبدء فى توجيه اللوم لها .

## الزُّهرة جيدة ، المريخ سيئ

الزهرة هى إلهة الحب ؛ والمريخ إله الحرب . فإذا كان الكتاب معنوناً " الرجال من كوكب الزهرة ، والنساء من كوكب المريخ " ، ستسارع رائدات الحركات النسائية بالاعتراض للربط بين الرجال والحب ، والنساء والحرب .
لاشك أن الرجال لديهم تاريخ طويل كمحاربين ، والنساء كمربيات ، وأفرز ذلك صفات مختلفة ، لذلك يدعونا " جون جرى " لكى نتفهم بدلاً من أن نصدر أحكاماً ، وذلك يشابه فهمنا لشخص ما من ثقافة أخرى . وهذه واحدة من مساهمات " جرى " الإيجابية . ومع ذلك ، فالمقصود هنا هو اختلاف التوجهات الناتجة عن اختلاف الأدوار بين الجنسين ، وإذا كان يوجد كتاب

تحت عنوان " الرجال من الشجاعة والنساء من الجبن " ، فسوف تعترض الحركات النسائية على أن تصبح هذه الصفات عنواناً يركز عليه الكتاب .

إن عناوين كتب مثل " الرجال من المريخ والنساء من الزهرة " ليست هى المشكلة فى حد ذاتها . المشكلة هى أنها جزء من ثقافة لا تسمح بتصوير النساء على أنهن موضع للنقد حتى فى عناوين تصورهن فى صورة جيدة ، والرجال فى صورة سيئة ، وهى العناوين التى تضمها قائمة أفضل المبيعات ( نساء ذكيات ، اختيارات غبية ؛ نساء ناجحات ، رجال غاضبون ؛ لا يوجد رجال جيدون .. إلخ ) .

الكتب الأخرى التى تحمل عناوين محايدة تمثل غطاء لانتقادات موجهة للرجال ليس فى العنوان ولكن فى المحتوى . مثال ، فى كتاب " He says / She says " والذى يحكى عن الخلوة الرومانسية ، وفندق رقم ٦ ؛ وعن الوجبة الدسمة ، " هوت دوج " بالتوابل الفرنسية ... باختصار فإن العنوان المحايد " هو يقول / هى تقول " يخفى مضموناً يؤكد أنها تقول وأنه أحمق .

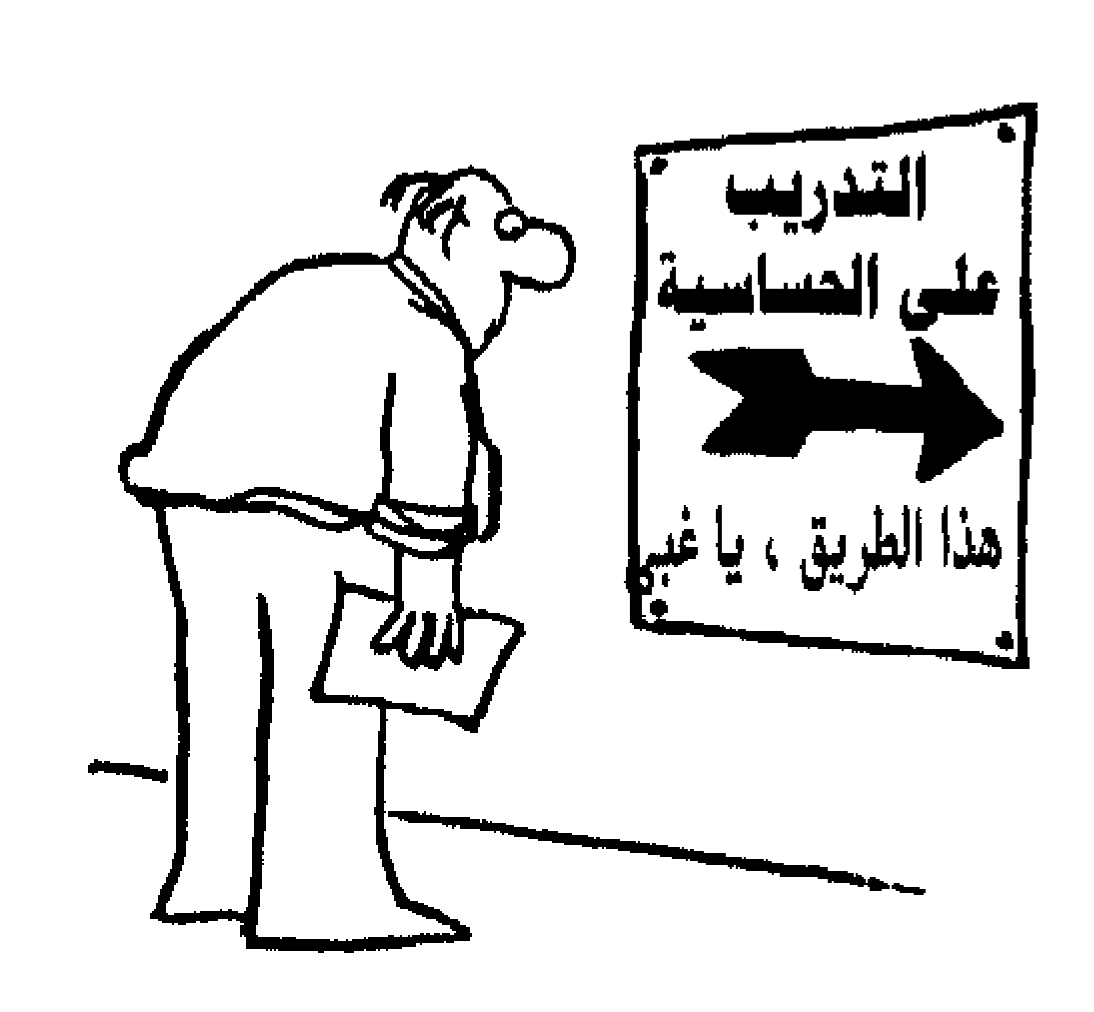
بوضوح أكثر ، عنوان مثل " Women Who Love Too Much " يشير إلى أن النساء يعطين الرجال من الحب أكثر مما يرغبون أو يطيقون . وهذا الكتاب اختار المؤلف عنوانه بذكاء شديد لأنه خلق انطباعاً خفياً بأن النساء يلمن أنفسهن ، بينما الحقيقة أنه إثبات على أخطاء الرجال وعدم قدرتهم على إعطاء الحب . كتب عديدة فى هذا الإطار منها أحد الكتب الذى تحاول فيه امرأة استبطان مشكلتها فى حب الرجال بشره ، بينما الحقيقة هى أنها توجه اللوم إلى كل الرجال : الرجال الكارهين للنساء اللائى يحببنهم ، وكذلك النساء اللائى يحببن القتلة . وأخيراً هناك عنوان كتاب " How to love a difficult man " .

## عندما تدخل النساء عالم الرجال

لاحظ فى الرسم التالى ، كيف أن " من هذا الطريق ، يا غبى " هو فى الحقيقة " طريقها ، يا غبى " . إنها مفارقة حيث إنه فى المؤسسات التى يسود فيها الرجال " ، تكون قواعد التعامل بين الجنسين من إعداد قسم تنمية الموارد البشرية ، حيث يسود تعريف الحركة النسائية للحساسية ، ويقبله الرجال رغم

أنهم يعرفون أن هذا يقلل من قدرتهم على زيادة دخولهم لرعاية عائلاتهم ، وذلك لأنهم إذا رفعوا أصواتهم فى العمل فسوف يخسرون وظائفهم .

عرض للقدرة على الاحتمال ، رسم " دون أديس " .




عندما تصدر لائحة بالتفرقة الإيجابية والأعمال التى تندرج تحت وصف التحرشات الجنسية ، وتضاف إلى قسم " هذا طريقها ، يا غبى " ، سيشعر كثير من الرجال بأن المرأة عندما تدخل عالم الرجل ، سرعان ما يتحول إلى " عالم النساء " .

ما الذى يحدث إذا أشار رجل إلى أن إحدى النساء أقل معرفة بأحد الأمور التى تخص العالم التقليدى للرجال ؟ حسناً ، هل تذكر عندما قال " رونالد ريجان " خلال فترة رئاسته إن النساء فى المؤسسة التشريعية أقل قدرة من الرجال على مناقشة الأمور التى تخص التسليح فى الجيش ؟ لقد أدين على كل المستويات . إنه لم يقل إن النساء لا يمكن أن يتعلمن ، ولكن كل ما قاله إنهن لم يتعلمن . منذ ذلك الحين لم أسمع عن قائد سياسى آخر قال إن النساء محدودات فى أى مجال فى المعرفة أو الاهتمامات .

وعلى النقيض ....

## عندما يدخل الرجال عالم النساء

نتكلم كثيراً عن الرغبة فى مشاركة الرجال فى المسئوليات التقليدية للنساء ، وبدلاً من خلق حركة إيجابية لتيسير هذه المشاركة ، نسخر منهم ونتهكم عليهم عندما يحاولون ذلك .

فـــى حملـــة إعلانيـــة يظهـــر الـــزوج وهـــو يمـــلأ غســـالة الصـــحون الأتوماتيكيـة بـالأغراض . وهـو يظـن أنـه يـؤدى عمـلاً جيـداً ، ولكـن المشـاهد والزوجة يعرفان أن إنقاذه سيكون فقط على يد " كاسكيد " الـذى يخرجـه مـن هذا الموقف الذى سببته له حماقته . تخيل ، فى المقابل لو أن إعلاناً فى وكالـة " تكساس " للإعلان يصور امرأة تحاول أن تجرى عملية حسابية وتخطئ ، ثـم يقدم لها زوجـها آلة حاسبة من ماركة معينة لتصحيح كل أخطائها ، ثم يسـخر منها زوجـها وهو يرى هذا الموقف . ستقوم الهيئات العلمية والجامعات بمقاطعـة هذا المنتج ، أو لعلها ستكون مقاطعة نسائية .

لاحظ فى الرسم التالى أن الرجل لا يُشكر على ما اشـتراه ، ولكـن يوجـه لـه اللوم على الخطأ فى شرائه . تخيل لو أن زوجة تظهر من أسـفل سـيارة الأسـرة التى كانت تصلحـها ، ويقول لها زوجـها إنهـا أخطـأت بوضـع نـوع معـين مـن الزيوت ، وتجيب عنه الزوجة : " لأننى فى الحقيقة غبية " ؟ .

**" درابل "** ، رسم " كيفين فاجال "










هل السخرية من الرجال تحدث لمجـرد أنهـم رجـال ، أم لأنهـم لا يعلمـون شيئاً ؟ راقب الإعلانات التجارية التى تظهر امرأة تقـدم أحـد المنتجـات لامـرأة أخرى لا تعلم شيئًا عن هذا المنتج . ستبدو هذه السيدة أنها اسـتفادت ، ولـيس على أنها غبية ، وبذلك يتم الحفاظ على صورتها وإشباع غرورها .

## الأم الطبيبة ، الأب الكسول

هل تبحث عن معجون للأسنان ؟ تفضل الأمهات معجون " أكـوا فـريش " . هل تبحث عن النوع الأفضل من الحبوب ؟ " كيكس " هـو الأفضـل لأنـه تمـت

تجربته من قبل الأطفال وأوصت به الأمهات . لقد أصبح شعار " الأم تعلم أكثر " هو الشعار الأوحد لدى كل شركات الدعاية والإعلان .

يتم إظهار الأم على أنها الطرف المسئول ، تأمل كلمات الإعلان حول حفاضات " بامبرز " : " أكبر قدر من الجفاف يمكن أن تقدمه الأم " . رغم أن ملايين الآباء يغيرون الحفاضات للأبناء . لو أن مستشفيات " شارتر " قدمت إعلاناً يتضمن : " أفضل صورة لطبيب يمثلها الرجل " ستظهر فوراً حملات النقد والاتهام بالتمييز على أساس النوع . بينما نجد بعض الإعلانات عن أدوية علاج البرد مثل " روبيتوش " تصور الأمهات على أنهن " أمهات طبيبات " ، بينما تصور الآباء وهم منزعجون من الأبناء المرضى الذين يمنعونهم من مواصلة النوم . الأم الطبيبة ، والأب الكسول .

وهذا هو التوجه السلبى السائد فى جميع أنحاء العالم تجاه الآباء . عام ١٩٩٨ ظهر على غلاف مجلة تايم ، الإصدار الأيرلندى ، عنوان كبير : " من الذى يحتاج الآباء عندما يتعلق الأمر بتربية الأبناء ؟ " بالطبع لا استغناء عن الآباء عندما يتعلق الأمر بالمصروفات ، ولكن عندما يتعلق الأمر بالحب والرعاية فإن الرجال يتم استبعادهم تماماً ولا يصلحون لمثل هذا ، وحتى المقال نفسه يشبه الآباء بالقرود فى حديقة الحيوان ، عندئذ يكون حال العائلة كما يلى : إذا كان هناك مصدر آخر غير موارد الأب يمد الزوجة والأبناء بموارد المعيشة والمأكل فسوف يتمكن الأب من قضاء وقت أطول مع عائلته وأبنائه .

لحسن الحظ ، فى أواخر التسعينات ، بدأت الإعلانات التجارية فى تصوير الآباء فى صورة أكثر إيجابية . وفى صناعة بطاقات لم تجد سوقاً رائجة لإنتاج البطاقات التى تسخر من الآباء الكسالى . إن قسوة النساء تجاه الرجال لا يثيرها إهمال الآباء لأطفالهم ، وإنما إهمالهم للنساء .

## الرجال بصفتهم حمقى

" أتبحثين عن رجل يكون ذكاؤه فى نفس مستوى ذكائك ... هل تبدو عبارة " إنه شىء مستبعد " مألوفة بالنسبة لك ؟ " ، هذه العبارة مكتوبة على بطاقة بريدية ومرسلة إلى امرأة تعشق التميز ، وتحب أن يثنى عليها الجميع بأنها امرأة شديدة التميز لدرجة أنه لا يوجد رجل يستحق حبها ، وشركة البطاقات التى تغذى غرورها وإدمانها لهذا الإطراء هى شركة " مين لاين " .

هناك تعبير آخر ظهر على بطاقة للتعبير عن الحرية : " المرأة المتحررة تستطيع أن تزرع الزوج الأحمق الذى تريده " . تخيل أن رجلاً أرسل لآخر مثل هذه البطاقة التى تحمل عبارة " جهز لنفسك وصفتك الخاصة ... ازرع امرأة " ، أو الأستاذ الجامعى الذى يرسل بطاقات للآخرين بعد استحواذ أحد الزنوج على وظيفته " جهز لنفسك وصفتك الخاصة ازرع شخصًا أسود " .

أما إذا كانت المرأة تفضل الحلويات ، فيمكنها أن ترسل بطاقات تتعلق بالرجل وتكون كلماتها كالتالى : " لقد خبزت رجلاً بالجنزبيل ، صحيح التركيب وكامل المقادير ، ولم أضف إليه عقلاً " . هذه البطاقة صنعتها شركة " هولمارك "




ازرعى رجلاً !

كثير من بطاقات التهانى الأمريكية ، لا تعتبر العبارات التالية خارجة على المألوف : أفكار خاصة بأعياد الميلاد ؛ لقد تعلمنا كل ما يلزم أن نتعلمه فى دور الحضانة ، ... الصبيان حمقى . ولكن الغريب أن شركات البطاقات افترضت غباء النساء فكتبت على هذه البطاقات " للنساء فقط ، أو لأعياد الميلاد النسائية فقط " .

إن الرسائل التى تظهر الرجال على أنهم حمقى كانت موجودة دائماً ومازالت ولكنها أصبحت الآن أكثر تطوراً وازدادت شعبيتها . فمثلاً فيلم

" غباء × غباء " يعتبر صورة معدلة وحديثة لفيلم " الأغبياء الثلاثة " . أما الشيء الجيد في الرجل المعاصر فهو أنه أكثر كفاءة ، فالأمر لم يعد يتطلب ثلاثة رجال للاتصاف بالحمق ، ولكنَّ رجلين أصبحا يكفيان ( فيلم : غباء × غباء ) .

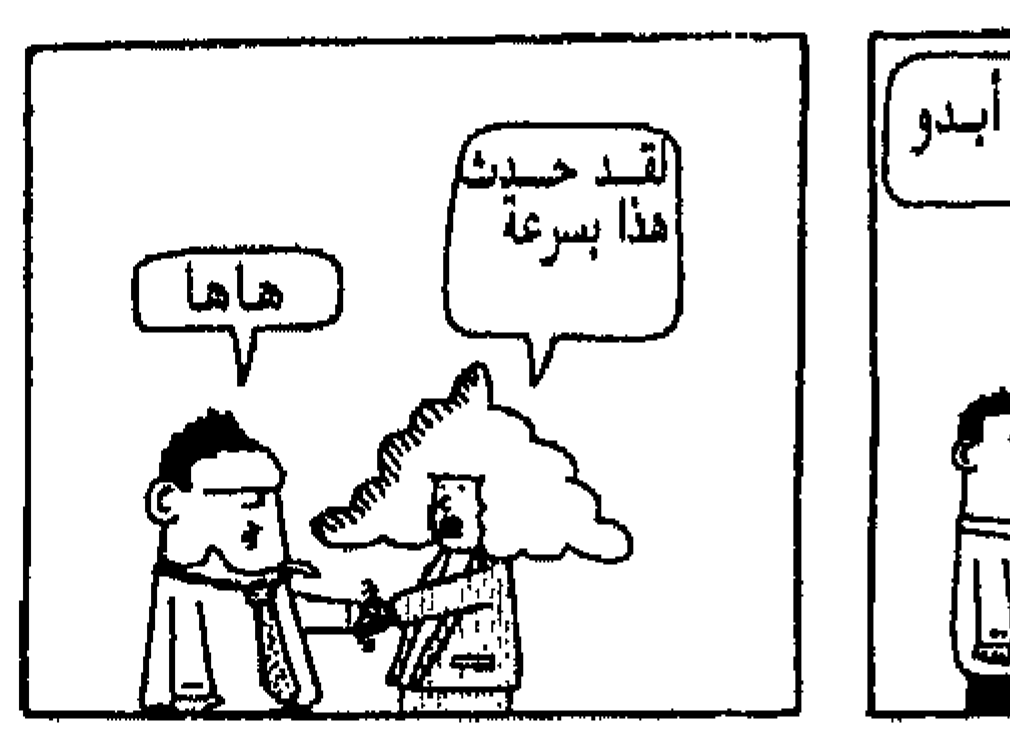
هناك طريقة أخرى يتمكن الرجل بها من الفوز وهي أن يبادر بالإعلان بأنه غبي ، وبذلك يجنب نفسه الدخول في لعبة " التكافؤ " الخاصة بالنساء ، وعندما تصبح المرأة واثقة من نفسها ولا تخاف المنافسة أو الرفض فسوف تقبله على علاته . تخيل مثالاً على ذلك في شكل رسم كاريكاتوري وفيه امرأة تقول لرجل : " مرحباً يا " آل " ، أنا الفتاة الجديدة ... عندما تعرفني أكثر سوف أبدو أكثر حماقة " .

" ديلبرت "










تخيل لو أن وكالة إعلانية صممت إعلاناً عن رجل يصيح في امرأة سوداء تضع علامة المكان الشاغر في مكان عقلها ؟ ستتلقى الوكالة فوراً احتجاجات تدفعها لوضع لافتة بنفس المعنى على نوافذها . ولكن في الواقع ، هناك إعلان تليفزيوني عن فندق " رامادا " تظهر فيه امرأة توبخ رجلاً لأنه اختار فندقاً آخر بدلاً من فندق " رامادا " ، وأخذت تسبه وتلعنه وقالت له إنه لا يمتلك عقلاً . وبدلاً من أن يتم تحديد هذه الوكالة الإعلانية أو مقاطعتها ، طلب منها إعداد نسخة أخرى من هذا الإعلان وهي ، " إهانة المدير العام " ، وتظهر فيه المديرة وهي تقلل من شأن زميلها المدير قائلة له : " أيها الأحمق ، ما الذي تعرفه عن الفنادق ؟ إن عقلك يماثل بنكا خاليًا من النقود " . عندما يتعلق الأمر بالرجال فهناك الأحمق والأكثر حمقاً .

بينما تصور كوميديا الموقف كلا الجنسين باعتبارهما أغبياء ، فإن السينما تختار أحد الجنسين لتركز على غبائه باعتباره المحور الرئيسي للفيلم مثل

فيلمى " فورست جامب " و " بيلى ماديسون " وهما يمثلان هذه النوعية من الغباء . وهناك بعض الأخبار الطيبة أيضاً : إذا كان الرجل غير متزوج ولكنه واضح الغباء ، يمكن إظهاره صالحاً وحكيماً إلى حد ما ( تذكر بيتر سيلرز فى فيلم " أن تكون هناك " ) لماذا ؟ لسبب واحد : هؤلاء الرجال ليسوا هم النوع الذى تريده النساء ، لذلك لا تشعر النساء بأنهن مرفوضات منهم . هؤلاء الرجال يمكن تصويرهم على أنهم حكماء وغير متزوجين وهو ما يعنى عدم وجود امرأة تخسر إذا لم تكن معهم .

## قم بالأداء إذا لم تستطع ، وبالمزيد من الأداء إذا استطعت

استطاعت الفياجرا مساعدة ملايين الرجال على الأداء الأفضل فى مجال واحد ، أكثر من عشرات الاقتراحات التى قدمتها مسلسلات الرسوم عن أدوية أخرى تعمل عليها شركة " فايزر " للتغلب على عجز الرجال الواضح فى كل المجالات . أحد أطرف التعليقات وأكثرها انتشاراً هو اللعب على نغمة " الفياجرا " ، وذلك مثل " ديركترا " والمأخوذة من كلمة Direchions والتى تعنى الاتجاهات لمساعدة الرجال على أن يسألوا عن الاتجاهات . و " بروجكترا " المأخوذه من كلمة " Project " والتى تعنى " مشروعاً " وهى تساعد الرجال على إنهاء مشروعات صيانة الأجهزة المنزلية .

المثير فى الأمر ، أننى لم أقرأ أبداً موضوعًا يعطى التقدير الكافى للرجال عند إنجازهم الأعمال المنزلية . هل نحن الآن فى عهد انتقاد الرجال على عدم استكمال ما لم نطلبه منهم أو لم نعترف بأنهم بدأوا العمل فيه ؟ ربما يتعاطى الرجل " ديركترا " لكى يتمكن من السؤال عن الاتجاهات وتتعاطى المرأة " بروجكترا " حتى تتمكن من إنجاز الأعمال المنزلية .

هناك أيضاً دواء " كومبلمنترا " والمأخوذ اسمه من كلمة " compliment " أى مجاملة والذى يزيد من عطاء الرجل فى مجال المجاملات حول تصفيفه شعر المرأة . نعم يمكن تحقيق بعض التحسن بهذا الدواء . ربما أيضاً إذا تعاطت المرأة بعضاً من دواء " كومبلمنترا " أن تشجع الرجل على أن ينهى إصلاح المعدات المنزلية بدون تناول " بروجكترا " .

هناك أيضاً دواء " باياجرا " المشتق من كلمة " Buy " والتى تعنى شراء ، والذى يعمق من اقتناع الرجال بشراء مجوهرات غالية الثمن كهدية للمرأة .

وتبدو فكرة هذا الدواء عالية القيمة ليتناوله الرجال فى يوم عيد الحب ، حيث إنهم الأقل رغبة فى شراء هدايا للنساء .

هناك أيضاً دواء " نيجا - سبورتاجرا " الذى يقال إنه يجعل الرجال أقل ميلاً لمشاهدة المباريات الرياضية وبذلك يتحدثون مع أعضاء عائلاتهم . فكرة طيبة . ولكن باعتبار أن السيدات يشاهدن التلفزيون أكثر من الرجال فى كل فرصة ممكنة . لماذا إذن نقترح دواء للرجال فقط ؟ ألا يكون ذلك بمثابة توجيه اللوم فقط إلى الجنس الذى قلما يشاهد التلفزيون وعادة ما يتهم بمشاهدته بهدف الهروب من المسئولية ؟

## أبناؤنا يرثون الغضب

هل يرث أبناؤنا الغضب ؟ إن الأمهات المطلقات يعلقن على الآباء تعليقات سلبية أكثر من تعليقات الآباء السلبية عليهن خمس مرات . هذه النسبة مرجعها الأبناء أنفسهم ( ٥٤٪ من الأبناء ذكروا أن أمهاتهم تكلمن بالسوء عن آبائهم أمامهم ؛ و ١٢٪ قالوا إن آباءهم تكلموا بالسوء عن أمهاتهم أمامهم ) . هذا التسميم لعقول الأبناء تجاه آبائهم هو نوع من التمويه فى صورة مزاح من النساء حين يرسلن لبعضهن بطاقات بريدية مثل هذه البطاقة :




ماذا يقوم الرجال حين تسمى المرأة اعتداءها عليهم مزاحاً ...

عندما ينظر أبناؤنا إلى المرآة ويرون أنفسهم يمتلكون نفس لغة جسد آبائهم ، يتعلمون أن نصفهم جينياً هو النصف الأحمق ، أو الغبى ، أو الكسول . بل إن بناتنا أيضاً طالهن نفس الشيء : لديهن أيضاً نصف جينات الأب . ومن الصعب تعليم بناتنا الحب إذا كنا نعلمهن أنه ليس هناك من يستحق هذا الحب .

هذا الإيذاء غير الواعى لأبنائنا بشكل خاص ، ولبناتنا بطريقة غير مباشرة ، هو ظاهرة شديدة الوضوح فى مدارسنا .

تقول إحدى المعلمات من " بوسطن " : إن الفتيات ارتدين قمصاناً مكتوبًا عليها " قاعدة الفتيات " وكن يصحن بعبارات مثل " الصبيان يذهبون إلى المشترى .. ليكتسبوا مزيدًا من الغباء ، والفتيات يذهبن إلى الجامعة ليكتسبن مزيدًا من المعرفة " . وتقول المعلمة إنها قامت من جانبها بمحاولة لإحداث التوازن فكتبت على مجموعة قمصان للأولاد " الفتيان صالحون " ، وقد اندهشت وفوجئت بأن كل المعلمين الذين كانوا تحت التدريب والذين كانت تشرف عليهم . اعترضوا علي القمصان الموالية للفتيان ، لقد اعترض معلمو المستقبل ، ألا يعنى هذا شيئاً ؟

دعونا نلق نظرة على بعض الأدبيات التى يكلف التلاميذ بقراءتها ، أليس هؤلاء هم قادة المستقبل ؟ فى أحد أعمدة " مجلة العلوم الرياضية المدرسية " تحت عنوان " مادة الرياضيات الشخصية لفترة التسعينات " وهو يتضمن مقتطفات من " هو يقول ، هى تقول " وهى مقالة تصف كيف التقيا فى طريقهما إلى فصل الرياضيات . تكلم هو عن ذكائها وعن " أمله فى بدء علاقة حميمية " مع " حبيبتى المستقبلية " ؛ تكلمت هى عن غبائه ، وعن " نكاته السخيفة " ، وآمالها فى التخلص منه . هل تتصور ذلك ؟

يتصف الغضب الذى يطغى على موسيقى الراب بأنه غالباً ما يكون موجهاً من الرجال إلى النساء . ولكى نكون أكثر تحديداً ، نجد أن غضب الرجال تجاه النساء يلاقى الاعتراض والنقد ، أما غضب النساء تجاه الرجال فينال الاستحسان والتصفيق . فعلى سبيل المثال ، فى إحدى حفلات عيد الحب ، والذى من المفترض أن يسود فيه الحب بين الرجال والنساء ، احتشد عدد كبير من المطربات الزنوج فى ساحة " لوس أنجلوس " للألعاب الرياضية ، وقامت هؤلاء المطربات بأداء أغانٍ تصف الرجال بالقذارة . وقد أوحت إحدى المغنيات

للحضور من الرجال بترديد بعض العبارات مثل " اصنع المال " والتى تشير إلى أن المرأة لا ترى الرجل إلا كمصدر للمال ، كما دفعت النساء إلى ترديد عبارات مثل " استحوذى على المال " كرد على عبارة الرجال مما يثبت أن الرجال يحصلون على المال والنساء يستحوذن عليه وطلبت مغنية أخرى من كل النساء أن يفتشن عن المال فى جيوب الرجال المجاورين لهن ، وبعد أن بدأت النساء بالفعل أخذت فى تهدئتهن . إن ذلك الموقف يشبه الطفل الذى يسب والده وبعد لحظات يطلب منه مصروفه الشخصي .

## دعي الرجال يتحملون المخاطرة الجنسية ، ارفضيهم ، ثم اضحكي

فى أحد الإعلانات التلفزيونية عن منقذى الغرقى ، كانت المرأة تسحب الرجل على وعد بمشاركتها فى حلقة الإنقاذ ، ولكن فجأة نجدها تبعده بدون رحمة حتى تستولي على حلقة الإنقاذ وحدها . يأمل هذا الإعلان فى خلق رابطة بين إنقاذ الحياة والأنثى باعتبار أنهما معاً انطلقتا ضاحكتين على هذا الرجل المسكين المرفوض . المثير فى الأمر أن هذا الإعلان لو كان معكوساً ، بحيث يكون الرجل هو الذى أبعد المرأة بفظاظة بعد أن ظل ممسكاً بها لفترة طويلة ، كان رد الفعل سيختلف حيث ستوجد الرابطة بين المرأة وإنقاذ الحياة لتتشاركا فى الغضب من هذا الرجل الأنانى الطماع الذى رفض المرأة .

بفرض أن المرأة لم تجد وسيلة لإنقاذ الحياة ، إنها ستكون مستعدة بعطر " كوتى نوانس " ، لأن " نوانس " دائماً يقول " نعم " ولكنك تستطيع دائماً أن تقول " لا " . بهذه الطريقة إذا ظل الرجل على موقف القبول ، فستقاضيه المرأة بتهمة التحرش الجنسي ، لأنه تجاهل تعبيرها اللفظي بالرفض . وهنا إذا وُجِدَ محامٍ جيد ، وقاضٍ مناسب ، ستحصل على التعويض الذى يوفر لها منقذات الحياة مدى الحياة .

أحد مصادر الهزل والمرح لكُتاب المسرح ، هو الرفض الجنسى للرجل ، حيث يوفر هذا الموقف عشرات من مستويات الضحك الذى يتزايد كلما تزايد الرفض . إليك هذا المثال من " شيرز " عندما طلب " كليف " من النادلة " كارلا " التى تعمل فى مقهى " ميل مانزبول " ، أن تصحبه فى إحدى الحفلات الراقصة ، كان شديد الارتباك ، وكان قد أعد طلب الزواج منها مكتوباً حتى لا يرتبك وهو يبلغها به هاتفياً . بعد أن وافقت ، وافق هو على

طلباتها : ثوب جديد وجهاز فيديو ومشد نسائى . بل إنه وعدها بأنه لن يرقص معها . بعد كل ذلك رفضته وضحكت فى وجهه ساخرة . فما كان منه إلا أن بكى . وانفجر المشاهدون ضاحكين ساخرين منه فى كل مرة ترفضه فيها . وإذا كان قد حدث العكس وأن الرجل هو الذى رفض المرأة ، لغضب الجمهور منه وازداد غضبه كلما أصر على الرفض .

## رؤية الرجال على أنهم كتلة من اللحم

إن بعض الرسوم الهزلية تبين مصدر الغضب الذى يقود إلى توجيه النقد اللاذع إلى الرجال ومعاملتهم كأشياء وليسوا آدميين : هذا المصدر هو الطلاق .

ما يظهر الانحناء رسم " دون أديس "




بعد أن يصدر هذا الكتاب ، ويمر وقت كافٍ حتى يراه كل أعضاء نقابة الرسامين ، قد نشاهد رسماً مماثلاً يصور الوضع العكسي ( حيث يقول الرجال لبعضهم ، " لقد استطعت التخلص من ٢٠٠ رطل من الدهون السيئة ـ حصلت على الطلاق " ) . وأتحداهم أن يفعلوا ذلك لأن النتائج ستكون وخيمة : سيتناقص التوزيع ؛ وسيتلقون عديدًا من الشكاوى ، وسترسل شكاوى أخرى عديدة إلى نقابتهم .

وها هى صورة مطبوعة من أحد إعلانات التليفزيون ، والتى سأحاول وصفها بعد ذلك .




**المشهد** : نافذة عرض اللحوم فى أحد المتاجر . اللحوم هى " جون ألوي " ، " برت فافر " ، " جيري ريس " ، " تروي أيكمان " . وإحدى العميلات تضع " فافر " فى عربة البضاعة " والمشرف المسئول ينادى عبر " الإنتركوم " ليطلب من مسئول الأسعار أن يأتى لمراجعة السعر المكتوب على " فافر " .

تخيل لو أن شركة مستحضرات التجميل " ريفلون " تعلن عن عطر جديد بإحضار رجل من العملاء ليتشمم " اللحوم المعروضة فى نافذة العرض " ، وهن الجميلات " سيندي كراوفورد " ، " كريستي برينكلي " ، " كاتي ايرلاند " ، " باميلا أندرسون لي " ، " إيمان " . إذا تشمم الرجل " سيندي كراوفورد " ووضعها فى عربة البضاعة ، ورأى المشرف أن بطاقة السعر ليست موجودة ، ونادى فى " الإنتركوم " الداخلي على المسئول لكي يحضر ويضع عليها البطاقة . هل ستعترض الجمعية القومية للمرأة على هذه التفرقة الجنسية ؟ وهل سيتظاهر المعارضون على معاملة المرأة باعتبارها جسدًا فقط ، وعلى ظهور " سيندي كراوفورد " التى تعتبر " سوبر موديل " بهذه الصورة ؟

فى الحياة الواقعية ، نجد أن طبيعة عمل " سيندي " تتطلب أن يتطلع إليها الناس ويتفحصوها ؛ ولكن طبيعة عمل النجم الرياضى " فافر " تتطلب أن يتعرض للضرب والركل والدفع ، ولذلك فهو أبعد ما يكون عن النظر إليه على أنه كتلة من اللحم .

## رؤية الرجال على أنهم فئران ، قطط ، كلاب ، خنازير ...

إذا كنت امرأة ، فتخيلى مثلاً لو أنك توجهت إلى طبيب أمراض نساء ، واكتشفت أنه انفصل عن زوجته منذ فترة وجيزة ، وعندما هممت بالصعود على طاولة التشخيص إذا بك تجدين بطاقة مكتوبًا عليها " لقد تغلب بيل على خوفه من الحشرات ... بعد أن ظل عالقاً فى خيوط أنثى العنكبوت ( الأرملة السوداء ) لعدة سنوات " . وعندما تبدئين فى التساؤل ينفجر فى الضحك قائلاً : " لقد وجدت هذه البطاقة فى أحد متاجر البطاقات ووجدت أنها تعبر عما أشعر به تجاه " مارى " مطلقتى ، لذلك قررت أن أرسلها لكل أطباء النساء الذين أعرفهم والذين حصلوا على الطلاق " .

أتصور أنك ستغادرين المكان فوراً ! أم ستطلبين منه قائمة بهؤلاء الأصدقاء ؟ الواقع أن هذه هى المشاعر التى تنتاب الرجال عندما يفكرون فى النساء اللائى يتبادلن بطاقات مثل هذه .



من بين آلاف الاستعراضات التليفزيونية التى انتشرت فى سنوات التسعينات حصل اثنان منها على شعبية كبيرة . الأول هو " روزيان " والثانى هو " تحسينات منزلية " ، وكلاهما يتناول نفس الموضوع : الاعتداء على الرجال . بالنسبة لبرنامج " روزيان " فقد تم الترويج له من خلال برنامج استكشافي يتناول الاعتداء على الرجال ، وهو ما وصفته فى فصل " الستار الحريرى " . أما برنامج " تحسينات منزلية " الذى مازال يحتل المرتبة الأولى منذ عام ١٩٩٩ ، فقد قامت القناة التليفزيونية " " إيه . بى . سى " بالترويج له منذ عام ١٩٩١ من خلال برنامج استكشافى . وفى البرنامج الثاني ، والذي حصل على أعلى معدل مشاهدة عام ١٩٩٩ ، بل إنه تفوق على برنامج آخر هو " الرجال خنازير " الذى يرى مؤلفه أن فلسفة " الذكورية أو الرجولة " مستقاة من اعتقاد الأمهات بأن كل الرجال بدائيون وخنازير ، وأن " فرويد " عندما قال إن الابن يرغب فى قتل أبيه ليتزوج أمه ، ربما كان على حق فى ذلك .

كانت قناة " إيه بى سى " التليفزيونية سعيدة لتحقيق هذه النتيجة لبرنامجها " تحسينات منزلية " الذى يسخر من الرجال . وكانت القناة قد أذاعت قبل ذلك برنامجاً مسلسلاً أشد قسوةً هو " جريس تحت خط النار " حيث ظهر فيه زوجها السابق باعتباره رجلاً تتجمع فيه كل الصفات السيئة .

ولكن المقارنة المعتادة بالحيوانات تجدها أكثر فى بطاقات تهنئة مثل : " لماذا تكون القطط أفضل من الرجال ؟ " ، " إنك تستطيعين أن تشذبى مخالب القط ... ولكن حاولى أن تطلبى من رجل أن يقص أظافره " . تخيل لو أن والدك مثلاً أرسل بطاقة إلى أب آخر يقول له إن القطط أفضل من النساء ، " لأنك تستطيع أن تشذب مخالب القط ... ولكن يصعب قص مخالب الضغينة لدى المرأة " ، ما الذى ستظنه فى والدك ؟ .

بالتأكيد ، لن يأخذ أي شخص ذكي هذا التعبير مأخذ الجد ، أليس كذلك ؟ يحكي أحد أصدقائي عن تجربته عندما حضر لقاء يدور حول المساواة بين الجنسين عندما صعدت القاضية " باربارا دورهام " ، رئيسة المحكمة العليا فى واشنطن إلى المنصة لتلقى خطاب الافتتاح حيث قالت : " لقد اشتريت مؤخراً كتاباً رائعاً بعنوان " ١٠١ سبب لكون القطط أفضل من الرجال " . واصلت الحديث بنفس الأسلوب وأوصت الأعضاء جميعاً بشراء هذا الكتاب . يا للعجب ! هذه هى رئيسة المحكمة العليا ، وتتحدث عن العدالة والمساواة بين الجنسين !

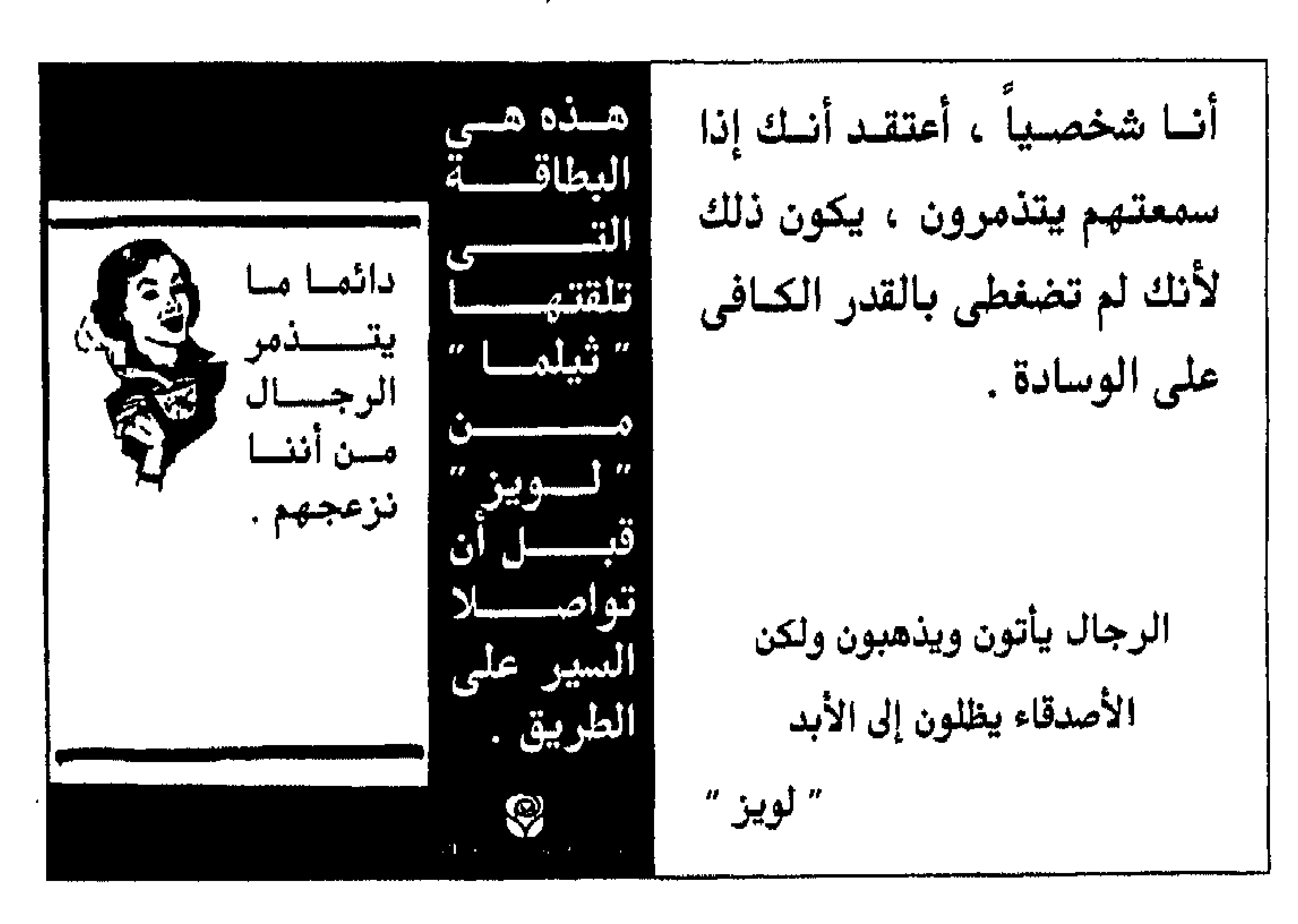
## إذا تواصل الرجل مع أحاسيسه فهنا هى طريقة قتله

واقعة . فى عام ١٩٩٨ حدث فى " لوس أنجلوس " أن أمرت القاضية " جوان كومبارت - كاسانى " " رونالد هوكينز " بعدم مقاطعتها فى المحكمة . وعندما واصل مقاطعتها أمرت حاجب المحكمة بإخضاعه لصدمة كهربائية قوتها خمسون ألف فولت لمدة ثوان .

تصور لو أن قاضياً رجلاً أصدر مثل هذا الأمر ضد امرأة كثيرة الكلام ، بدلاً من أن يأمر الحرس بإخراجها خارج المحكمة ، ما الذى كان سيحدث له ؟ بالتأكيد كان ستتم تنحيته عن منصة القضاء .

عندما يتحدث رجل ، كيف ستكون الطريقة التى تسمعه وتفهمه بها المرأة ؟ إحدى بطاقات التهنئة الأمريكية تنصح المرأة بأن تسمى ذلك " عويلاً " ثم تقوم بخنقه . والنموذج الذى يحتذى فى ذلك هو " ثيلما " و " لويز " . تذكر كيف أن " ثيلما " كانت تصوب المسدس إلى رأس رجل الشرطة ثم تضعه فى حقيبة السيارة ، حيث اختنق تحت درجة حرارة ١٢٠ فى صحراء " المكسيك " !

تفاخرت شركة البطاقات " أميركان جريتنجس " بنموذجها الذى ابتدعته وأعادت إنتاجه وتوزيعه فى صورة ملصقات بالحجم الطبيعى توزع مع مجلات شهيرة مثل " النيوزويك " و " ولايف " . نعم " لايف " .



توجد المشكلة هنا على كل المستويات . تقول شركة " أميركان جريتنجس " إن السبب فى بيع هذه البطاقات هو أنها شديدة الرواج ، وأن اختبارات السوق أثبتت أن الرجال لا يشترون بطاقات تحمل المعاني العكسية . على ذلك فإن جزءًا من المشكلة هو أن النساء يشترين بكثرة ، تطبيقاً للمثل القائل " عندما تزيد الأسعار ، تظهر الدعارة " .

المشكلة الأخرى خاصة بالمجلات مثل " نيوزويك " و " لايف " ، اللتين لا توافقان على نشر أى إعلان يتعلق بالنساء المزعجات الدائمات الشكوى ، وهما تلتزمان بذلك مهما كانت الأرباح . ولكنهما تنشران كل ما يتعلق بالرجال لأنهم فى كل الأحوال لا يشكون ولا ينتحبون

إذا افترضنا أن رجلاً لم يكتف بالكلام عما يدور فى ذهنه ، بل إنه يغير أفكاره بين حين وآخر . كيف تراه النساء ؟ . هذا هو موضوع إحدى بطاقات التهنئة التى تتداولها النساء : " فى البداية ، قال إنه يحب المرأة المستقلة ، فلعبت الدور بإتقان ... بعد ذلك ، قال إنه يحب المرأة الرومانسية ... فلعبت الدور بمنتهى الحرارة ... عاد وقال إنه يحب المرأة السلبية .. فلعبت دور الضعيفة ... ولكنه فى النهاية قال إنه يحب المرأة القوية ... فسحقت رأسه " .

الواقع ، أن كلا الجنسين يتلقى من الآخر رسائل مختلطة . إذا كان الرجال هم الذين يرسلون هذه البطاقات ، فقد نقول : " فى البداية قالت إنها تريد رجلاً مهذباً .. لذلك تصرفت بكل تهذيب وذوق ؛ ثم قالت إنها تريد رجلاً قوياً ؛ ثم رجلاً ناجحاً ؛ ثم طلبت منى أن أعود إلى المنزل فى وقت مبكر ... " . لاشك أن الجنسين يريدان كل الصفات فى الجنس الآخر . ولكن المشكلة تحدث عندما ترغب المرأة فى سحق رأس الرجل عندما يغير رأيه ، ولكن إذا غيرت هى رأيها فهى تعتبر ذلك حقاً مقصورًا على جنس النساء فقط .

كل هذه العوامل تجعل الرجال يزدادون خوفاً من أن " التصريح بما يفكرون فيه " سيبدو كأنه نحيب وشكوى ، وهو ما لن يشجع المرأة على الإنصات والتعاطف مع الرجل ، ولكن يدفعها لارتكاب " جريمة قتل " . إنه شىء مخيف عندما يظهر الرجال قليلاً من عواطفهم المكبوتة ( المجموعة الإنسانية التى تكتم عواطفها ) إلى النساء اللائى يتراسلن بمثل هذا النوع من بطاقات التهانى .

## الخلاصة

إن نقد الرجال والسخرية منهم عملية تجارية مربحة . فعندما يتحول قسم صغير في شركة " هولمارك " وهو " صندوق الأحذية " إلى أكبر الأقسام على الإطلاق في الشركة ، وإلى ثاني أكبر اسم في عالم البطاقات البريدية في فترة لا تزيد على عقد من الزمان ، نتيقن من أن السخرية من الرجال مسألة مربحة . وعندما تتخذ العروض التليفزيونية مثل " روزيان " و" تحسينات منزلية " من السخرية من الرجال مادة رئيسية للضحك ، ويصبحان بذلك أكثر العروض شعبية في عقد التسعينات ، نصل إلى نتيجة هي أن السخرية من الرجال هي صناعة متنامية . فعندما تعتمد الإعلانات الموجهة إلى المستهلكات على تصوير الرجال على أنهم لا يمكن الوثوق بهم ، وأنهم أغبياء ، ومغفلون ، ندرك مدى قبح وبشاعة هذه الصفقة .

ومن سوء الحظ أن من يدفعن هذه الأموال هن في الغالب من المستهلكات . مستهلكات يرغبن في الحب ، ولكن يدفعن للحصول على الكراهية . لا يمكن أن أصدق أن رجلاً أو امرأة يريد ذلك بوعي . وأنا أومن بالفعل بأننا خدعنا النساء . إن القصص العاطفية ، على نمط قصة الأميرة " ديانا " ، تؤذي بناتنا من خلال إقناعهن بأن الإحباطات دائماً ما تكون من نصيب النساء أكثر من الرجال . صحيح أن أبناءنا لديهم اهتماماتهم المقابلة ولكنها تأتي بمسميات نطلق عليها أسماء أخرى مثل الصور الخليعة ، والقذارة ؛ وليس رومانسية أو حبًا .

إن نقد الرجال والغضب والسخرية منهم كلها عوامل تعزز الأدوار التقليدية ، فهي تفرض الضغوط على الرجال لكي يبذلوا أقصى مجهوداتهم من أجل إسعاد من حولهم . خاصة النساء . والرجال مطلوب منهم بذل أقصى جهودهم على الرغم من نقصان فترة عمر الرجل بحوالي سبع سنوات عن المرأة ، وقد كان هذا الفرق سابقاً سنة واحدة فقط . ( إن تعبير " الأفضل يموت في سن أصغر " هو صياغة أخرى لعبارة " إن من يعملون فوق طاقتهم يموتون مبكراً " ) .

ستظل النساء يسخرن من الرجال الذين يعجزون عن إعالتهن ، حتى نستطيع أن نساعد بناتنا على الاهتمام بالرجل الذى يبدى الاهتمام بهن وليس الذى يغطى نفقاتهن فقط . فى اللحظة التى تتوقع ـ هى ـ فيها مزيداً من النقود منه ، ستكون هى ذاتها اللحظة التى ستشعر فيها بالغضب ، لأنها لم تحصل على هذه النقود .

إن الدعامة الرئيسية لأى حل هى أن نستبدل بالمعيار السائد " الجانى والضحية " معياراً يعتمد على تفهم إن الرجل ليس هو العدو ، وأن اللجوء إلى الطلاق يكون ثمنه شعور الطرفين بالنفور من بعضهما البعض ، وأن الرجال لم يتغيروا لأن الضغوط عليهم لم تتغير ، الضغوط بالالتزام بمزيد من العمل كل الوقت ؛ الضغوط للمخاطرة بالرفض الجنسي ، وأن هذا ليس مسألة اختيارية ولكن إلزامية ، وهو ما لم يتغير ؛ والالتزام بالدفع ، وباصطحاب المرأة من أى مكان والاتصال بها هاتفياً فى الصباح ( فى مقابل حرية اختيارها ) ، كل هذا لم يتغير . لقد وسعنا اختيارات المرأة ، وأبقينا التزامات الرجل على ما هى عليه ، ثم جئنا فى النهاية وتذمرنا من عدم تغير الرجال ، يجب علينا إذن أن نغير هذا التوجه .

إذا كان علينا أن نصحح نظرة بناتنا إلى أنفسهن كضحايا ونظرتهن إلى الرجال كمعتدين ، كيف يمكن أن نبدأ ؟ علينا كآباء وأمهات ألا نغالى فى حماية بناتنا من النبذ والرفض ، حيث إن الطلاق أو الافتراق ـ إذا حدث ـ ونتج عنه هذا الشعور ، لا نجد الفتاة تفكر إلاّ فى شىء واحد هو أن الرجل هو العدو ، ويا له من شعور مدمر .

كيف نقلل من حجم الحماية للوصول بها إلى القدر الكافى المعقول ؟ يكون ذلك من خلال تعريض بناتنا لمواقف فى الحياة يواجهن فيها الرفض ، فعلى سبيل المثال ، يكون ذلك عن طريق إشراكهن فى الألعاب الرياضية الجماعية ، وليس ذلك فقط ، وإنما الألعاب الجماعية غير المقيدة برقابة أو إشراف ، حيث لا يتواجد الشخص البالغ الذى يتدخل بصورة مباشرة لحماية الفتاة من النبذ أو الرفض .

وقد نحقق هذا القدر المعقول من الحماية عن طريق تشجيع البنات على الادخار ، حتى يستطعن الاعتماد على أنفسهن في تغطية مصروفاتهن في النزهات التي تجمعهن مع الفتيان ، بحيث يتجنبن النبذ من هؤلاء الفتية .

كيف نقدم مثل هذا التغييرات لكي تصبح جزءًا من الوعي العام وحتى لا يشعر أبناؤنا وكأنهم فئران تجارب ؟

لقد أبدت " تيرى راكو " استياءها من الكوميديا ذات الإيحاءات الجنسية التي جاءت في سياق حوارات عائلة " باندى " في مسلسل " متزوجة ... ولديها أطفال " . لقد بدأت في توصيل هذا الاستياء عن طريق قيامها بحملة من الخطابات التي أرسلتها للشركات التي ترعى هذا المسلسل مثل " ماكدونالدز " ، " كمبرلى كلارك " ، " تامبراندز " ، و " كوكاكولا " . والنتيجة ؟ وعدت شركة " كوكاكولا " بأن تراعى ذلك في المسلسلات التالية ؛ وباقي الشركات سحبت رعايتها التجارية .

ما الذى ميز " تيرى " عن غيرها ممن يتبعون أسلوب خطابات الاعتراض ؟ إنه اهتمامها وتكريس نفسها لمهمة محددة . لقد واصلت المتابعة الدقيقة لكل برنامج وقامت بتسجيل كل ما يقال . وأصرت وثابرت . وبلغ عدد الخطابات التي أرسلتها المئات ، كل منها يحمل المزيد من التوثيق . إن وسائل الإعلام اعتبرت أن خطاباً واحداً منها بمثابة تعبير عن أفكار آلاف المشاهدين . لاشك أن وسائل الإعلام ، في محاولتها للتفوق على المنافسين ، تحتاج للتعرف على آرائنا حتى تعتمد عليها في أدائها . نعم ، نعلم أن وسائل الإعلام تبالغ في تصوير ميولنا الغريزية ، ولكن نحن الذين نخلق الوسائل الإعلامية وليست هي التي تشكلنا . إن الاهتمام الرئيسي لوسائل الإعلام هو الربح . ولكن عندما نبادر نحن بوضع قواعد ، يكون معنى ذلك سيطرتنا على زمام الأمور .

نستطيع إذن أن نسلك سبيل التأثير على الرعاة ، أو وسائل الإعلام ذاتها . أو نستطيع القيام بالعمل الجماعي المنظم . لقد شكلت النساء العاملات في إحدى وكالات الإعلان بـ " نيويورك " مسابقة لاختيار أفضل وأسوأ العاملين بالدعاية والإعلان ، وتم توزيع جوائز للفئتين . كانت المفاجأة أن كل وكالات الإعلان سارعت بإجراء تغييرات في مضامين إعلاناتها ، خوفاً من تعرضها للانتقاد .

لا أرغب فى أن أساهم فى التضليل ، إذا تركت انطباعاً لدى القراء بأن الاعتراضات على مهاجمة الرجل ستكون بنفس سهولة الاعتراضات على مهاجمة المرأة . فعندما اعترض " فريد هايوارد " على سخرية " لوس أنجلوس تايمز " من الرجال ، لم تكتف المجلة بالسخرية من آرائه ، ولكن سخرت منه كشخص ( ماذا بك يا " فريد " ، عليك أن تكون أكثر صلابة ، لا تشعر بهذا السوء يا " فريد " ، حاول أن تبدو مثل الرجال ) . باختصار ، علينا توقع رد الفعل الهجومى . مع عدم أخذه بمأخذ شخصى .

إذا أردت الإحساس بطعم النجاح الذى يلى الرفض أو النبذ ، ابدأ بالمساعدة فى بناء وعى الآباء . لقد بادرت جمعية " عهد الفصح " بتخطى التصنيف التقليدى ( الأم الطبيبة / الأب الكسول ) بإعلان جميل عن أب بدون أيدٍ يبدو محباً وحنوناً ، ويذكرنا بأنه ليست الأثداء ولا الأيدى هى التى تصنع الوالدين ؛ ولكن الحب والشعور بالمسئولية هما اللذان يصنعان الوالدين .

## ماذا يقول الرجل عندما يسمع :

## " إن الرجال فى الأخبار ، وفى الحكومة ، وفى القمة ، فأين النساء ؟ "

لدينا افتراضات مسبقة بأن من يستحق أن يوصف بأنه ضحية ، نصوره دوماً فى صورة درامية ونسبغ عليه كل الصفات الإنسانية . وصورة الضحية هذه ، تنال الاهتمام فى إظهار التفصيلات والمحيطات المناسبة فى البناء القصصى ، وهو ما يولد مشاعر الاهتمام والتعاطف لدى القارئ . على النقيض من ذلك ، من نفترض أنه لا يستحق الظهور كضحية ينال تفصيلات أقل ، وصفات إنسانية محدودة ، ومحيطًا محدودًا يثير الغضب والسخط .

**" إيي . إس . هيرمان " ، " وان . شومسكى "**

استشاريون صناعيون

عندما خرجت " كاتلين " من دار السينما بعد مشاهدة فيلم " جسور مقاطعة ماديسون " كانت تشعر بقليل من الضجر تجاه زوجها ، مضت مدة طويلة وهى منجذبة ومنبهرة بشخصية " كلينت إيستود " . فى الصباح قرأت فى الصحيفة دراسة تقول إن الرجال لديهم توقع دائم بأن على الزوجة أن تنظم المكان بعد أن يغادروه . الآن وهى فى غرفة النوم ؛ تشاهد جوارب زوجها مبعثرة فى الحجرة . تقول لنفسها " ما الذى يعتقده بشأنى ؟ " .

لاشك أن " كاتلين " فى كل ذلك تقع تحت تأثير توجه عام تجاه الرجال ولدته الفنون ( فيلم جسور مقاطعة ماديسون ) ، ثم الدراسات الأكاديمية ( دراسات حول العمل المنزلى ) ، والحكومة ( التى تمول هذه الدراسات ) ، ووسائل الإعلام ( التى تنقل عن هذه الدراسات ) ، ثم أصحاب المهن المساعدة ( هم مصدر التفسيرات التى تستخدمها وسائل الإعلام ) . فى مثل هذه الأوقات ، لاشك أن زوج " كاتلين " كان يشعر بغضبها حتى لو لم تكن تصرح به وكان رد فعله دائماً هو الانسحاب . وبدون أن يدركا ما يحدث ، تتعكر مشاعر الحب بينهما بسبب أحد العوامل التى سأذكرها فى هذا الفصل وهو " الستار الحريرى " .

وهو نزوع معظم المؤسسات الكبرى إلى تفسير قضايا النوع الاجتماعى من زاوية نسائية أو من منظور بجمع بين التمييز ضد الرجال ومناصرة النساء فقط .

هل هو حقيقى ، أن وجهة نظر الذكور لم يتم التعبير عنها ؟ فى دراسة أجريت على ما يزيد على ١٢٠٠ عنوان رئيسى ظهر فى سبع صحف كندية تعتبر من أكثر الصحف انتشاراً ، تمت الإشارة إلى المرأة كضحية للعنف خمساً وثلاثين مرة فى مقابل مرة واحدة تم وصف الرجل فيها بأنه ضحية . لم تجد الدراسة موضوعاً واحداً يركز على الرجال . قارن ذلك بالواقع : يفوق الرجال النساء بحوالى ثلاثة أمثال فى حالات التعرض للقتل ، ويفوقونهن بحوالى الضعف فى حالات التعرض للعنف غير المنزلى ، ويتساوون مع النساء فى التعرض للعنف المنزلى ، ولكن وجدت الدراسة أن الصحف دائماً تتجاهل العنف ضد الرجال فى كل الحالات السابقة ، أياً كان الجانى .

الأمر الآخر غير المشجع ، هو أن الصحف تورد بيانات العنف ضد الرجال من خلال إحصائيات أو بيانات أولية ؛ أما العنف ضد المرأة فيرد بالتفصيل مع إبراز الجوانب الشخصية فى الحديث . كان ذلك فى كندا . أما فى الولايات المتحدة ، فلم تقم أية جهة حكومية أو أكاديمية بتمويل دراسة مقارنة أو بحث عن السبب فى وجود مثل هذه الثغرات بين الحقيقة والتصور فى معظم قضايا الذكر والأنثى .

عندما أقوم بتقديم بعض النتائج التى وجدتها خلال دراساتى سواء فى هذا الكتاب أو فى كتاب " أسطورة القوة الذكورية " The Myth Of Male Power ، أسمع بعض التعليقات الشائعة مثل " إذا كان هذا صحيحاً لماذا لم يتم الإعلان عنه فى وسائل الإعلام ؟ " أو " إذا كانت نشرات الأخبار تفضل كل ما هو

جديد ، فلماذا تتجاهل كل هذا الجديد ؟ " أو كما تقول دائماً رائدات الحركات النسائية ، وبصدق : إن الصفحات الأولى من الصحافة تكاد تكون مخصصة كلها للرجال . هذا يتضمن ـ من وجهة نظر الكثير من الناس ـ تحيزا إلى جانب الرجال ، وهو الأمر الذى يزيد من دهشتى حول السبب الذى يجعلهم لا يرون ما أناقشه أو يعيدون نشر استنتاجاتى ، وربما يرون ولكن لا يفهمون ؟ لماذا ؟

## التناقض الظاهرى ما يبن الرجل المرئى الخفى

كيف نفهم فكرة أن الرجال يصنعون الأخبار التى تستحق النشر فى الصفحات الأولى ، ثم تختفى من هذه الصفحات قضايا الرجال المهمة وقصصهم الداخلية ؟ **إن عملية تحقيق الثروة وصعود سلم القيادات التى تصل بالرجل إلى الصفحات الأولى تتطلب منه كتم مشاعره ومخاوفه ، وليس التعبير عنها . على ذلك فإن قصص الرجل الخارجية مرئية ؛ وقصصه الداخلية خفية** . نحن لا نقرأ الصفحة الأولى ولا صفحات الأعمال فى الصحف عن رجل يبدى أسفه لعدم استطاعته العودة لمنزله مبكراً لقراءة قصة ما قبل النوم لأولاده ، أو حزنه على ابتعاد المسافات بينه وبين زوجته وابتعاده عنها عاطفياً ، أو ما يقلقه ويسبب له الأرق . وهنا يكمن التناقض فى الرجل المرئى الخفى .

أما بالنسبة للمرأة ، فقد تكون أخبارها فى الصفحات الأولى أقل ، فهل يعنى هذا أن قضاياها لا تظهر على الصفحات الأولى ؟ لا . إن إحدى الوظائف الرئيسية لمن يقومون بإعداد الصفحات الأولى هى توفير الحماية للمرأة . إن الرجال بشكل عام عندما يصنعون العناوين الرئيسية ويظهرون فى الصفحات الأولى فى الصحف يكون ذلك غالباً إما فى حالة حمايتهم لنا وإنقاذنا ، أو فى حالة تهديد سلامتنا . والرجال يهتمون بشكل خاص بحماية النساء وإنقاذهن . لذلك عندما يمرر الرئيس والأغلبية فى الكونجرس قانوناً يقصر التجنيد الإلزامى .. على الرجل فقط وقانوناً آخر يجرم العنف ضد النساء ، يكون الرجال فى هذه الحالة هم الذين يظهرون على الصفحات الأولى ، على الرغم من أن النساء هن المقصودات بالحماية . إن برامج حماية النساء والأطفال والأبناء ، ومراكز بحوث صحة المرأة ، والدفاع عن العجز المكتسب ، وقوانين التحرش الجنسى ، ومعاقبة الرجل بتهمة الاغتصاب كل هذه العناوين خاصة بالرجل ، ولكنها متعلقة بحماية النساء .

يظهر الرجال أيضاً في الصفحات الأولى عند تهديد أمن النساء ، سواء على مستوى مماثل لقضية المثل الشهير " أو . جي . سيبمسون " أو " كلارنس توماس " . وننسى أن هؤلاء حين ظهروا على الصفحات الأولى تم تصويرهم بشكل سلبى وهو ما لا يحدث مع النساء .

دعنا نتجاوز الصفحات الأولى ، وندخل إلى الصفحات الاجتماعية حيث نجد أن أقسام النساء فقط تنشر القصص الداخلية للنساء : تجربتها فى الطلاق ، التعاسة ، العنف المنزلى ، الزواج مرة أخرى ، قصص غرامياتها ، تعرضها للتحرش أو التحيز ضدها ، وحتى إلى درجة معاناتها من إهمال زوجها في الحفاظ على نظافة المرحاض بعد استخدامه . كل هذه الموضوعات تراها وقد تمت تغطيتها بشكل تفصيلي ومثير للتعاطف . ونراها فى صورة إحصائيات ودموع .

على الوجه الآخر ، لن نجد صفحات مخصصة لمشاركة الرجل مشاعره الشخصية عندما يفقد زوجته ، أو أبناءه ، أو منزله بعد الطلاق مع توقع استمراره فى دفع قيمة ما لا يملكه ؛ كل ما نقرؤه هو عودته إلى منزله مخموراً وضرب زوجته ، ولا نقرأ عن أحلامه المحبطة التى دفعته إلى القيام بذلك ؛ نحن نقرأ عن دراما إحباطاتها ، ولكن من الجانب الذى يدينه ، ونقرأ عن حيرتها بسبب تراكم الأعمال المنزلية ؛ ولا نقرأ شيئاً عن أعباء العمل الهائلة التى يتحملها ولا نجد فى هذه الصفحات قصصاً مطولة عن تجربة رجل فى الزواج الثانى أو خشيته من الإقدام على ذلك ، أو تفصيلات عن اليأس الذى ينتابه ، ثم لماذا لا نجد فى هذه الصفحات أخباراً عن العنف المنزلى ضد الرجل ، عن تفكيره فى الانتحار ، أو عما يعانيه من إحساسه بالعجز عن توفير نقود تعليم أبنائه بعد سداد أقساط الرهن ، أو أقساط التأمين ... إلخ ؛ أو ما يشعر به عندما يرغب فى ممارسة علاقته الزوجية مع امرأته وهى تتمنع وتبدى الرفض .

إن اهتمامنا بالرجال هو من زاوية كونهم " كائناً فاعلاً " وليس " كائناً إنسانياً " . نهتم بهم فرادى ، مثل الطريقة التى نهتم بها بمكونات السيارة حيث لا نعيرها الاهتمام الا إذا حدثت مشكلة ، أو نهتم بالوقاية والمنع حين يكون ذلك لازماً لمنع المشكلات . بل الأكثر من هذا ، حين نهتم بمشكلات الرجل التى تحول دون استطاعته حماية المرأة ، نراها من زاوية المشكلات التى يخلقها للمرأة ( لقد خدعها وغشها ؛ كان فى غير وعيه حين ضربها ) . الأمر

الذى يجعل الرجال الذين يحررون الصفحات الأولى هم الأشرار الذين يسببون لنا المشاكل .

باختصار ، نحن لا نضع حياة الرجال فى الاعتبار إلا عندما يكونون أبطالاً ويؤدون أدوار الحماية تجاهنا على أكمل وجه ، أو عندما يكونون مجرمين يهددون أمننا وسلامتنا . أما حياة النساء فهى مركز الاهتمام فى جميع الأحوال .... فالأم هى محور جميع البرامج الحوارية .

نحن نادراً ما نتعمق فيما يشعر به الرجل من أحزان ، بل نتجاهل وجودها . فعندما أعلنت الأميرة " ديانا " عن علاقتها العاطفية ، سألناها عن مدى إحساسها بالوحدة والعزلة ، عن شعورها بالأسى ، عن ابتعاد زوجها عنها ؛ ولكن عندما عرفنا غراميات الأمير " تشارلز " ، سارعنا باتهامه بالخيانة الزوجية . النتيجة ، مليارات النساء فى كل العالم توحدن مع الأميرة " ديانا " . وقلة من الرجال من لمس أى مخاوف خاصة بالرجال لكى يتوحد معها .

كان هذا التوجه ضروريا لملايين السنين ، ولكنه يخل بقدرة آبائنا وأبنائنا فى الحصول على الحياة الكريمة ، وهو فى ذات الوقت يدمر الحب بين الجنسين .

إن قلة التعاطف مع قصص الرجال خصيصة أخرى معوقة لحسن اختيارنا للقيادات . فكر قليلاً فى الخصائص التى ارتبطت بـ " كلينتون " عندما كان مرشحاً للرئاسة . لو أنه كان قد أعلن إدمانه للجنس قبل توليه الرئاسة ، لما أعطيناه أصواتنا وما كان ليصل إلى الرئاسة . نحن دائماً ننادى ونطالب بالأمانة ، ولكن عندما يحدث ما نطالب به نرفضه . عندما نجبر رجلاً على الاختيار ما بين عمله ونفسه فإننا ندفعه لنكران ذاته . وبذلك لا نخدمه هو أو وطنه . ولا نخدم أيضاً النساء أياً كن ، " هيلارى " ، " شيلسى " ، " مونيكا " ، أو ملايين النساء ممن أصبحن أقل ثقة فى الرجال .

أحد أسباب خوف الرجال من الكلام هو أنه سيتم تقييمهم ، ليس بالتعاطف الذى نالته الأميرة " ديانا " ، ولكن بكل الافتراضات السلبية التى كانت من نصيب الأمير " تشارلز " . مثلاً ، عندما تورط " كلينتون " فى علاقته الغرامية ، لم نتساءل عن عزلته العاطفية أو نتساءل متعاطفين معه حول شراكته السياسية مع " هيلارى " وكيف أن هذه الشراكة جعلته يشعر بالحرمان العاطفى والحسى . ربما لم تكن الحالة كذلك ، ولكننا لم نسأل . حتى نصل إلى

المرحلة التى نعامل بها الرجل على أنه كائن إنسانى بدلاً من معاملته على أنه كائن فاعل فقط ، ستظل هذه صورته التى نراه بها .

حتى الآن تحدثت عن الرجال الذين يتصدرون الصفحات الأولى ، ولكنهم فى أحسن الحالات لا يزيدون على واحد على عشرة من الرجال . ولكننا لم نسمع أبداً القصص الداخلية أو الخارجية للرجل " الخفى " : الطباخ فى المطعم ، وسائق الشاحنات ، وجامع القمامة ، وعامل المبانى ، وشخصيات مثل " ويلى لومان " بائع الجوارب فى مسرحية " موت بائع آرثر ميللر " ، والجندى " ريان " الذى جسد دوره الممثل " مات ديمون " فى فيلم " إنقاذ الجندى ريان " فى حياتهم اليومية .

نظراً لأننا نتعامل مع الرجال باعتبارهم من يُعتمد عليهم للإنقاذ ، فإنهم حين يفشلون نعاملهم بصورة مختلفة عن معاملة النساء عندما يفشلن . فعندما ترتكب النساء الجرائم ، نسمع من يبرر ذلك بالصعوبات التى واجهنها فى طفولتهن ؛ ومع الرجال ، نسمع عن حكايات ضحاياهن .

هل النساء ممنوعات من رواية قصصهن الخارجية ؟ لا . فالنساء يحصلن على الدرجات العلمية ، ويتم وضع قرارات لتشجيعهن على تولى وظائف دائمة فى مجال الأعمال والسياسة فى كل العالم ؛ ولكن ليس هناك أى تشجيع للرجل لكى يعيش كل وقته فى دنيا الأسرة والبيت .

## الستار الحريرى

إن الاستماع إلى القصص الداخلية للنساء - وبدون سماع قصص الرجال - جعل العالم يبدو ظالماً للنساء . **والمثير للسخرية هنا هو أننا لم نكن نعلم أن قصص الرجال كان يتم تجاهلها ، وكلما كنا نسمع قصص النساء ، كان يزداد اعتقادنا بأننا نتجاهلهن** . وأصبح من الخطأ سياسياً أن تقاطع تدفق حكايات النساء . وتحولت هذه الحكايات إلى دراسات عن النساء ، لا يمكن أن تقاطعها الدراسات الخاصة بالرجال .

تحكمت خريجات الدراسات النسائية فى كل القرارات ذات الصلة بالنوع الاجتماعى فى المؤسسات الكبرى . فعندما تثار قضية تحرش جنسى أو اغتصاب فى الجامعة ، تجد عضوات الحركة النسائية يملأن القاعات المخصصة لبحث

الموضوع ، ويضعن جدول الأعمال ، ويقررن من الذى سيتم توكيله ، ومن الذى سيتحدث عن الموضوع مع الإعلام .

ما هى المشكلة فى ذلك ؟ إن النساء ممن تخرجن من الدراسات النسائية اتضح جهلهن بكل ما يخص الرجال ، وهن يعتبرن الرجال هم المشكلة ، والنساء هن الحل . لقد حولن الرجال إلى شياطين . ولو أن شخصاً ما تجرأ وهاجمهن ، فسرعان ما يتهم بالتمييز الجنسي . ما سنراه فى هذا الفصل هو أن هذا الاتهام قاد إلى إنهاء المستقبل المهنى لعديد من الأشخاص فى الثمانينات والتسعينات بنفس السرعة التى كان الاتهام بالشيوعية يقود إليه فى الخمسينات .

إن القوة التى تتمتع بها الحركات النسائية والتى تسمح فقط بإطلاق الحرية لنشر وجهات نظرها ( فى كل ميدان يتعلق بهذه القضية ) أطلق عليه " الستار الحريرى " .

كان " الستار الحديدى " الشهير لا يتيح أى رأى يشكل تهديداً للشيوعية . أما هذا الستار الجديد فهو لا يتيح الحرية للآراء التى تعتبر تهديداً للحركات النسائية .

كانت القاعدة العامة فى دول " الستار الحديدى " هى إطلاق حرية السخرية من الرأسمالية . فى بلاد " الستار الحريري " ، القاعدة هى السخرية من الرجل . لعل الفصل الذى تناول هذا الجانب عن السخرية من الرجال قد أوضح إلى أى حد صارت السخرية من الرجال هى القاعدة العامة ؛ وفى هذا الفصل نرى كيف أن كل مؤسسة ، ابتداءً من الحكومة إلى المدرسة ، ومن المدرسين المساعدين إلى وسائل الإعلام ، كلها تشارك فى ذلك ، كل منها بطريقته .

فى دول الستار الحديدى ، كان الانتقاد الموجه إلى المراكز الشيوعية أو الأفكار الرئيسية يكلف الشخص وظيفته . خاصة إذا كان يعمل فى الحكومة ، أو الإعلام ، أو فى النظام التعليمى . فى دول " الستار الحريرى " ، عندما تنتقد توجهاً رئيسياً للحركات النسائية ( التحرش الجنسى مثلاً ) يمكن أن يكلفك ذلك وظيفتك ، خاصة إذا كنت تعمل فى الحكومة ، أو الإعلام ، أو حقل التعليم .

لقد حقق الحزب الشيوعى هذه القوة ، التى أعطته سلطة الرقابة الرسمية ، بالثورة ، ولكونه الحزب الوحيد فى النظام السوفيتى . أما الحركات النسائية فقط وصلت إلى هذه الدرجة القوية من السلطة بطرق غير رسمية ، وذلك بأن

أصبحت مثل نظام الحزب الواحد فى سياسات النوع الاجتماعى : بإيجاد ميدان جديد للدراسات ، وبوضع القواعد والمصطلحات ، وبالمسارعة بتوفير البيانات ، ومن ثم أصبحت هذه الحركات هى المرجع الوحيد المقبول لتفسير هذه البيانات . هذا الفصل يشرح كيف حدث كل هذا ، ولماذا .

وصل الشيوعيون إلى السلطة بترويج الاعتقاد بأن العمال يخضعون لاستغلال الرأسماليين . وصلت الحركات النسائية إلى السلطة بترويج الاعتقاد بأن النساء يخضعن لاستغلال الرجال . كلتا الحركتين حددت العدو وأكدت أنها تمثل البطل الذى يخلص المظلومين .

ما إن وصفت الحركتان معتقداتهما بالتقدمية ، وبالتفوق الأخلاقى ، أصبحت الرقابة على أى نقد لهما مبررة ، وأنها ضرورة تقدمية وأخلاقية .

كيف تكتشف ما إذا كنت أنت شخصياً مناصراً لهذا " الستار الحريرى " ؟ إذا كنت تشعر بمزيد من الارتياح عندما تردد النكات التى تسخر من الرجال أكثر من النكات التى تسخر من النساء . كيف تعرف ما إذا كانت المؤسسة التى تعمل فيها تمثل جزءًا من الستار الحريرى ؟ عندما تطلق نكتة ساخرة عن الرجال فيضحك الجميع ، ثم تطلق نكتة ساخرة عن النساء فلا يبتسم أحد . فى بعض المنظمات تبدأ عملية الرقابة فوراً ... على تصرفات قد تقل عن مجرد إطلاق نكات ساخرة عن المرأة !

إن هذا الستار لا يرتبط بالمرأة بقدر ما يرتبط " بحركات الدفاع عن مساواة المرأة " . ولأن هذه الحركات النسائية نجحت فى إبراز صورة المرأة الضحية ، فسوف نجد أن الاهتمام سيتجه إلى إنقاذ الحيتان بدلاً من إنقاذ الرجال . الخلاصة أننا جميعاً أصبحنا أجزاء من هذا الستار .

ما هى المؤسسات التى تخلق هذا الستار ؟ الجامعات ، فى كل مجالات الآداب والفنون الحرة ، وخاصة فى الكليات المتميزة ؛ وفى حقل التعليم ، خاصة المدارس الثانوية الحكومية ؛ فى الدوائر الحكومية والمستويات القومية ؛ فى الأمم المتحدة ؛ الإعلام ، وخاصة فى الوسائل المطبوعة والمرئية ؛ فى وسط أساتذة الجامعة ، وخاصة من يعملون فى المجال الاجتماعى ؛ فى مجال الإعلانات ، وخاصة التليفزيونية ؛ دور النشر ؛ وخاصة القطاع الخاص منها وناشرى الكتب الدراسية ؛ المؤسسات التمويلية ، وخاصة التى تمول القطاع الصحى ، والفنون ، والأبحاث الجامعية . كل من هذه المؤسسات يمارس

الرقابة والتشويش على طريقته الخاصة . كل منها يدعم ويساند الآخر مثلما يشير كل باحث إلى الأبحاث والمراجع الأخرى .

إذا كان ابنك أو ابنتك على وشك الالتحاق بإحدى الجامعات الشهيرة لدراسة الآداب أو الفنون الحرة ، فسيكون موقعه أو موقعها خلف الستار الحريرى . إن هذا التوجه يترك شعوراً مزدوجاً داخل بناتنا يمزج بين الحب والكراهية تجاه آبائهن وأزواجهن ؛ وعندما يصبحن أمهات لأبناء من الذكور تنتقل تلك المشاعر إلى أبنائهن تاركة لديهم مشاعر مشوشه ومختلطة تجاه أنفسهم . إن كلاً من الستار الحديدى والستار الحريرى ، يتسبب فى الإيذاء حتى لمن كان القصد حمايتهم : كثير من أصحاب الأعمال يخشون الآن توظيف النساء ؛ كثير من أبنائنا يخشون الإقدام على الزواج .

هل هذا الستار الحريرى هو نتاج مؤامرة ؟ لا ونعم . " لا " بالمعنى الحالى للكلمة ( استغلال خفى ) ، ولكن " نعم " بالمعنى الأصلى اللاتينى لكلمة " conspiracy " ، حيث ( " spire " تعنى التنفس ؛ و " con " تعنى معاً ) . فإذا فكرنا فى كلمة " المؤامرة " على أنها أشخاص متشابهون فى درجة الوعى ، يكون من المنطقى تصور أنهم " يتنفسون معاً " ، حينئذ يكون الستار الحريرى بمثابة مؤامرة . لأسباب ناقشتها فى الفصل الذى يدور حول السخرية من الرجل ، أستطيع أن أقر بأن السخرية من الرجال هى مؤامراة شائعة من الدول الصناعية .

## كيف اصطدمتُ بالستار الحريرى : رحلتى الشخصية

عندما أستمع إلى القصص التى يرويها المؤلفون ممن يحاولون تناول قضايا الرجل ، ألاحظ تعدد قصص المنع من النشر واحدة وراء أخرى . بعض هذه القصص سأرويها ، ولكن كثيراً من القصص يخشى أصحابها من نشرها على أمل أن تطبع وتوزع يوماً ما ، ويقول بعضهم : " إننى أخشى أن يظن الناس أننى أختلق هذه القصة وأنها لا تستحق النشر " ؛ " أخشى أن يظن الناس أننى أفعل ذلك ، لأننى لا أستطيع أن أنجح فى أى شىء " ؛ " أخاف أن يقول الناس إن كتابى فشل فى التوزيع ، وإن هذا سبب إحساسى بالغضب " ؛ " أنا أخاف ...... " .

أعترف بأن كل هذه المخاوف انتابتني شخصياً . ولكنني أعلم أيضاً أنني إذا لم أسلك السلوك الذى أدعو إليه وأتصرف طبقاً لإيماني - بأن النساء لا يسمعن مالا يقوله الرجال - لن يكون لى الحق فى مطالبة الرجال بقبول مخاطرة أتردد أنا فى قبولها . أعرف أن ذلك سيجعلني أتعرض للهجوم ، وأعرف أن كثيرين لن يقرأوا هذا الكتاب لأنهم سيقرءون بعض التعليقات التى تهاجمه قبل أن يشرعوا فى القراءة . الحقيقة أننى أكتب لكى تقرأ الجماهير كتابى ، لذلك لا يمكن أخذ الأمر ببساطة . ولكن ما يجب أن نعرفه أن كل رجل تنتابه هذه المخاوف عندما يبدأ فى تسجيل خبراته الحياتية لأول مرة ، لأن مستقبله المهنى وسمعته قد يتعرضان للخطر . وفى بعض الأحيان ، عندما يقدم على هذه الخطوة تتأكد هذه المخاوف .

سأطلب من القارئة أن تفترض أن لديها ابناً ، أو زوجاً ، تنتابه مثل هذه المخاوف ، والتى تدفع جزءًا منه للصمت حتى لو تكلم الجزء الآخر منه . إذا استطعتِ الإنصات إليه بالطريقة التى ناقشتها فى الجزء الأول من هذا الكتاب ، فإنك ستقدمين له أعظم هدية تلقاها فى حياته . هل يكفى هذا ؟ فلنكمل الحديث .

عندما انتخبت لأول مرة عضوا فى المنظمة الوطنية للنساء ( NOW ) فى مدينة " نيويورك " ، كنت أبلغ السادسة والعشرين من عمرى ، ولم أكن قد كتبت أى موضوع لمطبوعة قومية . اتصلت بى مجلة " نيويورك تايمز " وطلبت منى كتابة مقال عن تجربتى أنا ومجموعات الرجال التى كنت أديرها وطلبوا مني كتابة موضوع كبيرٍ وشامل . نشر المقال بدون تغيير أي كلمة . طلبوا مني مقالاً آخر ، ونشر أيضاً بدون أي تعديل ، ثم مقالاً ثالثاً وهكذا ...

**كانت " نيويورك تايمز " تنشر مقالاتى بدون أي تعديل أو تحريف مادمتُ أكتب من منظور المناداة بحق المرأة . وما إن بدأت فى التساؤل عن مدى صحة هذه الرؤية لقضايا المرأة ، حتى امتنعت الـ " نيويورك تايمز " عن نشر أي مقال لي ،** طوال عشرين عاماً بعد ذلك لم ينشر لى مقال واحد أرسلته إلى هذه المجلة .

عودة إلى القصة ...

خلال فترة نشر مقالاتى فى" نيويورك تايمز " ، بدأت البرامج التليفزيونية الحوارية فى طلبي للمشاركة ، مثل " توداي شو " الذى استضافنى ثلاث مرات .

ما إن بدأت فى إظهار وجهات نظر الرجال ، لم أظهر مرة أخرى فى البرنامج وهنا بدأت فى ملاحظة النمط المتكرر .

أرسل لي مقدم البرامج " فيل دوناهو " دعوة للمشاركة فى برنامجه بعد أن تابع مقالاتي ومقابلاتي التليفزيونية . عندما التقينا لأول مرة ، تناقشنا حول كل الأمور ، ودعا زوجته الأولى " مارجورى " لمشاركتنا العشاء . بعد ذلك دخل الزوجان فى صراع ، وكلما كانا يختلفان كان يطلب منى التوسط بينهما . كان " دوناهو " يصحبني بنفسه إلى المطار بعد الانتهاء من البرنامج . حدث شيء ما عند تسجيل البرنامج السابع . لقد بدأت فى الإعلان عن وجهات نظر الرجال . وفجأة توقفت الدعوات لمشاركتى فى البرنامج ، لعدة سنوات .

عندما صدر كتابى " لماذا يكون الرجال بالصورة التى هم عليها " " Why Men Are The Way They Are " كانت توجه لى الدعوات للظهور فى البرامج الحوارية . ولكن ما إن أعلنت خلال المقابلات عن وجهات نظر الرجال ، حتى فى شكل متوازن مع وجهات نظر النساء ، ظللت ست سنوات بدون أية دعوة للمشاركة فى البرامج الحوارية . عندما نشرت كتابى " The Myth Of Male power " " أسطورة القوة الذكورية " ، ورغم أنه كان يحمل وجهة نظر الرجال ، كان من المدهش خروج ثلاثة من المنتجين للبرامج التليفزيونية عن خط " دوناهو " وتسابقهم لدعوتى للظهور فى برامجهم . تم الاتفاق على المواعيد . ثم حدث شيء ما .

ظلت التسجيلات بدون إذاعة على الهواء ، وتم تأجيل بثها ، ولم أتمكن أنا أو وكيل أعمالي " هيلسنجر ومندلسون " من العثور على هذه التسجيلات ، رغم قوة وكيل أعمالي الكبيرة . وبينما نحن فى هذه المحاولة اتصل بي برنامج تليفزيوني كندي . كانوا غاية فى الحماسة . ولكن فجأة بدأت التأجيلات ، وعندما اتصل بي المنتج ، لمست فى صوته أسى ، وعندما طلبت منه التوضيح قال : " إذا وعدتنى بألا تستخدم اسمي ، فسأخبرك " ، بعد أن وعدته بذلك أضاف موضحاً : " لقد كنا نرغب فى إحداث توازن فى البرنامج ، لذلك اتصلنا بسيدتين من رائدات الحركات النسائية ـ أسماء كبيرة جداً ـ لكى تظهرا معك فى البرنامج . بدلاً من أن ترفضا ، قالتا : إذا كان هذا الشخص سيظهر فى البرنامج ، فلن نحضر للمشاركة ولن نحضر لك كتابنا التالي ، أو نعد لك نماذج حية من الحياة لكي تستخدمها فى برنامجك ـ وسنتوجه إلى البرنامج الذى تقدمه " أوبرا " . أضاف قائلاً : " السيدة الأخرى اتخذت مدخلاً أخلاقياً

حيث قالت إن الحركة النسائية تقف ضد من يغتصب النساء أو يضربهن ؛ لذلك إذا استضفت هذا الشخص ستتحمل مسئولية تعرض كل النساء للأذى . بل إن المحطة تلقت مكالمات أخرى شبيهة بعضها من رجال ، كلهم يرددون نفس الادعاءات " .

أضاف المنتج الكندى قائلاً : " لقد رأى معظمنا فى ذلك محاولة لفرض الرقابة على العمل وهو ما نرفضه جميعاً ، ولكن إحدى منتجات البرنامج ( وهى التى لم يسبق لها أن قابلتك ولم تقرأ كتابك ) أصرت على إيقاف البرنامج ، وخشينا جميعاً من رفض مطلبها . " لابد أن الأمور وضحت الآن .

فى هذا الموقف حدث أمران : السلطة والرقابة أصرتا على منع المناقشة والمناظرة . ما السبب فى أن كثيرًا من رائدات الحركة النسائية ( ليس كلهن ) ( مثل " جلوريا شتاينم" ، و " بيتى فريدان" ، و " سوزان فالودى" ، " وكاترين ماكينون" ) يرفضن المناقشة ؟ السبب هو ذاته عندما يسود نظام الحزب الواحد ولا يكون له مصلحة فى المناظرة . عندما تمتلك القوة فإن المناظرة لن تتيح لك المزيد من المكسب بل احتمال كثير من الخسارة . عندما نتحدث عن القوة المفسدة والإفساد المطلق للقوة المطلقة ، فإن خير مثال لذلك هو الامتناع عن المناظرة مع آخرين . هذا هو السبب فى أن الحاكم الدكتاتورى لا يقترح الديمقراطية . **إن عدم الرغبة فى المناظرة هو جزء من فساد القوة .**

ما مدى قوة وسائل الإعلام ـ عند رغبتها فى إتاحة الفرصة أمام المتناظرين ـ بالمقارنة مع رائدات الحركة النسائية ؟ لقد لاحظت الفرق عندما أجريت مقابلة مع " جلوريا شتاينم " فى عام ١٩٨٦ ، فى وقت كانت تعتبرنى فيه حليفاً مائة فى المائة . كان ذلك فى برنامج تليفزيوني اسمه " مجلة الساعة " " Hour Magazine " ، قلت فى البرنامج الذى يذاع على مستوى الولايات المتحدة كلها : " إن النساء اللائى لم يسبق لهن الزواج يحققن دخولاً أكبر من الرجال الذين لم يسبق لهم الزواج ... " ، أومأت " جلوريا " إلى مقدم البرنامج " جاري كولينز " وكأنها تطلب منه إيقاف التسجيل . قال لي " جارى كولينز " ( الذي يُكن لى كل احترام ) : يبدو أنك خلطت بين الجنسين ، وأشار إلى المنتج ليوقف التسجيل .

حاولت أن أشرح ما أعنيه بما قلت . غير أننى لاحظت عدم الاقتناع من جانب " جلوريا " و " جاري " . وفى كل الحالات لم تتم إذاعة البرنامج أبداً . اختلف موقفي من ضيف دائم إلى شخص لا يدعى للبرنامج مرة أخرى . أما

٣٠١

بالنسبة " لجلوريا شتاينمن " ، ماذا حدث ؟ تحولت من صديقة إلى العكس ، ولم تعد ترد على مكالماتى . حاولت تخفيف وطأة الموقف وأرسلت لها بطاقة تحمل معاني ضاحكة ، ولكن يبدو أنها لم تحب ذلك .

لقد اعتقدت بسذاجة أن القيادات النسائية هن شخصيات رائدة ، وأن " جلوريا " ستكون سعيدة عندما تستمع إلى المجالات التى حققت فيها النساء النجاح . وقتها ، كان عليّ أن أواجه خوفًا أشد وأعمق : إن بعض زميلاتى من القيادات النسائية يلعبن على نغمة تصوير المرأة كضحية ويعمقن هذه المشاعر لمنع أية مناقشة قد تغير من هذه الصورة . وحيث إن دخلي يعتمد على العمل مع الحركة النسائية ، وما دامت هذه الحركة تدعم وتقوي الستار الحريرى ، فقد أحسست ... بالرعب .

اكتشفت أخيراً أن مخاوفي تستند إلى واقع . لقد انخفضت مرات دعوتى للحديث فى كليات الجامعة إلى ما لا يزيد على ٥ ٪ ـ ليس ٥٠ ٪ ، ولكن ٥ ٪ ـ مما كانت عليه .

لم يكن الأمر أن كثيرًا من النساء وعددًا من قائدات الحركة النسائية لسن على قدر كافٍ من الانفتاح بحيث يستمعن إلى وجهات نظر أخرى .

عندما كتبت" أسطورة القوة الذكورية " " The Myth Of Male Power " ، اتصلت بى رئيسة تحرير مجلة " مودرن ماتيوريتى " ذات التوزيع الشهرى الكبير بل والأكبر على مستوى الولايات المتحدة ، وقالت إنها قرأت الكتاب وأحبته ، وشعرت بأنه مناسب للقراء الرجال ، وطلبت مني كتابة مقالين للمجلة . أرسلت المقالين ، أحبهما المحررون ، ووافقوا عليهما ، ودفعوا لي أجري بالكامل ، وأصبحا جاهزين للنشر .

كنت قد بلغت الخمسين من العمر ، وتلقيت نسختي من المجلة بالبريد . تصفحتها بسرعة لأرى ما الذي كتبوه على الغلاف عن مقالاتى ، لا شيء . ثم قائمة المحتويات ، لا شيء أيضاً . اتصلت برئيسة التحرير . اعتذرت وقالت إنه تم تغيير موضوعات المجلة فى آخر لحظة . ولكن شيئاً ما فى صوتها أخبرنى بأن شيئًا ما حدث . طلبت منها أن تكون أمينة معي . شرحت لى أن إحدى الباحثات الرائدات فى الحركة النسائية اعترضت ، رغم اعترافها بعدم وجود أخطاء . خافت إدارة المجلة ، وشعرت رئيسة التحرير باستياء شديد ، تماماً كما شعرت أنا .

فى أحد الأيام ، تلقيت اتصالاً من مجلة " جلامور " . قررت المجلة نشر مقتطفات من كتابى " لماذا يكون الرجال كما هم عليه ؟ " Why Men Are The Way They Are " حيث أن مجلة نسائية أخرى أجازته . شعرت بالسعادة لأن المجلة قررت نشر أحد موضوعاتي وأن إحدى المحررات المفضلات لدىّ ستشاركني فى إعداد الموضوع : " كيف يشعر الرجال بالجنس ؟ " وكان الاتفاق كما يلى : أنا أقوم بالبحث ، وهى تقوم بالكتابة بأسلوب المجلة . فوافقت وقمت بالبحث .

وجدت بالبحث أن كثيرًا من الرجال كان إحساسهم بالمعاشرة الزوجية أفضل مع النساء الأقل جاذبية . وكما قال أحد الرجال : " إن أكثر النساء جاذبية ممن صادفتهن كنَّ الأسوأ فى ممارسة الحب " . عدد قليل من الرجال كانت لهم خبرات جيدة من نساء من ذوات الأوزان الثقيلة . عبر أحد الرجال عما نفكر فيه فقال : " هناك نوع من مشاعر الأمومة لدى المرأة تجعلنى أشعر بالراحة والإثارة الجنسية " .

أبدت المحررة إعجابها بالمادة المكتوبة ، وقالت إنها فريدة من نوعها ، وإن النماذج المتعددة من النساء ستكون موضوعاً جيداً للقراءة . ولكن رئيسة التحرير قررت عدم النشر . والسبب فى ذلك كما تقول إنه لا يعبر عن الحقيقة . صدمت المحررة نفس صدمتى ، وعلمت السبب الحقيقى : مجلة " جلامور" تعتبر أنها لا تبيع موضوعات المرأة غير الجذابة أو ذات الوزنَ الثقيل .

فى هذه الحالة على وجه الخصوص أجد أن النتائج التى توصلت إليها تتوافق مع كل ما تنادى به حركة تحرير المرأة : التقليل من التركيز على المرأة الجميلة ، الصغيرة ، شديدة النحافة . جاء قرار المنع من جزء آخر من الستار الحريرى والذى يعتبر أنه يستثمر ( ليس فى قوة الضحية ) ، ولكن فيما أسميه قوة " جينات الشهرة " ؛ هذه القوة الممثلة فى الشباب والجمال الذى يجذب الانتباه لها من خلال : " الحب " ، دعوات العشاء ، المواعيد الغرامية ، وفصوص الماس ؛ كل ذلك اجتذبته قوة " جينات الشهرة " بدون أن تبذل المرأه أي مجهود لاكتساب مثل هذه الميزات .

إن المجلات النسائية التقليدية ـ وهى أحد قطاعات " الستار الحريرى " المتعلقة بقوى جينات الشهرة ـ تعلم أنه كلما زاد استثمار المرأه فى قوة جينات الشهرة ، زاد خوفها من زوال جمالها وشبابها . وتعلم هذه المجلات أيضاً أن

هذا الخوف والقلق يدفعها لشراء أدوات التجميل . لماذا ؟ لكى تسد الثغرة بين قوة جينات الشهرة التى تريد أن تمتلكها والجينات التى تمتلكها بالفعل .

كلما زاد مقدار استثمارها فى جمالها ، زاد حجم الفجوة التى تحس بها ، وبالتالى زاد عمق شعورها بعدم الأمان ، وزاد حجم مشترياتها من أدوات التجميل . على ذلك فإن نتائج بحثى : أن الرجال اكتشفوا أن النساء الجميلات الرشيقات لم يكنَّ بالضرورة ممارسات جيدات للجنس ـ هذا هو بالتحديد ما لم تكن رئيسة تحرير مجلة " جلامور " ترغب فى سماعه أو نشره . واصلت الاكتشاف أن كل جزء من الستار الحريري لا يرغب فى الاستماع سوى إلى مشاعر الرجال التى توافق أهواءهن .

ربما تكون أحداث أكثر القصص إثارة للسخرية لا تزال جارية ، فعلى مدار ثلاث سنوات كانوا يصفوننى بعدم الكفاءة السياسية لدرجة أننى لا أصلح للظهور فى برنامج " غير كفء سياسياً " ! فى النهاية قام " ستيوارت بيدرسين " المستشار المأجور للبرنامج فى هذا الوقت ، بالكتابة لي قائلاً " كما لو كنت لا تعلم ، إن هذا البرنامج يفرض عليك الرقابة ، إنهم يخافونك " .

فى الواقع أننى لم أكن لأدعوكم لمشاركتى فى خبراتى وتجاربى لو أنها تجارب وخبرات خاصة جداً وفريدة من نوعها . غير أننى تعلمت خلال عملى مع النساء ومع قيادات وتحرير المرأة أن هناك " قيمة " للمشاركة فيما هو " شخصى " ، وهذا يساعدنا جميعاً على تحديد ما إذا كانت تجاربنا الشخصية تعتبر تجارب سياسية أيضاً . ورغم ذلك ، فمازلت أفتقد الشجاعة الكافية لمشاركتكم فى هذه القصص إذا لم يكن قد تم استقبالها بصورة إيجابية طوال هذه المدة التى كنت أكتب فيها من وجهة النظر المناصرة للنساء فقط .

بعد قليل سوف أشرككم فيما يراه رجال آخرون ، ولكن دعونا أولاً نتعرف على تجربة امرأتين منشقتين عن الحركات النسائية وموقف هذه الحركات منهما عندما خرجتا على الخط المحدد . لقد واجهت كل من " كاميلا باجليا " و" كريستينا هوف " الستار الحريرى وتعرفتا على معناه . لم تتردد " كاميلا " فى الحديث عن تجربتها حيث كانت هناك مواعيد للتسجيل فى برامج حوارية عديدة ، ولكنها سمعت من المنتجين أن الحركات النسائية تدخلت وطلبت عدم إتمام هذه البرامج وإيقاف التعامل معهما . ووصل الأمر إلى تلقيها مكالمات هاتفية تهديدية ، ولم تجرؤ على أن تفتح بنفسها أية طرود بريدية تصلها .

وعندما كتبت " كريستينا هوف سمرز " ، " من الذى سرق الحركة النسائية ؟ " ، " Who Stole Feminism ? " سارعت المحطة التلفزيونية " سى بى إس " بطلبها للتسجيل فى برنامج " العين فى العين " فى حلقة خاصة بها فقط . وخلال إذاعة البرنامج على الهواء ، أعلنت المذيعة " كونى شانج " أنها مندهشة لتلقيها مكالمات عاجلة من كثيرات من قائدات الحركة النسائية ، بل وأيضاً من " جلوريا شتايمين " شخصياً ، وذلك للضغط على المحطة لإيقاف البرنامج . وإقراراً للحق فإن المحطة رفضت الخضوع لهذه الضغوط ، وأصر المذيع " برنارد جولد برج " على ذلك ولم يعلن الاستسلام أو الخضوع .

هناك كثير من الرجال من جميع أنحاء العالم حاولوا التعبير عن وجهات نظر ومفاهيم الذكور على نطاق واسع ، ولكنهم كانوا دائماً ما يجدون أنفسهم يخضعون لنفس الرقابة .

أحد زملائى ظل يرسل خطابات إلى المحرر فى مجلة " ذانيشن " لعدة سنوات لم ينشر منها أى خطاب . وعندما وقع خطاباته باسم " ستيفانى " بدلاً من " ستيف " نشرت الخطابات . حاول كل من " آسا بابر " و " جاك كامر " الكاتبين الأمريكيين الموازنة فى وجهات النظر ، وهو ما فعله أيضاً المؤلفان البريطانيان " نيل كيندون " و " دافيد توماس " وكلهم لاقوا النجاح قبل أن يحاولوا التعبير عن وجهات نظر الرجال ، ولكن أدى ذلك إلى كوارث لهم . لم يتمكن " نيل " من نشر أى موضوع أو مقال فى مجلات " نيويورك تايمز " ، أو " نيوزويك" ، أو " تايم " . نتيجة لذلك تراجع كل من " نيل " و " دافيد " عن الحديث عن قضايا الرجال ؛ أما " آسا " ، وهو أشهر كاتب عمود فى مجلة " بلاى بوى" ويقرأ له مئات الآلاف من القراء ، فلم يجرؤ على تأليف أى كتاب جديد ، ولم ينجح " جاك " فى نشر كتبه بعد ذلك .

نفس الموقف واجهه مؤلفو الكتب البريطانية التى لا تنشر فى الولايات المتحدة ، فقد جربوا نوعاً مختلفاً من معاملة " الستار الحريرى " فى بريطانيا . يشرح ذلك " نيل ليندرون " مؤلف " لا مزيد من الحروب بين الجنسين " " No More Sex War ": " تجاهلت اللقاءات الصحفية ما قلته وهاجمتنى بصفة شخصية ووصفونى بأننى عقيم وأن سبب غضبى هو عدم مقدرتى على إنشاء علاقة عاطفية مع امرأة . وتصادف فى هذا الوقت أننى على علاقة غرامية مع امرأة غاية فى الجمال ، ولكن ليس لذلك علاقة بالموضوع . ثم دعيت للحديث أمام منتدى ثقافى هو " كامبريدج يونيون " . كان ذلك فى نفس الفترة

التى كان فيها الهجوم على " سلمان رشدى " على أشده ، وبريطانيا كلها مندهشة من هذا الموقف . بعد إن انتهيت من المحاضرة وقفت رئيسة المنتدى وقالت فى عبارات لا لبس فيها إن كتابى يستحق الحرق . ما إن مرت عدة أسابيع حتى أخبرنى أحد الطلبة أن أستاذة التاريخ قالت لهم إننى يجب أن أضرب بالرصاص . أضرب بالرصاص ! كان ذلك بمثابة مفارقة صارخة لأن نفس الشعب الذى أبدى استياءه لمنع نشر كتاب " سلمان رشدى " هو نفسه الذى سارع بالمطالبة بمنع نشر أية آراء تواجه الحركة النسائية وتتغاضى عن كل مبدأ يتبناه " .

إن " نيل " على الأقل لم يواجه تهديدات بالموت مثل التى واجهتها " كاميلا باجليا " ، ولم يعش تجربة النبذ والنفى المعنوى التى عاشتها " سوزان شتاينمتز " ، و " ريتشارد جيلز " ، و " مورى شتراوس " عندما نشروا نتائج أبحاثهم عن العنف الذى تمارسه المرأة وأنه مساوٍ لعنف الرجال . ( راجع الفصل الخاص بالعنف المنزلى ) .

## كيف يعمل " الستار الحريرى " : الخطة ذات الخطوات الثماني

١. **من خلال البرامج التدريبية على " الدراسات النسائية " بحيث يصبحن الخبيرات الوحيدات فى شئون النوع الاجتماعى فى كل المؤسسات العاملة فى هذا المجال .**

خلال هذه العملية لا نجد أن وجهات النظر الرئيسية الأخرى غير ممثلة فى هذا الحوار حول النوع الاجتماعى . وجهات النظر هذه هى :

- **الرجال غير التقليديين** الذين يشعرون بأن الدور التقليدى لكلا النوعين يحتاج إلى تغيير ، وأن كلا الجنسين يحتاج إلى التعاطف خلال مرحلة التغيير . هذه المجموعات تتبنى بصفة مؤقتة قضايا الرجال ، ولكنهم فى النهاية يمثلون جزءاً من حركة التغيير فى إطار قضية النوع الاجتماعى . إنهم يؤمنون بأن التاريخ يثبت أن أياً من الجنسين لم يكن ضحية ، بل كان لكل منهما دور ضرورى للبقاء . ( رغم أننى أعتبر نفسى من هذه المجموعة ، فإننى لا أعتقد أن هذه القضية يجب أن تتعدى ربع المناقشات حول قضية النوع الاجتماعى للرجل والمرأة ) .

- **النساء التقليديات** ـ وهؤلاء يمثلن ٦٥٪ من النساء اللاتى لا يعتبرن أنفسهن جزءًا من الحركة النسائية المتشددة ( وهذا طبقاً لاستفتاء اشتركت فى إجرائه قناة " سى . إن . إن " ومجلة " تايم " ) .
- **الرجال التقليديون** ـ وهم المكافئ لنسبة الـ ٦٥٪ من النساء اللاتى لا يعتبرن أنفسهن جزءًا من الحركة النسائية . وهؤلاء يعتبرون أنفسهم المسئولين الوحيدين عن توفير مصروفات المعيشة والحفاظ على الوعود والوفاء بها .

ما هى النتيجة ؟ إن معظم جوانب العلاقة بين الرجل والمرأة تتم دراستها وتشريعها من وجهة النظر المناصرة لتحرير المرأة ، وتتجاهل وجهات نظر النساء التقليديات والرجال التقليديين ، وكذلك الرجال غير التقليديين . ولذلك سنجد أن وجهة النظر السائدة هي وجهة نظر الحركة النسائية ، فالمرأة ضحية تحتاج إلى تدعيم وتمكين وهو ما ينطبق على " الستار الحريرى " .

هذا الانحياز ليس صورة فريدة ، بل هو نمط قد يبدأ فى أي نظام وينتشر مثل الموجات التى يثيرها إلقاء حصاة فى الماء . عندما تسند عضوات الحركة النسائية المسئولات عن مكتب المرأة فى وزارة العمل إجراء دراسة أكاديمية إلى رائدة من رائدات الحركة النسائية ، وتقدم نتائج الدراسة إلى وسيلة إعلام تتحكم فيها الحركة النسائية ، لا تراجع مدى التحيز فى الدراسة . وعند إذاعة هذه النتائج ، بإيجابياتها وسلبياتها يتأثر الرأى العام ويساند محاولات تغيير التشريعات ، وهذا يؤدى إلى مزيد من التمويل الذى يقدم إلى الأبحاث الأكاديمية والحكومية التى تقوم بها عضوات الحركات النسائية .

كل هذا يؤدى إلى إضفاء مزيد من القيمة إلى وجهات نظر الحركة النسائية ، ويؤدى إلى انضمام عضوات جديدات . كيف يحدث ذلك ؟

### ٢. بإضفاء التقدير على الرائدات النسائيات ، وإلحاقهن بالمنح الدراسية ، والوظائف .

سنرى لاحقاً أنه يوجد " ١,٧٠٠ " مصدر تمويلي للنساء فى مقابل " لا شىء " للرجال ؛ وبذلك نجد أن التمويل متوافر لـ ٣٠,٠٠٠ دراسة نسائية تجد تمويلاً للأساتذة القائمين عليها ممن ينتمون إلى الحركة النسائية ،

بينما لا توجد مناهج أو برامج دراسية مشابهة يتولاها مدرسون يفكرون بوجهة نظر الذكور فقط ، أي " ذكورياً " . إذا أردنا التعبير عما نفكر فيه ؛ في معظم المؤسسات الكبرى نجد أن الطريقة التي يستخدمها قسم الموارد البشرية تسمح فقط بالنظم التي تراعي الجانب النسائي فقط ، وهذه النظم تتيح وظائف لعشرات الآلاف من منتسبي ومؤيدي المساواة بين الجنسين . حتى أن بعض الجوائز العالمية المحترمة ، مثل " بوليتزر " ، وجائزة الكتاب القومية ، يتم إهداؤها إلى نساء ينتمين دولياً إلى الحركة النسائية ، مثل " سوزان فالودى " ، و " تونى موريسون " ، ولكنها لم تهد مرة واحدة إلى متخصص في قضايا الرجل .

بعد توضيح تشكيل وإمكانيات تمويل الستار الحريرى ، تكون الخطوة التالية هي التعرف على ما يستحق أن يطلق عليه قضية ولا قضية ، والأخيار والأشرار . وهذا يحدث عن طريق ...

### ٣. تعريف قضيتين تتعلقان بالنوع من وجهة النظر النسائية فقط

حيث إننا نناقش العنف المنزلى ضد النساء فقط ، وليس ضد الرجال أيضاً ؛ وندرس نظام المدرسة من وجهة النظر التي تركز على نبذ بناتنا وليس أبناءنا ؛ ونحدد قضايا الصحة على أنها صحة المرأة ، وليس الأربعة والثلاثين جانباً صحياً التي تم تجاهلها والتي سنذكرها لاحقاً ؛ ونعرف العمل في المنزل باعتباره العمل داخل المنزل ؛ ونظل غافلين عما يزيد على خمسين مساهمة يقوم بها الرجال في هذا المجال ؛ ونبحث في شأن المواعيد الغرامية من وجهة نظر الفتيات حين يجدن الشباب مندفعًا في تصرفاته ، وليس من زاوية الشاب الذى يخشى أن تنبذه الفتاة أو من زاوية إحساسه بأن الفتاة لا تشاركه مخاطرة النبذ أو الرفض .

**حتى عندما يتنافس الرجال ( المشرعون مثلاً ) في التواصل لحل المشكلة ، فإن تنافسهم يكون في إطار تعريف الستار الحريرى** للمشكلة . قد يوجه الاتهام إلى الرجال بالسيطرة الذكورية ، ولكنهم في واقع الأمر يعملون من أجل النساء : تحكمهم هموم النساء وهم لا يدركون هموم الرجال .

**٤. عن طريق خلق بيانات الضحية من أجل تحفيز " قوة الضحية " .**

بينما تنشر كل بيانات المرأة كضحية ، يتم تجاهل أية بيانات عن الرجل كضحية . رأينا فى الفصول السابقة كيف أن البيانات التى تدور حول العنف المنزلى تجاه الرجل قد تمت التغطية عليها وإهمالها من قبل الرأى العام طوال ربع القرن الماضى . إن أفضل طرق تجاهل البيانات هو عدم توجيه الأسئلة لاكتشاف هذه البيانات . وهذه مجرد البداية . سنرى كيف أن جهاز الإحصاء يسأل النساء فقط عن نفقة حضانة الأبناء والتى يدفعها زوجها السابق . يتم ذلك أيضاً من خلال التزييف كما شاهدنا فى تقرير الأمم المتحدة عن البيانات الخاصة بالأعمال المنزلية .

عندما تصبح الأمور أسوأ بالنسبة للرجل الأمريكى ، مثلما يحدث مع قضايا الانتحار أو الختان ، نجد أن أحد الأشخاص الذين يتأثر فكرهم كلياً بالستار الحريرى قد يرى أنه فى أحد البلاد يكون حال النساء سيئاً ، ولكنه يصور هذا الحال ويصيغه بشكل أسوأ مما هو عليه ، ثم يصورون هذا الحال وكأنه مشكلة خاصة بالمرأة تسبب فيها الرجال أو النظام الأبوى ( الذى يتميز بالسلطة المطلقة للأب أو الرجل بوجه عام ) .

ما هو التأثير ؟ تستثير صورة المرأة الضحية غريزة الحماية لدينا جميعاً ، وتدعونا لتوفير المزايا للمرأة ، من أعمال المساندة الإيجابية إلى المنح الدراسية إلى توفير الدفاع القانونى الخاص . كل هذا يزيد من سطوة قوة المرأة كضحية . وهو ما يدفع الذين ينادون بالمساواه بين الجنسين إلى تجاهل البيانات ووجهات النظر التى تتعاطف مع الرجال خوفاً من تدمير سلطة النساء كضحايا .

هل تقوم البيانات الخاصة بالرجال كضحايا بتحفيز سلطة الرجال كضحايا . والتى توازى سلطة النساء كضحايا ؟ لا . إنها تحفز الشعور بالخوف . لماذا ؟ لأننا نخاف أن يفشل الرجل الذى يحتاج إلى المساعدة فى حمايتنا .

**٥. تجريم المشكلات الناجمة عن الدور الذكورى التقليدى ، وتجاهل المشكلات الناجمة عن الدور الأنثوى التقليدى .**

الرجال أكثر تعرضاً للإجبار على دفع نفقة الأطفال ( سواء بالخصم من أجورهم ، أو بوضعهم فى السجن ) وهذه تمثل قضية رئيسية ؛ أما النساء

فهن الأكثر قدرة على إنكار حق الآباء فى حضانة أبنائهم أو رؤيتهم ، ولكن القانون الذى يجبرهن على ذلك بلا أنياب . وبنفس المنطق ، الرجال هم مرتكبو عمليات الاغتصاب ، ولذلك بالغنا فى تجريم الاغتصاب ؛ أما بالنسبة للنساء ، فهناك عدد كبير جداً من البلاغات المزيفة عن التعرض للاغتصاب ، ولكننا نتجاهل أية بيانات تخبرنا عن هذا الجانب .

وبما أن الدور الجديد للمرأة يتطلب عملها خارج منزلها ، فإن حق النساء فى المساواة فى مواقع العمل يعتبر قضية جوهرية ؛ أما حق الرجال فى التساوى فى المنزل وفى ممارسة الأبوة فهى قضايا فرعية . ونظراً لأن الاحتمالات الأكبر هى إشراف الرجال على النساء فى مواقع العمل ، فمازال مطلوباً منهم أخذ المبادرة فى الجانب الجنسى ، وهنا ندعوه تحرشًا جنسيًا إذا لم تنجح العلاقة من جانب المرأة . ولكننا نتجاهل المشكلات التى تتجاوز الدور التقليدى للمرأة من حيث المبادرات غير المباشرة التى تقوم بها الجميلات صغيرات السن . فمثلاً ، استخدمت " مونيكا لوينسكى " جاذبيتها الشديدة سبعًا وثلاثين مرة للتقرب من الرئيس كلينتون وإغوائه ، ثم أصبحت مليونيرة ، ودمرت خلال ذلك سمعة الرئيس . هل فى هذه الحالة يكون لدى زميلاتها الحق فى مقاضاتها على هذه الفعلة غير العادلة ، من وجهة نظرهن ؟ هل سيتم التعويض عن الخسائر الناجمة من النظر إليهن على أن لديهن نفس الفرصة مستقبلاً . نحن لا نحاول تجريم المشكلات المنبثقة عن الدور النسائى .

ما هو تأثير ذلك ؟ ما إن يتم تصوير الرجل باعتباره الجانى ، حتى تتحول قصة الجانى إلى شىء مشكوك فيه وتتردد وسائل الإعلام فى استجواب " الضحية " المزعومة ـ فهى لا تريد أن تبدو كأنها تلوم الضحية أو لا تصدقها ؛ لهذا تقوم وسائل الإعلام بإسقاط تكليفها فى البحث والتحقيق .

### ٦. عدم التعرض لقضايا الرجال

الموضوعات الأخرى المرتبطة بالرجال ، مثل عدم وجود حبوب منع حمل للرجال أو العقوبات الخاصة بالرجال فقط ، التجنيد فى الجيش القاصر على الرجال فقط ، التساوى فى تكلفة المواعيد الغرامية ، التعرض للاتهامات المزيفة بالعنف المنزلى أو بالاعتداء على الأطفال ، وخاصة خلال

معركة الحضانة ، كل تلك الموضوعات والقضايا ليست واردة في الوعى العام بالمرة .

7. **اتهام من لا يوافق على نظرية " المرأة الضحية " بأنه " متعصب لأحد الجنسين " ، وإذا أصر ، تعرض مستقبله المهنى للخطر .**

في الوقت الذى يتم فيه تكريم الفكر النسائى ويتم تحويله إلى وظائف ، نجد أن العكس يحدث للفكر المضاد للحركة النسائية . يتصل بى كثير من الرجال عندما أكون فى لقاء مع المؤسسات ، ويعبرون عن مخاوفهم من تحرى الأمانة بشأن المرأة فى مواقع العمل . أتذكر مثلاً رجلاً فى مدينة " بيل" بـ " أتلانتا " قال : " إذا ما صرحت بأنه فى تمام السابعة مساءً من كل يوم لا أجد فى الإدارة سوى الرجال ـ وبأن هذا هو السبب فى أننا ترقينا سريعاً ـ ستكون هذه آخر مرة نحصل فيها على ترقية " .

8. **صمت الرجال**

إن الأسباب وراء صمت الرجال والثمن الذى يتم دفعه نظير ذلك ، هو الموضوع الرئيسى لهذا الكتاب ، لذلك ليس المراد هنا شرح ما هو المطلوب سوى أنه بدون هذا الصمت لن يكون الستار الحريرى موجوداً من الأصل .

لكل هذه الأسباب أصبح من الصعب جداً على الرجال ألا يتم الاستماع إلى قضاياهم فى الدول الصناعية ، وهذا مماثل لما كان يواجهه الرأسماليون فى الاتحاد السوفيتى السابق منذ عام ١٩١٧ وحتى الأيام الأخيرة عندما أطلق " جورباتشوف " فكرة " جلاسنوست " أى الانفتاح والمكاشفة .
هذا الستار يعمل من خلال الحكومة ، والمنظومة التعليمية ، والإعلام ، وكل المهن المساعدة . ولكن الحكومة أولاً .

## الحكومة والتمويل : تصنيع المرأة فى صورة " الضحية "

إن التمويل الخاص الموجه إلى النساء فقط مبنى على الاعتقاد بأنهن أقلية . ولكن هذا تغير ، ولذلك فإن استمرار هذا الاعتقاد هو نظرة أحادية ،ولذلك فالتمويل المبنى على هذه النظرة هو تمييز جنسى .



حيث إن الرجال يمثلون فى الوقت الحاضر الأقلية فى الجامعات ( ٤٥٪ ) ويتراجع المستوى الدراسى لمعظم الذكور فى كثير من الموضوعات باستثناء الرياضيات والعلوم وتكثر حالات الغياب وتأجيل الامتحانات ، وحالات الانتحار ، وتزيد صعوبات التعلم بالنسبة للفتيان فى المدارس ، يكون من المتوقع أن تتاح المساعدات المالية لهؤلاء الفتيان أكثر من الفتيات ولكن هذا لا يحدث .

يحتوى " دليل المساعدات المالية المقدمة للنساء ١٩٩٩ - ٢٠٠١ " على ما يزيد على ١,٧٠٠ برنامج تمويلى ... ناهيك عن أنها جميعاً مخصصة للنساء . هذه **المليارات** توجه فقط إلى المساعدات النسائية . هذه الأموال تم الحصول عليها مباشرة أو بصورة غير مباشرة من دافعى الضرائب . ليس هناك دليل مثل هذا للرجال فقط . وأنا على يقين من أنكم تعرفون ذلك .

إن الدراسات لا تتم إلا إذا تم تمويلها . فإذا كان نطاق البحث هو النوع الاجتماعى ، يكون التمويل موجهاً إلى المرأة فقط .

رغم سيادة النساء فى حقل الدراسات الإنسانية ، إلا أن المنح التى تقدم لدراسة قضايا العلاقات بين الإناث والذكور من " المجلس القومى للإنسانيات " تكاد تكون مقصورة على النساء ، وفقط من وجهة نظر متحيزة للنساء . نجد مثلاً ، أنه تم تخصيص ٢٧,٥٠٠ دولار لدراسة " المعتقدات فى السحر وتاريخ الفكر فى دول ما وراء النهرين القديمة " . ما هى أهمية مثل هذه الدراسة وفائدتها لكل من الرجال والنساء ، أليس الأفضل إجراء دراسة تؤدى إلى تحسين نوعية حياتنا مثل " تأثيرات وجود زوج الأم بدلاً من الأب الطبيعى على الأطفال والأسرة خلال فترات الطلاق " ؟

نجد هذا النمط سائداً فى المنح التى يخصصها " المجلس القومى للفنون " عندما يخصص مثلاً ، ٣٧,٥٠٠ دولار من أموالنا لتمويل معارض بعنوان " حياة المرأة لا تساوى شيئاً " ، ولكننا لا نجد أى شىء مشابه خاص بالرجال .

هناك دراسات أخرى تقوم بها الحكومة مباشرة ، ومن ذلك ما يقوم به مكتب الإحصاء العام . دعنا نلق نظرة .

هل تذكر العناوين التى تقول إن الرجال يدفعون مبالغ ضئيلة كنفقة لأبنائهم ، والمبنية على معلومات مكتب الإحصاء العام ؟ إن كل أرقام هذا المكتب مبنية على تقارير سجلتها نساء ، نعم نساء فقط .

مؤخراً نظمت الحكومة مسحاً خاصاً يتضمن الرجال . قال الرجال إنهم يدفعون نفقة تزيد ٤٠٪ على الأرقام التى ذكرت النساء أنهن يتلقينها من الرجال ( ٨٠ ـ ٩٣٪ من المبالغ الصادر بها أحكام ) ، بالإضافة إلى الالتزام بالدفع بالكامل وفى الوقت المحدد .

لماذا لم يعرف الرأى العام من خلال العناوين الصحفية أن الرجال ملتزمون ويدفعون ٨٠ ـ ٩٣٪ من النفقات المفروضة عليهم ؟ السبب فى ذلك أنه ما إن تم اكتشاف **أن وجهات النظر بشأن الرجال مختلفة عما هو سائد ، حتى توقفت إدارة دعم الأسرة عن إكمال الدراسة ، ولم يتم إعلان نتائجها** . وهو شكل آخر من أشكال فرض الرقابة والمنع . هذا لا يعنى بالطبع أن الأرقام التى أوردها الرجال صحيحة مائة فى المائة . ولكن على الأقل كان يجب أن يتاح لها أن تكون مسموعة .

## إفساد العدالة

أوضحت فى الفصل الخاص بالعنف المنزلى ، أن الكثير من القضايا والإحصائيات التى منعت من النشر كان ذلك بقرار من وزارة العدل الأمريكية : وهى الوزارة التى منعت نشر نتائج الاستفتاء الذى تم إجراؤه حول سوء المعاملة من جانب المرأة والذى أجرى عام ١٩٧٩ . وقد عثر بعض أساتذة الجامعات مؤخراً على البيانات المسجلة على الحاسب خلال هذا الاستفتاء تحت عنوان " حوادث القتل داخل الأسرة " . وكانت وزارة العدل قد ذكرت أن المرأة دائماً هى الضحية ، ولكن البيانات جاء فيها أن الضحايا ( ٥٥,٥ ٪ رجال ، ٤٤,٥ نساء ) . وقد قدمت وزارة العدل أيضاً تقريراً عن العنف ضد المرأة ، ولكنها لم تقدم أى شيء بخصوص العنف ضد الرجل ، رغم حقيقة أن ثلثى أحداث العنف تكون ضد الرجال . وكلنا رأي كيف أن مكتب التحقيقات الفيدرالى يخفى أسلوب المرأة فى القتل عن طريق صف الجريمة بأنها قتل اشترك فيه عدد من الجناة .

أعترف بأننى لا أعرف الآن أية دائرة حكومية تركز على قضايا النوع الاجتماعى من وجهة نظر غير متحيزة للمرأة بشدة . بل إن بعض المكاتب الحكومية الآن لا تعمل إلا فى هذا المجال فقط دون غيره .



ربما تكون قد قرأت أن الرجال يحصلون على أجور أعلى من المرأة فى مقابل نفس الوظيفة ، ومعظمنا يصدق هذا الافتراض ، وهذه المعلومة تم استقصاؤها من البيانات التى جمعتها وزارة العمل الأمريكية ، ولكن وزارة العمل لديها مكتب لشئون المرأة فقط ، وليس هناك مكتب لشئون الرجل . لذلك ، نحن لا نملك سوى بيانات أوّلية تخبرنا أن المرأة تحصل على سبعة وسبعين سنتاً فى مقابل دولار يكسبه الرجل ، ولكن ليس هناك مكتب لشئون الرجال يمكنه البحث عن الحقيقة الخفية فى هذا الأمر .

ما هى ، إذن ، الحقائق الخافية ؟ لقد اكتشفت خلال إعدادى للكتاب القادم ( ٢٥ طريقة للحصول على أجر أعلى "25 Ways To Higher Pay" ) أن الرجال يسلكون طريقة تختلف عن سلوكيات النساء فى مواقع العمل ( ٢٥ طريقة مختلفة ) . كل هذه الطرق تقود إلى حصول الرجل على دخل أعلى ولكن فى مجالات عمل مختلفة تمام الاختلاف ( أعمال خطرة ، مهن فنية متخصصة مثل الهندسة وجراحات المخ ) ، وتتطلب سلوكاً مختلفاً ( فترات عمل أطول ، نوبات ليلية ) ، وظروف قاسية مختلفة ( العمل فى ظروف جوية قاسية مثل : آبار البترول فى ألاسكا ، أو مناجم الفحم ..) واستخدام أكثر وأطول لوسائل المواصلات عند تغيير مكان العمل ، أو العمل خارج البلاد ، وهكذا .

ولكن مكتب شئون المرأة العاملة يقول لنا إن هناك ٢٥ عملاً فى مجالات مختلفة تحصل فيها النساء على أجور أقل من الرجال ؛ ثم لا يذكر شيئاً عن هذه المجالات ، ثم لا تلقى الصحف المحلية الضوء على حقيقة أن بعض النساء يحصلن على أجور تتعدى أجور الرجال ( العاملات فى مجالات هندسية معينة أو أمام الآلات ) . إن منظومة التعليم المدرسى الأمريكى تدعم هذا الانحياز ، حيث إنه فى عام ١٩٩٩ كان ٥٨ ٪ فقط من التلاميذ يعرفون القليل عن أساسيات العرض والطلب . لذلك فإن ٤٢ ٪ من التلاميذ لا يعرفون أن الرجال عندما يختارون عملاً لا يقدم عليه كثيرون ( لصعوبة العمل ) فإنهم يحصلون على أجر أعلى بسبب العرض والطلب ، وليس بسبب التمييز بين الجنسين . ( فى نفس الوقت يكون ارتفاع أجر الوظيفة هو الذى يجتذب الرجل لالتحاقه بها ) .

عندما يتغلغل هذا التحيز الذى يخلقه الستار الحريرى داخل أحاسيسنا ( وذلك نتيجة لوجود مكتب شئون المرأة وغياب مكتب شئون الرجال ) فإننا نجد أنه يخلق التبرير السياسى للآخرين ، مثلما حدث عندما تمت إقامة يوم الأجر المتساوى . بل نجد أن " آل جور " نائب الرئيس الأمريكى يتجاوز هذا الخط عندما يصرح بقوله إن النساء يتقاضين أجوراً أقل من الرجال ، وليس هذا فقط ولكن عندما تتفوق المرأة على الرجل يتم إحباطها بحرمانها من الوظيفة وإعطائها لرجل أقل كفاءة . لم يشر " جور " إلى الأعمال المساندة للمرأة فى الحالات العديدة الأخرى وإعطائها الصبغة القانونية . بعد كل ذلك يعلن المجلس الاقتصادى أن المرأة تحصل على خمسة وسبعين سنتاً فى مقابل الدولار الذى يكسبه الرجل .

نتيجة لمثل هذه المعلومات المضللة يسود جو سياسى يتيح للرئيس " كلينتون " أن يعلن زيادة مبالغ التعويضات التى تدفع نتيجة التمييز ضد النساء إلى ثلاثة أمثال المبالغ الحالية ، وذلك للعام المالى ٢٠٠٠ . وتم تنظيم حملة قومية لتقديم خدمة تعريف النساء بحقوقهن . وها هى ألفية قانونية جديدة مقبلة علينا ، محملة بالقضايا ضد الرجال . ما هو البديل لهذه القضايا ؟ البديل هو أن تتعرف النساء على الخمس والعشرين طريقة التى تحقق لهن دخلاً أعلى . وهذا يجعل الشركات تتمسك بهن أكثر مما تخاف منهن ، هذا هو الفرق بين التعاطف مع النساء كضحايا ، وتمكين المرأة .

## مكتب دراسات وبحوث صحة المرأة ...
## وموت أبنائنا وأزواجنا وآبائنا

ليس هناك ما هو أسوأ من سوء استخدام الستار الحريرى بما يؤدى إلى قتل آبائنا وأبنائنا ، وذلك فى المجال الخاص بصحة الرجال والنساء . لاشك أننا جميعاً نستفيد من الأبحاث التى تُجرى من أجل تحسين صحة الجنسين ، لماذا إذن التركيز على صحة المرأة فقط خلال السنوات الثلاثين الماضية ، بحيث أصبح هناك مكتب خاص لبحوث ودراسات صحة المرأة ، وليس هناك مكتب مماثل لصحة الرجل ؟ لأن القيادات الحكومية والناشطات المناديات بحقوق المرأة يقلن إن الأبحاث الخاصة بصحة المرأة لا تتلقى سوى ١٠ ٪ من إجمالى التمويل فى بحوث مجالات الصحة العامة ، ولكن لم يذكر أحد أن الأبحاث

الخاصة بالرجال لا تتلقى سوى ٥ ٪ فقط من إجمالى التمويل الحكومى للبحوث الصحية ( نسبة الـ ٨٥ ٪ المتبقية تذهب إلى الأبحاث الخاصة بالمجالات غير المتعلقة بجنس معين مثل الأبحاث فى الخلايا والدم والحمض النووى .... إلخ ) .

لقد تم إهمال الأبحاث فى بعض جوانب صحة المرأة ، وتم دفعنا للاعتقاد بأننا لا نهتم بالمرأة ونقوم بتجاهلها ، ولكن العكس صحيح ، فالرجال ، وخاصة المسجونين منهم ورجال الجيش والزنوج ، كلهم كان يتم استخدامهم كفئران تجارب لاختبار العقاقير الجديدة ، لأننا لا نهتم إذا مات هؤلاء الرجال ، أى أننا نستخدم الرجال للأبحاث التجريبية مثلما نستخدم الفئران فى التجارب المعملية .

هناك نقطتان مهمتان فى هذا الشأن : الأولى أن هذا الإهمال المزعوم تجاه النساء أتى من رغبتنا فى حمايتهن بصورة زائدة على الحد . **وأحد الموضوعات الأساسية فى هذا الكتاب هو " المفارقة فى حماية المرأة " . حيث إن حماية المرأة تؤذى مشاعرها** . هذا يعتبر مثالاً واحداً . أما النقطة الثانية فهى أن هذا الإهمال اقتصر على عدد محدود من جوانب صحة المرأة ـ حيث إن الأبحاث الخاصة بصحة المرأة بوجه عام يتخطى عددها الأبحاث الخاصة بصحة الرجل بمراحل متعددة .

لاحظ أن أحدا لم يقل لنا إن الاهتمام يجب أن يوجه إلى صحة النساء والرجال معاً ، ومن المثير للسخرية أن الرسالة المراد توصيلها بخصوص صحة المرأة جاءت مليئة بالتنافس : النساء يتم تجاهلهن ، والرجال لا يحدث لهم ذلك . أيضاً كان مضمون هذه الرسالة ينطوى على اللوم : الوسط الطبى من الذكور يهتم أكثر بالرجال " .

ما هى النتيجة ؟ النتيجة أن كل مواطنى العالم يظنون أن النساء تكون أعمارهن أطول بالطبيعة . ولكن لا يعلمون أن الرجل الأمريكى كان يموت قبل زوجته بعام واحد فى العشرينات من القرن الماضى ؛ ولكن الفارق الآن أصبح سبع سنوات إضافية تعيشها المرأة أكثر من الرجل . هناك العشرات من الدراسات حول الآثار السلبية لجراحات التجميل وتكبير ثدى المرأة بالسليكون ، أو زراعة الثدى ، ولكن لم تتم دراسة السبب فى أن الرجل يموت قبل زوجته بسبع سنوات . بل ولا أحد منا يعلم مدى سرعة تدهور صحة الرجل . عندما كتبت " أسطورة القوة الذكورية " " The Myth OF Male "

" Power عام ١٩٩٣ ، كانت الفجوة بين حالات الانتحار بين الإناث والـذكور بنسبة ١ : ٣,٩ ، وقد زادت الآن إلى ١ : ٤,٥ ( انظر الجدول ) . فى بريطانيا العظمى ، هناك حالياً زيادة بنسبة ٣٣٩ ٪ فى حـالات انتحـار الـذكور بالشـنق فقط .

حتى ونحن نسـتمع إلى زيـادة حـالات إصـابة النسـاء بـأمراض القلـب مثـل الرجال ، نسمع أن معظم من ماتوا بسبب أمراض القلب من الإناث فى حين أن هذا يحدث للرجال من قديم الزمان . ها هى الأمراض المرتبطة بمعـدلات الوفـاة لدى الكبار ، ونذكر منها أهم عشرة .

**عشرة أسباب رئيسية تؤدى للوفاة**

( مرتبطة بالتقدم فى السن )

| الأسباب | نسبة الرجال إلى النساء |
|---|---|
| ١. أمراض القلب | ١,٨ : ١ |
| ٢. التكيسات السرطانية | ١,٤ : ١ |
| ٣. أمراض شرايين المخ | ١,٢ : ١ |
| ٤. أمراض الرئة المعوقة | ١,٥ : ١ |
| ٥. الحوادث والإصابات المعوقة | ٢,٤ : ١ |
| ٦. الالتهاب الرئوى والإنفلونزا | ١,٦ : ١ |
| ٧. داء السكرى | ١,٢ : ١ |
| ٨. الإيدز | ٤,٣ : ١ |
| ٩. الانتحار | ٤,٥ : ١ |
| ١٠. أمـراض الكبـد المزمنـة والتليـف الكبدى | ٢,٤ : ١ |

التقرير السنوى ، مراكـز السيطرة علـى الأمـراض والوقايـة منهـا ، الإصدار ٤٧ ، العدد ٩ ، ١٠ نوفمبر ١٩٩٨ ، ص ٥ ، جدول ب .

بشكل ما ، فإن أبناءنا ، وأزواجنا ، وآباءنا يدفعون ما يقرب من ١٠ ٪ ضريبة مقومات الفناء لمجرد ولادتهم ذكوراً . الأكثر أهمية ، أن هناك ما يمكن القيام به من أجل تفادى ذلك . إن احتمالات حصول الرجال على توفير الرعاية الصحية أقل من النساء ، وتزداد الثغرة بين الاثنين كثيراً فى الوقت الحالى . نجد مثلاً أن ٩٤ ٪ من الوفيات نتيجة إصابات العمل ( فى مواقع البناء ، أو القاطرات ، أو خلال بناء الأسقف ، أو سائقى التاكسى ) من الرجال . رغم ذلك نجد أن عدد المفتشين المسئولين عن الأمان والسلامة فى العمل يقل ست مرات عن عدد المفتشين على الصيد والمباريات .

ما الذى تفعله الحكومة الأمريكية لحماية ما يقرب من نصف عدد سكانها ؟ لقد اعتبرت الحكومة أن المرأة هى الفئة الأكثر تعرضاً للخطر ، وذلك فى خطتها " شعب سليم صحياً حتى عام ٢٠١٠ " ، وهى بمثابة المخطط التشريعى والتمويل الخاص بالعقد الأول من الألفية الجديدة . إن هذا المخطط يجعل متاعب الهضم لدى المرأة أكثر أهمية من حالات انتحار الرجال أو إصابتهم بمرض القلب أو وفاتهم نتيجة إصابات العمل ، أو فترة عمرهم القصيرة بالنسبة للنساء ، أى أنه يتجاهل جميع الأسباب التى تؤدى إلى وفاة الرجال . وبشكل عام ، نجد أنه يحدد ثمانية وثلاثين هدفاً صحياً للنساء ، ويحدد اثنين فقط بالنسبة للرجال .

إن التغافل عن المخاطر التى يتعرض لها الرجال تؤذى أبناءنا . فسرطان الخصيتين يعتبر من أكثر أنواع السرطان انتشاراً فى الرجال من سن ١٥ ـ ٣٤ ، وعندما يتم اكتشافه مبكراً تكون هناك فرصة بنسبة ٨٧ ٪ للتماثل للشفاء . نحن نُعلم النساء كيفية فحص أثدائهن للكشف عن الأورام ، ولكن قليلاً من الآباء يُعَلمون أبناءهم من الذكور طرق فحص الخصية للكشف عن الأورام . إن معدل الانتحار بين الفتيان يتناقص فى الحين الذى يتزايد فيه عدد حالات الانتحار بين الفتيات . فعندما يعانى الأولاد من الضغوط المفروضة عليهم من خلال الدور الذكورى ، تتزايد معدلات انتحارهم بنسبة ٢٥ ٪ . أما معدل انتحار الرجال المسنين ( فوق ٨٥ سنة ) فقد ارتفع بمعدل ١,٣٥٠ ٪ أعلى من النساء فى نفس العمر .

كان يجب أن تستفيد هذه المجموعات من الموضوعات التى تعرضها وسائل الإعلام ، أو من الخطوط الساخنة المخصصة للرجال الذين يفكرون فى

الانتحار ، هذا إلى جانب إعلانات الخدمة العامة التى تساعد الرجال على الانتحار والإصابة بسرطان الخصية . من ضمن الأسباب التى تؤدى إلى وفاة الرجال مبكراً ندرة ذهاب الرجال إلى الأطباء لتشخيص أى مرض ، وهذا يعنى ضمنياً أننا يجب أن نجعل الرجال يتعلمون أكثر ، ولكننا فى الغالب لا نفعل ذلك .

ما الذى يمكن أن تتضمنه خطة " شعب سليم صحياً حتى عام ٢٠١٠ " ويكون متعلقاً بصحة الرجال ؟ ها هى أربع وثلاثون مشكلة تم تجاهلها ، وهذه مجرد بداية ، لاحظ الحالة الأولى من أسباب موت الرجال ـ أمراض القلب ـ وهى ليست موجودة فى هذه القائمة ( ربما لأنها أيضاً أهم أسباب موت النساء ؟ ) . لاحظ أيضاً أن بعض هذه الحالات نكاد لا نعرفها أو لم نسمع بها سابقاً ، ولذلك ليس هناك استثمار عاطفى داخلنا لاتخاذ أي إجراء بشأنها ، وهذه هى النقطة ، فلا يمكن الاهتمام بأمر لم نسمع عنه .

## المناطق المهملة المتعلقة بصحة الرجال

١. أقراص منع الحمل للرجال .
٢. الانتحار .
٣. حالة الإصابة بالاضطراب العصبى .
٤. تجربة الختان الصعبة .
٥. أزمة منتصف العمر الذكورية .
٦. صعوبة التعبير .
٧. التوحد ، مرض الاسترسال فى التخيل تهرباً من الواقع .
٨. سبب العنف الذكورى .
٩. العودة إلى الإجرام .
١٠. التشرد فى الشوارع وخاصة للمعمرين ( ٨٥ ٪ رجال ؛ ثلثهم معمرون ) .
١١. سوء استخدام المنشطات .
١٢. عمى الألوان .
١٣. سرطان الخصيتين .
١٤. سرطان البروستاتا .
١٥. التضخم المعتدل الحميد للبروستاتا .

١٦. المدى العمرى المتوقع ؛ لماذا زادت الفجوة بين عمرى الرجل والمرأة من سنة إلى سبع سنوات ؛ وما هى الحلول ؟ .
١٧. فقدان السمع بعد الثلاثين .
١٨. عدم الانتصاب : الوظائف الإيجابية والعلاجات غير الدوائية .
١٩. أمراض المسالك البولية غير المحددة .
٢٠. الأمراض المعدية ( أمراض الحالب ) .
٢١. أبناء " دى . إى . إس " ( دواء استخدمته الحوامل فى الأربعينات والخمسينات لمنع لإجهاض ، وقد عولجت المشكلة التى تتسبب عنه فى البنات ولكن تم إهمال مشكلة الذكور ) .
٢٢. الاستعداد النزفى .
٢٣. عدم القدرة على التركيز الناجم عن النشاط الزائد .
٢٤. الموت والإصابة فى موقع العمل ( ٩٣ ٪ رجال ) .
٢٥. سوء استخدام هرمونات النمو للرياضيين وكمال الأجسام .
٢٦. حالات ارتجاج المخ ، وتراكم الإصابات نتيجة تكرار حالات الارتجاج ( بين لاعبى كرة القدم ) .
٢٧. تناقص هرمون التستوسترون الذكورى ما بين الخمسين والسبعين .
٢٨. العقم ( ٤٠ ٪ من عدم الإخصاب بسبب الرجال ، وقد عولجت الأسباب لدى النساء ، ولا توجد بحوث لإخصاب الرجال ) .
٢٩. الاكتئاب ( النساء تبكين ، الرجال ينكرون ؛ النساء يخضعن للفحوص ، لا يفكر الرجال فى ذلك ؛ النساء يُعبرن ، الرجال يتكتمون ) ؛ فى بحث لمؤسسة " راند " وجِد أن اكتئاب الرجال لا يتم اكتشافه .
٣٠. التعرض للعنف المنزلى ؛ وعدم الرغبة فى الإبلاغ عن تعرضه للضرب المبرح .
٣١. الفيروسات المجهرية المسببة لأمراض القلب للرجال ما بين ٣٠ ـ ٦٠ سنة .
٣٢. انتقال الاستروجين للرجال خلال الاتصال الجنسى .
٣٣. تأثير عقار " الفياجرا " على أمراض القلب ، والضغوط ، والاتصالات الزوجية .
٣٤. نقص الرغبة الجنسية بين نصف الرجال من ٢٥ ـ ٥٠ عاما .

في بعض هذه الحالات ، مثل الأمراض المنقولة بالاتصال الجنسي ، دائماً ما نفكر في أن المرأة أكثر تعرضاً للخطر ، ولكن في الواقع يكون الرجال أكثر تعرضاً للخطر . فمازال الرجال يتعرضون للسيلان ، والزهري ، وهم معرضون بمعدل يزيد على أربعة أمثال للإصابة بمرض الإيدز . هناك حالات أخرى مثل استخدام " الفياجرا " وعدم الانتصاب ، وهي الحالات التي بدأت في الظهور في وسائل الإعلام مؤخراً عندما بدأ شرح تأثيرات " الفياجرا " ؛ وهو ما أشرحه في الفصل الخاص بمساعدة الرجال للتعبير عن مشاعرهم .

لقد زادت حالات وفاة الرجال الأمريكيين نتيجة سرطان البروستاتا ٢٠ ٪ أكثر من حالات وفاة السيدات بسرطان الثدى ، رغم ذلك فإن الحكومة تنفق على أبحاث سرطان الثدى أربعة أمثال ما تنفقه على سرطان البروستاتا . على أية حال ، تحسن الموقف عما كان عليه عام ١٩٩٣ حيث كان سبعة أمثال ، وهو ما ذكرته في كتابى " أسطورة القوة الذكورية " " The Myth Of Male Power " . لقد أحدثت الصحافة تأثيراً كبيراً في معالجة هذا الموضوع منذ ذلك الوقت .

ومع ذلك ، فنحن نجد أن الحكومة لا تسد سوى جزء ضئيل من الفجوة بين سرطان البروستاتا وسرطان الثدى . وعلى الرغم من أنه لا يمكن تحديد رقم للإنفاق الخاص في هذه الفجوة إلا أننى أقدرها بنسبة ٢٠ : ١ . وهذا لا يتضمن الجهود الخاصة التى تزيد من حجم الفجوة ، مثل قيام هيئة البريد الأمريكى بإصدار طابع بريد خاص قيمته ٤٠ سنتًا كانت حصيلته ٢٥ مليون دولار تم تخصيصها لأبحاث سرطان الثدى ، ولكننا لم نر أي طابع بريدي يهدف إلى جمع أموال لصالح أبحاث سرطان البروستاتا .

ما هو تأثير ذلك على حياة آبائنا ؟ فكر فى أمر واحد : فى العشرينات من القرن الماضى ، ظهرت عملية جراحية لتضخم البروستاتا بدلاً من الطريقة التقليدية ، ظلت هذه العملية تجرى طوال ستين عاماً دون أن يحاول أحد دراسة فائدة هذه العملية ، وعندما تم أجراء البحث حولها اتضح أنها تسبب الموت خلال ٥ سنوات من إجرائها . وقد استطاع باحث كندى - وليس أمريكيا - اكتشاف ذلك ولم يتم إنفاق أى دولار أمريكى على هذا البحث . تصور لو أن الباحثين ظلوا طوال ستين عاماً لا يحصلون على تمويل لبحوث سرطان الثدى ، وظلت النساء تمتن بسببه ، ماذا كان سيحدث ؟

إن قوة الستار الحريرى تتواجد حتى فى المؤسسات التى يسيطر عليها الرجال . إليك هذا المثال . اكتشف الدكتور " تشارلز ماكدويل " الرئيس السابق لمكتب تحقيقات سلاح الجو الأمريكى أن ٢٧ ٪ من شكاوى النساء العاملات فى السلاح الجوى بأنهن تعرضن للاغتصاب ، اتضح أنها مزيفة ، اعترفت النساء بذلك قبل التعرض لاختبار كشف الكذب . استطاع د . " ماكدويل " الخروج بقائمة تضم ٣٥ مؤشرًا لتمييز الاتهامات الكاذبة من الحقيقية ، وذلك عندما درس كل الادعاءات الكاذبة . بعد ذلك تولى ثلاثة قضاة مستقلين بحث القضايا المتبقية ، وكان الأساس فى عملهم هو ضرورة إجماع الآراء على كذبٍ الادعاء ، كانت النتيجة ارتفاع نسبة الاتهامات الملفقة إلى ٦٠ ٪ . **وبدلاً من نشر هذه النتائج المعبرة عن فضيحة الادعاءات الكاذبة ، دفنت الدراسة ، وتم إقصاء الدكتور " ماكدويل " ونُقِل إلى مكان آخر ، وهذا هو البديل الخاص بالقوات الجوية للنفى إلى سيبيريا .**

شكلت الولايات الأمريكية لجانًا لمراجعة نظمها القضائية ، وهذه اللجان اتسمت بالتحيز لأحد الجنسين . لقد أجمعت كل اللجان على أن نظام الجنايات مدان بالتمييز ضد النساء ، ولكن هذه اللجان الحكومية لم تكن فى الحقيقة لجانًا حكومية ، لقد كانت لجانًا متحيزة للنساء ، فقد دفعت الحكومة إلى المنظمة الوطنية للمرأة وإلى معظم الاتحادات النسائية للنساء القاضيات المتميزات ، وكلفت هؤلاء جميعاً باختيار القضايا التى تستحق البحث ، وتلك التى لا تستحق البحث . إن وصف هذه اللجان بأنها تابعة للحكومة يرجع فقط لأن الحكومة هى التى تمول البحث ـ وهذا يعنى أننا نحن الذين ندفع هذه الأموال . حتى الموظفون الذين عملوا فى هذا البحث على المستوى التنفيذى كانوا نشطاء ونشيطات فى الحركة النسائية .

إليك بعض الطرق التى توصلوا بها إلى استنتاجاتهم . بيان : عقوبة المرأة والرجل على نفس الجريمة ، غالباً ما يطلق سراح المرأة وتظل فترة تحت المراقبة ؛ ويحصل الرجل على حكم بالسجن . الاستنتاج : النساء ضحايا للتمييز لأن فترات المراقبة تكون أطول ! قول مزيف .

بيان : عدد سجون النساء أقل من عدد سجون الرجال . الخلاصة : النساء ضحايا التفرقة العنصرية لأن هذا يجبر أقاربهم على السفر مسافات طويلة

لزيارتهن . مغالطة : النساء يعاقبن بفترات مراقبة وسجن أقصر مما يحكم بها على الرجال لنفس الجريمة ، لذلك عدد النساء المسجونات أقل وبالتالى عدد سجونهن أقل . ثانياً ، ليس هناك احتياج لمزيد من السجون بالقرب من المدينة لقلة عدد المسجونات ؛ ولو أن اللجان وجدت أن عدد المسجونات أكثر لكانت قد توصلت إلى أن هذا نتيجة الفقر والحالة المتردية التى تعانى منها النساء ، والذى هو تفرقه عنصرية من المجتمع ضد المرأة . ثالثاً ، وضع السجن بعيداً عن المدينة يتيح إقامته بطريقة مريحة ومساحات مفتوحة تسمح للمرأة وأبنائها بالاستمتاع والاستجمام . بالطبع هناك ضريبة مقابل هذه المزايا ، وهى أن عدد السجون القريبة من المدن قليل جداً مما يضطر أقارب المسجونات إلى التنقل لمسافات كبيرة .

بنفس المنطق كان لدى اللجان القدرة على إدراك ضرورة اهتمام السجون بالمشكلات الفردية الخاصة بالمرأة فقط ، وليس بالرجل ، مثل تجاهل الحراس لما يحدث من اغتصاب فى سجن الرجال ؛ ولكن يتم التركيز على ازدحام سجون النساء ولا ينتبه أحد إلى التكدس فى سجون الرجال .

عندما كتبت عن هذا التحيز من ناحية هذه اللجان فى كتابى " أسطورة القوة الذكورية " "The Myth OF male Power" ، أصرت قناة " فيلادلفيا " التليفزيونية على أن تلقى الأضواء على كتابى عن طريق الكشف عن حالة سجون النساء المتردية . أشهد لهم ، أنهم أعلنوا أن كل ما توصلت إليه من نتائج يعبر عن الحقيقة ؛ ولكن خلف الشاشة ذكروا لى أن المسئولين لم يوافقوا على عرض البرنامج لأنهم لا يتفقون مع ما ورد بالكتاب .

عندما تقوم محطة تليفزيونية فى ولاية " فيلادلفيا " بالبحث والتحقيق لا يكون هناك تأثير كبير على السياسة ، وعندما تولت مجلة " نيويورك تايمز " مناقشة الكتاب وخصصت عددًا من المحررين لكى يحققوا فى مدى صحة ما ورد به من نتائج ، نال النشر اهتماماً كبيراً من القراء . ولكن ما نشر هو استخلاصات اللجان وبدون أية مناقشة لها .

إن اللجنة الحكومية التى يتم تنصيبها من أجل التمييز بين الجنسين ، والتى تكون متحيزة تماماً للنساء ، يمكن أن نعتبرها شبيهة للجنة حكومية جمهورية تتعلق بالتحيز لأحد الأحزاب السياسية ، فإذا قام أحد الأحزاب السياسية بذلك فإن الأمر يمكن أن يطلق علية فضيحة ؛ أما عندما يقوم رواد الحركة النسائية بذلك فإننا نطلق عليه عملاً رسميًا . إن هذا يعتبر مثالاً جديداً

على الحال الذى أصبحت عليه حركة تحرير المرأة بكونها نظامًا سياسياً للنوع يتكون من حزب واحد فقط .

فى الوقت الذى يكتسب فيه رواد الحركة النسائية المصداقية من تصنيف الحكومة لأبحاثهم على أنها رسمية ومعترف بها ، تبادر الحكومة من جانبها بالإضافة إلى هذه المصداقية بتمويل الأبحاث والدراسات النسائية فى الجامعات الكبرى . وهذه المنح أصبحت مصدر تمويل للجامعات ذاتها من خلال هؤلاء الأشخاص الذين يتلقون المنح ، كما تصبح مطبوعاتهم مجالاً لترقية الأساتذة المؤيدين لحرية المرأة . كل ذلك يحدث رغم كونها ضد القانون ، بنفس الأسلوب الذى مارست به المكارثية عملها رغم الضمانات الدستورية بحرية التعبير .

إن الإحصائيات يمكن أن يساء استغلالها ، لذلك من الضرورى أن تكون نابعة من مصادر تتسم بالتوازن بين القوى . إن الرجال لا يتكلمون جهراً ، ولا ينظمون ، ولا يعلنون عن أى شيء ، لذلك فإن أى تحيز من جهة النساء لا يتم الإفصاح عنه ، ولا يبقى على السطح إلا تحيز الرجال ضد النساء . أنا شخصياً سأعترض بقدر إمكانى لو أن الإحصائيات الحكومية تم إعدادها على يد دارسين متبنين لوجهة النظر الذكورية فقط ، ويرون أن الموضوع الوحيد الذى يستحق إلقاء الضوء عليه هو الطرق التى تتبعها النساء فى القتل .

إن تمويل الحكومة لدراسات النوع الاجتماعى الذى يقتصر على مناصرى الحركة النسائية فقط يتشابه مع تمويل وزارة الزراعة لدراسات التبغ عن طريق شركة " مارلبورو " حصرياً . إن كونك باحثاً ليس معناه أن تكون لك وجهة نظر ثابتة ومحددة ، ولذلك عندما يطلق وصف " باحثة فى الشئون النسائية " ، يكون الأمر كما لو أننا نقول " باحث من الحزب الجمهورى " .

### التعليم أم السيدة " تعليم " ؟ : أين يُنسج الستار الحريرى ؟

نظرياً ، تمنع المادة التاسعة التمييز على أساس النوع فى التعليم . ولكن الجامعات تمارس التحيز علنا للمرأة رغم أنها حصلت على المساواة . فنجد أن ٥٥ ٪ من الملتحقين الجدد والمتخرجين فى الجامعات إناث فى مقابل ٤٥ ٪ من الذكور . وإذا فُرِض أن التحيز ضد الفتيات كان هو القضية ، ما كنا وجدنا الفتاة ذات الأصول الأفريقية تحصل على ٥٧ ٪ من الدرجات العلمية العالية من إجمالى الدرجات التى يحصل عليها الزنوج الأمريكيون .

رغم ذلك ، تخصص الجامعات برامج لصالح الطالبات فقط ، وكذلك الأمر بالنسبة للعاملات والمدرسات . حتى فى مجال الدراسات الأساسية ، مثل التعليم حيث إن هناك احتياجًا أساسيًا للرجال ، هناك مراكز تعليم النساء ، ولكننا لا نجد مراكز لتعليم الرجال فقط .

فى جامعة " ميتشيجان " على سبيل المثال ، تم تصميم الخطة التعليمية بحيث تركز على مساندة العاملات والمدرسات للحصول على الترقيات ، ودعم الطالبات للحصول على مساعدات ومنح دراسية . هذه الخطة التعليمية كانت بمثابة المانع الرئيسى لالتحاق كثير من الدارسين الرجال بالبرامج الدراسية فى جامعة " ميتشيجان " . ومن أمثلة ذلك : مركز بحوث تعليم المرأة ؛ معهد بحوث المرأة والذى يقتصر الالتحاق به على الطالبات ويخصص تمويلاً قدره خمسة آلاف دولار لكل بحث من ٤٠ بحثاً سنويًا ( من الطبيعى أن تركز البحوث على إثبات أن المرأة تعانى من التمييز بينها وبين الرجل ! ) ؛ أما بالنسبة للإناث قبل التخرج فى الجامعة فهناك برامج محلية يطلق عليها ( النساء فى مجال العلوم والتعليم ) ؛ على مستوى أقل من ذلك يوجد برنامج جامعى نسائى تحت مسمى ( جهود التوظيف ) وهو يسمح لكل قسم بترشيح إحدى وثلاثين عاملة أو معلمة للترقى إلى الدرجات الأعلى ؛ هناك أيضاً برنامج للدراسات الأكاديمية الخاصة بالنساء الملونات .

لا توجد فى هذه الجامعة برامج خاصة مكافئة للرجال ، سواء فى " ميتشيجان " أو فى أية جامعة أخرى ، حتى في المجالات التى يعتبر أبناؤنا فيها أقلية ، مثل كل الفنون ، والدراسات الإنسانية ، والعلوم الاجتماعية ، واللغات .

## " لسنا فى حاجة إلى دراسات عن الرجال ... إن التاريخ ما هو إلا دراسات عن الرجال ، أليس هذا صحيحا ؟ "

تعتبر الدراسات النسائية البذور التى ترعرعت منها غالبية حركات تحرير المرأة . وهى بمثابة الرحم الذى ولد منه الستار الحريرى .

هناك ما يزيد على ثلاثين ألف برنامج عن دراسات المرأة يتم تقديمها حالياً فى الجامعات الأمريكية . كما يوجد ٧٠٠ مادة دراسية رئيسية أو ثانوية تدرس فى الكليات . إذا ما كنا نبحث عن مؤشرات لما سيحدث فى الألفية الجديدة ،

فعلينا مشاهدة ما يحدث فى " كاليفورنيا " : كل جامعات " كاليفورنيا " تتطلب حتمية الحصول على دراسات نسائية كجزء من أي مناهج علمية . أما على المستوى القومي ، فثلث الجامعات تقريباً تتطلب الحصول على دراسات نسائية قبل التخرج .

فى دراسة أجريت على البرامج الجامعية فى ٥٥ جامعة رئيسية ، وجد أن كل هذه الجامعات ، باستثناء جامعة " برينستون " ، تقدم برامج دراسية عن المرأة أكثر من البرامج التى تتيحها لدراسة الاقتصاد ، على الرغم من أن الدراسات الاقتصادية تفوق فى عددها الدراسات النسائية بنسبة عشرة إلى واحد .

يوجد على قائمة البرامج فى جامعة " بنسلفانيا " برنامج دراسى عن " نقد المسيحية من وجهة نظر الحركة النسائية " . ولكن لا يوجد فى أي من الجامعات الخمس والخمسين دراسة متاحة عن " النقد المسيحى للحركة النسائية " . إن النقد الذى يوجه إلى العقائد الدينية سببه الادعاء بأنها تملك الحقيقة المطلقة ، والنظر إلى المؤمنين بهذه العقائد على أنهم أعلى مقاماً ممن لا يؤمنون . والمفارقة هنا أن هذا ينطبق كل الانطباق على الحركة النسائية التى تنتقد العقائد .

لاشك أن اعتراض الحركة النسائية على تخصيص دراسات عن الرجال يبدو مقنعاً : " ما التاريخ إلا دراسات لأعمال الرجال " . هنا لابد أن تتوقف كل الأمهات ويعترضن على هذا المنطق . إن وظيفة الأبحاث عن النساء أو الرجال هى استطلاع الأدوار حتى يتاح لأبنائنا الاختيار ، وليس قولبة بناتنا وأبنائنا فى أدوار نمطية بدون مراعاة لخصوصياتهم الفردية . كان الغرض الأساسى من الدراسات النسائية تحقيق ذلك للنساء ، ولكن برامج دراسات التاريخ تفعل العكس للرجال . **إن برامج دراسات التاريخ التقليدية ما هى إلا تاريخ كلا الجنسين وأدوارهم التقليدية ـ أدوار بدون أي اختيارات .**

ولكن التاريخ ليس تاريخ الرجال لمجرد أن الدراسات التقليدية للتاريخ تدعم الدور الرجالى التقليدى فى الأداء والإنجاز ، فمن الصعب أن نجد اسم أى رجل فى كتب التاريخ مذكورًا بدون أي مبرر أو إنجاز ( قد يكون ثائراً أو متمرداً ولكنه مذكور فى التاريخ لأنه كان يؤدى دوراً نجح فى أدائه ) . على العكس من ذلك ، تمجد الدراسات والبرامج النسائية كل امرأة خرجت على دورها ( مدام " كورى ، سوزان بى . أنتونى " ، هاريت توبمان " ، مارى آن ايفانز " ،

الشهيرة بـ " جورج اليوت" ) . النساء هنا باعتبارهن صاحبات إنجاز ، فمن بذلك من خلال الخروج على أدوارهن التقليدية .

إن كتب التاريخ تضع الرجال في مصيدة تنميط الأدوار أكثر من تنميط النساء . إننا حين نخلد اسم شخص لقيامه بدور ما ، فكأنما ندفع له ليواصل لعب هذا الدور . إن إبداء التقدير للعبد يبقيه عبداً .

إننا في أشد الاحتياج إلى الدراسات الخاصة بالرجال أكثر من دراسات النساء ، لأن دور الرجال لم يعد موضوعاً للبحث ، ولكن الأكثر أهمية . إنه بدون هذه الدراسات ، تقوم الجامعات بتعليم أبنائنا أن الرجال كانت لديهم على الدوام اختيارات ، وأن النساء لم يكن لديهن أي بدائل ، وذلك بدلاً من أن تعلمهم أن جدودهم وجداتهم لم يكن لديهم اختيارات ولكن كانت عليهم التزامات . كان دور جداتنا هو تربية الأبناء ، ودور الجدود هو جمع الأموال ( أو المحاصيل ) . كلاهما كان له دور ، ولهذا السبب لم يكن لدى أحدهم السيادة .

إن عمل الدراسات النسائية دون الاستعانة بالدراسات الخاصة بالذكور يعنى عدم بحث واستطلاع العملية التى تعيد تأهيل بناتنا اجتماعياً ودراسياً وتدعمهن بالأدوات والبرامج المساندة من أجل إلحاقهن بالمجالات التقليدية للجنسين ، فى الوقت الذى يظل فيه الرجال منعزلين عن المجالات التقليدية للمرأة مثل الفنون الحرة . لماذا يحدث ذلك إذن ؟ لأنه بدون الدراسات الخاصة بالذكور . لن يتعلم أبناؤنا وبناتنا فهم العملية التى تشمل " زواج المصلحة " والذى يجمع بين المال والنجاح ، وبذلك لا يشكك أبناؤنا فى عملية برمجة أنفسهم من أجل جمع المال فى سبيل الحصول على الحب . وبما أنهم يعلمون أن الوظائف التى توفر المزيد من المال تأتى من خلال دراسة الهندسة والفيزياء والرياضيات والطب وإدارة الأعمال والقانون ، فسوف يستمر أبناؤنا فى تجنب دراسة الفنون الحرة ، ويعتبرون الجامعة مكانًا للتأهيل المهنى .

بدون الدراسات الخاصة بالذكور ، سينتهى الأمر ببناتنا ولديهن ثلاثة اختيارات ( العمل طوال الوقت ، أو تربية الأطفال طوال الوقت ، أو مزيج من الاثنين ) ، بينما ينتهى الأمر مع أبنائنا بثلاثة بدائل مختلفة قليلاً ( العمل طوال الوقت ؛ العمل طوال الوقت ؛ العمل طوال الوقت ) . عندما توجد دراسات عن النساء بدون دراسات عن الرجال ، فنحن نخلق عهداً من الاختيارات المتعددة لبناتنا واللابدائل لأبنائنا . وهو تماماً موقفنا الآن .

إن الغضب الذى ولدته الدراسات النسائية قد تسلل إلى كل الجامعات الكبرى . وكبداية ، نجد أن هناك مائتى جامعة لديها " مفردات شفرية " ، فمثلاً فى جامعة " ميتشيجان " ، نجد أن عبارة " النساء لا يتمتعن بنفس كفاءة الرجال فى هذا الميدان " واردة فى هذه القائمة " الشفرية " على أنها عبارة هجومية . ولكن استخدام نفس العبارة فى وصف الرجال لا يعتبر شيئاً هجومياً . من يخالف هذه " الشفرة " قد يعاقب بالوضع تحت الملاحظة أو استحقاق عقوبة خدمة المجتمع لفترة ما ، وقد يستغل ذلك ضد الشخص طوال حياته وخاصة إذا كان يعد نفسه لمنصب سياسى أو أكاديمى . طبقاً لهذه القائمة ، هناك عبارات وكلمات ممنوع استخدامها ، لأنها ستعتبر هجومية من وجهة نظر النساء أو الأقليات ، ولكنها لا تعتبر كذلك لو تم توجيهها إلى الرجال .

يتعرض الطلاب فى جامعة " ميتشيجان" للأذى بطرق أخرى . يقول " لين شينى " رئيس مركز الدراسات الإنسانية : إنه تناقش مع ستة من أساتذة جامعة " ميتشيجان " كانوا قد اتهموا بالتحرش الجنسى وتضمنت الاتهامات أمورًا مثل " عدم تبادل التحية مع طالبة بطريقة ودية " و " عدم قراءة رواية معينة " . بعض الاتهامات بالطبع كانت أكثر إساءة لهم ، ولكن ما ذكرناه يعبر فقط عن الجو العام السائد ، ويحمل رسالة إلى الأساتذة الآخرين أنهم معرضون للأذى من الطالبات عامة ومن الناشطات النسائيات بشكل خاص .

حتى هؤلاء الذين يمزحون ، أو يمرحون صاروا الآن معرضين للاتهام بخرق النظام فى الحرم الجامعى لأنهم " يخلقون حالة من الروح العدائية " ، وفقط فى ساحة الدراسة ، ولعل رواد حركة حرية التعبير يتقلبون الآن فى قبورهم - أو نقول فى شعورهم البيضاء .

إن " القائمة الشفرية " تكون أقل عدائية لو أنها كانت فى هذين الاتجاهين ، ولكن حتى فى هذه الحالة تنعدم أغراض الجامعة لإعداد أبنائنا لخلق فرص الإفصاح عمّا يسبب لهم الأذى ، وليس تبادل الدعاوى القضائية . عندما تعبر شفرات الحديث عن جنس واحد دون الآخر ، فإنها ترتد وتصيب بناتنا خلال استعدادهن للعمل . إن إعطاء النساء نصيباً أكثر من اللازم من الحماية القانونية ، يحولهن إلى طبقة تحت الحماية ، هذه الحماية الزائدة على الحد تجعل بناتنا أقرب إلى الأطفال ، وهن بذلك يتحولن إلى طبقة متميزة . ولأن هذا الوضع لم يكن بسبب جهدهن ، سيشعرن بأحقيتهن فى هذا الوضع -

وهو شَرَك يقعن فيه حينما يلُمْن الآخرين ويرفعن القضايا عندما يحدث ما يسوء بدلاً من مواجهة أنفسهن والنظر داخلهن ، وكل ذلك يدحض قدرة بناتنا على أن يصبحن موظفات ناجحات ورئيسات عادلات .

هذه القوائم الشفرية تدمر أيضاً حياة بناتنا الشخصية . لماذا ؟ لأنه كلما قل تعبير الرجال عن أحاسيسهم ، بدت السخرية من الرجال أمرًا له ما يبرره . إن بناتنا يتخرجن في الجامعة وهن يعرفن حقوقهن ، ولا يعرفن حقوق الرجال ، ويؤدى ذلك إلى توجيه الغضب نحو الرجال ، وافتقاد تقدير البنات لآبائهن . والمرأة التى لا تبدى التقدير لأبيها لا تشعر بأنها محبوبة ، وهذا يؤثر على قدرتها على إبداء الحب لزوجها وعلى تربية أبنائها . وخلال عملية كبت مشاعر الرجال تجاه النساء ، وليس مشاعر النساء تجاه الرجال ، تصبح القائمة المشفرة بمثابة تدريب على الطلاق . ويكون ذلك أيضاً عبارة عن إعداد لتربية الأبناء بواسطة أم وحيدة منسحقة وغاضبة .

إن الأمر يبدو أكثر سوءاً من منظور أبنائنا فى الجامعة ، كيف سيكون شعورك عندما يخبرك ابنك أو ابنتك أنهم استبعدوا من الفصل الدراسى لكونهم ضد السامية ؟ كنت أشارك فى برنامج فى " سياتل" بعنوان " لقاء فى المدينة " . كان " بيت شوب " الطالب فى السنة النهائية بجامعة " واشنطن " فى " سياتل " مدعوًا هو الآخر لهذا البرنامج . يذكر " بيت " أنه كان ملتحقاً بأحد برامج الدراسات النسائية ، وذات يوم اعترض على الادعاء بأن الرجال جميعاً يضربون نساءهم ، ويعتدون على الأطفال ، ويعتبرهم المجتمع مغتصبين ، وقد أدى هذا الاعتراض إلى اتهامه بالتحيز ضد النساء ، وعندما واصل اتخاذ هذا الموقف ، طُلب منه صراحة الانسحاب من الفصل الدراسى . قام بتذكير المسئولين بأن الإعلان عن الفصل الدراسى كان عنوانه تشجيع وتنشيط الانفتاح فى المسائل التى تهم الرأي العام ، كان يشعر بينه وبين نفسه بأن ما يحدث له هو تشجيع على التحقيق القضائى . كان عميد الكلية حائراً بين حرية المرأة وحرية التعبير ، قال له العميد : يمكن أن أعيد تسجيلك رسمياً ، ولكن أنصحك بعدم حضور المحاضرات .

الخلاصة أن شفرات الحديث المنبثقة من البيئة التى تخلقها الدراسات النسائية ، لا يمكن أن تصنع زواجاً سعيداً ، ولا أماً صالحة ، ولا موظفة ناجحة ، أو حتى رئيسة عادلة . ( فى الحالات الأخرى تكون أكثر نجاحاً ) ، وخلاف ذلك تكون هذه الشفرات مخالفة بشدة للدستور .

لم تظهر هذه القوائم من فراغ . إنها مبررة طبقاً لفلسفة محورية فى عديد من برامج الدراسات النسائية ، وهى دراسة نسائية ماركسية ترى أن الرجال فى الدول الصناعية يمثلون جزءًا من الطبقة الحاكمة ، من الطبقة الرأسمالية المسيطرة ، فى حين أن النساء يعاملن فى هذا النظام باعتبارهن التوابع ، كمواطنين من الدرجة الثانية ، أو باعتبارهن ملكية خاصة للرجال . وطبقاً لهذه النظرية فإن على الطبقة المهيمنة أن تظل صامتة وغير ناقدة حتى تحافظ على الأمل فى انتقال النساء من التبعية إلى المساواة . باختصار ، فإن فرض الرقابة على الرجال يكون أحد متطلبات المساواة ، تماماً مثلما كانت تعتبر الرقابة على المواطنين السوفييت مطلباً مسبقاً للمساواة ، ولكن ثبت أن كل هذا غير صحيح فقد أدى ذلك إلى تحول الاتحاد السوفييتى إلى دولة من العالم الثالث .

أليس حقيقياً ، رغم ذلك ، أن توجيه النقد للنساء ، والمرح الذى لا طعم له ، والسخرية تخلق بيئة عدائية تمنع النساء من التعلم ؟ فى البداية ، بلى . ولكن جزءاً من أهداف التعلم هو التغلب على هذه الاستجابة ، واستخدام القدرة على توجيه وتلقى النقد كفرصة للنمو ، وتعلم التعامل مع الناس ذوي القيم المختلفة ، ومن يتمتعون بروح الفكاهة ، والتواصل مع الآخرين لتوصيل وجهات نظرك والاستماع إلى وجهات نظر الآخرين . هذا يعنى أن الحل ليس هو إدماج السخرية من الرجال فى الرقابة المفروضة على شفرات الحديث . **ولكن الحل هو الاستفادة من الصراع الدائر بين الجنسين لتعليمهما كيفية الإنصات إلى بعضهما البعض** . ( تطبيقاً لما جاء فى الجزء الأول من الكتاب ) .

إحدى المساهمات الإيجابية للحركة النسائية المتطرفة فى بداياتها كانت التركيز على قيمة العملية ذاتها وتطوراتها وليس على منتجها ... ألا وهو الدرجة الأكاديمية . إن الجامعة هى معمل لتعلم كيفية العمل من خلال عدم الاتفاق ، وليس لتعلم زيادة تعقيد المشكلة للجنس الذى نادراً ما يشتكى ، وإشعال الغضب لدى الجنس الذى يشكو باستمرار .

ما هو إذن الوضع الحالى لدراسات الرجال ؟ إن دراسات الرجال فى شكلها الحالى ما هى إلا دراسات عن النساء . صحيح أنها تركز أكثر على الرجال ، ولكن باعتبارهم مشكلة . ويفترض أن يقوم بتدريسها رجل ، ومن وجهة نظر رجل ، ولكنها تدرس من منظور الحركة النسائية . إن قضايا الرجال ، من المنظور الذى أناقشه ، تعتبر قطاعاً بسيطاً لا يتعدى ثلاثة فى المائة من إجمالى الحلقات الدراسية .

فى مقابل ٧٠٠ عنوان لبرامج رئيسية وفرعية للدراسات النسائية ، هناك عدد قليل جداً من الدراسات الفرعية عن الرجال . وفى هذه الدراسات تكون " النظرية النسائية هى المعالجة التفسيرية السائدة " ، ومع ذلك فقد افترضت إحدى الباحثات أن كثيرًا من النساء التحقن بهذه الدراسة لأن الرجال لا يرغبون فى مواجهة مشاكلهم ، ولكن النساء كنَّ يفعلن ذلك .

إن الهدف من إجراء الدراسات الخاصة بالرجال ليس من أجل دراسة الرجال لذاتهم . وهو ما يجب أن ينطبق أيضاً على الدراسات النسائية . يجب أن ينقل الجنسان الدراسات الخاصة بالنوع الاجتماعى إلى مرحلة جديدة ، ويجب أن يدمج كلاهما مفاهيم المزيد من الرجال والنساء التقليديين . إن دراسات الرجال والنساء فى انعزالها تمثل استخدام أموال دافعى الضرائب فى دعم وتمويل سوء الظن بين الجنسين . إن الدراسات الانتقالية فى النوع الاجتماعى ما هى إلا تحضير الجنسين لفهم بعضهما البعض .

هذا لا يعنى الاندفاع الفورى إلى الدراسات الانتقالية للنوع الاجتماعى ، لأننا إذا قررنا ذلك فإن خطة العمل سيتم إقرارها من جانب الدراسات النسائية : ستفترض دراسات العنف المنزلى أن الرجل مستبد ؛ والدراسات عن الأعمال المنزلية ستركز على ما تقوم به المرأة وتهمل مساهمات الرجل ؛ المناقشات حول المبادرة بطلب الزواج لن تطالب المرأة بقبول تحدى رفضها من الطرف الآخر ، والاكتفاء بلوم الرجل إذا حدث خطأ ؛ وسيتواصل إهمال الجوانب الصحية للرجال ، ويظل الستار الحريرى فى الخفاء .

إن استغلال المؤسسات العامة لتقديم الدعم لكل ما يزيد من الانحياز والتفرقة بين جنس وآخر هو أمر مخالف للدستور . ومع الدخول فى الألفية الجديدة ،لم نشهد أى طالب جامعى يستند إلى المادة التاسعة من الدستور لكى يرفع قضية ضد الجامعة ، لأنها لم تنشئ قسماً خاصاً للدراسات الخاصة بالرجال فقط ، أو لأنها لم تضع قائمة للدراسات الخاصة بالرجال تكون شبيهة بالدراسات النسائية ، ومن منظور غير منحاز للحركات النسائية المتطرفة .

## الأهداف الجامعية للستار الحريرى

لندع جانباً ما يحدث فى معظم الجامعات الرئيسية ، وسنجد أن الستار الحريرى يظهر بوضوح فى الكليات التى كانت مخصصة فقط للإناث ، والتى

يفترض أنها تفتح أبوابها للذكور أيضاً ؛ مثل الكليات الدينية والمعاهد اللاهوتية ؛ وفى الفنون الحرة . فى المؤسسات التعليمية الثلاث نجد أن الحضور الذكورى قد نقص بشكل زائد على الحد .

وفى الكليات التى تقتصر على النساء فقط مثل : " ميلز " و " تكساس " ، كانت الشعارات مطابقة : " الموت أفضل من التعليم المختلط " . والحزن الظاهر على وجوه هؤلاء الطالبات من كلية " ميلز " لا تكفى ألف كلمة للتعبير عنه ، فهؤلاء النسوة فى سن تسمح لهن بأن يصبحن معلمات يدرسن لصبيان ويربين أبناء .



كلية ميلز ستبدأ في قبول الذكور

أسوشيتدبرس : الطالبة " شانون مكماكلين " ، فى منتصف الصورة ، وطالبات من كلية " ميلز" يتلقين الإعلان عن بدء التعليم المشترك اعتباراً من عام ١٩٩١ فى كلية " أوكلاند" ، وأن كلية " ميلز" ستبدأ فى قبول الطلبة الذكور . تصوير " ديان فيتزموريس " / " الكرونيكل "

فى عام ١٩٨٠ ، كانت نسبة الإناث فى المعاهد الدينية ٢٠ ٪ ؛ وبحلول منتصف التسعينات زادت النسبة إلى ٧٠ ٪ . لماذا ؟ كان ينظر إلى الرجال فى كثير من المعاهد والكليات الدينية باعتبارهم ممثلين " للدين الذى يدعو لسيادة الرجال " ، وجزءًا من التسلسل القيادى الدينى المستبد للنساء ( بدلاً من النظر إليهم باعتبارهم المخلصين للبشرية مثل المسيح عليه السلام ، وإنقاذ كل المترددات على الكنيسة من خطاياهن ) . تأثرت إدارات هذه المعاهد الدينية

بأفكار مماثلة لأفكار أستاذة الدراسات اللاهوتية " مارى دالى " ، التى أصدرت كتاب " Beyond God The Father " عام ١٩٧٠ والذى أحدث آثارًا وتداعيات بعد ذلك .

تغيرت الصور الإيجابية التى كانت لا تشير إلاّ إلى الرجال ، وذلك فى الكتب القديمة التقليدية ؛ أما الصور السلبية التى تصور الشيطان كالإنسان ، فإنها لم تتغير . المفارقة : بما أن ٨٥ ٪ من " المواطنين المشردين من الرجال " ، فإن التصورات عن امتيازات الرجل لم تتغير ، وهذا يوضح أن المعاهد الدينية لا تعرف حقيقة من ستقدم لهم الخدمة فى المستقبل .

إن الغضب المتدفق من تأثيرات الدراسات النسائية فاض وأثر على الفنون الحرة ، فتظهر كراهية الذكورة فى علوم الإنسان ، والآداب واللغات الأجنبية ، والأكثر إثارة للسخرية أنها تظهر فى الأعمال الاجتماعية ، وعلم النفس ، والاتصالات .

نشأ بعض أبنائنا فى بيوت ليس فيها إلا النساء ، ثم ذهب إلى المدرسة حيث معظم المعلمين من النساء . إذا اختار لدراسته الجامعية الفنون الحرة ، فإنه يعيش معضلة : " لماذا لا أستطيع أن أكون أكثر شبهاً بالمرأة ؟ " . كيف يحدث ذلك ؟

افترض أن ابنك أو ابنتك كانت لديه الرغبة فى الالتحاق بالدراسات الأدبية أو دراسة اللغات . كانت هذه الدراسة ستتضمن ـ فى فترة ما قبل الحركة النسائية ـ التعرف على المزايا والعيوب للمناهج العلمية المختلفة لدراسة الآداب مثل ( مدخل التحليل النفسى ؛ ما بعد البنيويين ؛ الدراسة النقدية لرد فعل القراء ؛ المؤرخين الجدد ) . ولكن عندما قامت جمعية الدراسات اللغوية الحديثة ( MLA ) باستفتاء بين أساتذة اللغة الإنجليزية فى ٣٥٠ كلية جامعية ، قال ٦١ ٪ منهم إنهم يتبعون منهج تعليم الآداب من وجهة نظر نسائية .

كل ذلك يدل على أن مناخاً عاماً أصبح سائداً ( حيث يبحث الجميع عن مصلحته ... ) . يقول صحفيون من " نيوزويك " ، ومجلة " يو إس نيوز أند ورلد ريبورت " ، إنهم حضروا المؤتمر الذى عقدته الجمعية ، وأن الجو العام السائد كان معاديًا للرجل ، فجميع العروض التى قدمها المتحدثون كانت بمثابة إدانه للرجال . اشتملت المادة العلمية التى قدمت على نقد لأعمال أدباء مشهورين ، لم يسلم أحدهم من الاتهامات ، منهم " جين أوستن " ،

" شكسبير " ، " أميليْ ديكنسون " ، " أميلى برونتى " ، " أيى ال دوكتورو " وعمالقة آخرون تحولوا بسرعة إلى متهمين بالتحيز للرجل أو لسيادة الرجل الأبيض ، أو النظرة الاستعمارية أو الاستعلاء الرأسمالى .

إذا لم يتبن أبناؤنا النظرة النسائية ، سينبذون ويعاملون كالغرباء فى ميادين عملهم المهنية ؛ أما إذا تبنوها ، فإنهم يكونون غرباء فى رؤيتهم لذواتهم .

لقد شعرت شخصياً بتأثير هذه النظرة الكارهة للرجال على الفنون الحديثة فى حياتى ، فحين بدأت فى الحديث من وجهة نظر الحركة النسائية فقط ، كانت الدعوات تنهال علىَ من جامعة " ييل " لقضاء أسبوع بحثى إقامة كاملة ( كان ذلك قبل حصولى على درجة الدكتوراه ) ، وعندما بدأت فى إدماج وجهة النظر الخاصة بالرجال ، تراجع دخلى الذى أحصل عليه من محاضراتى فى الكليات والجامعات ، وخسرت ٩٠ ٪ منه .

عندما قبلت أن يشترك معى آخرون يعارضوننى ، عدت إلى المحاضرات . ولكن أرادت بعض قيادات الحركة النسائية ـ ومنهن أستاذات شهيرات الآن ـ أن يضعننى فى موقف التحدى ، وقبلت . قمت بدور المتحدثين المتناظرين ( أنا وأنا ) ، على المنصة كان هناك الدكتور " وارين فاريل " المنحاز للرجال ، والدكتور " وارين فاريل " المنحاز للنساء ، كنت أنتقل ما بين هذا الموقع والموقع الآخر . أناظر ، وأقاطع نفسى ، محاولاً ألا أصبح ضحية لهذا التحدى وأصاب بالانفصام فى الشخصية !

ظلت الرقابة على الحديث ، والمنع من التحدث أو إلقاء المحاضرات موجوداً طوال هذه الفترة . وأذكركم كيف أن " سوزان شتينتمز " اكتشفت بعد سنوات من إصدار كتابها عن " العنف المنزلى " أن الحركة النسائية فى الجامعة تعاقدت مع من كانت وظيفتها دحض كل نتائج هذا الكتاب . لقد حدث معى نفس الموقف ، رغم بعض الاختلاف . عندما كنت أتبنى وجهة نظر الحركة النسائية كانت الأمور طبيعية حيث إن نشأتى كانت معهن ، وهكذا كنت أشارك فى خمسة أفرع من الفنون الحديثة .

ما إن نشرت كتابى " لماذا الرجال على ما هم عليه " " Why Men Are The Way They Are " ، لم يعد يعرض علىَّ المشاركة فى المحاضرات فى أي من هذه الأفرع الخمسة فى أي كلية أو جامعة . صحيح أننى كنت أحاضر فى كلية الطب بجامعة " كاليفورنيا " ، " سان دييجو" ، ولكن ليس فى الفنون الحرة . إن كل الرجال الذين يدخلون ميدان الفنون

الحديثة يعجزون عن اتخاذ قرارات تعرض مستقبلهم المهنى للخطر ، وبالتالى تهدد الأسرة . الشيء الغريب ، أن مدخراتى من المحاضرات التى ألقيتها وأنا أتبنى وجهة نظر الحركة النسائية هى التى سمحت لي بالمخاطرة التى قمت بها .

## المدارس الابتدائية ، والثانوية ، والرابطة الأمريكية للنساء الجامعيات

**كيف تطور مجتمع النمل وتجاوز فى تطوره المجتمع الإنسانى ؟ إنه فاق المجتمع الإنسانى فى منح الإناث حريتهم الكاملة . إن ذكر النمل عديم الأهمية ، فعندما تنتهى فائدته البيولوجية ، يستبعد ولا يسمح له بالعودة إلى عش النمل . إن الكيان الكلى لمجتمع النمل مكون من الإناث ، الجنود ، العمال ، الزراع ، وبطبيعة الحال الملكة . الذكور من النمل لديهم أجنحة ، ومن المتوقع أن يستخدموها للابتعاد .**

مقتطف من كتاب مقرر على السنة السادسة فى ولاية " نيويورك " واسمه " Getting The Facts " .

لم يشهد العقد الماضى دراسة أثرت على اعتقاداتنا بشأن تعليم البنات بنفس قوة التأثير التى أحدثتها الدراسة التى نشرتها الرابطة الأمريكية للنساء الجامعيات بعنوان " كيف لا توفى المدارس البنات حقهن " ، وهى دراسة رئيسية فى مجال تعليم البنات .

هذه الدراسة التى صدرت فى شكل تقرير كانت نقطة الانطلاق لقيام عشرات الآلاف من المدارس بتدريب المدرسين لكى يعرفوا أن مدارسهم تخدع البنات فقط ولا توفيهن حقهن فى التعليم الكامل فى أربعة مجالات رئيسية : الرياضيات ، العلوم ، انتباه المعلمين ، واحترام الذات . واستجابة لنفس البحث ، لا يزال بناء مدارس البنات فقط مستمراً فى جميع أنحاء الولايات المتحدة ، حتى فى الوقت الذى يعترض فيه الجميع على إنشاء مدارس للصبيان فقط . لاحظ فى الصورة التالية الفرحة الظاهرة على وجوه هؤلاء الفتيات الملتحقات بمدارس للفتيات فقط ، وقارن بين هذه الصورة ، وصورة البنات الباكيات فى كلية " ميلز " التى فتحت الباب لالتحاق البنين بها . إن مثل هذه الصور لبناتنا وهن

سعيدات أو تعيسات هى التى تجعلنا نرغب أو لا نرغب فى مساندة المدارس المقصورة على الفتيات ، من أجل صالح بناتنا .


آمال كبيرة من أجل مدارس للبنات فقط

الهيئات الأكاديمية فى منطقة الخليج تركز على التعليم واحترام الذات

مجلة الفصول الدراسية : آمال كبيرة من أجل مدارس للبنات فقط . تلميذات من مدرسة متوسطة ، " فالينى " ( إلى اليسار ) ، " ماكينون روز " ، الاثنتان فى الحادية عشرة ، وجدتا من السهل وضع رأسيهما معاً . خلال التدريب على مواجهة الضغوط واحترام الذات ، مدارس منطقة الخليج .

فى " مانهاتن " ، حصلت معظم المدارس السبع الخاصة للبنات على عشر منح خاصة قدر كل منها سبعة عشر ألف دولار ودور حضانة يتم افتتاحها فى خريف عام ١٩٩٩ ، كما أنشئت مدرسة عامة بعد الحملة التى قامت بها الرابطة الأمريكية للنساء الجامعيات ، وحصلت هذه المدرسة على طوفان من المنح .

أنا أشجع وأحيى تدريب المعلمين وتشجيع بناتنا على الدخول في ميادين الرياضيات والعلوم . ولكن شيئاً ما حدث فى هذا المجال . لو أن الرابطة تبنت دراسة متوازنة عن الدراسات ، لوجدت أن الفتيان :

- يحصلون على أقل التقديرات ( فمستواهم متدن فى القراءة ، الكتابة ، الدراسات الاجتماعية ، الأحياء ، الفن ، الفنون المرئية ، المسرح ، اللغات ، وكل الموضوعات الأخرى باستثناء الرياضيات والعلوم ) .
- يحصلون على عدد أقل من درجات الامتياز .
- وأقل الدرجات فى الفصل .
- أكثر احتمالاً للرسوب والإعادة .
- يزيد احتمال تحويلهم إلى التعليم الخاص .
- يعانون أكثر من صعوبات التعلم .
- نسبة الإقدام على الانتحار تصل إلى أربعة أضعاف .
- يتزايد معدل انتحارهم فى مقابل تناقص معدل انتحار البنات .
- يتركون الدراسة بسرعة .
- أقل احتمالاً للالتحاق بالدراسة الجامعية .
- تقل احتمالات تخرجهم فى الجامعات .
- أقل احتمالا لاجتياز اختبارات SAT .
- يعانون من مشكلة ضعف التركيز ، والحركة الزائدة على الحد .
- يعانون من مشكلات أكثر فى الانضباط .

بدون الاهتمام بإجراء الدراسات فى مثل هذه المجالات التى يعانى منها الأولاد فى المدارس ، يكون من غير العدل أن تستنتج الرابطة أن المدارس تظلم البنات وتبخسهن حقهن . إن ما نعرفه جميعاً هو أن الفتية السود ليس هناك من هو أسوأ منهم حالاً فى المناطق الحضرية . ورغم ذلك يتم إنشاء مدرسة عامة للفتيات وليس للفتيان فى منطقة " هارلم " الخاصة بالزنوج ، وذلك بعد تقرير رابطة الجامعيات الأمريكيات .

ما الذى فعله الستار الحريرى فى هذه الرابطة وفى الإعلام وأدى إلى غياب الوعى العام ؟ إننا لم نسمع أى شىء عن الدراسة الأولى عن تعليم الفنون التى قامت بها الهيئة الأمريكية للتعليم خلال عشرين عاماً . لماذا ؟ ربما بسبب

النتائج التى توصلت إليها ، فقد تفوقت البنات على البنين فى كل الفنون ( الموسيقى ، الفنون المرئية ، المسرح ) ، وفى كل المجالات التنفيذية من الإبداع والأداء ، إلى الترجمة . وفى الأداء الموسيقى حققت الفتيات معدلاً يقترب من الأربعين فى المائة ، وحقق البنون سبعة وعشرين فى المائة . ما الذى يمكن أن نقوم به فى هذا الصدد ؟ أول شيء ، أن نتعرف على ذلك .

فى الوقت الذى تعمم فيه دراسة الرابطة أن البنات يفتقدن احترام الذات ، لم نسمع إلا القليل عن البحث الذى قامت به كلية الطب فى جامعة " هارفارد " على مجموعة من الفتيان المراهقين ، حيث طلبت منهم كتابة قصة حول صورة رجل يرتدى قميصًا ورابطة عنق وينظر بحيادية إلى صورة بها امرأة وأطفال . ١٥ ٪ من المراهقين قالوا إنها صورة رجل مستقر فى حياته الأسرية . ولكن الأغلبية الساحقة منهم كتبوا قصصاً عن الزوج الوحيد الذى يعمل ساعات إضافية لكى يعول أسرته ، أو رجل مطلق يفتقد من يحبهم ، أو رجل أرمل حزين .

جاءت نتائج البحث الذى تم إجراؤه على الفتيان فى كل من الولايات المتحدة و" كندا " و" استراليا " والمملكة المتحدة لإثبات أن أداءهم أسوأ من الفتيات ، وكان الاستنتاج أن الأولاد يواجهون الآن الكثير من المساوئ التعليمية . ورغم هذه النتائج ، اكتشفت الدراسة أن المعلمين يُطلب منهم الالتحاق بدورات خاصة بتحقيق العدالة بين الجنسين والتى أصبحت تؤكد بصورة مفرطة توصيل أصوات الفتيات ، حتى فى الوقت الذى يظهر فيه الصبيان على أنهم أوغاد وأشرار .

على مدار ما يقرب من عقدين من الزمان فاق عدد الملتحقات بالتعليم العالى عدد الذكور ، رغم أن عدد الرجال الذين فى المرحلة العمرية التى تسمح بدخولهم الجامعة يفوق عدد النساء فى مثل هذه السن . ولكن خلال هذه الفترة بدأت الحكومة برامج " تقوية البنات " لتشجيع البنات فى المدارس ، ولكن لم تنفذ أي برامج لتشجيع الأولاد فى المدارس . هذا النمط من البرامج الحكومية يكون مبنياً على فكرة أن البنات أقلية - وهى مفارقة تاريخية عمرها عشرون سنة .

إن ما يفتقده أبناؤنا هو الحلول التى قد تكون نتيجة لبعض الاهتمام الذى يوجه لهم . حلول مثل :

- تدريب المعلمين على فهم ما يفتقده الأولاد عندما ينتقلون من بيت لا يوجد به سوى الأم ، إلى مدرسة يكون أغلب أعضاء هيئة التدريس فيها من النساء ( حيث قد يُعتبر المُعلم تاجر المخدرات شخصاً يدير تجارة ويحتاج أن يغير السلعة التى يتاجر فيها ) .
- إعداد برامج تدعيم واختيار وتأهيل عدد من الشباب المجتهد لكى يصبحوا معلمين بالمدارس الابتدائية .
- إعداد وتنفيذ برامج " الأب داخل حجرة الدراسة " وإقناع الشركات بالسماح للآباء بالتغيب لمدة أسبوع يقوم الأب فيه بالتدريس وتقديم خبرته للطلاب ( ويفضل أن يكون الفصل الذى يدرس فيه ابنه ) بحيث يتاح للتلاميذ التعرف على نماذج وقدوات ذكوريه متعددة ومحترفة .

أحد أسباب ضياع سنوات التسعينات بدون إبداء أى اهتمام بأولادنا هو عدم وجود رابطة للرجال الجامعيين تشير إلى الفجوة ما بين دعاية رابطة الجامعيات والبيانات الحقيقية ، وذلك فى الدراسات التى تولتها الرابطة . مثلاً ، إن كلاً من البنات والبنين يقولون إن المعلمين يعتقدون أن الفتيات أذكى من الفتيان ؛ وأن المعلمين يحبون الفتيات أكثر ، ويحبون أن يتواجدوا بين البنات وليس الأولاد ، ويرون أيضاً أن البنات يتلقين المجاملات أكثر .

الجانب الآخر أن رابطة الجامعيين التى لم تنشأ ؛ لم يتح لها أن تكذِّب ادعاءات رابطة الجامعيات بأن البنات محرومات من الالتحاق بأربعة ميادين علمية . لنبدأ بالادعاء بأن الأولاد أفضل فى الرياضيات ، سنجد أن درجات الأولاد فى الاختبارات التى تعقد على المستوى القومى لا تزيد على البنات سوى خمس درجات ( ٣٠٥ إلى ٣١٠ ) . ويلتحق عدد أكبر من الفتيات فى المدارس الثانوية بفصول الجبر والهندسة . عندما يتعلق الأمر باختيار الرياضيات كمهنة ، ترفض الفتيات الالتحاق بها ويفضلن العمل فى دراسة الآداب ( أو اللغات الأجنبية ، أو تاريخ الفن ، أو فن حر آخر ) . ما السبب فى الاختلاف فى الاختيارات ؟

يختار الشباب العمل فى مجال دراسة الرياضيات ليس حبا فيها ، بل لما تحققه من مكاسب . وهذا هو السبب الذى لم تصرح به دراسة رابطة النساء الجامعيات الأمريكيات ، والشاب حين يختار الهندسة يعرف أنها ستحقق له مزيدًا من المال أكثر من التخصص فى اللغة الفرنسية . **عندما شاهدت كل**

**الفتيات مراسم زواج الأميرة الراحلة " ديانا " من الأمير " تشارلز "** ، كان **الصبيان يكتشفون أن دراسة الأدب الفرنسى لن تحقق لهم الثروة التى ستجعلهم يصبحون أمراء أو يتزوجون أميرات ويعيشون فى قصور** . وفى الوقت الذى كانت تقرر فيه الفتيات ما إذا كنَّ يرغبن فى الحصول على الاستقرار المادى عندما يكون أطفالهن صغاراً ، كان الفتيان فى الجامعة يفكرون فى كيفية توفير هذا الدعم والاستقرار المادى لهم ولزوجاتهم .

صديقاتى ممن اخترن الرياضيات كمهنة فعلن ذلك لأسباب مالية . كان الغرام الأول لـ " ليز بروكينز " هو دراسة التاريخ ، وعندما كانت تتحدث عن التاريخ كانت عيناها تلمعان ببريق الاستمتاع والحب لهذه المادة . ولكنها اضطرت لترك الدراسة الجامعية للزواج ، وأنجبت أربعة أبناء . ثم طلقت . عندما حصلت على نفقة الأبناء لم تكن بالقدر الكافى لإعالتهم وكان عليها العودة لاستئناف الدراسة . وأدركت أن حصولها على الدرجة العلمية فى التاريخ كان يعنى استمرار البطالة ، وهى ليست لديها هذه الرفاهية فى الاختيار ، سألت نفسها سؤالاً مختلفاً : " ما هى الشهادة التى تمكننى من إعالة أسرتى ؟ " كانت الإجابة هى : الرياضيات . وعلى ذلك التحقت بدراسة الرياضيات .

لم يكن الأمر متعلقاً بسوء أدائها فى الرياضيات من قبل ؛ ولكن الأهم هو ابتعادها عن حبها الأول . تفوقت فى الدراسة ، وحصلت على لقب أفضل معلمة رياضيات فى أحد الأعوام بمقاطعة " سان دييجو " ثم أصبحت أستاذة فى جامعة " كاليفورنيا " بـ " سان دييجو " . عندما تراها الآن تلحظ البريق فى عينيها عندما تتوصل إلى حل أي معادلة .

هكذا الأمر بالنسبة لكثيرين من الرجال . أولاً ، يرعون الأسرة التى يحبونها ؛ ثم بعد ذلك يحاولون الوقوع فى حب الشىء الذى يواصل مراعاة الأسرة . عندما أسأل الطلبة فى الجامعة عما يحبونه إذا تساوى راتب أو عائد كل الأعمال ، يكون رد الجنسين معاً هو اختيار الموسيقى ، والفن ، والفنون الحرة ، وذلك أكثر من اختيار الرياضيات والهندسة أو العلوم .

**إذا ما تولت المجتمعات والمدارس إعداد الفتيات لمزيد من الاختيارات أكثر من الشباب ، هل يعنى ذلك الانتقاص من حقوق الفتيات ؟** من المؤكد أن البنات لديهن فرص الحصول على المنح ومزايا الالتحاق بالدراسات الرياضية والعلوم أكثر من الشبان . باختصار ، **أحدث تقرير رابطة الجامعيات**

**الأمريكيات قدراً أكبر من التمييز العنصرى ضد أبنائنا وهذا أحد أسباب التحاق الذكور بفصول الرياضيات .**

ثانياً : العلوم . يتفوق الأولاد على البنات فى اختبارات العلوم بثمانى درجات فقط ( ٢٩٢ إلى ٣٠٠ ) . والحقيقة التى لم يذكرها تقرير رابطة الجامعيات هو أن الأولاد يحصلون على ١٥ درجة أقل فى القراءة ، و١٧ نقطة أقل فى الكتابة . كما لم يذكر التقرير النسبة الأعلى من الفتيات اللائى يلتحقن بفصول الأحياء والكيمياء .

ثالثاً : اهتمام المعلم . فى دراسة أخرى أجرتها رابطة النساء الأمريكيات الجامعيات وُجد أن الجنسين يعتقدان أن المعلمين يهتمون أكثر بالبنات ، ولكن هذه النتيجة لم يتم إدراجها فى التقرير .

رابعاً : تقدير الذات . فى الدراسات الحديثة التى تم إجراؤها وجد أن نتائج البنات والأولاد متقاربة ١ - ٣ ٪ فى كلا الاتجاهين . مثلاً ، عند سؤال البنين والبنات التعليق على عبارة " أنا أشعر بأننى شخص له قيمة ، على الأقل مقارنة بالآخرين فى وضعى " ، كان ٩٠ ٪ من البنات يوافقن أو يوافقن بشدة ؛ و ٨٩ ٪ من الأولاد يوافقون أو يوافقون بشدة .

وفى عام ١٩٩٧ ، أجرت مجلة " متروبوليتان لايف " بحثاً عن معاملة البنات والأولاد فى المدارس ، وأشارت النتائج إلى أنه " على عكس الصورة السائدة بأن الأولاد يحصلون على مزايا أكثر من البنات فى المدارس ، اتضح أن وضع البنات أفضل من حيث خططهن للمستقبل ، وتوقعات المعلمين لهن ، والخبرات اليومية فى المدرسة ، بل وفى التعاملات داخل حجرة الدراسة . لم نجد شيئاً عن هذه الدراسة فى وسائل الإعلام ، كما لم يكن لها أي تأثير على المدارس .

ما هو تأثير اعتقادنا بأن النساء أقلية ؟ استغرق الأمر عقدين من الزمان حتى تعترف " نيويورك تايمز " بأن عدد النساء فى الجامعة يفوق عدد الرجال ، وكان ذلك فى سياق قصة مميزة . وعندما قامت المجلة بتغطية هذا الموضوع ، قاموا بتكريس مساحة أكبر لشرح المشاكل التى خلقتها الفجوة بين عدد الفتيات الملتحقات بالجامعة والذى يفوق عدد الرجال . وهى مشاكل تخص الفتيات فقط ( هناك عدد قليل من الشبان لا يكفى للزواج من هذا العدد الكبير من الفتيات ) ، وأيضاً أشارت المجلة إلى أن عدد الشبان القليل بالنسبة للفتيات سمح لهم بوجود عدد كبير من الاختيارات بين الفتيات اللاتى قد يقدمون على

الزواج منهن . وعلى النقيض من ذلك ، عندما تتم تغطية موضوعات حول عدد الرجال الذى يفوق عدد النساء فى بعض المؤسسات التعليمية مثل الخدمة العسكرية والكليات الحربية ، فإننا لا نجد من يقول إن الرجال ضحايا ، لأنه لا يتوافر لهم العدد الكافى من النساء للزواج .

عندما أجرت " نيويورك تايمز " مقابلات مع الطلبة والمعلمين للتعرف على أسباب وجود الفجوة ، اختار كل منهم إجابات تبرر هذه الفجوة . قال أحدهم مثلاً : " فى المدرسة الثانوية كنت أشعر بأن النساء أداؤهن أفضل ويلقين رعاية أكبر " ... أو تعليقات تشير إلى أن الرجل أقل اهتماماً ، أو أن النساء يتحملن الملل أكثر ، أو أن الشاب يعرف كيف يشق طريقه إلى الجيش أو إلى عالم الإلكترونيات بدون الاحتياج إلى شهادات .

قارن ذلك بما نسوقه من تفسيرات لاعتياد النساء على سوء الأداء فى الرياضيات والعلوم ، وهذا يجعلنا نتساءل ما إذا كانت المؤسسات ذاتها تفعل أى شيء يؤدى إلى تثبيط همة البنات ، وتكون الإجابة دائماً " نعم " . ولا نقول إن ذلك بسبب عدمٍ الاهتمام من جانب النساء ، أو لأن الرجال يتحملون الملل أكثر ، أو أن كثيراً من النساء يشعرن بقدرتهن على صنع ثروة من خلال الزواج ممن يمتلك هذه الثروة ، ولهذا لا يحتجن إلى شهادات . إن الاختلاف فى التوجهات هو الذى يقودنا إلى توفير أفضل الفرص للبنات فقط ، ويقود إلى مبادرة الحكومة بتنظيم برامج لدعم البنات فقط .

يحسب لـ " نيويورك تايمز " ، أنها فى الأسبوع التالى نشرت ست جمل تعبر عن الطرق التى من خلالها تتفوق البنات على البنين ، ولكنها سرعان ما بررت قيامها بذلك بتفسير تميز بالعنصرية ، وهو أن الأولاد الزنوج كان أداؤهم أسوأ من أي مجموعة أخرى .

## وسائل الإعلام

**عندما تكتشف وسائل الإعلام مصدراً من مصادر اهتمام الحركة النسائية ، لا يستغرق الأمر أكثر من خمس دقائق من البحث الجاد ؛ وبعد ذلك تأتى خمس سنوات من الهجوم .**

" سوزان فالودى " ، " نيوزويك " ، ٢٥ أكتوبر ، ١٩٩٣ .

**عندما يتعلق الأمر بقضية النوع ، يتنازل الصحفيون عن كل شكوكهم المهنية المعتادة ... نتقبل ظاهر ما يقال من المجموعات النسائية أيا كان . لماذا ؟ لأن النساء قمن ببيع أنفسهن لنا باعتبارهن مجموعة مضطهدة ، وأي مجموعة مضطهدة تجد مجالاً واسعاً من اهتمام الصحافة ... إننى لا ألوم الناشطات النسائيات على إخبارنا بأنصاف الحقائق ، بل وأحياناً بقصص مُختَلقة . ولكننى ألوم زملائى فى الصحافة لتخليهم عن شكوكهم .**

" برنارد جولدبرج " ، مراسل " سى . بى . إس نيوز "

تضم مهنة الإعلام بعض أفضل العناصر وأكثرها موهبة وقدرة على العطاء . إن الإعلام يتطلب العمل تحت الضغط وهو بالنسبة لى بمثابة كابوس . هناك متطلبات للنجاح ، فالبرنامج التليفزيونى يكون ناجحًا إذا شاهده ٢٥ مليون مشاهد ؛ والكتاب يكون كذلك إذا اشتراه ٢٥ ألف شخص ؛ وتتم المفاضلة بين البرامج التليفزيونية التى تذاع فى أوقات الذروة بنسب حتى واحد على عشرة فى المائة .

إن أكثر القصص شعبية ـ " القصص الكبرى " ـ مثل " أنيتا هيل " ، أو " جى سيمبسون " ، أو الأميرة " ديانا " ، و" مونيكا " ـ كلها تدور حول موضوع أصلى كامن فيها : الدراما المتكررة للرجل الظالم والمرأة الضحية . فيما يلى المعضلة التى تجسمها وسائل الإعلام .

إن شعبية هذه النماذج الأصلية تخلق التصنيف ، ومناقشة هذه القصص ونقدها يلغى هذا التصنيف الذى هو الغرض الأساسى من رواية القصة . ومطالبة المراسلين بالتروى وفحص الأفكار تتعارض مع الضغط عليهم للكتابة بسرعة وتحقيق أكبر نسب مشاهدة أو قراءة .

عندما تظهر عناصر هذه " القصة الكبرى " ، تقوم الصحف والأخبار التليفزيونية والبرامج الحوارية وحتى ناشرو الكتب بالعمل فى انسجام ، لكل منهم أسلوبه الخاص ، ولكن جميعهم يهدف إلى توصيل رسالة واحدة . لذلك تنطبق هذه الأمثلة التى ورد ذكرها فى هذا الجزء على كل وسائل الإعلام .

تتفوق مجلة " نيويورك تايمز " على مثيلاتها ، حيث إنها بالنسبة لكل وسائل الإعلام بمثابة " مزمار القرب " الذى يسير الكل على نغماته . أولاً ، لأنك إذا قرأت " النيويورك تايمز " فى أي يوم ، ستكون لديك القدرة على

التنبؤ بالمزيد مما ستنشره وسائل الإعلام الأخرى لبقية الأسبوع أكثر مما لو تتابعت أى وسيلة أخرى فى العالم .

ثانياً ، وليس مصادفة ، أنه ليس هناك مصدر إعلامى آخر يحتوى على تأثير قوى للحركة النسائية مثل " نيويورك تايمز " ، وخاصة فى الموضوعات التى تتناول علاقات الذكر بالأنثى .

ونظراً لأن وسائل الإعلام حافلة بالأشخاص اللامعين والطموحين الذين يبحثون عن " السبق الصحفى " ، فإننا يمكن أن نفهم قوة الغريزة لحماية المرأة والتقليل من شأن الرجال ، وهو الأمر الذى ظل فى الخفاء لمدة ربع قرن ، حيث لا يأتى أي ذكر للعنف المنزلى ضد الرجال ، وخاصة الآلاف من القصص المؤلمة حول التعدى على الرجال المسنين ، وهؤلاء قصصهم معروفة فى كل المجتمعات . نفس الشيء يمكن أن يقال على قصص الآباء الذين يناضلون لحب أبنائهم الذين تم تلقينهم أن الأب ما هو إلا حافظة نقود أولاً ، ثم زائر بعد ذلك ؛ أو قصص الرجال من ضحايا الاتهامات الكاذبة ، وخاصة خلال فترات النزاع حول الحضانة ؛ أو قصص الأبناء ممن يموتون ضحايا لسرطان الخصية ، أو يطردون من المدرسة ، أو جريح الحرب الذى يتحول إلى مشرد أو عاجز .

إن غريزة حماية النساء قوية لدرجة أنها منعت وسائل الإعلام من تحقيق السبق فى مواضيع مثل التشكيك فى الاعتقاد بأن النساء يعملن والرجال يتهربون ، أو التساؤل حول أسطورة الأب الكسول . هذه الغريزة حولت تركيزها على العنصرية فى الإعدام وابتعدت عن التفرقة بين الجنسين عندما يكون كل من يتم إعدامهم من الرجال ؛ وركزت على الحساسية تجاه النكات ضد النساء الشقراوات أكثر من النكات التى تسخر من العجز الجنسى للرجال ؛ هذه الغريزة تدفع إلى التقصى عن مشاعر " هيلارى كلينتون " أو الأميرة " ديانا " وليس " بيل كلينتون " والأمير " تشارلز " ؛ وتدفعنا إلى معرفة ما تعانيه النساء فى الزواج وليس ما يعانيه الرجال ؛ وهكذا .. وهكذا .

فى تقديرى أن ٩٠ ـ ٩٥ ٪ من المراسلين الذين التقيت بهم خلال ربع القرن الأخير تنطبق عليهم صفة الانحياز الكامل لوجهات نظر الحركة النسائية ، من بين الفئات الأربع الذين ذكرتهم سابقاً ( المتحيزات بالكامل للحركة النسائية ؛ الرجال غير التقليديين ؛ الرجال التقليديون ؛ النساء التقليديات ) ومن هذه النسبة ، ٨٠٪ نساء ، على ذلك **فإن سياسات النوع التقليدى لا يغطيها فقط حزب واحد ، ولكن أشخاص يتوافق جنسهم مع عقيدتهم السياسية**

**ويدعمها** . هذا يشبه تماماً ما يقال من أن ٩٠ ـ ٩٥ ٪ من المراسلين الذين يغطون مؤتمرات الحزبين الجمهورى والديمقراطى يقومون بذلك من وجهتى نظر الحزبين فقط .

وعلى رأس هذه التحيزات السياسية والشخصية ، فإن الإعلام لا يعتمد فقط على الدوائر الحكومية والأكاديمية للتغذية بالمعلومات ، ولكن على استطلاعات الرأى .

## استطلاعات الرأى : لا داعى للرجال

عندما تجرى منظمة محترمة لاستطلاع الرأى العام مثل " نيويورك تايمز " بحثاً يفترض أن يشارك فيه الرجال والنساء للتعرف على آرائهم ، وإذا بهم يشركون من النساء ضعف عدد الرجال . لماذا ؟ ها هو إيضاح " نيويورك تايمز " : " حتى يكون هناك عدد كافٍ من النساء للمقارنة بين الفئات الفرعية المختلفة من النساء " .

ما الذى فعلته الـ " نيويورك تايمز " هنا ؟ لقد برروا هذه التفرقة بين الجنسين عن طريق شرحهم لكيفية قيامهم بهذا التمييز . لقد تجنبوا تقسيم الرجال إلى فئات ، كما لو أن الرجال غير مطلوب مشاركتهم فى الأساس .

النتيجة ؟ لقد خصصت " نيويورك تايمز " إحدى عشرة فقرة لتغطية آراء النساء الزنجيات ، ولم تذكر كلمة واحدة حول وجهات نظر الرجال الزنوج . هل يعتبر ذلك تفرقة عنصرية ؟ نعم . ويعتبر أيضاً تفرقة بين الجنسين . إن الأفارقة الأمريكان ليسوا فئة مهملة من ناحية البحث أو الاختبار بالنسبة لتعداد السكان ، بل الرجال هم الذين يعانون من هذا الإهمال .

عندما قامت مجلة " روبر " بإجراء دراسة لاكتشاف وجهة نظر النساء فى الرجال والعكس ، اختاروا للدراسة عددًا من الرجال أقل ثلاث مرات من النساء . قام أكثر من ٩٠ ٪ من النساء بالتصويت فى صالح الزواج ، وبالطبع من رجال . رغم ذلك صدرت العناوين لتعبر عن قصة مختلفة تماماً : " تضمنت نتائج البحث رسالة إلى الرجال : أحسن التصرف ، أيها الحقير الشهوانى . ورسالة إلى النساء : كثير من الرجال أوغاد " .

# رسالة إلى الرجال :
# أحسن التصرف ، أيها الحقير الشهوانى

أما الموضوعات التى تلى هذا العنوان فلا تركز فقط وبشكل كامل على وجهات نظر النساء ، ولكن على وجهات النظر المشابهة لما جاء فى العنوان : " معظم الرجال حقراء ، استغلاليون ، شهوانيون ، أنانيون ، وكسالى " ، والنساء " فاض بهن الكيل " . بعض الرجال يتساءلون فى صمت : " هل هذا هو ما تزوجت من أجله ؟ " .

## الطرق الخمس لتجاهل ما يقوله الرجال

ما الذى يحدث هنا ؟ الواقع ، أن هناك خمس طرق تستخدم لتجاهل ما قد يقوله الرجال إذا سألناهم ، أو ما يقولونه فعلاً عندما نسألهم . أولاً ، إن ضعف نسبة تمثيل الرجال يقود إلى حصولنا على بيانات عن الرجال ، ومشاعرهم تجاه النساء . ثانياً ، الاستناد فقط إلى وجهات نظر النساء للخروج بعناوين صحفية . ( أما وجهات نظر الرجال فهى لم تتحول إلى عناوين صحفية ورءوس موضوعات مثل " استيقظن حسياً أيتها النساء السمينات " ) . ثالثاً ، توفير التمويل للدراسة . لقد تولى الإنفاق على البحث " شركة فيرجينيا سليمز " ، غير أن الأبحاث الخاصة بالرجال لا تمولها " مارلبورو " . رابعاً ، التوجه . إذا كانت شركة " مارلبورو " هى التى موّلت البحث فإنها لم تكن لتشجع على النشر تحت عنوان " رسالة إلى النساء : اخرسن ، أيتها النساء السمينات الباحثات عن الذهب " .

خامساً ، الإصدارات الصحفية . عندما يحدث استطلاع للرأى للرجال ، فإن وجهات النظر الأكثر سوءًا عن الرجال يتضمنها البيان الصحفى . عندما أجرت مؤسسة جالوب استطلاعًا للرأى على مستوى العالم فى ١٩٩٦ لاكتشاف الخصائص المميزة المرتبطة بكل جنس ، ظهر العنوان الرئيسى فى النشرات الصحفية الخاصة كالآتى : " النساء يتمتعن بالحنان ؛ والرجال يتسمون بالعدوانية " ، لقد أخذت مؤسسة " جالوب" أكثر صفة إيجابية عن النساء ،

وأكثر صفة سلبية عن الرجال وصنعت منها هذا العنوان الذى تَصَدَّر نشرتها الصحفية . احكم بنفسك .

أما النتائج الحقيقية التى تم التوصل إليها فهى أن النساء عاطفيات أكثر ، متحدثات أكثر ، صبورات ، ويتمتعن بالحنان . أليست صفة الحنان هى الأفضل ؟ . أما الرجال فقد ثبت من البحث أنهم أكثر شجاعة ، وطموحًا وعدوانية . أليست العدوانية هى الأسوأ ؟

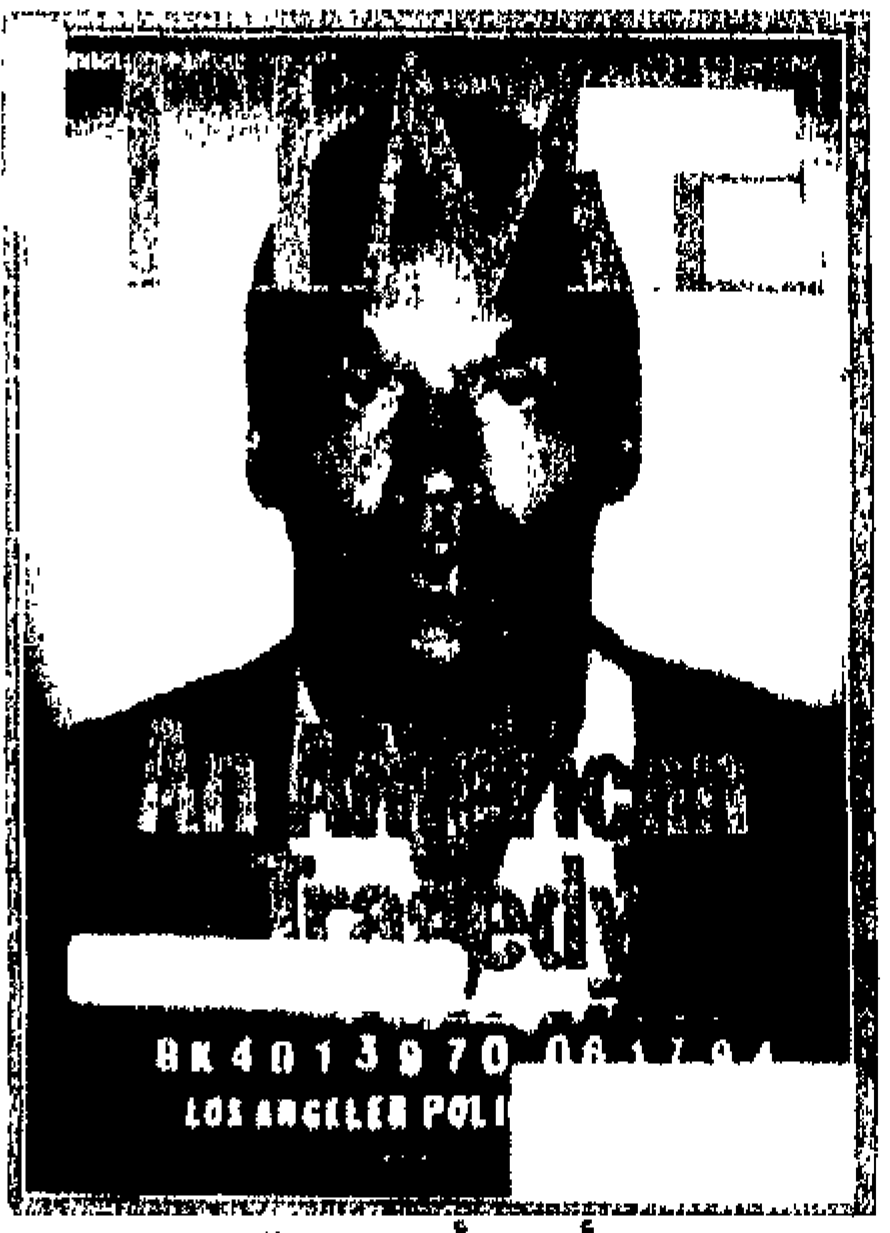
إن نتيجة هذه الخطوات الخمس هى أنه عندما لا تحدد وجهة النظر المتحيزة للنساء نظرتنا للعلاقات ، تقوم رؤية النساء العاديات بذلك . وليس فقط وجهات نظر النساء العاديات ، بل أكثرها تعبيراً عن الغضب .

من تلك المصادر نستقى ونتلقى الأنباء .

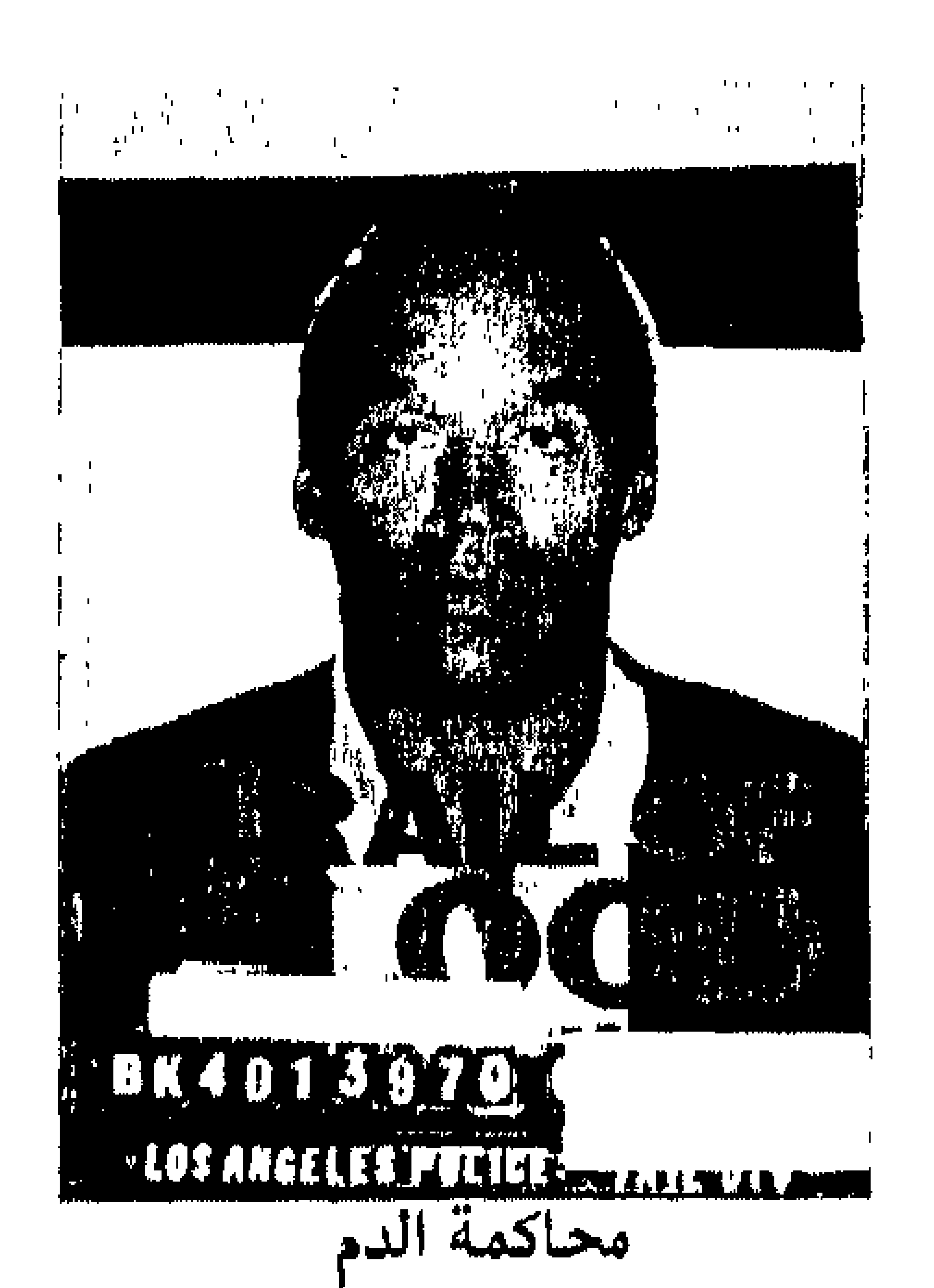
## الأنباء

إن أغلفة المجلات الجديدة هى وسيلة الإعلام الوحيدة التى تضع كل تركيز القراء على صورة واحده ثابتة ، على عكس الصفحات الأولى للجرائد حيث هناك آلاف من الكلمات وعشرات العناوين الصحفية التى تتنافس لجذب انتباهنا .

جرب أن تلاحظ التحيز السائد فى هذه الصور الأربع الثابتة على أغلفة أعداد من مجلتى" تايم " و" نيوزويك" .



مأساة أمريكية



محاكمة الدم



نثق في قدرة الله



معجزة في " أيوا "

عندما أبدت " التايم " اعتذارها لقتامة صورة " أو . جى . سيمبسون" فإنها تكون قد اعترفت بظهور العنصرية ، وعندما تم توجيه انتقادات إلى" نيوزويك " للمبالغة فى إظهار جمال الأم ، لم ير أحد الانحياز نحو جنس دون آخر . ولكن ليس هناك ما هو أكثر شيوعاً فى كل الصور الأربع من الانحياز لأحد الجنسين : الرجل هو الذى تم إظهاره فى صورة أقل جاذبية ، ومن ثم أقل استحقاقاً للتعاطف ؛ المرأة فقط هى التى تم الاهتمام بإظهارها أكثر جاذبية وبالتالى أكثر استحقاقاً للتعاطف . لاحظ أن صورتى الرجل تظهر أن الرجل يتمتع بقدر قليل من الجاذبية .

ما هى النتيجة الواقعية لمثل هذا النوع من العمى ؟ ها هى قصة توقظ الضمير العام ، واحكم بنفسك . على مدار أربعين سنة قام معهد " توسكيجى" للأمراض

التناسلية التابع لوزارة الصحة الأمريكية بإجراء تجارب على ثلاثمائة وتسعة وتسعين رجلاً أسود ولم يخبرهم المعهد بأنهم مصابون بمرض الزهرى ( عندما لا يعالج الزهرى فى مراحله الأولية ، ينتج عن ذلك تآكل العظام ، والكبد ، والقلب والمخ ، ويقود ذلك إلى الشلل ، والصمم ، والعمى ) . هؤلاء المرضى السود تم حرمانهم من تعاطى البنسلين أو أية أدوية أخرى حتى تتعرف الحكومة على نتائج هذا المرض . استمر ذلك إلى أن كشفت الصحافة عن هذه الجريمة ، فسارعت الحكومة بإيقاف هذه الدراسة . بعد هذه الواقعة بسنوات أعلن الرئيس " كلينتون " اعتذار الحكومة الأمريكية ، ما هو استنتاجك ؟ هل فى اعتذار " كلينتون " شىء غائب ؟

لقد فشل الرئيس " كلينتون " فى رؤية التفرقة القائمة على الجنس : إن **تعريض ثلاثمائة وتسعة وتسعين زنجياً لهذا الخطر هو بالتأكيد عنصرية واضحة ، ولكنه أيضاً تفرقة جنسية ظاهرة** . عندما لا نرى سوى العنصرية فنحن نتعامى عن الظلم المزدوج الذى وقع على الرجل الأمريكى الأفريقى الأصل ، فإذا كانت العنصرية هى القضية الوحيدة ، كان يمكن أن تخضع النساء الزنجيات أيضاً إلى هذه التجربة ، ولكن النظرة المنحازة إلى جنس دون آخر تظهر عندما نعرف أن التجربة لم تضم أية امرأة سوداء . والقضية الأعمق فى كل ذلك هى أننا لم نستخدم الدروس التى تعلمناها من العنصرية لكى نلاحظ التصرفات التى تتسم بانعدام الإنسانية .

هذا العمى الذى نجعل به المرأة تبدو أكثر حناناً والرجل أقل تعاطفاً تتيح للإعلام أن يتعامى عن الطريقة التى تعطى بها النساء مزايا أقلها استمرار تصوير المرأة على أنها الضحية . على سبيل المثال ، وأنا أكتب هذا الفصل ، يظهر على غلاف مجلة " نيوزويك" صورة للممثلة السينمائية الشهيرة " نيكول كيدمان " وهى نصف عارية ، كما تظهر فى إحدى المسرحيات فى " برودواى " . بدلاً من النظر إلى ذلك باعتباره ميزة غير عادلة لقوة الجمال الأنثوى ، فقد تم تصويرها على أنها ضحية تقاتل من أجل الحصول على خصوصيتها . اسمحوا لى ! هل نستطيع أن نصور رجلاً يتعرى فى " برودواى " ونقول إنه يبحث عن خصوصيته ؟ نفس الشىء ، بدلاً من أن نقول إنها حققت الانطلاقة الفنية منذ أن تزوجت الممثل الشهير " توم كروز " ، وأن هذه الميزة ليست متاحة لأى رجل ، فإنها تصور نفسها على أنها ضحية تسعى للتغلب على العوائق وبالذات وضعها كزوجة لـ " توم كروز " ، لكى تحقق نجوميتها

الخاصة . لاحظ كيف أن الصورة دعمت هذه الأحاسيس ـ غضب " نيكول " لأنها ضحية ، حاجتها إلى القتال لكى تنال استقلاليتها عن " توم كروز " وخصوصيتها ، وتحقيق جاذبيتها الجنسية .

عندما نقدم لبناتنا قوة الجنس والجمال والتعاطف من أجلها كضحية ، فما ذلك إلا تشجيع لهن على اتباع نموذج قوة " مونيكا لوينسكى " بدلاً من نموذج قوة الأم " تيريزا " ـ أو قوة " مارجريت تاتشر " . ما السبب فى قضاء العمر لتحقيق الثروة فى حين أن المرأة تستطيع إغواء رجل وهى فى سن العشرين وتحصل على ما تريد من ثروة ؟!

إن الصحافة تخلق هذه التحيزات باستخدام الكلمات ، وخاصة فى الصفحات الأولى وبالبنط العريض . **فى انتخابات ١٩٩٤ ، أدين الرجال الذين امتنعوا عن التصويت ، باعتبارهم رجالاً بيضًا غاضبين . وفى انتخابات ١٩٩٦ ، عندما امتنعت نساء عن ممارسة حق الانتخاب ، قيل إنهن " نساء قلقات " أو " نساء مشغولات " .**

لوس أنجلوس تايمز

كتلة النساء
القلقات يفضلن
" كلينتون "

استفتاء : الناخبات القلقات يفضلن كلينتون

ما هو تأثير وصف المرأة بأنها قلقة والرجل بأنه غاضب ؟ عندما تكون المرأة مشغولة أو قلقة ، تشجع رغبة الرجل فى أن يكون حلالاً للمشاكل ، أو منقذاً ، أو حليفًا . ولكن عندما يوصف الرجل بأنه غاضب ، فهو يثير خوف المرأة ، ورغبتها فى حماية نفسها منه ، وأن تصبح عدوة له . إن الرجال فى حاجة لأن يستمعوا إلى امرأة خائفة ؛ لا أحد يرغب فى الاستماع إلى رجل غاضب . لاحظ أن الرجال لم يوصفوا بأنهم غاضبون إلا بعد أن يتكلموا ( من خلال تصويتهم ) ولكن ما إن فعلوا ذلك حتى وصِفوا بأسوأ الأوصاف ، وذلك حتى نتجاهلهم ونعود إلى التركيز على النساء الخائفات القلقات .

هذا هو ما يجعل الرجال يخافون من الكلام : إن الرجال يشعرون بأنه لا أحد يمكنه أن يسمع ما يقوله الرجال .

إن التحيز فى الوصف يكشف نفسه أيضاً فى ازدواج المعايير عند معالجة موضوع العنف المنزلى . فعندما يحدث العنف المنزلى ضد الرجال ، يكون ذلك وكأنه مزحة . وهذا مثال لعنوان صحفى مثير ظهر فى جريدة " سانت لويس بوست ديسباتش " .

عندما أبدى زميل استياءه إلى المحررة ، كانت إجابتها : " كان من المفترض أن تكون قصة مبهجة " . اعذرنى ، هل رأيت من قبل قصة مبهجة عن العنف المنزلى ضد النساء ؟ أيتها المحررة ، عضى على شفتيك " .

**قبلة بعد تسوية الخلاف تقطع لسان الزوج**

**" كنج سبورت ، تينسى " ( أ ب ) ـ قالت " هيلين كارسون " لزوجها إنها ترغب فى تقبيله بعد تسوية أحد خلافاتهما . يبدو أنها لم تكن من النوع المتسامح ـ فقد قضمت طرف لسان زوجها .**

## الرجال يموتون ؛ النساء ضحايا

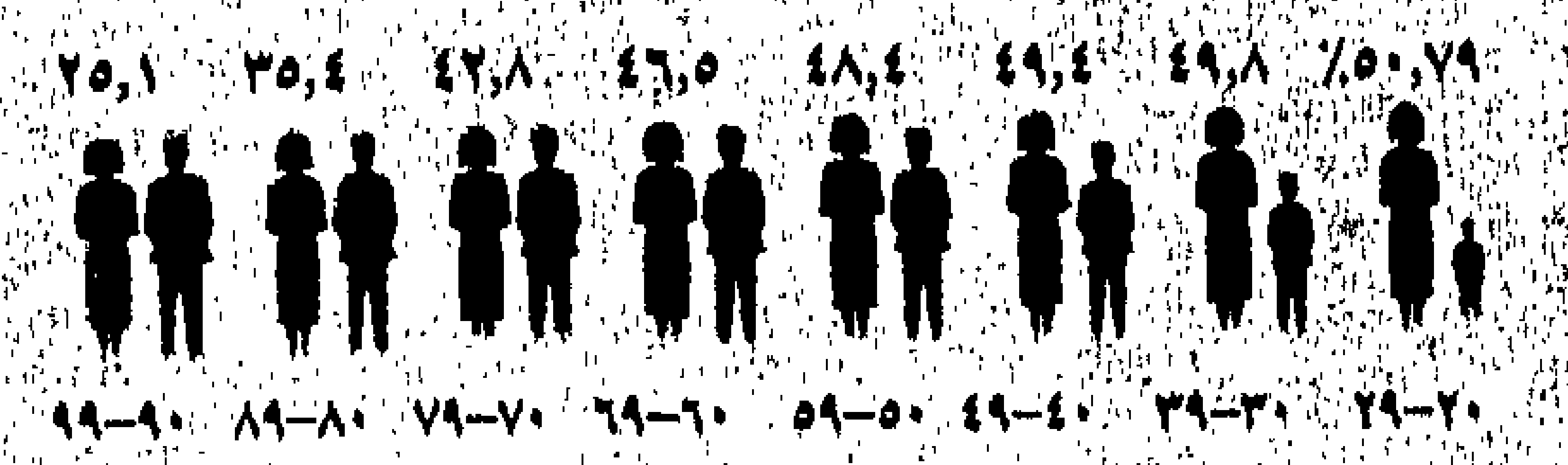
هذا هو عيد الحب الأخير فى الألفية الثانية ، و" نيوزويك " تحتفل به ، بإبلاغ النساء أن موت الرجال يعنى أن النساء هن الضحايا ، وهذه المرة استخدمت مقياسًا جديدًا للساعة البيولوجية .

الأزواج

**ساعة بيولوجية أخرى**

**الرجال الباحثون عن زوجة يجب أن يتمتعوا بشباب القلب : تتحسن فرصة الرجال كلما كبروا فى السن ، ولكن عندما يموت العزاب المناسبون ، تقل فرص النساء**

نسبة الرجال إلى التعداد الكلى




" نيوزويك " ١٥ فبراير ١٩٩٩

بشكل أكثر دقة ، هناك ثلاث رسائل وراء هذا الشكل : الرجال يموتون ، النساء ضحايا ؛ النساء يعشن ، أيضاً النساء ضحايا ؛ الرجال يموتون ، يستفيد الرجال . راجع صحة هذه الاستنتاجات .

إذا كان هذا هو الحب ، علينا إذن أن نبحث فى مجال الحرب . مات فى الحروب أربعون مليون رجل سوفييتى ما بين عامى ١٩١٤ ـ ١٩٤٥ . بعض العائلات فقدت كل رجالها : الأب الابن ، الأخ ، العم والخال ، ورغم ذلك يظهر عنوان صحفى فى أكبر المجلات فى العالم توزيعاً " باراد " يقول : " نهاية قصيرة للعصا " والموضوع يشرح وضع النساء اللائى تضطرهن الظروف إلى العمل فى المصانع وفى تنظيف الشوارع .

أما فى البوسنة ، فقد حصدت الحرب الأهلية أرواح الرجال بحيث لم يبق منهم سوى ٣٠ ٪ من التعداد العام للسكان . هل تنشر الصحف هذه الحقيقة ونجد إعلانا يقول " الحرب لم تبق إلا ٣٠ ٪ من الرجال " ؟ لا ، كان عنوان " باراد " هو " النساء ينتظرن الحصول على السلطة فى البوسنة " . إن التضحية التى قام بها الرجال تم تجاهلها ، ليس هذا فقط ، بل إن هذا تم استغلاله كمثال على الحرب التى يقتل فيها الجنسان بالتساوى . عندما تكون هناك قصة عن رجل يقتل ، لا يكون التركيز على تضحيات الرجال ، ولكن على أدوارهم . نحن نكتشف تضحية الرجال كقضية نوع اجتماعى عندما تكون

هناك حاجة لفهم الأعباء الجديدة التى تلقى على أكتاف النساء . ولنرى المثال التالى ، وهو الصفحة الأولى فى صحيفة " لوس أنجلوس تايمز " .

## لوس أنجلوس تايمز

**العمود الأول**

### نساء البوسنة يحاولن إعادة البناء

■ سلبت الحرب كثيراً من المجتمعات الأزواج والآباء والأبناء . فى هذا المجتمع الأبوى التقليدى ، تتعلم النساء الوحيدات تداول الأموال ، التعامل مع السلطات ، والتعايش مع الشعور بالوحدة .

بقلم" تريسى ويلكنسون "

لاحظ مدى الدقة ، وقلة الوعى فى التعامل مع قضية موت الرجال على أنها سبب فى تحول النساء إلى ضحايا .

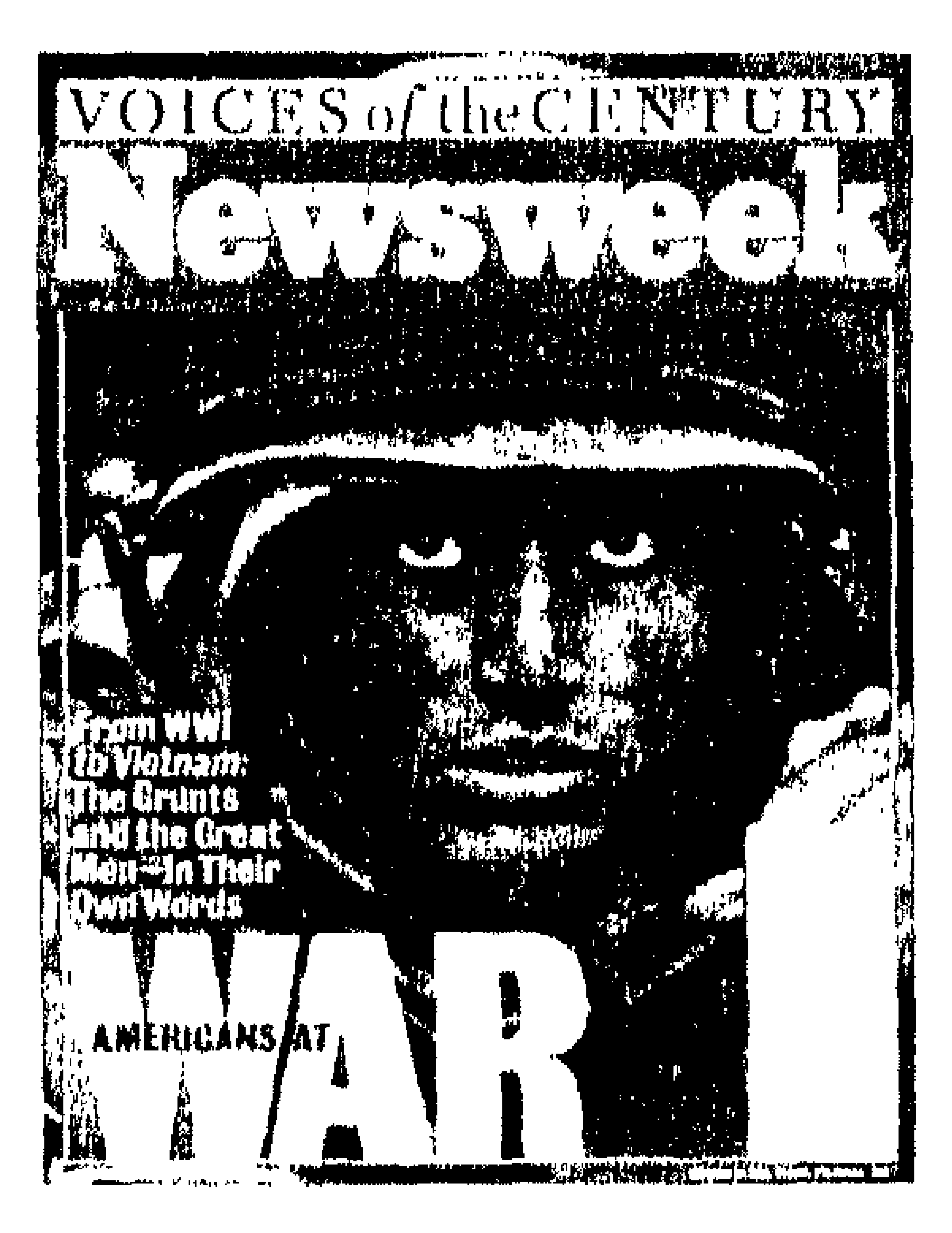
الرجال هم الذين يموتون ، ولكن العناوين تخبرنا عن الجهود النسائية ( نساء البوسنة يحاولن إعادة البناء ) . ففقدان الرجال لا يتم ذكره إلا عند الإشارة إلى العبء الذى وقع على أكتاف المرأه الثكلى ، إن التركيز يكون على المجتمع الذى خسِر ( لقد سلبت الحرب كثيرًا من المجتمعات ... ) ، وليس على " الأزواج ، والآباء ، والأبناء الذين فقدوا حياتهم " .

لاحظ الآن كيف أن الأعباء الجديدة على النساء ينظر إليها على أنها المزايا السابقة للرجال ، ( وذلك فى عبارات موحية مثل " المجتمع الأبوى .. " ) . على أية حال ، ما إن نستطرد فى القراءة حتى نكتشف : " ... النساء عليهن جمع الحطب ، رى الأرض ، وحرث الحقول " ، ولكن انتظر ... لماذا لم توضع هذه الأعمال فى العنوان الرئيسى ؟ لأن هذا قد يؤدى إلى الضحك من استخدام كلمة ( الأبوى ) لوصف الرجال .

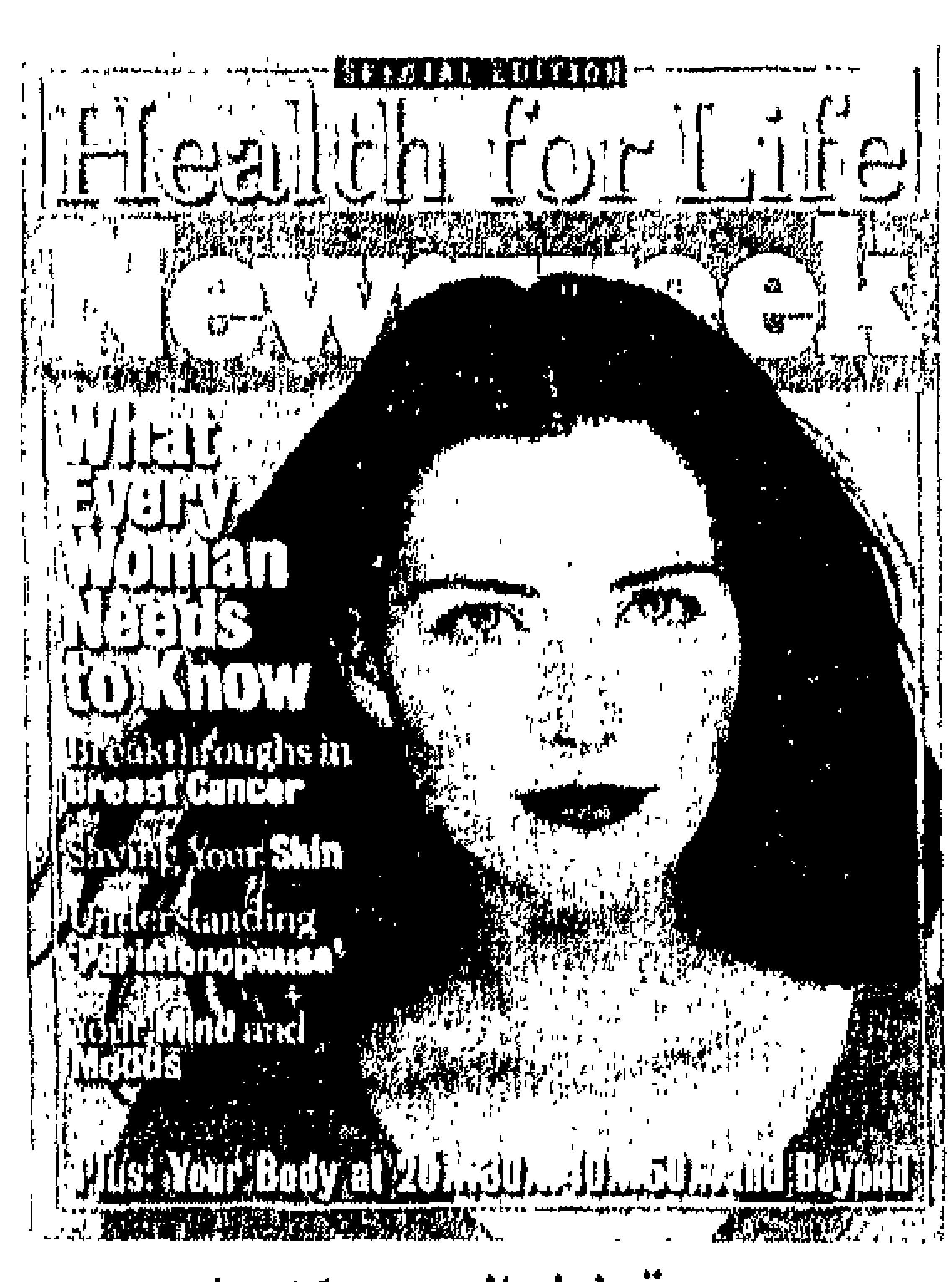
الآن لنتحول إلى العنوان الفرعي . لاحظ الكلمات الثلاث التى تُحِول التركيز إلى النساء ـ " النساء الثكالى " ـ وتحول التركيز أيضاً إلى لغة الضحَية : هذه المرأة الثكلى لابد أن تتعلم كيفية تدبير أمورها ، وكيفية معالجة الأشياء ، ويجب عليها أن تتغلب على مرارة الوحدة .

هناك شيء ما عن دور النساء لم يُذكر أبداً ، هل تستطيع اكتشافه ؟ النساء لا يضحين بحياتهن فى الحرب ، وهذا لم تتم مناقشته باعتباره ميزة للنساء ، ولا على أنه علامة على مجتمع سيادة المرأة .

أليس من الممكن القول إننا نتجاهل موت الرجال حتى نستطيع دائماً أن نجهزهم للموت فى الحروب لحماية النساء ؟ وكأن القدر قد أراد أن يرد على تساؤلى ، وصل إلى بيتى ثلاثة أعداد من مجلتى " تايم " و " نيوزويك " أثناء تأليفى لهذا الكتاب فى عام ١٩٩٩ . كان هناك عددان مخصصان بالكامل للنساء ؛ وعدد واحد للرجال . عددان للنساء الأحياء ، وعدد لتكريم الرجال الأموات . لاحظ ، على أغلفه " نيوزويك " كيف أن الصور هى لرجل وامرأة فى مقتبل العمر ، ولكن الصور والموضوعات تشيران إلى استمرار حياة المرأة بعد ذلك وموت الرجل فى هذه السن ( " الحقيقة عن أجسام النساء " و " صحة لطول العمر : ما الذى يجب أن تعرفه كل امرأة " وذلك على النقيض من عنوان " من الحرب العالمية الأولى إلى فيتنام : الرجال العاديون والرجال العظماء " ) .




الحرب




صحة طول العمر : كل ما
تحتاج المرأة أن تعرفه

أليس تكريم الرجال الذين ماتوا شيئاً جيداً ؟ دعنا ننظر إلى الأمر كالآتى : إذا كرمنا النساء لموتهن ونحن نعد لإصدار إعداد جديدة عن صحة الرجال ولا شيء عن المرأة ، هل كنا سنتساءل عن صحة هذا التصرف ؟ أم أننا كنا سنرى فى ذلك تعمدًا لتقدير المرأة على موتها وأن هذا التقدير هدفه إبقاء الجارية جارية ؟

## استمرار تصوير المرأة كضحية يعتمد على تجاهل موت الرجال

إذا كان استمرار تصوير المرأة كضحية يعتمد على إبقاء موت الرجال غير مرئى ، يتبع ذلك الاعتماد أيضاً على إخفاء المساهمات التى يقوم بها الرجال . مرة أخرى ، كل هذه الأمور تتم بلا وعى ، ولكن هذا ليس مصادفة أيضاً . هل رأيت من قبل مقالاً عن مسئوليات الرجال فى دول العالم الثالث ؟ ( أو الرجال فى أي عالم ؟ )

فى الفصل الذى تناولنا فيه الأعمال المنزلية رأينا القوة التى نجحت فى إخفاء ما يقوم به الرجال فى ٥٠ مجالاً للعمل المنزلى . بنفس المنطق ، إحدى شرائح المجتمع التى تنمو سريعاً فى مطلع القرن هى شريحة الأب المطلق أو الأرمل الذى يعيش وحيداً ، ولكننا مع ذلك نستمر فى طمس إسهاماته وعدم الاعتراف بها ، ونتجاهل أيضاً الساعات الطويلة التى يقضيها فى مواقع العمل ، والوظائف التى يحيط بها الخطر من كل اتجاه ، والأعمال التى تتطلب مهارة فنية عالية ، والمساهمات العديدة الأخرى التى يقوم بها الرجال ويحصلون فى مقابلها على أجور عالية .

ما هو الدافع وراء إبقاء مساهمات الرجال خفية ؟ إن قوة الضحية هى الشرط الأساسى لكل شيء بدءاً من برامج دعم النساء ، إلى برامج رعاية الأطفال والقُصَّر .

ما هو الثمن الذى ندفعه ؟ هل يمكن أن نساعد الأمهات الوحيدات عندما نقوم بدراسة الآباء غير المتزوجين ؟ وهل سيساعد ذلك الأبناء ؟ وإذا تعرفت النساء على الخمسة والعشرين سلوكاً التى تخلق الراتب الأعلى للرجال بدلاً من اعتبار ارتفاع الراتب تفرقة بين الجنسين ، فهل سيستطعن فى هذه الحالة تمكين أنفسهن ؟

إن الاعتماد على نظرية الضحية يعتبر جزءًا من بحث النساء عن الأمن ، ولكن ، للمفارقة ، إن هذه العملية ذاتها تقود إلى فقدان النساء للأمان . لماذا ؟ لقد أشركني كثير من أصحاب الأعمال في مخاوفهم من القضايا التى ترفعها النساء ضدهم ، وهم يدركون أن الإقلال من شأن واستحقاقات النساء يقلل من هذه المخاوف . على ذلك ، نرى أن كثيرًا من النساء عندما يبحثن عن الأمن يفقدن الأمان .

لاحظ أيضاً أنه فى كل هذه القضايا هناك خمسة أطراف للستار الحريرى يعملون معاً : مصادر التمويل التى تمول الحركة النسائية باعتبارهم باحثين عمليين ( مثل " أرلى هوشيلد" ، مؤلفة كتاب " الوردية الثانية " " The Second shift " ) ؛ والجامعات الكبرى مثل " يو . سى . بيركلى " التى توظف الباحثات الناشطات فى الحركة النسائية ، وهى بذلك تعطى مصداقية للتحيزات المضمنة فى البحوث والتى تصور المرأة كضحية ؛ والصحافة حين تقوم بأبحاث غير مهمة وتحولها إلى عناوين صحفية رنانة تؤكد تصوير المرأة كضحية ، وتتجاهل الدراسات التى تخرج عن هذا النمط ؛ والرجال الذين لا يتكلمون ؛ ونحن ، حيث القليل منا فقط هم الذين يتساءلون عما يحدث .

## نشر الصحف

رأينا فى الدراسة الكندية عن الصحف كيف أن العنف ضد المرأة يتم تصويره بنسبة أكبر من العنف ضد الرجل ، وحتى إذا جاء ذلك فى الإحصائيات فلا يتم إلقاء الضوء عليه .

سنرى كيف أن هذا التحيز يؤذى النساء : عندما يتم تشخيص معاناة النساء فقط ، يحفزنا ذلك على إنقاذ المرأة وافتراض أن السبب لابد أن يكون الرجل . على ذلك ففى مشكلة مثل العنف المنزلى نلوم الرجل ونتجاهل العلاقة بين الذكر والأنثى والتى قد تؤدى إلى اعتداء الجنسين على بعضهما البعض بقدر متساو .

إن هذا يؤدى إلى إيذاء النساء ، لأن الرجل حين يشعر بأنه المتهم الافتراضى فسيقاوم أية محاولة للصلح . **وهو فى رفضه هذا ينظر إلى من يقوم بالصلح على أنه مثل زوجته ـ غير قادر على الاستماع إليه** . فبالنسبة له ، يصبح من يقوم بالإصلاح بينه وبين زوجته جزءاً من المشكلة ، بل قد يكون أسوأ من ذلك . وحينها يختفى الأمل وتحل محله السخرية ، ولا يتوقف الأمر عند هذا الحد ،

فهو يشعر بأن زوجته والنظام الاجتماعى يتآمران ضده ، فهو الآن يقف وحده ضد العالم ، وذلك يعتبر السبب الذى يؤدى إلى حدوث جرائم قتل جماعية يتبعها انتحار الرجل ، وهو الأسلوب الخاص بالرجال ، وسيظل هكذا حتى يتم الاعتراف بأنهم ضحايا مثل النساء .

وحتى نوضح وضع الستار الحريرى فى الصحافة ، سننظر معاً إلى" نيويورك تايمز " ، ولكن مثل هذا التحليل يمكن أن ينطبق على أية صحيفة أخرى . فى تجربة " جاك كامر " التي أوردها فى كتاب " حسن النوايا تجاه الرجال " " Good Will Toward Men " ، والذى يحتوى على آراء عدد من النساء المستقلات وسبب دعمهن لما تقوم به الحركة النسائية لتمكين النساء ، وفى نفس الوقت عدم موافقتهن على التقليل من شأن الرجال ، ظهر بجلاء انتشار هذا التحيز . وعندما تم إصدار هذا الكتاب ، لم تهتم أية صحيفة يومية كبرى بتقديمه للقراء الأمريكيين ، وكانت " سان فرانسيسكو كرونيكل " هى الوحيدة التى قامت بذلك ، حيث أوكلت هذا التقديم إلى " أرمان بروت " الذى أحب الكتاب . يقول " بروت " إنه عندما سلم عرض الكتاب إلى محررة باب عروض الكتب ، أعلنت له أنها لم تقرأ الكتاب ، ولكنها شعرت بأنها تعرف عنه ما يكفى لجعلها ترفض قبول مثل هذا العرض .. لأنها بكل بساطة لم تُعجب بالكتاب ، وبذلك قامت بقتل الكتاب ووقفت أية محاولة لعرضه ونشره .

عندما ذكرت هذه الواقعة لأحد أصدقائى علق قائلاً : " إن هذا يعتبر رقابة على النشر ! إن ما فعلته الـ " كرونيكل " هو رقابة ومنع نشر ! ألا يثير هذا حنقك ؟ كان ردى على الصديق : " إن الرقابة المُقَنَّعة تخيفنى أكثر من الرقابة العلنية ، فما يرعبنى هو امتناع مئات الصحف الكبرى عن مراجعة ونقد الكتاب حتى فى الوقت الذى كانوا يراجعون ويعرضون فيه عشرات من الكتب المناصرة للحركة النسائية ، وما يزيد خوفى هو إهمال وتجاهل كل الصحف لأى كتاب يتناول القضايا الخاصة بالرجال .

الصحيفة الوحيدة التى تخيفنى رقابتها على النشر هى " نيويورك تايمز " ، لأنها مثل القائد الذى تتبعه كل الصحافة المطبوعة ، بل والمرئية أيضاً ، وقد راجعت هذه الفكرة مع " برنارد جولد برج " ، مراسل أخبار فى قناة " سى بى إس " على مدار سبعة وعشرين عاماً . فى تقديره أن **أكثر من ٩٠٪ من القصص الإخبارية التليفزيونية يتم الحصول عليها من مصدر واحد فقط وهو صحيفة الـ " نيويورك تايمز "** .

وكما سيتضح لاحقاً ، عندما يتعلق الأمر بقضايا النوع ستجد الجميع يتخذون موقفاً عدائياً ضد الرجال ـ فلنلق نظرة .

## " نيويورك تايمز " ـ أوقات غير صحية

فى شهر يونيه ١٩٩٨ ـ وهو شهر صحة الرجال ، خصصت" نيويورك تايمز " جزءًا خاصاً عن صحة المرأة . هل هى مصادفة ؟ فى شهر صحة الرجال عام ١٩٩٧ فعلوا نفس الشىء ، رغم أن قسم صحة الرجال لم يظهر فى أي شهر من عامى ١٩٩٧ و ١٩٩٨ . الحقيقة أنه لم يظهر أي قسم خاص بصحة الرجال قبل عام ١٩٩٩ ، ولكن فى عام ١٩٩٨ جاء يوم ظهر فيه قسم خاص عن صحة النساء ، كان هو يوم الأب .

ها هو العنوان الرئيسى لـ " نيويورك تايمز " لموضوع عن يوم الأب ، وظهر فى قسم صحة النساء .

قسم صحة النساء

**الرجال . هل النساء أفضل معهم ، أم بدونهم ؟**

**ص١٠ ـ قسم صحة النساء فى " نيويورك تايمز " ـ الأحد ٢١ يونيه ١٩٩٨.**
**" الرجال . هل النساء أفضل معهم ، أم بدونهم ؟ " بقلم " ناتالى أنجير"**

هذا الموضوع صاغته " ناتالى أنجير " . حاول أن تستشعر الغضب : " اليوم هو يوم الأب ... نحن النساء يفترض أن ... نجعلهم يشعرون وكأنهم أمراء بينما ندعهم يتصرفون مثل نباتات الشلجم " .

" إن القسم الذى تقرءونه مخصص لصحة النساء ، لذلك ليس هناك مكان أفضل من هذا لطرح هذا السؤال : هل يستحقون ذلك ؟ هل نعيش فى وضع أفضل مع الرجال أم بدونهم ... ؟ إن الإجابة ، مثل الزواج نفسه ، هى شىء مربك .

دعنا نر الآن ، إن السؤال المطروح فى " يوم الأب " هو " هل نحن ـ النساء ـ " نعيش أفضل ؟ " ، ألا يشبه هذا السؤال كما لو أن والدك

يسأل والدتك : " هذا يوم عيد الأم ... وليس هناك أفضل من اليوم لمعرفة ما إذا كنت تستحقين العناء من أجلك ، وما إذا كنت سأصبح أحسن حالاً بدونك . هل أنا أفضل معك أم بدونك ؟ "

إن غضب " أنجير " ليس غضبها وحدها . إن الصفحة الأولى تحمل عنواناً صارماً ، " الرجال لديهم الفياجرا ـ النساء يعانين من الهجر ، هذه بيانات غير دقيقة حول المسائل التى تتعلق بالرغبة والعلاقة الزوجية " .

هل نكرم المرأة فى يوم عيدها بموضوعات مثل " النساء لديهن حبوب منع الحمل ، وإدارة لشئون صحة المرأة ، وعمر أطول من عمر الرجل بسبع سنوات . أما الرجال فلديهم واقيات ذكرية ، وأعمال تتسم بالخطورة ، وتجنيد إجباري " ؟

أخيراً وفى عام ١٩٩٩ خصصت " نيويورك تايمز" قسماً لصحة الرجال هو الأول من نوعه ، على عكس القسم الكبير المخصص لصحة المرأة ، كان قسم الرجل صغيرًا جداً ( بعد استبعاد الإعلانات والرسوم التوضيحية بقيت سبع صفحات هى كل ما يتكون منه هذا القسم ) لم تكن هناك معالجة عميقة لثلاثة وثلاثين موضوعاً صحياً من القائمة التى تحتوى على أربع وثلاثين مشكلة صحية خاصة بالرجال وتم إهمالها ـ وهى القائمة التى أرسلتها إلى " نيويورك تايمز " ، وبدلاً من ذلك ، ركزت المقالات على تأهيل الرجال ، وجراحات التجميل ، والرياضات الخاصة بالرجال ، واعترافات مدمن سابق ، مثلما يوجد فى الأعمدة الخاصة بالرجال فى مجلة " جلامور " .

فى الوقت الذى احتوت فيه بعض المقالات على معلومات مفيدة ، كان طابع الحديث معاكساً لما يرد فى الصفحات الخاصة بصحة المرأة : فبدلاً من نقد ولوم المرأة ، مثلما يفعل قسم المرأة مع الرجال ، وجدنا أن قسم صحة الرجال يوجه النقد واللوم إلى الرجال أنفسهم . فقد قيل للرجال إنهم يموتون مبكراً لأنهم مدمرون لذواتهم : " لماذا لا يعمر الرجال : لأن تدمير الذات هو أسلوب حياتهم . هل يتعلق الأمر أيضاً بغياب الشفقة والحنان ؟ "

بينما يقول قسم صحة النساء للنساء إنهن ضحايا ، فإن قسم الرجال يقول للرجال إن لديهم الكثير من الامتيازات ( " لدى الرجال كثير من المزايا الصحية " ) ولديهم كل الحظ ( " عندما يتعلق الأمر بالطعام ، فإن الرجال يملكون كل الحظ " ) .

يبدأ هذا التوجه من الصفحة الأولى ، حيث نجد صورة مجموعة من الرجال يبدو عليهم الملل ، والشعور بالحصار ( باستثناء رجل أسود ، وهو الوحيد الذى أظهرت " تايمز " تجاهه بعض التعاطف العَرَضى ) والكل ينتظرون مراجعة الطبيب . والعنوان الفرعى يقول للرجال " عندما يكون الرجال مرضى فإنهم لا يتحلون بالصبر ، أو الهدوء . إنهم يحتاجون للتماسك مثل المرأة " .

**صحة الرجال**



لا تتعاطى دواءكِ مثل الرجال

**قسم صحة الرجال ، الأربعاء ١٧ فبراير ، ١٩٩٩ " نيويورك تايمز "**

**لا تتعاطى دواءك مثل الرجل . الرجل فى مرضه يكون غير صبور وصعب المراس . يحتاج الرجال إلى التماسك ، مثل المرأة**

كيف تغطى " نيويورك تايمز " قضية الصحة على المستوى اليومى ؟ مثلاً فى شكل قصة تمثل موضوع صفحة الغلاف . يقول العنوان ، " تناقص حالات السرطان الجديدة ... ولكن ما زالت الأقليات والنساء فى خطر " .

كان من المفترض أن ينتهى العنوان بدلاً من ذلك بـ " ولكن الأقليات والرجال ما زالوا معرضين للخطر " ، لماذا ؟ لأنه **طبقاً للرسوم البيانية التى أوردتها " نيويورك تايمز " فإن هذه المخاطر الخاصة تنطبق فقط على الرجال ، وليس النساء** . لقد أوضحت البيانات والأشكال أن إصابات الرجال بسرطان الرئة ضعف إصابات النساء ، وسرطان القولون يزيد فى الرجال بمقدار ٥٠٪ على

النساء . وفى التصنيف الآخر ، نجد أن معدل الإصابة بسرطان البروستاتا يكون أعلى من سرطان الثدى ويتزايد منذ عام ١٩٩١ .

راجع العنوان والتوضيحات مرة أخرى ، هل تلاحظ شيئاً آخر ؟




لا يظهر فى الصفحة الأولى سوى صورة امرأة . الرجال يموتون ، والنساء ضحايا . إن الخطورة الواقعة على الرجال تتزايد بسبب جهلنا بها وتجاهلنا لها .

## الرجال من الكهوف ، والنساء من الزهرة

عندما يكشف البحث العلمى أن النساء لديهن التفوق البيولوجى ، تسارع " نيويورك تايمز " بنشر ذلك وتمجده وتستخدمه كنقطة انطلاق للهجوم على الرجال . كتبت معظم المواد " ناتالى أنجير " خبيرة " نيويورك تايمز " فى الأحياء وصحة الرجال والنساء . تبدأ أحد موضوعاتها كما يلى : " قد لا تجد النساء أن فى ذلك مفاجأة ، ولكن إحدى أهم المشكلات الدائمة فى التطور البيولوجى هى الذكر ، لماذا لا يذهب بعيداً ؟ " . لقد اكتشفت هذه المقالة وقد أعيدت طباعتها تحت عنوان " التقارير تكشف عن الحلقة المفقودة فى تطور

سلالة الذكور " ، ولم أجد أي مفاهيم بديلة داخل هذه المقالة ، ولا حتى وجهات نظر بديلة منشورة فى مجلة " تايمز " فى أي وقت ، تمدح الأبحاث التى تثبت تفوق الرجال بيولوجياً . ألم تكن هناك جماعة أخرى تتبنى مثل هذا الاعتقاد حول اليهود ؟

ما الذى يحدث عندما يكشف البحث عن نتائج ليست فى صالح النساء ؟ تسارع " نيويورك تايمز " بقتل هذا البحث . فى موضوع كتبته " أنجير " بعنوان " الرجال والنساء ، والجنس ، وداروين " ، وظهر عنوانه على صفحة الغلاف فى هذ المقال ، تم تقليص أية ملاحظة بيولوجية سلبية حول النساء ، وتم تحويلها إلى شرح لاستغلال الرجال للنساء ، وهو السبب الذى أدى إلى جعل النساء يصبحن فى هذه الحالة السلبية .

مثال : عندما تكشف الأبحاث أن النساء الثريات فى جميع أنحاء العالم يتزوجن الرجال الأثرياء أو لا يتزوجن على الإطلاق ، فإن المرأة تلوم الرجل لحرمانها من تكوين الثروات ، وتدعى أن النساء لن يستطعن أبداً الحصول على القدر الذى يملكه الرجال من المال ، وعندما تغفل المرأة عن حقيقة أن المرأة الثرية تمتلك بالفعل ثروة أكبر مما يمتلكه تسعة وتسعون فى المائة من الرجال ، فهى بذلك تكون قادرة على دحض الادعاء الذى يقول إن الرجال هم السبب فى زواج النساء الثريات من الرجال الأثرياء فقط ، أو عدم زواجهن على الإطلاق .

من وجهة نظر" نيويورك تايمز " ، فإن مجرد مشاهدة المباراة الكبرى للبيسبول تتسبب فى أن يعود الرجال إلى كهوفهم السابقة ( أي منازلهم ) ويضربون زوجاتهم . عندما أعلنت ناشطات الحركة النسائية أن العنف ضد النساء يزداد بعد المباريات الكبرى ، ظهرت مقالات عن ذلك فى " نيويورك تايمز " حيث كتب " روبرت ليبستايل " عن المباريات الكبرى ووصفها بأنها " مباريات الاعتداء والإيذاء " . وجاء على لسانه فى المقال : " إذا استمرت المراسم التقليدية المصاحبة للمباريات ، فهناك مزيد من النساء سيضربهن الأزواج الليلة ، ويبدو أن ذلك يمثل جزءًا من المراسم ، إن إذاعة مباراة كبرى على شاشة التليفزيون تتحول إلى مباراة لإيذاء النساء ، عندما يبدى الرجال الغضب وينفسون عنه فى وجه شخص أصغر حجماً ( زوجاتهم ) " .

إننا نحتاج إلى حقائق وليس إلى تكهنات ، نحتاج إلى أرقام وإحصائيات . ولكن " ليبستايل " ذكر أنه يستند إلى إحصائيات رغم أنه لم يورد أية إشارة

لها ، واكتفى بأن أورد بعض الأقوال والتعليقات والقصص ، بل إنه قلل من شأن ما ذكره أحد الرجال من أنه لا علاقة بين المباراة الكبرى والاعتداء على الزوجات .

والواقع أن ما ذكره هذا الرجل صحيح إلى حد بعيد . وعندما بحثت " كريستينا هوف سمرز " عن الحقيقة اكتشفت أن ما نشرته ناشطات الحركة النسائية كان مبنيًا على أكاذيب ، سأشرح ذلك فى النهاية ، ولكن النقطة هنا هى أن أى محرر فى " نيويورك تايمز " ما كان سينشر أية حقائق حول السخرية من الرجال ، وحتمية تسببها فى العنف ضد الرجال دون أن يستند إلى دليل مادي ملموس وموثوق فى صحته . إن احتقار الرجال وإدانتهم شيء واضح وملموس فى " نيويورك تايمز " ، إلى درجة أنها لم تتردد فى ترجمة ذلك إلى الدعوة للتخلص من الآباء .

## الأمومة ، وشعور الضحية ، والطفولة

لاحظ الأسطر المكتوبة بخط صغير على صفحة الغلاف ، وتقول هذه السطور إن هذا الإصدار الخاص لمجلة " نيويورك تايمز " ليوم الأحد يفترض أن يكون عن متعة الأم العصرية فى أمومتها وإحساسها بالذنب ، ولكن كل الحروف الكبيرة والكلمات على الغلاف تشير إلى الأمومة على أنها وضعية الضحية ـ وأن " الأمهات لا يمكن أن يفزن " .

لاحظ أيضاً أنه لا يوجد أب فى الصورة ، رغم أن هذه ليست قضية خاصة بالأم الوحيدة ، لماذا إذن لا يوجد أب فى الصورة ؟ هل لأن وجود الأب فى الصورة سيقلل من تصوير الأم على أنها ضحية ؟ فكر فى هذا الأمر . إن صورة تضم الأم والأب قد تصورهما معاً كضحايا ... وقد يؤدى ذلك إلى التشكيك فى عبارة " الأمهات لا يمكن أن يفزن " .

على النقيض ، ليس هناك قسم مشابه فى " نيويورك تايمز " يسمى " الأب لا يمكن أن يفوز " ويصاحبه عنوان " الأبوة والمادة ٢٢ " : كيف أن الالتزام بالعمل بدوام كامل يقود الآباء للتعبير عن حبهم لأسرهم بالابتعاد عنهم . اقرأ هذا العنوان الافتراضى مرة أخرى . ( هنا ستعرف لماذا لا أقوم بكتابة العناوين الصحفية ! ) لأنه عبارة عن مقالة كاملة فى جملة واحدة .

هناك أيضاً حقيقة تغفل عنها " نيويورك تايمز " ، إنهـا ليسـت عـن الآبـاء الكسالى ، ولكن عـن ١٥ ٪ مـن الآبـاء غـير المتـزوجين ، وكيـف أنـهـم يقومـون بجميع المهام .




وهؤلاء لا يتحدث عنهم أحد ، ولا يذكر أحد أنهم يقومون بكل شيء ، يحبـون أطفالهم على طريقتهم . ولا ضحايا هنا . بل أيضاً ليس هناك قصـة تسـتحق أن ينشر عنـها أحد .

**هناك قصة أخرى مفقودة ، عن مجموعات حقوق الآباء التي تريد أن تعطي للآباء حقوقهم لكي يكونوا أكثر اندماجا مع أبنائهم ، ولـيس أقـل انـدماجاً .**
أو قصة عن كفاح هؤلاء الآبـاء لرفـع الأعبـاء عـن كاهـل الأمهـات ، أو سـعيهم للحب ، ولأن يكونوا محبوبين .

في العالم الذي نحتاج فيه الحب أكثر مـن المـال ، لمـاذا لا نقـرأ عـن هـؤلاء الآباء ؟ لأنـهم يواجـهون مقاومة ضارية مـن الحركـة النسـائية . لمـاذا ؟ ألم تكـن رائـدات هـذه الحركـة هـن أول مـن طـالبن الرجـال بمشـاركة النسـاء أدوارهـن التقليدية ؟ نعم . ولكن عندما أصبح ذلك يعني عدم تلقي الأمهـات نفقـة الأبنـاء

من الآباء ، تغيرت سياساتهن بسرعة . وهذه هى القضية ـ الخوف الشديد من ناحية صديقاتى من القيادات النسائية من أن الآباء سيعطون الأمهات مالاً أكثر مما سيعطون حبا لأبنائهم ـ وهذا هو ما جعلنى ابتعد عن الحركة النسائية بسبب الحالة التى أصبحت عليها .

إن ما تتجاهله " نيويورك تايمز " يؤدى بدوره إلى تجاهل الأطفال ، " وتايمز " لديها اختياران ، إما الأمومة فى وضعية الضحية ، أو الأبوة والطفولة .

## الرجل المسئول عن مجلة " نيويورك تايمز "

ما الذى يحدث فى " نيويورك تايمز " ؟ هل رائدات الحركة النسائية هن المسئولات ؟ ليس تماماً . إن مسئولية المنظمة هى مسئولية من يجلس على القمة ، ومن يجلس على القمة رجل وهو الناشر " أرثر سولز برجر " الابن . ( لاشك أن القارئ سيبتسم من المفارقة الكامنة فى تمثيلى لمجلس إدارة " المنظمة الوطنية للمرأة " فى مدينة " نيويورك " لكى يحيط والده علماً بالتحيزات الموجودة ضد المرأة فى صحيفة " نيويورك تايمز " فى بداية السبعينات . )

عرفنا الكثير عن " سولز برجر " وكذلك عن طبيعة العمل الداخلى فى " نيويورك تايمز " عن طريق " نان روبرتسون " ، الرائدة النسائية ومؤلفة كتاب " الفتيات فى الشرفة " The Girls In The Balcony " : نساء ، ورجال ، ونيويورك تايمز " . لقد شرحت كيف أنه يعتبر نفسه متبنياً حقوق النساء ... ومشجعًا متحمسًا للكاتبة " مارلين فرنش " ويحتفظ فى مكتبه بصورة من مقال لها . " مارلين " هى مؤلفة كتاب " الحرب ضد النساء " " The War Against Women " ، وهى تعبر عن آراء النساء التى مؤداها " أن الرجال فى طريقهم إلى إبادة نساء العالم أجمع ، وهى أيضاً مؤلفة كتاب " غرفة النساء " " The Women's Room "، والذى تقول فيه : " كل الرجال مغتصبون ، وهذه هى حقيقتهم " .

عندما تدار صحيفة على يد شخص من المعجبين المتعصبين بامرأة تقول إن الرجال ما هم إلا مغتصبون يشنون الحرب على النساء ، لابد أن يوظف من يعتقدون أن الأعداء لابد من هزيمتهم ، إن الغاية تبرر الوسيلة . وهذا يفسر

كيف أن كتب " مارلين فرنش " وحدها هى التى نالت حظها من العرض المتكرر واللقاءات الخاصة ، وهو ما أوضح كيف أن قائمة منع النشر أصبحت واضحة مثلها مثل قائمة أفضل المبيعات .

## قائمة " نيويورك تايمز " للكتب المحظور نشرها

يفترض أن قسم عروض الكتب مبنى على أسس موضوعية ، ولكن فى " نيويورك تايمز " الأمر مختلف ، حيث إنه يتبنى موقفاً عدائياً تجاه الرجال ، وهو ما نراه فى مثل هذا العنوان :

" نيويورك تايمز "
**قسم عرض ونقد الكتب**

**لا تتوقعى الكثير من الرجال**

**١١ مارس ١٩٩٠**

هذا التوجه نجده فى كل كتب أعداء الرجال من أمثال " مارلين فرنش " ، " وآندريا دوركين " ، وهى الكتب التى تنال حظها فى هذا القسم ، بينما الكتب التى يؤلفها الرجال ويناقشون فيها موضوعات الرجال البالغين بتعاطف ، وينتقدون مفاهيم ووجهات نظر الحركة النسائية لا تجد لها مكانا فى هذا القسم .

سأقوم بتوثيق ما أقول حالاً ، ولكن دعنى أولاً أشر إلى الإخلال بأخلاقيات الصحافة التى من أهمها العدالة والتوازن . عندما **يتجاهل قسم عرض الكتب فى " نيويورك تايمز " أحد الكتب فإنه يوجه بذلك رسالة : " إنك لست واحدًا من المؤلفين المعترف بهم "** . وتكمل وسائل الإعلام الأخرى نفس الخط . فعندما تتجاهل بشكل منظم كل الكتب التى تحتوى على إحدى وجهات النظر ، وتعطى اهتمامًا مضاعفًا للكتب التى تحمل وجهة النظر المضادة ، فإن ذلك لا يكون متعلقاً فقط بخرق أخلاقيات الصحافة ، ولكنه يعد خروجاً على مسئولية السلطة .

والآن سوف أنتقل إلى التوثيق ، فقد كشفت مراجعة القوائم ما بين ١٩٧١ ـ ١٩٩٨ أن " مارلين فرنش " الكاتبة المفضلة لدى " سولز برجر " ، وكتابها " غرفة النساء " The Women's Room " ، والذى جاء به أن كل الرجال مغتصبون ، نالت حظها من إعادة النشر أكثر من مرة فى قسم الكتب . كان العرض الأول من إعداد ناشطة نسائية أخرى مفضلة لدى " نيويورك تايمز " هى " آن تيلر " ، وحرصاً على التأكد من قراءة كل قادة الفكر والرأى لهذا العرض النقدي للكتاب ، أعادت المجلة نشر موضوع عن الكتاب بعد أسبوعين وهذه المرة بقلم " كريستوفر ليمان هوبت " ، أحد النقاد المحترمين .

إن الوقت الذى لا تقوم فيه " نيويورك تايمز " بتوجيه رسالة إلى مؤلف أحد الكتب فحواها أنه ليس واحداً من المؤلفين المعترف بهم ، هو ذاته الوقت الذى تقوم فيه بنشر كتابه وعرضه بصورة إيجابية أكثر من مرة ، وعلى يد أكثر المحررين شعبية واحتراماً ، وهى بذلك تجعله بالفعل واحداً من المؤلفين المعترف بهم . وبعد ذلك تبدأ أشياء أخرى فى الحدوث ، مثلماً حدث فى حالة الكاتبة " مارلين فرنش " ، والتى تحول كتابها " غرفة النساء " " The Women's Room " إلى فيلم سينمائى .

ومازالت " نيويورك تايمز " تروج لثلاثة من كتبها ومنها " الحرب ضد النساء " " The War Against Women " والذى كُلفت " إيزابيل دى كورتيفرون " ، الرائدة النسائية الشهيرة بعمل مراجعة ونقد له . ومنذ ذلك الوقت أصبحت " فرنش " رمزاً للأديبة المفكرة ، وليس كصاحبة رؤية عنصرية كارهة للرجال .

أيضاً ، " أندريا دوركين " ، والتى عبرت عن كراهيتها للرجال فى رواياتها من خلال أبطالها الذين عبروا عن وجهات نظرها الشخصية كما تقول ، قد نالت كتبها الخمسة حظها من العرض فى قسم الكتب فى نيويورك تايمز خلال الفترة من ١٩٨١ ـ ١٩٩١ . سوف ألقى المزيد من الضوء عليها فى وقت لاحق ، ولكنى سأكتفى الآن بذكر السبب الذى أدى إلى انطلاقها إلى عالم الشهرة ، وهو قيام " نيويورك تايمز " بتعيين " رايلين ويليس " ، المناصرة للحركة النسائية ، لكى تقوم بمراجعة ونقد كتابها " Pornography " والذى كان بمثابة نقطة انطلاقها فى مجال التأليف .

عندما يتمكن كاتب أو تتمكن كاتبة ممن يتبنون وجهة نظر الحركة النسائية من الدخول إلى باب عرض الكتب فى " نيويورك تايمز " ، وأيًا كانت درجة

عدائهم للرجال . فهذا يعتبر ضماناً لوجود ناشر يقبل نشر كتبهم . نظراً لوجود حليف أيديولوجى قوى وهو المحرر الذى يتولى نقد ومراجعة الكتاب ، فسوف يضمن الكتاب الحصول على المصداقية فى محيط القراء . وبذلك لا تكون الوظيفة الوحيدة لـ " نيويورك تايمز " هى عرض ونقد الكتاب فقط ، بل تتحول إلى صناعة مؤلف ، وبذلك تكون وظيفتها خلق الأخبار ، وليس تغطيتها .

على العكس من ذلك الكتب التى يؤلفها الرجال الذين يتناولون قضايا الرجال الراشدين بتعاطف ، وينتقدون وجهات نظر الحركة النسائية . أنا على يقين بأن قائمة " نيويورك تايمز " لا تضم أحداً من هؤلاء ، وخاصة كتب لمؤلفين من أمثال ( " أسا بابر " ، " سانفورد بريفر " ، " فيل كوك" ، " ريتشارد دريسكول " ، " هيرب جولد بيرج" ، " جاك كامر" ، " أندرو كيمبريل " ، " أرون كيبنيس" ، " جيفرى ليفنج " ، " نيل ليندون " ، " دافيد توماس " ، وأنا ) . لم يحدث أن عُرِضَ كتاب لأي من هؤلاء .

من النادر أيضاً أن يتم عرض أي كتاب لمؤلف يناقش موضوع النوع من إحدى الزاويتين التقليديتين ، ولكن قد تحدث بعض الظروف الاستثنائية التى يُسمح فيها بعرض ونقد بعض الكتب .

من ذلك أحد هذه الأسباب الثلاثة الآتية التى سنبحثها معاً . الاحتمال الأول : أن يكون المؤلف لا يستحق عرض كتابه ؟ ولكن لا يمكننا أن نقول هذا على كاتب مثل " أندرو كيمبريل " الذى كتب " معرض الجسم البشرى " " The Human Body Shop " عام ١٩٩٣ ، وهو ليس له أية علاقة بالأفكار المتعلقة بالحركة النسائية ، وقد عرضته الـ " نيويورك تايمز " وأطرت عليه بشدة . بعد ذلك بعامين كتب "The Masculine Mystique" ، والذى انتقد فيه تحريف الأبحاث الأكاديمية المؤيدة للحركة النسائية . وتجاهلته الـ " نيويورك تايمز " تماماً . أما " هيرب جولد برج " فقد أصدر أول كتبه " مخاطر أن تكون ذكراً " "The Hazards Of Being Male" من وجهة نظر رجل يشكك فى الأدوار التقليدية ، وقد تجاهلته " نيويورك تايمز " . بعد ذلك كتب " The New Male " ، الذى لم يكن منتقداً للأفكار النسائية ، عندئذ عرضت " نيويورك تايمز " كتابه .

عندما كتبت " الرجل الطليق " " The Liberated Man " ، لم أكن قد نشرت أي كتاب من قبل . ولكن الكتاب كان من وجهة نظر الحركة النسائية ، عرضته " نيويورك تايمز " مرتين كل منهما فى أفضل المواقع : عدد الأحد

لعرض الكتب . أما الكتابان التاليان اللذان قمت بتأليفهما فقد كانا يتناولان القضايا الخاصة بالرجال بصورة إيجابية ، وكانا يشككان فى الحركة النسائية ، وبسبب ذلك تجاهلتهما " نيويورك تايمز " تماماً .

ألا يحتمل أن " نيويورك تايمز " تتجاهل الكتب التى تتناول موضوع النوع الإنسانى ؟ لا . لأنها عرضت ما يقرب من ٩٠٠ ـ ١٠٠٠ كتاب مؤيد للحركة النسائية بين منتصف السبعينات وحتى عام ١٩٩٩ .

هل تتجاهل فقط الكتب التى تتناول قضايا الرجال ؟ ليس تماماً . فعندما أصدر " مايكل كيميل " كتابة عن قضايا الرجال من منظور الحركة النسائية المعادى للرجال ، قامت " نيويورك تايمز " بنشره . وهكذا فإنهم يعرضون الكتب التى تهاجم ما ترفض المجلة تغطيته : الكتب التى تنظر بإيجابية إلى القضايا الخاصة بالذكورة ، وما يهم الرجال الراشدين ، والتى تنتقد أي مجال لأفكار الحركة النسائية . ولكنهم بالطبع ينشرون كتبى أنا و" إيرب جولد برج " التى تتعلق بقضايا الرجال ولا تنتقد الحركة النسائية بأي شكل من الأشكال .

فى بعض الأحوال تنشر" نيويورك تايمز " نوعين آخرين من الكتب عن الرجال : الكتب التى تتحدث عن الأولاد ، وعن الجانب الروحانى للذكور . لماذا ؟ لأن هشاشة الصبيان تطلق غريزة الحماية لدى النساء . ولأن الصبيان لم يهجروا النساء ، ولكن الرجال قاموا بذلك . أيضاً لا يهدد الصبيان الخطط السياسية أو القانونية لحركة تحرير المرأة .

أما قضايا الرجال الروحانية فإنها لا تهدد هى الأخرى الجوانب السياسية أو القانونية التى تتبناها الحركة النسائية . فإذا وصل أحد الكتب لمرتبة أفضل المبيعات مثل كتاب المؤلف " روبرت يليز " " جون الحديدى " " Iron John " فيمكن " لنيويورك تايمز " أن تعرض كتابه . أما مؤلف مثل " رش ليمباو " من اليمين السياسى ، فهو بعيد عن فكر قراء قسم عرض الكتب فى " نيويورك تايمز " ، ولكن أحياناً يمكن عرض أحد كتبه التى لا تهدد أفكار الحركة النسائية . ثانياً ، مثل هذه الكتب تمس قضايا النوع الاجتماعى مساساً رقيقاً .

وأخيراً ، يمكن أن تعرض " نيويورك تايمز " كتباً تنتقد الحركة النسائية إذا كانت الكاتبات نساء . ولكنهم يكلفون إحدى ناشطات الحركة النسائية بإفساد أفكار هذه الكتب . عندما كتبت " كريستينا هوف سومرز ": " من سرق الحركة النسائية " " Who Stole Feminism " ، كلفت " نينا أورباخ " الناشطة

النسائية بمراجعة ونقد الكتاب . وهذا قد يبدو كأنك تطلب من " فيليس شالا " أن تنقد كتاب " جلوريا شتاينمن " التالى ، والاستثناء هنا هو كتاب " كاتى رفيس " الذى ينقد الحركة النسائية . ولكن مرة أخرى ، أمها هى إحدى كاتبات " نيويورك تايمز " .

إن الكتب التى يحظر قسم نقد الكتب فى " نيويورك تايمز " نشرها ، هى الكتب التى يؤلفها الرجال الذين ينقدون المفاهيم الخاصة بحركة تحرير المرأة ، ويتناولون قضايا الرجال الراشدين بمزيد من التعاطف .

فى ضوء معرفة أن الكتب التى تنتقد الحركة النسائية التحررية يجرى عليها مجموعة من المراجعات السابقة على الموافقة على عرضها ، يمكن أن نقرر أن " نيويورك تايمز " تمنع نشر كل كتاب يوجه أي انتقاد لفكر الحركة النسائية .

وقد بدأنا ندرك كيف أن المحررين فى " نيويورك تايمز " يوظفون انحيازهم للنساء فى خرق ثانى أعظم أخلاقيات الصحافة ( بعد الرقابة ) فى مجال مراجعة ونقد الكتب ـ ألا وهو الحيادية : وهى اختيار مراجعين للكتب يمتلكون المعرفة الكافية . لفهم هدف أي كتاب وأهميته ، ويكونون على قدرٍ من الحيادية يسمح بتوصيل كيفية تحقيق هذا الهدف إلى القارئ . ولكن بدلاً من ذلك ، دائماً يتم منح الكتب التى تتعلق بالنوع إلى مراجعين يناصرون الحركة النسائية الأخوية .

نجد مثلاً أن كتاب " جلوريا شتاينمن " تمت مراجعته ونقده بواسطة " ديدرى انجلش " ، وهى عالمة اجتماع مناصرة الحركة النسائية ومحررة سابقة فى المجلة النسائية " ماذر جونز " . وعندما نشرت " مارى دالى " ، الناشطة النسائية المتعصبة وأستاذة الدراسات الدينية ( والتى جاء ذكرها سابقاً ) آخر كتاب لها وهو " المظهر الخارجى " " Quter Course " ، راجعت كتابها أستاذة دراسات دينية وناشطة نسائية متعصبة . نفس الشىء حدث أيضاً مع " كارول جيليجان " حيث روجع عملها بواسطة " باربرا بيكر " من جامعة " أوكلا " ، والتى وافقتها على أنه ما من إنسان عاقل يمكن أن يرغب فى القيام بالدور الذى تقوم به الأنثى . ومن ذلك نفهم أنه عندما يكون متمشياً مع أفكار الحركة النسائية ، تسارع " نيويورك تايمز " بإسقاط كل المعايير الصحفية الأخلاقية التى يجب أن تنطبق على من يقوم بمراجعة ونقد الكتاب وتعين شخصاً بمواصفات " نيويورك تايمز " الخاصة المتحيزة للحركة النسائية .

فى كثير من حالات المؤلفين المناصرين للحركة النسائية يتولى عرض كتبهم أصدقاء مقربون منهم ، وهو ما يتم فعلاً منذ بداية السبعينات . فمازلت أذكر ما قالته لى أحدى الناشطات عن كتابها الجديد وصديقتها المقربة . كانت مفاجأتى كبيرة عندما قرأت قسم عرض ونقد الكتب فى " نيويورك تايمز " ، فقد وجدت عرض كتابها وقد تمت مراجعته ونقده بقلم صديقتها المقربة .

## " نيويورك تايمز " : صناعة كراهية الرجل تتم هنا

**إن بعض أصدقائى المقربين من الرجال ، لذلك يسهل علىّ معرفة أن النساء يتفوقن على الرجال .**

" أنا كويندلين "

كاتبة عمود ،" نيويورك تايمز " ، ٧٧ ـ ١٩٩٤ ، عنوان عمودها :

" لماذا لا يستطيع الرجل أن يبدو أكثر شبهاً بالمرأة ؟ "

من الجانب النظرى ، لو أن أحد كتاب " نيويورك تايمز " يمكن أن يكتب : " بعض أفضل أصدقائى من السود ، ولهذا السبب عرفت سبب تفوق البيض " ... سيفصل فوراً . وأنا أقول من الجانب النظرى ، لأن الموضوع لن يُسمح له بالمرور من علي مكتب رئيس التحرير ، ولن يُنشر أصلاً ، وإذا نُشير فإن رئيس التحرير أيضاً سيُفصَل .

الحقيقة أن " نيويورك تايمز " لا تصنع أعداء الرجال ، ولكنها تجعلهم مشاهير وذوى مصداقية ، فهى تعتبر المصدر الوحيد المسئول عن دمج عدد من عدوات الرجال إلى التيار الرئيسى لناشطات الحركة النسائية ، ومن هؤلاء " مارلين فرنش " ، " كاثرين ماكينون " ، " أندريا دوركين " ، و" باربرا إيرنرتش " .

ظهرت " كاترين ماكينون " على صفحة غلاف المجلة ، وتحيط برأسها هالة ، مما أضفى عليها شيئًا من القداسة . وقد وصف المقال فكرها بأنه فريد وأول من نوعه فى أكثر مراحل الحركة النسائية ازدهاراً وحداثة ، ولكن ما هو هذا الفكر ؟

تدعى " ماكينون " أن المرأة يتم إجبارها على قبول معاشرة زوجها من أجل أن تستمر فى الحياة ، ولهذا ، تتحول المعاشرة الزوجية ـ حتى بعد قبول المرأة

ممارستها - إلى إغتصاب ، وقد سمعتُ " ماكينون " فى إحدى المرات تتمادى فى شرح هذا المفهوم المغلوط ، بقولها إن كل الاتصالات الجنسية بين الرجل وزوجته تعتبر اغتصابًا : لأن الرجل - فى نظرها - يجتاح خصوصية جسد المرأة . ولأننى دائماً ما يساء فهم ما أقول ، فقد اعتبرت أنها قد يكون خانها التعبير ، وقد جاءتنى فرصة للتأكد من افتراضى هذا عندما استضفت " ماكينون " و " بيتر جيننيج " فى حلقة خاصة عن الاغتصاب فى برنامج أخبار المساء فى قناة " إيه . بى . سى " . أثناء التصوير لم تذكر " ماكينون " أى شىء مما قالته سابقاً ، ولكننى سألتها بعد الانتهاء من التصوير ما إذا كانت تقصد ما قالته سابقاً من أن كل الاتصالات الجنسية تعتبر اغتصاباً ، وإذا بها لا تكتفى بتأكيده فقط وإنما تكرر قوله وتؤكد عليه بحسم .

عودة إلى " نيويورك تايمز " ، ما إن ظهرت " ماكينون " على غلاف المجلة حتى اختارتها قناة " إن بى سى " كمديرة مشاركة من الخارج لإدارة جلسات الاستماع ( مع توم بروكاو ) لقضية " توماس " و" أنيتاهيل " . وهى الخطوة التى ترجمتها الصحافة على أنها تحمل بعض التحيز لوجهات نظر " ماكينون " حول العلاقات الجنسية بين الذكر والأنثى .

التقينا بـ " أندريا دوركين " فى الفصل الذى تناول فكرة السخرية من الرجال - وهى السيدة التى اعترفت بأنها تعمدت اختراع شخصيات تعبر عن وجهات نظرها لكى تقول للقراء إن " الجنس والجريمة مكونان موجودان فى ضمير الرجل ، ومن المستحيل أن يوجد أحد هذه المكونات دون الآخر " .

إذا كانت تعليقات " دوركين " موجهة لأية فئة أخرى فى مجال الأعمال ، فسوف تتحول الحكومة أو أي نطاق أكاديمى إلى وسائل لإنهاء الحياة المهنية لأي موظف يتفوه بها . ولكن بالنسبة لمجلة " نيويورك تايمز " تكون مثل هذه التعليقات ، بداية انطلاق للمستقبل المهنى ، وغنى عن القول إن " نيويورك تايمز " تعرض أعمال " دوركين " وتساعد على تحقيق شهرتها . وقد أوضح أحد المحررين وجهة نظر " دوركين " فى هذه العبارة : " إن السيدة " دوركين " لا تنادى بما هو أكثر من قتل الرجال " .

مع كل الحساسية المفرطة لفريق عمل مجلة " نيويورك تايمز " تجاه كل ما هو معادٍ للسامية ، فإنهم فى عملهم ومواقفهم يظهرون عدم القدرة على استيعاب الدروس من حملة معاداة السامية . يتأكد ذلك عندما يولون ثقتهم فى امرأة تربط بين ممارسة الحب والقتل ؛ ويرعون كاتبة عمود أسبوعى لمدة خمسة عشر

عاماً ؛ تكتب عبارات مثل " أنا أعتقد أن النساء يتفوقن على الرجال " ( كويندلن ) ويمجدون آراء ناشطات الحركة النسائية والاعتقاد الذى يقول إن كل الاتصالات الجنسية تعتبر اغتصاباً ( " ماكينون " ) ؛ وينشرون كتاب امرأة ترى أن كل الرجال مغتصبون ( " فرنش " ) .

## قصص الرجال الداخلية فى مقابل قصص النساء : هيكل صفحة الغلاف

أثناء استراحتى من الكتابة هذا الصباح ، تسللت إلى حديقة منزلى وأنا فى ملابس النوم والتقطت عددًا من جريدة " نيويورك تايمز " ( والتى مازلت أفضلها ! ) ، وأيقظت زوجتى ، وأعطيتها الجريدة . وأثناء إعدادى للإفطار ، رأيت زوجتى تشير إلى العنوان الرئيسى للصفحة الأولى وهى تقول " هل تذكر ليلة أمس ... " ، فقلت لها " نعم " ، ولكنها قالت لى " لا " ، ليس ما تفكر فيه ، وإنما أقصد ما ذكرته لى عن الصحف وكيف أنها تهتم بسرد القصص الداخلية للنساء المجهولات أكثر من الرجال المجهولين . انظر إلى صفحة الغلاف فى جريدة " نيويورك تايمز " .


" نيويورك تايمز "

" كابوس نيويورك يقتل فتاة حالمة "

إن تأثير الستار الحريرى على " نيويورك تايمز " هو تأثير غامر ويظهر يومياً . فدائماً ما يصاحب قصة " المرأة الضحية " صورة مثيرة للمشاعر لامرأة تجسم فكرة الضحية ، ويكون ذلك فى الغالب فى عدد يوم الأحد الذى يعتبر الأكثر تأثيراً فى الرأى العام حتى على المستوى الدولى ، ولكن هناك العديد من نماذج التحيز ، سواء فى أعداد الأحد أو حتى فى وسط الأسبوع . قارن الصورة المنشورة أعلى ، بالصورة الأخرى التالية وكلتاهما صدرتا فى عام ١٩٩٩ .

## نيويورك تايمز

الأحد ٢٤ يناير ١٩٩٩

### حالات انتحار النساء تكشف عن جذور المعاناة فى الريف الصينى

بدء حملة على مستوى الدولة لمواجهة أعلى معدل عالمى

بقلم " إليزابيث روزنتال "

كلتا الصفحتين تجسدان مأساة النساء من خلال العناوين الرئيسية ، وفى الحالتين تتجسد المأساة فى صورة شخصية ( فى القصة الأولى الفتاة " كيندرا " التى لقيت مصرعها وهى فى العشرينات من عمرها فى غمار قصة حب ، وهو ما أثر فىّ كثيراً وأشعرنى بالغضب ) ، وفى الحالتين الرجال هم السبب فى جعل المرأة ضحية .

ولكن العنوانين يشيران إلى نوع من المآسى التى يعانى منها الرجال أكثر من النساء ( معدل الرجال القتلى يزيد ثلاث مرات على النساء القتلى ؛ الرجال الأمريكيون الذين ينتحرون يزيد عددهم أربع مرات ونصف المرة على عدد الأمريكيات المنتحرات ) ، أما الصين فهى الدولة الوحيدة التى تزيد فيها أعداد المنتحرات . لماذا لا نرى عناوين " نيويورك تايمز " وهى تشير إلى الدول التى تزيد فيها نسبة انتحار الرجال ، ولماذا يقدمون على الانتحار ـ ( قصص الرجال الداخلية ) ؟ لماذا لا نرى قصصاً تفسر سبب زيادة معدل انتحار الرجال المسنين ( فوق ٨٥ سنة ) على النساء من نفس الفئة العمرية بنسبة ١٣٥٠ ٪ ؟ .

ولكن دعونا نتجاوز السطح إلى ما هو أعمق ـ إلى السبب الذى يجعل قصة الصين لا تبرر العناوين التى تظهر فيها المرأة كضحية . إذ الانتحار مشكلة

تخص الجنسين في الصين ، فبين كل ربع مليون صيني يقل عدد المنتحرين الرجال بخمسة أشخاص عن المنتحرات النساء . وليس هناك أى شيء في المقال يساعدنا على فهم أسباب انتحار الرجال . أما عن انتحار النساء ، فيتم تبريره بإلقاء اللوم على النظام الأبوى للمجتمع ، وعلى عزلة النساء ، ولكن أليست عزلة ووحدة أحد الجنسين هى أيضاً عزلة ووحدة الجنس الآخر ؟ فعندما يموت أحد الزوجين ، نجد الرجال ـ الأرامل ـ يميلون إلى الانتحار بنسبة تزيد عشرة أضعاف على الأرامل من النساء . ترى هل يتعلق هذا الأمر بالعزلة والوحدة ؟

كل ما سبق يرتبط بالمبدأ الأساسى للستار الحريرى : عندما تزداد المشكلة سوءًا بالنسبة للرجال الأمريكيين ، ابحث عن دولة أخرى يكون وضع النساء فيها سيئًا وضع ذلك في العنوان الرئيسى وكأنه وضع سيئ لكل النساء . ثم اجعل هذه المشكلة تبدو وكأنها كانت نتيجة لظلم الرجال أو لنظام المجتمع الأبوى . ماذا ستكون النتيجة ؟ سيتعلم القارئ الأمريكى كيف يلاحظ علامات الإقدام على الانتحار لامرأة تعيش في أطراف الصين ، ولكن لن يعرف شيئاً عن ابننا المراهق أو الأب المسن الذى يقدم على الانتحار .

هل يصنع الرجال المنتحرون الصفحات الأولى من " نيويورك تايمز " ؟ إذا كانوا مشهورين ، نعم . أما إذا كانوا رجالاً عاديين ، فهذا لا يحدث ، أما النساء فهن يصنعن عناوين صفحة الغلاف لمجرد أنهن نساء .

والنساء غير الشهيرات أيضاً يظهرن على الغلاف في كل صورة ممكنة ما دامت المجلة قد رأت أنهن ضحايا . وها هى ثلاثة أمثلة في صفحة غلاف عدد واحد من أعداد يوم الأحد لجريدة " نيويورك تايمز " ، ففى السابع من مارس عام ١٩٩٩ ( لم تكن هناك ثمة قصة تركز على أى رجل كضحية من أى نوع ) ، فى أعلى الصفحة صورة لامرأة بالقرب من " الجيرز " وهى تنتحب . لقد قتل أحفادها في الحرب . نحن لا نرى القصص عن المآسى الشخصية التى عاناها الأحفاد ـ لأن هذا قد يتضمن معاناة الرجال .

تحت الصورة مباشرة قصة عاملة صحية لديها حساسية من القفازات البلاستيكية ، وإذا بنا نكتشف أن ١٠ ٪ من العاملين فى المجال الصحى لديهم نفس الحساسية ، ولكن القصة الوحيدة المرتبطة بالبعد الشخصى هى قصة المرأة التىتعمل فى المجال الصحى . وفى نفس صفحة الغلاف نجد قصة المرأة التى قامت برفع دعوى على مدربها متهمة إياه بالتحرش الجنسى .

عندما ترتفع نسبة الطالبات المشاركات فى الأنشطة من ٣٠٠,٠٠٠ طالبة عام ١٩٧٢ بموجب المادة التاسعة من الدستور إلى ثلاثة ملايين طالبة ، فإن ما سوف تحويه الصفحات الأولى من الأغلفة هو الصور والقصص الشخصية للضحايا من الطالبات .



" نيويورك تايمز "

ازدياد رياضات النساء يثير قضايا التحرش

فى اليوم التالى مباشرة ، أى فى ٨ مارس ، نجد أن الصفحة الأولى تظهر كما يلى



" نيويورك تايمز "

الإفراط في تعاطى علاج الأمهات لتخفيف الألم

الاستغلال بواسطة رجال الشرطة يلفت انتباه السلطات في الصين

ماذا يقول الرجل عندما يسمع : " إن الرجال فى الأخبار ...

ولكن انتظر ، هناك شيء أسفل مقال علاج الأمهات : " استغلال رجال الشرطة يلفت انتباه السلطات فى الصين " . تقول التفاصيل إن أربعة رجال هم الضحايا . ولكن بما أنهم ضحايا ذكور فلا يستحقون الذكر فى العنوان الرئيسى ، إن ما يصنع العناوين الرئيسية هى صورة الرجل كمعتدٍ : رجال الشرطة الصينيون ( الإشارة هنا إلى الرجال ) ، حتى عندما يكون الرجال هم الضحايا ، نجد " نيويورك تايمز " تفعل المستحيل للتركيز على الرجال الذين يرتكبون الجريمة ، وليس ضحاياها .

ما هى المشكلة ؟ إن هذا يدعم الرسالة الموجهة إلى بناتنا بأن الطريق إلى جذب الانتباه والتعاطف هو الظهور فى صورة الضحية ، وهذا يضعف من تمكين النساء ، ويخبر أبناءنا أن الطريق لجذب الانتباه هو إنقاذ النساء ، وهو ما يترك بناتنا فى حالة غضب عندما لا يقدم الرجال على إنقاذهن .

## عندما أنعمت " تايمز " بالرضا على الرجال

كانت لدىَّ آمال متعلقة بـ " نيويورك تايمز " حين بدأت فى تحرير باب أسبوعى يسمى " عن الرجال " ، وقد أصاب بعض ما جاء فى هذا الباب . ولكن كان تركيز الباب ككل على قصص وحكايات تتناول قضايا الرجال بشكل سطحى ، وتبتعد عن القصص المهمة ، مثل السبب فى تزايد معدل انتحار أبنائنا المراهقين ( وما الذى قد نتعلمه من تناقص معدل انتحار الفتيات ) . ركبت الطائرة من " سان دييجو " إلى " نيويورك " لكى ألتقى مع المحرر وأناقشه وأقنعه بإدخال مثل هذه الموضوعات بين الموضوعات الأخرى التى يغطيها هذا الباب . خرجت بانطباع بأن الباب له سياسة محددة ، وأنه لا يستطيع التصرف . فى النهاية تقلص ظهور الباب إلى مرتين فى الشهر ( بالتبادل مع باب آخر اسمه " ما يخصها " ) ثم حل هذا الباب الجديد محل القديم .

كل ما سبق يخبرنا أن " نيويورك تايمز " لا تكتب أكثر من مقال أو مقالين فى العام يقومان بتغطية قضايا الرجال ، أحد هذه المقالات جاء تحت عنوان " قليل من الرجال الصالحين ، لا تبحث عنهم فى أفلام السينما " . ولا تبحث عنهم أيضاً فى " نيويورك تايمز " .

تحول الآن معى إلى أكثر المجلات انتشاراً فى الولايات المتحدة ، وهى مجلة " باراد " . العمود الذى تكتبه " مارلين فوس سافانت " ، هو العلامة الأكثر وضوحاً فى عدد مجلة " باراد " الأسبوعى ، وهو باب " مارلين إلى الشهرة " وذلك يرجع إلى حصولها على أعظم رقم مسجل حتى الآن فى معدل الذكاء .

سألوها ذات مرة : " هل النساء بالفعل أفضل من الرجال كمواطنين صالحين ؟ " كانت إجابتها : نعم . وأعطت دليلين على ذلك . أولاً ، هناك مزيد من الرجال فى السجون . وإذا كان هناك عدد أكبر من النساء فى السجن ، فقد تعلل " مارلين " ذلك بأن النساء فئة محرومة من كل المميزات . هل كان يمكن أن تقول إن الأمريكيين من أصول أفريقية هم أسوأ شعب لأن هناك نسبة كبيرة منهم فى السجون ؟

ثانياً ، تقول إن الرجال هم سبب الحروب . هل إذا طلبنا أن يقتصر التجنيد الإلزامى على النساء ، ثم اتهمنا النساء بأنهن يشعلن الحروب ، فهل سيقول أحد إن فى ذلك " لومًا للضحايا " ؟ لقد رأينا بالفعل مجلة " باراد " تُحول موت الرجال فى الحرب إلى سبب فى تحويل النساء إلى ضحايا . هل نستنتج من ذلك أن هناك نمطاً محددًا فى هذا الصدد ؟

خلف هذا الستار الحريرى ، وجدنا بعض الاستثناءات . فقد غطت مجلة " تايم " موضوعين يتسمان بالإيجابية لموضوعات خاصة بالرجال : أحدهما لأب يبحث عن أبنائه المخطوفين ؛ والثانى عن السخرية من الرجال . ومجلة " فوربز " غطت موضوع الرجال الذين يقدمون على الانتحار وأسباب قيامهم بذلك . ولكن أسوأ نماذج الستار الحريرى تظهر فى الصحف والمجلات النسائية وأيضاً الخاصة بالرجال .

توجه إلى أى بائع صحف في أى شهر ستجد أن الموضوعات الرئيسية فى كل المجلات تكون واحدة تقريباً ، وهو ما لاحظته عندما صدر أول تحليل صحفى لى عام ( ١٩٨٦ ) عن مجلات النساء والرجال فى كتابى " لماذا الرجال هم بالطريقة التى هم عليها " Why Men Are The Way They Are " . الواقع ، أن مجلة " كوزمو بوليتان " لها كتاب ملىء بالعناوين يوضح مدى طول العنوان والوقت الذى يجب أن يمر قبل إعادة صياغته .

تعد المجلات النسائية قراءها بكل شيء ثم تشجعهم على الاعتماد على الرجال ؛ ومجلات الرجال لا تقدم وعودًا كثيرة تشجع على تجنب النساء . كلا نوعى المجلات يعمل معاً : مجلاته تدفع الرجل إلى الخارج للحصول على العشاء ، وهو ما يجعل النساء تنتظرن منه أن يشترى العشاء ؛ ومجلاتها تجعل النساء يشتكين ويسئن الفهم ، وهو ما يدفع الرجل إلى البحث عن امرأة لا تدعى الفهم . كيف يحدث ذلك ؟

## افتح مجلة نسائية ، ستجد رسائل متناقضة

هل مازالت الصحف النسائية تعلم النساء كيفية إغواء رئيس العمل ، وفى المقال المجاور تعلمها كيف ترفع قضية ضده لتحرشه الجنسى بها ؟ نعم . مجازياً وحرفياً . ولنبدأ بالمعنى الحرفى . العنوان هو " كيف تقومين بإغواء رئيسك ؟ " . حيث نجد أنهم يقدمون للمرأة العاملة خطة للعمل .

- الخطوة الأولى : اطلبى منه أن يشرح لك أحد جوانب العمل ... اجلسى بالقرب منه وهو يتكلم ... لا تخشى أن تظهرى له أنك منجذبة إليه .
- الخطوة الثانية : " ابدئى فى إشراكه فى حياتك الشخصية ... اسأليه النصح فى أمور شخصية ... فى هذا الوقت .
- الخطوة الثالثة هى إما الطريقة غير المباشرة ، عندما يطلب منك الخروج معاً ، أو الطريقة المباشرة إذا لم تنجح الأولى ، مثل محاولتكِ إغراءه لطلب الزواج منك ، وعندما يبدى رغبته فى مغازلتك ، سوف تبدئين فى التصرف .
- الخطوة الرابعة : " تصرفى ببراءة وضعف وطفولة ( ولكن بشىء من الصلابة والمقاومة ) وتأكدى أنه سيرتبط بك . ما إن تقولى " لا " بصلابة ، سيكون من حقك أن تقولى " نعم " فى المرة التالية ،
- الخطوة الخامسة : " طالبيه بالبقاء معك الليلة الأولى ، وأيقظيه كل ساعتين " .
- الخطوة السادسة : بعد أن تكتشف زوجته علاقتكما : " لا تشعرى بأى ذنب تجاهها ... فى هذه الأيام ، هناك عديد من المشكلات التى تنتاب العلاقات الزوجية أكثر من مجرد الخيانة .

ظهر هذا الموضوع فى نفس الوقت الذى كانت فيه امرأة متدربة تدعى " مونيكا " " بريئة وضعيفة وطفولية " تتعرض لإنهاء فترة تدريبها داخل مقر الرئاسة ، لأنها تكثر من الظهور حول الرئيس وتتمكن من انتهاز كل فرصة لتقترب منه .

إن كل موضوعات المجلات النسائية تحث على الاعتماد على الرجال . ولكنها كلها تقريباً تترك المرأة بقدر متساوٍ من الفهم وعدم الفهم . نتيجة ذلك نجد المرأة التى تفشل فى علاقاتها تشترىً مجلة نسائية أخرى بعناوين جديدة وآمال جديدة ، ثم تصطدم بالحقائق التى تفسد هذه الآمال ، فتصاب بالاكتئاب وتنتابها مشاعر الغضب . فى ذات الوقت يكون الرجال فى حياتها يفتقدون ما أسميه الاحتياج الأساسى أو الأولى : التفهم ، الذى بدونه لا توجد حميمية .

## افتح مجلة خاصة بالرجال ، ستجد فكر الحركة النسائية

معظم المجلات الخاصة بالرجال ليست أفضل حالاً ، فهى تتناول التشجيع على تجنب النساء أكثر مما تتناول قضية تبعية النساء . وهى تركز على خمس ركائز أساسية خاصة بالرجال وهى : الأعمال ، السياسة ، الرياضة ، المعدات ، والنساء من الناحية الحسية . ونتيجة لذلك ، تجد النساء أنفسهن فى علاقة مليئة بسوء التفاهم ، ويشعرن بأن حالهن أسوأ من ذلك ، لدرجة أنهن يشعرن بعدم أهميتهن بالنسبة للرجال بالقدر الذى يجعلهم يحاولون فهمهن . على ذلك فإن الرجال ، ومجلاتهم يستمرون فى تشجيع الرجال على إسعاد النساء عن طريق إهدائهن الهدايا وإشباعهن مادياً بدلاً من التواصل معهن نفسياً وعاطفياً .

غير أن هناك تحولاً جديداً فى هذا المجال ، حيث المجلات التى يشكل الرجال معظم المشتركين فيها مثل مجلة " المال " و " الثروة " اللتين تتناولان موضوعات العلاقات وقضايا النوع الاجتماعى ، والمفاجأة أن هذه الموضوعات تكون من وجهة نظر الحركة النسائية . وقد تم اختيار " سوزان فوروارد " مؤلفة كتاب " الرجال الذين يكرهون النساء ، والنساء اللاتى يحببنهم " Men Who Hate Women And The Women Who Love Them " لكتابه موضوع للمجلة بعنوان " أوبرا التالية : الرجال المسرفون والنساء اللائى

يحببنهم " وتضمن الموضوع الرجال المسرفين الذين يبددون ثرواتهم وضحاياهم من النساء ... بدون أية إشارة إلى النساء اللاتى يفعلن نفس الشيء .

تدار المجلات الخاصة بالرجال فى بعض الأحيان بواسطة نساء . حتى مجلة " بلاى بوى " حيث تديرها امرأة ، بل إن قسم " المنتدى " فى المجلة تتولاه ناشطة نسائية . يقوم " بلاى بوى " بتمويل قضايا الحركة النسائية أكثر مما تتبنى وتمول القضايا الخاصة بالرجال . ومجلة " بنت هاوس " ؟ نعم هى أيضاً ودعونا نلق نظرة .

أرسل مدرس فى الرابعة والستين من عمره خطاباً إلى محررة الباب ( " اكسافيرا هولاندر " - مؤلفة " شهرة الساقطة السعيدة " " The Happy Hooker " ) يقول لها إنه أصيب بجلطة فى المخ بعد أربعة وثلاثين عاماً من التدريس ، وهو ما نتج عنه مشكلات مالية ، ومشكلات جنسية مع زوجته .

**... رغم أنها تسمح لى بمعاشرتها مرتين أسبوعياً ، إلا أنها تفعل ذلك بنفور ، وإذا حاولت لمسها أو الاقتراب منها فى أى وقت أجدها تقفز وتفر من أمامى .....**

إليك الآن الرد الذى كتبته المحررة على هذه الرسالة :

**لو أن أية زوجة أمريكية استطاعت أن تقف أمام القاضى لتقول إن زوجها مغفل سانج لا يتمتع بأى مؤهلات ، فما أجمل العالم الذى سنعيش فيه ، وأى نصر عظيم ستحققه حرية المرأة ، لحسن حظك ، فإن القانون لا يسمح بقبول رأى غير مدعم من جانب امرأة تتهم زوجها بالبلاهة ، وأشك أن ذلك لو حدث ، فإن كل الأزواج سيرحلون إلى مستشفيات المجانين ونقوم نحن النساء بتولى شئون البلاد .**

هناك بعض مجلات الرجال الجيدة ، مثل " صحة الرجال " ، وهناك محررون استثنائيون لقضايا الرجال ، مثل " أسا بابر " فى مجلة الـ " بلاى بوى " . والشيء الجيد فى مجلات الرجال هو أنها لا تعطى آمالاً كاذبة ولا إصرارًا على أنها صاحبة الرأى الصحيح المطلق ؛ أما عيبها فهو عدم وجود الوعى .

لعلك وصلت إلى سن تناسبه قراءة مجلات الرجال أو النساء ؟ الكلمة المعبرة هنا لن تكون " كبير السن " ، بل ناضج . و " مودرن ماتيوريتى " " Modern Maturity " هى أكثر المجلات الشهرية توزيعاً فى الولايات المتحدة . بعد أن منعت الموضوع الذى كتبته من النشر ( سبق ذكره ) ، تابعت كل ما ينشر فيها لكى أعثر على أى موضوع إيجابى عن الرجال والرجولة . كان هناك بعض الأمل فى تحقق ذلك عبر باب عنوانه " هو قال ، هى قالت " بأقلام الأزواج والزوجات ، إلى أن رأيت هذه المعادلة .

هو يقلل من شأن نفسه ، وهى أيضاً تقلل من شأنه ، لعل هذا يشرح مدى التناغم السائد فى حياتهما الزوجية ! لنسمع رأيها فيه ( كلماتها بالحرف الواحد ) : " إنه مجرد عضو ضئيل غير حساس وغير مراعٍ أو مهتم بالآخرين ، نوع بشرى أدنى منها ومن جنسها فى سلم التطور " . ثم فى لحظة تعاطف تتراجع لتقول : " لقد أدركت أنك غير مسئول عن ذلك كلياً ، ولكن السبب هو قدرتك المحدودة على إدراك وجود الجوانب التطورية ، هناك طريقتان للنظر إلى الحياة : النظرة الأنثوية للحياة والتى تتسم بالدفء والجمال ؛ والنظرة الذكورية للحياة ، حيث العقول الفارغة والعظام المكسورة . إنك لسوء حظك ، محدود بطبيعة جنسك ، لأنك ذكر " .

إن الرجل الذى تكتب عنه ، زوجها ، ليس هو " مايك تايسون " ، ولكنه " ألفريد مارتينيز " الكاتب فى مجلة " لوس أنجلوس تايمز " ، تكتب أيضاً : " يتلعثم حين تعوزه الكلمات ، وهذه هى طريقته للحصول على لقمة العيش " . وتصف فى سيرتها الذاتية حول إدارة شئون أسرة " مارتينيز " ما معناه : أن المال الذى يحصل عليه لا يغطى مصروفاته وفواتيره فقط بل فواتيرها هى الأخرى . هل هذا يعتبر نوعاً من عض اليد التى تقدم لها الطعام ؟ لعلى ألجأ أنا أيضاً إلى أسلوب " مارتينيز " فى التلعثم . عموماً يا " ألفريد " لا تقلق فإنك ستموت قبلها .

هنا ، نجد فجوة كبيرة بين الوسيلة والرسالة . فالجنس الذى يتميز بالدفء والجمال يقوم بتقطيع الرجل إلى أشلاء ؟ والجنس المتبلد الحس القاسى يدافع عن وجهة نظره بقدر كبير من الحساسية والاهتمام لدرجة أنه لا يجرحها ولو لمرة واحدة .

إذا كان زوجها رجلاً مشاغباً ومختلاً مثل " مايك تايسون " الملاكم الأسمر ، وإذا كانت قد وصفته بأنه " عضو من الجنس المتدنى والسلم التطورى ، والذى يعتبر أدنى منها " وهى المرأة القوقازية ، هل كانت ستقوم مجلة " مودرن ماتيوريتى " بنشره ووصفه بأنه حديث أو ناضج ؟ .

## المراحل الخمس لرقابة الستار الحريرى فى مجال نشر الكتب

### ١. الرقابة من ناحية جمهور القراء

**لماذا يتم الترحيب بنشر كتاب مثل " ليس هناك رجال جيدون " " No Good Men " ، ولا ينشر كتاب يكون عنوانه " ليس هناك نساء صالحات ، أو " ليس هناك زنوج جيدون " ، أو " ليس هناك يهود جيدون " ؟ ولماذا تحقق بعض العناوين أفضل المبيعات ، مثل " الرجال الذين يكرهون النساء ، والنساء اللائى يحببنهم " " Men Who Hate Women And The Women Who Love Them "، بينما تفشل عناوين مثل " الرجال الذين يحبون النساء والنساء اللائى يكرهنهم " ولا تحصل على فرصتها للنشر ؟ لعل هذا هو السبب فى تدفق فيض الكتب التى تحمل فى مضمونها رسالة " النساء الطيبات / الرجال السيئون " تحت مظهر التحسين الذاتى ، وهو أيضاً ما شجع أحد المؤلفين لمسايرة هذا الأسلوب : الرجال الذين يكرهون أنفسهم ، والنساء اللائى يتفقن معهم فى ذلك .**

هل حدث ذلك لأن ما يقرب من ٩٠ ٪ من قراء الكتب التى تتناول العلاقات بين الجنسين من النساء ـ أو كما قال " جيس أوين " ـ " لا تستطيع أن تصل لهذا الموقع من خلال تحقير الناس " ؟ نعم . لماذا تحتاج النساء إلى هذا النوع من تأكيد الذات ، ولماذا تهاجم النساء الرجال ؟ لأن الرجال هم الذين نبذوا النساء ، فعندما تتوقعين أن يقوم رجل بإنقاذك ، تكون هذه سقطة قوية .

وليس معنى ذلك أن الرجال الذين تعرضوا للنبذ لا يريدون الهجوم على النساء ، ولكن الأمر يتعلق بالصراع الذى ينشأ داخل الرجل ، فالاعتداء على المرأة يتعارض مع عقيدته الذكورية ، وهى أن الأبطال يحرصون على حماية النساء ؟ أما الأشرار والجبناء فهم الذين يعتدون على النساء . وهذه العقيدة جزء من حياته ، لذلك يجب أن يكون الرجل فى حالة مزرية من اليأس التام قبل أن يشرع فى قراءة الكتب التى تصور الرجل على أنه صالح وتصور المرأة على

أنها شريرة . على أية حال ، عندما ترفض النساء الرجال فإن لديهم ـ الرجال ـ ديناميات دفاعية ليست كلها طيبة ( إدمان العادات السيئة ، الدخول فى علاقات عاطفية خارج نطاق الزوجية ، أزمات منتصف العمر ، الإفراط فى التدخين ) . ولكن عندما يرفض الرجال النساء ، فلديهن ـ النساء ـ ما يلجأن إليه ، وهو القراءة .

إن وظيفة كتب الثقة فى النفس هى التأكيد للمرأة أنها أفضل حالاً بدون الرجل ، وأنها أفضل منه ، وأنها تفقده **لأنها** قادرة على الحب ، **وهو** غير قادر . لذلك ، فإن الكتب الثلاثة الأكثر تفرداً : " النساء اللائى يحببن أكثر من اللازم " ، والكتاب الذى ذكرناه سابقاً " الرجال الذين يكرهون النساء والنساء اللائى يحببنهم " وكتاب " كل شىء يعرفه الرجال عن النساء " هى الكتب التى تحوى هذه النظرة المعرفية . من هذه الزاوية يحصلون على تخصصهم .

إذا كان خائفاً من الالتزام ، لابد أن يكون ذلك لأنه لا يستطيع أن يحب ، ( كتاب " Men Who Can't Love " ) ، ولأنه غير ناضج ( كتاب " Peter Pan Syndrome " ) ، ولأنه مضطرب نفسياً ( كتاب " Casanova Complex " ) ، أو لأنه جبان ( كتاب " Cold Feet " ) .

إذا لم يكن خائفًا من الالتزام ، ولكن الالتزام لم يدم طويلاً ، فإنها تطمئن إلى أن الخطأ خطؤه ـ فقد يكون اختيارها من بين أحد الاختيارات الحمقاء مثلما تتناوله هذه الكتب " نساء ذكيات ، اختيارات حمقاء " ( " Smart Women, Foolish Choices " ) ، الدليل الميدانى لرجال أمريكا الشمالية " ( " The Field Guide To North Amrican Males " ) عقدة كازانوفا " ( " Casanova Complex " )" بيتر بان " ( " Peter Pan " ) ، أو اختيارها لرجل لا يستطيع الحب ، أو لرجل عدو للنساء " الرجال الذين يكرهون النساء اللاتى يحببنهم " ( " Men Who Hate Women And The Women Who love Them " ) . وفى الوقت نفسه ، تكون المرأة هى الذكية ، الناضجة والممتلئة بالحب والمشاعر .

الأسوأ فى كل ذلك ، أنه إذا ارتبط بامرأة أخرى ، امرأة أصغر منها ، وتمتلك نوعًا من القوة اعتادت هى امتلاكها ، فسيُنظر إليه على أن لديه مشكلة نفسية تسمى " ظاهرة جنيفر " . الخلاصة : لتحقيق " التطوير الذاتى " ، على المرأة ألا تدمن حب هؤلاء الرجال كثيراً . وإذا فشلت فى ذلك ؟ عليها أن تقرأ كتاب " Why It's of Always The Man's Fault " .

رغم ذلك ، وبفرض أنها تزوجت من رجل مخلص يعتمد عليه ، ولكنها تشعر بالملل من رتابة الحياة معه لسنوات طويلة وتشوقت إلى بعض الحرية والهواء الطلق ؟ يمكنها الإسراع بقراءة " Bridges of Madison County " ، وما إن تدمن ذلك ( عندما تهدأ عواطفها وتحتاج إلى الحرية مرة أخرى ) ، ستتوجه إلى أية رواية رومانسية من مئات الآلاف من الروايات . ولكن ، ما الذى يحدث إذا كان هو صاحب العلاقات الغرامية ؟ حسناً ... بالطبع سوف تتهمه بالخيانة .

الطبقة الجديدة من الكتب التى تصور الرجال على أنهم أشرار وأن النساء ضحايا دائماً ، هى الكتب ذات الطبيعة الدينية المسيحية الرومانسية . يعتبر " فرانك بيريتى " هو ملك هذا النوع من الكتب ، حيث تدور حول " القتلة المتسلسلين " من الرجال مثل كتاب " The Oath " . فى القصص الرومانسية غير الدينية ، تتم الموازنة بين هؤلاء الرجال بشخصية بطل مثالى . وفى النوع الدينى يكون الدين هو ما يحقق التوازن ، ويكون كل الرجال الخيرين ضعفاء إلى أن يخضعوا للرب فيصبحوا أبطالاً .

الشىء الجيد فى هذا النوع من الكتب هو أنها تشجع النساء على اختيار الرجال الذين يطلبون المساعدة . أما الشىء السيئ ، فإن الرجل مازال يتوقع منه إنقاذها ، ولكن الذى يجازيه على هذا الإنقاذ هو الله . باختصار ، هذه المجموعة من كتب الرومانسية الدينية الخالصة تنسب الفضل فى كل ما يحدث إلى الله .

## ٢. الرقابة بواسطة المحرر والمؤلف

تُنتشر الكتب المتحيزة لشعار " أنا بخير ، هو لا " بسبب قوة الجمهور النسائى . ولكن هناك أيضاً تأثير الستار الحريرى فى مجال النشر ، والذى يبدأ من خلفيات مؤلفى وناشرى كتب العلاقات .

من الواضح أنه ما من محرر لكتاب عن العلاقات لديه التجربتان الأساسيتان الشائعتان بين كل الرجال الأمريكيين العاديين : تجربة العمل فى مهنة خطرة ، أو العمل الهندسى ، أو الشراكة فى المبيعات ، أو مهنة ذات طبيعة عسكرية بدون قدرة على ترك هذه الوظيفة للحصول على ما يعيل الزوجة والأبناء . هذه تجربة لا يمتلكها سوى قليل من مؤلفى كتب العلاقات ، ولكنهم

فـى الغالـب تكـون لـديهم خلفيـة علميـة أكاديميـة ونفسـية ولـديهم زوجـات عاملات . ( وإذا وُجد مؤلف استثنائي فإن الأمر يتطلب محـررًا اسـتثنائيًا أيضـاً حيث سيكون من الصعب عليه إقناع باقي زملائه . هذه الصعوبة ترجـع جزئيـاً إلى أن ٩٠ ٪ من جمهور المشترين من النسـاء ـ وهكـــذا تكتمـــــل الدائـــــرة مرة أخرى ! ) .

سنرى كيف تجرى الأمور ، وذلك من خلال خبرتي التى دامت ثلاثة عقـود فى مجتمع محررى الكتب الخاصة بالعلاقات والمؤلفين الآخرين . عادة ما يكون المؤلفون والمحررون مـن خريجـى كليـات القمـة ، ودارسـى الفن الحـر . وكمـا أوضحت سابقاً ، فإن أساتذة الفن الحر غالباً مـا يكونـون مـن ذوى الاتجاهـات المنحازة إلى الحركة النسائية . ومن يلتحق بهذه الدراسـة يعـرف / تعـرف أنهـا ليست الطريق إلى المال مثل دراسة الهندسة أو ماجستير إدارة الأعمـال . لـذلك نجد أن من يميلون إلى العمل فى هـذا المجـال غالبـاً مـا يكونـون مـن مناصـرى النساء أو الحركة النسائية ، وليس ممن يعملون فى الهندسة أو الأعمال الشاقة . إن المحرر أو الكاتب عادة ما يكون معتمداً على الدخل الذى تحققه زوجته ( أو تكون فى الأصل غنية ) أو لا يكـون متزوجـاً ولـيس مسئولاً عـن إعالـة أحـد ، وذلك بالمقارنة مع الأمريكى العادى ؛ والمحررة أو الكاتبة غالباً ما تكون معتمدة على مساعدة زوجها فى تربية الأبناء ، أو لا يكون لديها أبناء .

هذه هى أسس حياة المحـررين والكتـاب الرجـال مـن ذوى الميـول الجنسـية الطبيعية . ولكن يوجد كتاب غـير متـزوجين لا يحتـاجون إلى دخـول عاليـة أو وظائف إضافية لإعالة ورعاية الأبناء . وهذا يعتبر اختلافًا رئيسـيًا بـين الرجـل العائلى الطبيعى والرجل العـازف عـن الـزواج الـذى يجـد صـعوبة فـى معايشـة تجارب وأسلوب حياة الرجل العائلى ، والعكس صحيح حيث لا يتوحد المحرر الطبيعى مع تجربة النوع الآخـر مـن الرجـال . ولا يعنـى ذلـك اسـتحالة الفهـم المتبادل لتجارت الحياة ، ولكن هذه التجارب الشخصية الحياتيـة هـى المرجـع الأكثر نفوذا وتأثيراً فى كتب العلاقات .

رغم ذلك فإن ما يقرب من ثلاثة أرباع محررى كتب العلاقات مـن النسـاء ، وكلهن تقريباً من ناشطات الحركـة النسـائية . قـال لى أحـد الـزملاء إن محـررة الكتاب الذى كان مقدراً له الظهور عام ٢٠٠٤ طلبت منه حـذف كـل الأحـداث التى تشير إلى النساء اللاتى يقمن بخيانة أزواجهن ، بـل كـان الأمـر أسـوأ مـن ذلك ، فقد قامت بتغيير الأسمـاء بحيـث تحولـت النسـاء الخائنـات إلى رجـال

خائنين ! كان عليه الاختيار : إما تبنى وجهة النظر بأن النساء ضحايا ، أو عدم نشر الكتاب .

تؤثر تلك الخلفيات على المحررين والكتاب وتجعلهم يصدقون ما يقرءونه فى الأخبار عن " المرأة الجديدة " مثل مبادرة فى طلب الزواج من الرجل ، ودفع نصيبها فى العشاء ، والزواج من رجل يؤمن بالمساعدة فى أعمال البيت ، والقيام بكل ما هو تحررى . ما هى خلاصة الأمر ؟ عندما يمتزج ذلك مع القوة الشرائية النسائية للكتب ، لا يستطيع سوى عدد محدود جداً من الكتب التى تعبر عن وجهات النظر الخاصة بالرجال من النفاد خلال الستار الحريرى .

### ٣. الرقابة بالاكتساب

فى المجتمعات الديكتاتورية ، تتولى الحكومة مهمة الرقابة . وفى المجتمعات الرأسمالية تقوم القوة الشرائية بهذه المهمة . بشكل أكثر تحديداً ، لن نقوم بإنتاج ما لن يشتريه الجمهور .إن الناشرين يطلبون الكتب التى تتناول اهتمامات الحركة النسائية أكثر من الكتب التى تعرض وجهات نظر الرجال ، وذلك لأن ٨٥ - ٩٠ ٪ من جمهور المشترين من النساء وخاصة للكتب التى تتناول العلاقات . لذلك ، ليس حقيقياً فقط أن النساء لا يسمعن ما لا يقوله الرجال ، بل أيضاً لا أحد يبيع ما لا يشتريه الرجال .

عندما يكون المحررون والكتاب موجهين للتعبير عن وجهات النظر النسائية والحركة النسائية ، تكتمل العناصر الثلاثة الرئيسية المحددة لنوعية الكتب التى يجب على الناشرين حيازتها - المستهلكين ، المؤلفين والمحررين - حيث يتشكل منهم جميعاً " حزب واحد " إذا جاز التعبير . على ذلك ، فإن دار نشر " سايمون وشوستر " تحصل على كتاب " ليس هناك رجال جيدون " ولكنهم لا يشترون " ليس هناك نساء جيدات " لأن الأول سيحقق مبيعات عالية ، ولأنهم بذلك لن يتعرضوا لحساسية محرر الكتاب .

### ٤. ممارسة الرقابة خلال عملية التأليف

عانى الكتاب الذى بين يديك الآن من ممارسات منع النشر التى قام بها الستار الحريرى فى مراحله الأولى . كان العقد فى البداية مع دار



نشــر " ســايمون وشوســتر " ســيكون علــى يــد محــررة ناشــطة هــى " مــارلين إبراهــام " ، وهــى نائبــة رئـيس دار النشـر فـى ذات الوقـت . كانت " مارلين " هى محررة كتابى السابق " The Myth of Male Power " . وبعد أن قامت باستطلاع كتابى ومراجعته مرة بعد الأخرى ، وبعد أن أصبحت راضـية عـن المعلومـات الـواردة فـى الكتـاب ، صـارت المتحدثـة بلسـانى في دار " سـايمون وشوسـتر " للنشـر . ولسـوء الحـظ ، تقاعـدت " مـارلين " بعــد أن قامــت بتحريــر بعــض فصــول هــذا الكتــاب ( وكتــابى القادم " Father And Child Reunion " ) ، وكل هذه الفصول كانـت مُعَـدة لتكون جزءاً من الكتـاب . تولـت التحريـر بعـد ذلـك محـررة ناشـطة أخـرى ، وكانت هذه بداية القصة الطريفة .

دعنا نطلق على المحررة الجديدة اسم " فرانسيس " والتى تركت الشركة منذ تلك الحادثة ( لا أعتقد أنها تركت العمل بسبب التجربة التـى أنـا علـى وشـك سردها ) ، وعندما بدأت فى تحرير الفصل الذى يتناول موضوعات دور الأب ، تصادف أنها أصبحت أماً لأول مرة . كان الفصـل يتضمن بيانـات تشـير إلى أن الأطفال الذين عاشوا فقط مع الأب كانت حياتهم أفضل مادياً من الأطفال الـذين عاشوا فقط مع الأم . أكدت أن هذا لا يعنى أن الآبـاء أفضـل ، ولكـن يعنـى أن هناك نوعًا من الرجـال لديـه مـن الـدوافع مـا يمكنـه أن يصـبح أفضـل مـن الأم العادية . غير أن " فرانسيس " كان رد فعلها عميقاً وحاسماً تجاه هذه الفصول .

بالطبع ، لم تسـتطع " فرانسـيس " أن تقـول بشـكل مباشـر : " يمنـع مـن النشر " . لقد قالت ذلك بصورة غير مباشرة بـأن طلبـت منـى أن ألغـى كـل مـا يتعلق بأطفال الطلاق ، والتركيز بدلاً من ذلك على الأسـر المتماسـكة . فـى هـذه الأسر يصعب جداً دراسة تأثير الأب أو الأم على الأطفال كل على حدة ، وهـذا التــدخل منعنــى مــن إبــراز وجهــة نظــرى التــى أســعى لتوصــيلها . شرحت لها ذلك ، وأصرت على رأيها . قـدمت لهـا المخطوطـة التـى سـبق أن وافقت عليها " مـارلين " ، فرفضـتها هـى وفصـلين آخـرين ، صـارا بعـد ذلـك فصلين فى الكتاب الذى بين يديك ( العنف المنزلى ، والعمل المنزلى ) .

عندما تلقيت خطابها المتضمن هذا الرفض لم أتحمل هذا الموقف . تعمق لدىّ الشعور بالتعـاطف مـع الرجـال الـذين أتلقـى مكالمـاتهم عـن الشـكاوى الكيديـة ضدهم . اتصلت بمحررين آخرين فى دار النشر ، والذين سمعت أنهم يحترمـون أعمالى ، وتعاطفوا مع موقفى ولكنهم لم يوافقوا على تولى العمل فى كتابى حتـى

لا يتعرضوا للهجوم هم أيضاً . شعرت فجأة بالعزلة والوحدة ـ أنا ضد أكبر دار نشر في العالم . كأنني داوود بدرعه المكسور في مواجهة العملاق " جولياث " .

خمد إحساسي بالعزلة قليلاً عندما اتبعت نصيحة قدمتها من قبل لآخرين ، وهي اللجوء إلى نظامي الخاص بالدعم الذاتي . كنت قد عزمت على رفع قضية ضد محاولات منع النشر ، ولكنني استبدلت بذلك التوجه إلى دار نشر أخرى ، وكلفت محرراً أحببته كثيراً . الآن ، أجلس وأمامي خطابات من رجال كانوا أقل حظاً مني ، البعض منهم سينشر كتابه لدى ناشرين صغار ، وبعض هؤلاء من كبار الكتاب مثل " فريد هايوارد " ، بمجرد أن يجد لصوته مجالاً يصل إلى الناس . كل ما أرجوه أن يحقق لهم كتابي هذا بعض الرضا لأن أصواتنا مازال لها مجال لكي يسمعها العالم . وأنا على يقين من أن أصواتهم التي منعت من النشر فيها ما هو أكثر امتيازا من صوتي .

## ٥. الرقابة بعد الإصدار

أي كتاب يتناول قضايا الرجال بشكل إيجابي يواجه كثيرًا من الألغام في عالم الإعلام ، من قسم عرض الكتب في " نيويورك تايمز " إلى البرامج الحوارية في التليفزيون ، ومن الصفحات المصورة إلى أنباء " سي إن إن " ( وحتى على موجات الأثير فهناك ألغام جوية ) . ولكن الأكثر أهمية هو بداية الدائرة ، حيث جمهور النساء القارئات .

لا شيء يتغلب على منع النشر مثل المبيعات الجيدة للكتاب . ولكنني أقول ذلك بشيء من التحفظ نتيجة إحدى التجارب الغريبة . فمثلاً ، عندما حقق كتابي " The Myth of Male Power " المركز الأول بين أفضل الكتب مبيعاً في استراليا ونفدت الطبعة الأولى منه بسرعة ، رفضت دار نشر " راندوم هاوس " الاسترالية إصدار الطبعة الثانية منه . وعندما نفدت الطبعة الأولى من كتاب " اندرو كيمبرلي " " The Masculine Mystique " رفضت دار نشر " راندوم هاوس " الأمريكية إصدار الطبعة الثانية أو إصدار طبعة شعبية ـ رغم أنها في البداية دفعت المقابل إلى " اندرو " . هل هذا يعتبر رقابة ؟ هل هي مصادفة ؟ هل هو نوع من الحذر ؟ نوع من عدم الوعي ؟ هناك أمور لا ندركها وقد لا ندركها أبداً .

" هاى " و " لويز "







ربما تكون السينما هى الفن الذى يصور ما يجرى فى الحياة . فى الفصل الذى تناول السخرية من الرجل رأينا كيف أن الأفلام التى تسخر من الرجل تعكس ثقافتنا . ولكن فى عام ١٩٩٨ شاهدت فيلمين رائعين فى تعاطفهما فى تجسيم خبرات الرجال : " إنقاذ الجندى رايان " و" الحياة جميلة " . درست تفصيلاتهما على شبكة الانترنت ، وجدت أن نجاحهما تحقق على المستوى التجارى وعلى مستوى النقاد ، ولذلك أعتبرهما اختراقًا ناجحًا للستار الحريري .

لسوء الحظ لم يكن الفيلمان سوى استثناء من القاعدة العامة . وهذه القاعدة العامة يعبر عنها فيلم " تايتانيك " . فى واقع الأمر ليس هناك ما هو أكثر تجسيداً لمدى تضحيات الرجال لإنقاذ النساء من حادثة غرق السفينة " تايتانيك " ، والإحصائيات تثبت أن عدد الرجال الغرقى أكثر من النساء بنسبة ٩ : ١ .

رغم أن خط الأحداث فى فيلم " تايتانيك " يعتمد على رواية خيالية إلا أنه اشتهر بأنه اعتمد على قصص شخصيات واقعية تمت دراستها بدقة وعمق . وهذا حقيقى إلى حد ما . ولكن القصة الأجمل هى التى حدثت وراء الكاميرا والتى عرفنا منها ما هو الحقيقى فى هذه الشخصيات والأحداث ، وما هو مضاف لضرورات درامية . **عندما كشفنا عن كيفية تصويرنا للحقيقة وإضفاء اللمسات الفنية عليها ، اكتشفنا حقيقة أنفسنا** . بل إننا اكتشفنا أيضاً الطرق التى يحيل بها الستار الحريري الحقائق إلى روايات . ( وهذا الجانب هو الذى يميز أسلوب التحليل فى هذا الفصل عن الفصل الذى تضمن أفلام السخرية من الرجال ) . مرحباً بك على ظهر السفينة .

ماذا يقول الرجل عندما يسمع : " إن الرجال فى الأخبار ...

**مشهد تخيلى من الفيلم :** امرأة تنقذ رجلاً وتكرر المخاطرة بحياتها .

**الحقيقة :** ليس هناك أى مرجع أو سجل لامرأة تنقذ رجلاً ، فما بالك بالتكرار .

**مشهد تخيلى من الفيلم :** مسئولو السفينة يقررون إغلاق أبواب الدرجة الثالثة على الركاب .

**الحقيقة :** الوثائق الرسمية المسجلة فى لندن تشير إلى أن هذا لم يحدث أبداً . وفى الحقيقة أن أعلى نسبة من الرجال الغرقى كانت فى الدرجة الثانية ( ٩٢ ٪ من ركاب الدرجة الثانية ، فى مقابل ٨٨ ٪ من الرجال من إجمالى ركاب الدرجة الثالثة ) ، و ٥٥ ٪ من النساء من ركاب الدرجة الثالثة تم إنقاذهن ، وهو ما لم يكن ليحدث لو أن الأبواب أغلقت عليهم .

**مشهد تخيلى من الفيلم :** كون الإنسان فقيرًا يسهل التخلص منه فضلاً عن كونه رجلاً .

**الحقيقة :** كون الإنسان رجلاً وفقيرًا أيضاً يزيد من القدرة على التخلص منه ، ولكن مجرد كون الإنسان رجلاً يكفى للاستغناء عنه ، وليس مطلوباً فى هذه الحالة أن يكون فقيراً . بلغ عدد الرجال الموتى فى الدرجة الأولى أكثر من النساء الموتى بنسبة ( ٦٦ ٪ مقابل ٣ ٪ ) ولعل فى هذا إثبات أن الرجال الأكثر ثراءً بلغت نسبة الأموات منهم أكثر من أفقر النساء على السفينة .

من الناحية النظرية كانت هناك ثلاث طبقات اجتماعية على سطح السفينة ، ولكن عملياً مات من الرجال فى الطبقات الثلاث الكثير ، وواقعياً يعتبر الرجال الطبقة الرابعة الخفية . وها هى تفصيلات الموتى طبقاً للجنس وللدرجة .

| الدرجة | نسبة الرجال الغرقى | نسبة النساء الغرقى |
|---|---|---|
| الأولى | ٦٦ ٪ | ٣ ٪ |
| الثانية | ٩٢ ٪ | ١٦ ٪ |
| الثالثة | ٨٨ ٪ | ٤٥ ٪ |

فى النهاية ، المشاهد المتعددة لإظهار جبن الرجال ( الرجال أولاً ! اتركوا النساء والأطفال ) وهو ما يخالف الحقيقة تماماً ، وخاصة القصة الظالمة المتعلقة بالضابط الأول البحرى " ويليام مردوخ " ، الذى صوروه فى الفيلم وهو يتلقى رشوة ، ثم وهو يقتل راكبًا من ركاب الدرجة الثالثة ، ثم ينتحر بعد ذلك . فى الحياة الواقعية كان " مردوخ " بطلاً ، وضحى بحياته بعد أن بذل جهوداً مستميتة لإنقاذ الآخرين . وقد أبدت شركة " فوكس " للقرن العشرين اعتذارها الرسمى عما أحدثت من تشويه لصورته ، ولكن ظل الفيلم وبه كل مشاهد الفساد والجبن .

باختصار ، **تمت التغطية على التضحيات التى قام بها الذكور ، كأن يكونوا أقل قيمة من ركاب الدرجة الثالثة من ناحية الحفاظ على حياتهم ، وذلك عن طريق ثلاث وسائل خيالية روائية وهى** : ( ١ ) إظهار امرأة لديها الرغبة في الموت من أجل إنقاذ رجل ؛ ( ٢ ) تحويل بطل إلى جبان وقاتل ؛ ( ٣ ) التركيز على سهولة التخلص ممن ينتمون إلى الطبقات الفقيرة ( إغلاق أبواب الدرجة الثالثة ، وقتل راكب من الدرجة الثالثة ، بينما يتلقى " مردوخ " رشوة من أحد أغنياء الدرجة الأولى ) . عندما تكون الاستهانة بالحياة سمة زائفة تتعلق بالجنسين ، ويتم التركيز على الاستهانة بحياة إحدى الطبقات دون الأخرى ، فإننا بذلك نقلل من خطورة الاستهانة الحقيقية بحياة الرجال ، حيث إن ٨٪ فقط من رجال الدرجة الثانية استطاعوا البقاء على قيد الحياة أثناء إنقاذهم ٨٤٪ من زوجاتهم و ١٠٠٪ من أطفالهم .

## ما هو العنصر المشترك بين أفلام الرجال وأفلام النساء ؟

ضحت أشجار كثيرة بحياتها لكي نعرف الفرق بين أفلام الرجال وأفلام النساء . ولكن العنصر المشترك بينهما هو الحكاية . وصيغة الأفلام الروائية التي استندت إليها في كتابي " The Myth of Male Power " مازالت هي السائدة : **امرأة ما في خطر وتصور باعتبارها شخصية إيجابية وكلها أنوثة وتظل على مدار ثلاثة مشاهد في الفيلم لا تصاب بشيء ولا تموت .**

المفارقة ، أنه على الرغم من كثرة الرجال الذين يحاولون إنقاذها ويموتون وهم يحاولون ذلك ، ينظر إليها على أنها في خطر داهم ، وغالباً لا تفقد نقطة دم واحدة ، حتى ولو مات الرجال المحيطون بها . في زمن يفترض فيه المساواة ، **يظل تأثير الستار الحريري بداخلنا يجعل المرأة المعرضة للخطر محصنة ضد الطلقات .** تذكر ، أنه على الرغم من ذلك لابد أن تظهر على الأقل في ثلاثة مشاهد ، وإلا لن يكون لدينا فرصة للتعاطف معها ، وهكذا الأمر ، ولم تتطور شخصيتها في أذهاننا كامرأة ؛ حيث إن الفيلم يجب أن يصاغ كرواية ، في الحياة الواقعية تتعرض المرأة للأذي ، ولكننا لا نرغب في أن نحيلها إلى جزء من حياتنا الخيالية .

## الستار الحريري في التليفزيون

**القناة التليفزيونية التي تكرس نفسها لربة البيت لديها أفضل فرصة للاستمرارية .**

" نيوزويك "

**موضوع قصير .** " الأزواج الموتى " . في دليل البرامج التليفزيونية : فيلم من إنتاج ١٩٩٨ ، كوميدى مثير عن زوجات يحاولن التخلص من الآخرين التافهين . وهؤلاء الآخرون هم الأزواج . أحد الأزواج هو " جون ريتر " والذى قرر اعتزال الكتابة ، ولذلك تآمرت عليه زوجته ومجموعتها لقتله رمياً بالرصاص أو طعنا بالخناجر أو بالسم ، وهذا ما جعل الفيلم مثيراً وكوميديا . ( وهذا أيضاً ما جعلنى أستمر فى الكتابة ! ) .

وأظهرت مراجعة تحليلية لبرامج " تليفزيون بوسطن " فـى يـوم عشـوائى أن ٨٠ ٪ من البرامج موجهة لمشكلات ومصالح المرأة ، ونسبة عالية من هذه البرامج تتضمن سخرية واضحة من الرجـال . ووجـود امـرأة تواجـه الخطـر يمثـل أحـد المتطلبات الأساسية للنجاح .

## " النساء فى خطر "

خلال عام واحد ، اعتمد نصف الأفلام المنتجة للتليفزيون خصيصاً ، وعددها ٢٥٠ فيلمًا على تصوير المـرأة كضـحية . ورغـم أن ثلاثـة أربـاع ضـحايا جـرائم القتل فى الحياة الواقعية من الرجال ، إلا أن الأفـلام تخلـو مـن القصـص التـى تُظهر " الرجال فى خطر " . ونجد فـى أفـلام التليفزيـون أن المـرأة تـدخل فـى منافسة مع نساء أخريات لتكسب حب رجل وفى سبيل ذلـك تخـاطر بحياتهـا لإنقاذه . فى الحياة الواقعية ، تعتدى النساء علـى الرجـال بـنفس القـدر الـذى يعتدى به الرجال على النساء ، ولكن فى التليفزيون لا تمثل قصة رجل اعتـدت عليه امرأة أية قيمة .

فى الإعلان التليفزيونى التالى تلاحـظ أنهـا تطـرده إلى الخـارج . ورغـم ذلـك فإنها هى الضحية . كيف ؟ إنه يوصف بالمتطفل . ولـذلك يظهـر تعرضـه للظلـم ـ إلقاؤه في الخارج ـ وكأنه أمر كان يستحقه ؛ وبذلك تظهر على أنها استطاعت أخيراً أن تفعل ما كان يجب أن تفعله منذ زمن طويل . تخيل معى لو أن إعلاناً آخر عنوانه " أسبوع التخلص من الحشرة الطفيلية " وقدمه تضـرب مؤخرتهـا ، وقطع من ملابسها تتطاير فى الهواء خارج الباب ، سيكون الإعلان دلـيلاً علـى السبب فى عدم مطالبة النساء بـالطلاق ـ إنهـن يتعرضـن للركـل والضـرب . إن مقدرة القنوات التليفزيونية على أن تعرض فقـط " أسـبوع الـتخلص مـن المتطفـل الـرديء ! " يعكـس الأحكـام المسـبقة علـى الرجـال وتصـرفاتهم فـى حـالات الطلاق ، المرأة هى الضحية ، وهو المتطفل .




كل هذا يخلق ثقافة يشعر فيها الرجال بكراهيتهم لأنفسهم . إلا أن التصنيف الذى تمارسه قنوات التليفزيون حين يقتصر العرض على أفلام " المرأة تحت التهديد " يخلق بعض الأسباب للمديرين الرجال ليدرسوا الموقف .

بعض العروض التليفزيونية ، مثل " ٢٠ / ٢٠ " ، وأحياناً " ديتلاين " تُظهر قليلاً من الاهتمام بقضايا العلاقات بين الرجل والمرأة رغم إدارتها بواسطة ناشطات نسائيات . لاشك أن هناك أيضاً بعض البرامج الممتازة التي تعبر عن الجوانب الإيجابية لوجهات النظر الخاصة بالرجال . إليك أخيراً ما حدث عندما تمت محاولة لعرض قصة عن رجل في خطر .

قضى الطيار الحربى الأمريكى " مايكل ديورانت " أحد عشر يوماً رهن الاحتجاز فى الصومال بعد أن أسقطت طائرته " الهليوكوبتر " . قُتل فى الحادث ثمانية عشر جندياً أمريكياً . أراد " مايكل " أن ينتج فيلماً يخلد هؤلاء الجنود القتلى . حصل على العقد بعد أن وافق على أن يتم سرد القصة من خلال وجهة نظر زوجته .

يقول " دارين دويلر " إن ابنه الطفل ذا الستة عشر شهراً " ريلى " مات نتيجة تناوله وجبة " هامبرجر " مسمومة من محلات " جاك إن ذابوكس " . بعد حملة كبرى ، ولقاء مع الرئيس " كلينتون " ، ولقاءات مع منتجين فى التليفزيون ، وافق هو وزوجته على إنتاج فيلم تليفزيونى " يضيف لمسات إنسانية " إلى المشكلة .

كانت هناك مشكلة واحدة . قيل له إن الفيلم سيلاقى استقبالاً أفضل إذا تم تصوير شخصية الزوجة على أنها أم وحيدة ـ وهذا يتيح للمخرج أن يعمل على إظهارها " على أنها امرأة تتغلب على الصعاب " . يموت الابن ، والضحية الوحيدة هى الأم ؛ كما يريد التليفزيون ، ولا أهمية للأب . هذه المعادلة تبدو مألوفة ، أليس كذلك ؟ تذكر معى صفحة غلاف مجلة " نيويورك تايمز " ، حيث صورة الأم الضحية وإهمال الأب .

الغريب أنه بعد كل ذلك ، غالباً ما تقوم الناشطات النسائيات باتخاذ هذه الصورة التليفزيونية عن المرأة تحت التهديد ، باعتبارها تمييزًا ضد المرأة . فكر فى هذا الموقف . إذا كان الرجال هم المعرضين للخطر ، وكانت النساء هن المعتديات الشريرات ، ألا يكون فى ذلك تحيز وتفرقة ضد النساء ؟ على المستوى الشعورى الأعمق ، وجهة نظرهن سليمة ، فتصوير النساء على أنهن مهددات يولد فعلاً تهديدات ضدهن فى الحياة الواقعية ، ولكن هل الناشطات يسلكن بالطريقة التى ينصحن بها ؟

كان الوصف المفضل لبرامج التليفزيون فى الثمانينات والتسعينات هو أنها برامج " تقدمية " وذلك عندما تظهر النساء على أنهن ضحايا ( يتعرضن للاغتصاب ، والتحرشات ) وكيف أن الرجال يصنعون الضحايا ، ولكن هذه البرامج التقدمية كان من النادر أن تعرض كيف يقوم الرجال بإنقاذ النساء . فى حياتنا اليومية هناك أمثلة عديدة ، فنرى مثلاً كيف أن ستة رجال إطفاء يكافحون لإنقاذ امرأة ، وليس هناك أى برنامج يسمى " الرجال المنقذون " يوضح أن كل رجال الإطفاء كانوا معرضين للخطر الداهم ، وأن المنقذين للنساء أكثر وجوداً فى حياتنا اليومية من الرجال المعتدين على النساء . يوصف أيضاً بالتقدمية أن نستمع إلى ناشطة نسائية على موجات " بى بى إس " وهى تنتقد رجال التشريع ، لأنهم يتسببون فى الحرب ، ولكن عندما انتصرت " الديموقراطيات " على " هتلر " أو نجحت فى إنهاء الحرب الباردة ، لم يوجه الشكر إلى رجال التشريع لدعمهم للديموقراطية ، الواقع أن تلك البرامج كانت أبعد ما تكون عن التقدمية ، بل إنها كانت " رجعية " .

ما إن نستوعب فكرة " الستار الحريري " ، فإن معظم الغموض الذى يحيط بالجرائم يمكن أن يصبح أكثر وضوحاً . لنأخذ مثلاً برنامج " جريمة قتل من الدرجة الأولى " الذى تذيعه قناة " إيه بى سى " ، عندما يحاكم رجل على جريمة ارتكبها ضد امرأة ، فمن هو المذنب ؟ هل هذا لغز ؟ إذا كانت هذه

الجريمة جنسية ، من المذنب ؟ إذا كان محاميه رجلاً ، ومحامى المرأة امرأة ، فماذا ننتظر من متابعة المشاهدة ؟

لماذا إذن نتابع ؟ إننا نتابع لنفس السبب الذى كنا نتابع به الأميرة " ديانا " وهى تسير فى المشى ونعرف أن النتيجة هى استكمال حفل الزفاف . إننا فى أعماق أنفسنا ، نحتاج إلى تدعيم التفرقة بين الرجل كمنقذ ، والرجل كعدو . إن أى رجل لا يؤدى دور المنقذ هو عدو محتمل . إن ما نحتاج إليه بشدة هو هذه القدرة على التفرقة وليس الإغراق فى الألغاز .

## جماعة الأخوات في التلفاز

كان قدامى المنتجين ، وكلهم بالطبع من الرجال ، يركزون على كيفية جذب أكبر قدر من الدولارات التجارية . كان اهتمام المنتج حينذاك التصنيف سواء للإناث أو الذكور ، ويركز طبعاً على الفئة التى إذا أسعدها يكسب أكثر . على عكس ذلك فإن " جماعة الأخوات في التلفاز " ، كما يطلقن على أنفسهن ، لديهن مهمة لتحقيق أهداف الحركة النسائية ، ويطلق عليهن أيضاً اسم الطبقة الاجتماعية ٧٢ ( وهى السنة التى صدر فيها قانون الفرص المتكافئة للعمل والذى وفر للنساء للمرة الأولى مزايا لتأكيد ذواتهن ) ، وقد تمكنّ من توحيد شبكات التلفاز المتبنية لأفكار الحركة النسائية خلال الثمانينات والتسعينات .

تضمنت الأنشطة التى مارستها " جماعة الأخوات " منذ نهاية الثمانينات برامج تليفزيونية معظم العاملين فيها من النساء مثل تصميم النساء ( النساء فى دنيا الأعمال ) ، الفتيات الذهبيات ( النساء المتقاعدات ) ، شاطئ الصين ( النساء فى الحرب ) ، نبض القلب ( النساء فى المجال الطبى ) ، " نايتنجيلز " ( النساء فى مدارس التمريض ) ، عالم مختلف ( النساء فى الكليات ) ، ستوديو ٥ ب ( النساء فى التليفزيون ) . تضمنت الأنشطة أيضاً مسلسلات درامية تُعرض في وقت الذروة مثل " دايناستى " ، " فالكون كريست " ، وبرامج منوعة خاصة بموضوعات المرأة فقط مثل ( فاين رومانس ، يوم بيوم ، الحجرة رقم ٢٢٧ ، الجريمة التى كتبتها ، " كيت " و " آلى " ، ومن هو الرئيس ؟ ) .

اشتملت بعض هذه العروض على جوانب لتدعيم المرأة وتمكين الناشطات ، وذلك فى برنامج مثل " من هو الرئيس ؟ " . كما أن المسلسلات الدرامية لم تبرئ الجانب المظلم للمرأة . ولكن معظمها كان على وتيرة " تصميم النساء " ، بحيث يظهر فيها الرجل كمستغل للنساء ـ بافتراض كون هؤلاء الرجال مهنيين مثل المعالجين النفسيين أو أساتذة الجامعة ممن يستغلون من يدفعون لهم للحصول على المساعدة ، وهكذا يفقدون الثقة فيهم ، أو يظهرون كآباء كسالى أو مغتصبين محتملين . فى مسلسل " العروسان فى شهر العسل " يكون الرجل دائماً على خطأ فى النهاية ، حيث يرى أخطاءه ويندم عليها ويزيد من حبه للمرأة التى كانت دائماً أفضل منه .

ستواصل جماعة " الأخوات في التلفاز " نجاحها بفضل " أخوية المشاهدات " . فالنساء يشاهدن التليفزيون كثيراً فى كل الأوقات وفى كل أيام الأسبوع . ويشترين معظم آلات المنزل والاحتياجات الشخصية من خلال التليفزيون ولذلك لم يكن من المدهش أن تكتب " نيوزويك " عن ذلك قائلة : " إن القناة التى تستطيع أن تجتذب ربات البيوت لديها الفرصة أكثر من غيرها على الاستمرارية " . كل القنوات التليفزيونية الآن تجتذب مزيدًا من الإناث ، وتبعد الرجال إلى القنوات الأصغر ذات الجمهور المحدود .

تمكن التمويل الذى يوفره الستار الحريري من التسلل إلى القنوات الفضائية حيث تمتلك قنوات " ديزنى " و " هيرست " القنوات الفضائية التى سوف يستمر إرسالها لأجيال وأجيال ، وهى لذلك مصنفة طبقاً لمجلة " فوربز " باعتبارها تحتل الصدارة في تسليم الفئة الخطرة من النساء إلى صُنَّاع الإعلانات ، أي أنهم يتفوقون على الشبكة في إخلاصهم للنساء .

لاشك أن الألفية الثالثة ستشهد أيضاً الدمج بين هذه القنوات وقدرات شبكة الاتصالات الدولية الإنترنت بحيث تلبى كل رغبات النساء فى العالم . هذا الهواء المعبأ بأنفاس الإناث يمكن أن نطلق عليه أوكسجين وسائل الإعلام الجماهيرى . وهو الذى توفره " أوبرا وينفرى " ، و " مارسى كارسى " منتجة روزيان " و " جيرالدين لايبورن " .

## نيويورك تايمز

# ثلاث نساء من التلفاز ينشئن قناة فضائية للنساء ( مفاجأة ! )

بقلم " بيل كارتر "

**٢٤ نوفمبر ١٩٩٨**

## المغفلون في مسلسلات وقت ذروة المشاهدة وجمعية الأخوات اللاتي ينثرن البذور

بالتأكيد لم يكن ظهور المغفلين في مسلسلات أوقات الذروة من اختراع جمعية " الأخوات في التلفاز " ، وهؤلاء المغفلون هم أبطال المسلسل التليفزيونى " العروسان فى شهر العسل " وهم كل من " رالف كرامدن " و " راد نورتون " ، وكانت زوجتاهما فى غاية الحكمة والتعاطف . أما " أرشى بنكر " فهو شخصية متعجرفة فى حين أن زوجته حنون وتتسم بالحكمة . ومساهمة جمعية الأخوات لم تكن اختراع شخصية المغفل بل إدماج هذه الشخصية فى فقرات ذروة المشاهدة التى يتواجد فيها الرجال .

المفارقة أن صورة الرجل المغفل تحولت على يد جمعية الأخوات من مجرد حالات قليلة تظهر بين الحين والآخر ، إلى فرض ظهور الرجل في أي مسلسل تليفزيونى على أنه أحمق ومغفل . وأصبحت صورة الرجل دائماً فى التليفزيون هكذا ( بعد العديد من الإهانات ، يتضح أنه فعلاً مغفل حقيقى ) ، وقد أحصيت عددًا عشوائيًا من اللقطات للمقارنة مع النساء اللائى يصورن بهذه الصورة ، فكانت نسبة الرجال للنساء ٦ : ١ . عندما تخطئ المرأة فإن هذا يحدث مرة واحدة ، أما الرجل فهذا هو مسلكه الطبيعى . ولذلك يكون مغفلاً طوال حلقات المسلسل .

هذه الشخصيات تظل معنا طوال الأسبوع ... وتسرى فى عروقنا . فبالنسبة للنساء ، نتكلم عن أهمية نماذج أدوارها ؛ أما بالنسبة للرجال فإننا لا نصورهم إلا على أنهم حمقي ومغفلون . بالطبع ، السخرية من الرجال وتقليل شأنهم يكون بهدف الإضحاك ، حيث إن الرجال ينظر إليهم على أنهم مالكو القوة

والنفوذ ، لدرجة أنهم يستطيعون تحمل مثل هذه الإهانة ولكنهم يحملونها معهم إلى قبورهم .

ترتبط الصورة الكوميدية " الرجل الأحمق " بكل المواقف الكوميدية ، وهو ما تولت شرحه صحيفة " وول ستريت جورنال " وهي تتناول قصة المسلسل الاجتماعي التليفزيوني " روزيان " . تم بيع كل حلقات المسلسل بعد إذاعة حلقة واحدة تجريبية ، حيث ظهرت فيه البطلة " روزيان " وهي تشترى كعكة محلاة بالشيكولاتة ، وبدأت في تقطيعها بشكل منتظم وهي تقول : " إن الرجل يشبه هذه الكعكة . أولاً ، عليك أن تتخلصي من كل ما صنعته أمه له " ( تقول ذلك وهي تنفض المكسرات من على وجه الكعكة ) ، " بعد ذلك تجعلينه يتخلص من كل الأفكار المزيفة التي يلتقطها من إعلانات السجائر " ( تقطع شريحة أخرى من الكعكة ) ، ثم تقول أخيراً ، " وهذا هو الجزء المفضل لديَّ ، كبرياء الرجل " . وترمى بالقطعة الأخيرة فى فمها وهى تسحقها بين أسنانها بطريقة مخيفة .

عندما دخل مسلسل " روزيان " إلى عالم مسلسلات كوميديا الموقف ، خصص له أوقات الذروة فى المشاهدة ، ليس هذا فقط ، بل وطبقاً للمصطلحات فى صناعة المسلسلات فقد تفوق على أفضل مسلسلين كوميديين فى ذلك الوقت يذاعان على قناة " إيه بى سى " . بعد خمس سنوات اعتبرت " روزيان " وكأنها الإلهة المحلية التليفزيونية . والتاريخ الشخصى لـ " روزيان " يقول لنا الكثير : ولدت فى عائلة يهودية ، انتقلت إلى مدينة " سولت ليك " ، وقضت فترة من حياتها فى مستشفى أمراض عقلية ، وتزوجت عامل بريد ، وكرهت الرجال ، ثم أصبحت نجمة .

يلخص هذا الموقف " توم ورنر " من شركة إنتاج " كارسى - ورنر " التى أنتجت مسلسل " روزيان " ويقول : " الرجال غادرون . إننا نتطلع إلى مزيد من المسلسلات التى تشبه " روزيان " . إن شركة " كارسى ورنر " هم صناع أوكسجين الإعلام الجدد ، الذين يركزون على البرامج النسائية ، وإتاحتها لك فى منزلك بحلول عام ٢٠٠٠ " .

## الستار الحريرى فى البرامج الحوارية النهارية

لا يستطيع أى برنامجٍ حوارى أن يوقف كتاباً عن العلاقات ، ولكنه بالتأكيد يستطيع أن يصنع كتاباً . من الموضوعات المفضلة فى البرامج الحوارية إظهار الرجل كظالم ، والمرأة كضحية . إن البرامج الحوارية التى يديرها مذيعون مثل " سالى " ، " ريكى " ، " جينى " ، " جيرى " ، " مورى " ، " مونتيل " ، و " أوبرا " تمتلئ بالموضوعات النسائية ، والمنتجات فيها سبعة أمثال المنتجين . نجد أن العناوين تكون كالآتى : " رجال مستحيلون " ( لا يمكن أن يكون هناك عنوان يقول نساء مستحيلات ) ، " إجبار الأزواج على تصحيح أخطائهم " ، " الرجل الذى أحببته وخاننى " ، " تركنى فى الوقت الذى احتجته فيه بشدة " ، " أبى كان وحشاً " ، أليست هذه العناوين كلها تعرب عن السخرية والهجوم على الرجال ؟

كل هذه البرامج تجعل فرص ظهور أى كتاب عن مشاكل الرجل وقضاياه محدودة للغاية ، وهذا يصعب من تبرير السبب فى عدم التقدم . وبدون هذا التقدم تقل فرص البيع فى منافذ بيع الكتب ، ويكاد يكون من المستحيل وضع الكتاب فى مقدمة نوافذ العرض ، وبالتالى لا ينال حقه من الإعلان . وهذه العوامل تؤدى فى النهاية إلى أن دور النشر تتردد فى الإقدام على نشر كتب تركز على وجهات نظر الرجال .

## الأخبار التليفزيونية

عندما اعترف الأمير " تشارلز " بأن له علاقة غرامية ، تناقلت وسائل الإعلام ما أسمته خيانة الأميرة " ديانا " . وعندما ذكرت محطة " سى إن إن " أن " الأميرة ديانا " لها علاقة غرامية سرية مع " جيمس هويت " ، جاء هذا الخبر تحت عنوان " رحلة الشجاعة " الخاصة بالأميرة " ديانا " .




عندما نشجع أيًّا من الجنسين على أن يرى العلاقة خارج إطار الزواج الشرعى وكأنها جزء من رحلة الشجاعة التى كان سببها شريك العمر ، فإننا ندفعهم لاختيار الطلاق واعتباره إحدى الفضائل والميزات . وهذا يؤدى إلى خلل فى تربية جيل من الأبناء ، ويؤدى لعدم استقرارهم . وسيكون لديهم ميل للتمرد على القواعد والنظم ، ويستغرقون فى محاولات فاشلة للتعافى من الجراح العاطفية .

معظمنا يشعر بالاعتزاز عندما يكون عادلاً ، إذن كيف ننظر إلى زواج غير عادل بهذه الطريقة ولا ندرك أننا نفعل ذلك ؟ إحدى الطرق هى تقديمها بأسلوب ينطوى على موقف تم اتخاذه ضد العلاقة بين الرجل والمرأة مما يجعلنا نشعر وكأننا نشاهد الأخبار ، أو حتى أحد البرامج السياسية .

مثلاً ، عندما أذاعت " سى إن إن " وشركاتها برنامجاً بعنوان " الوجه الجديد للحركة النسائية " ـ بوحى من قصة الغلاف التى نشرتها مجلة " تايم " عن الحركة النسائية ـ حيث تمت دعوة أربع ناشطات نسائيات لتحليل هذا الموضوع ، يبدو ذلك معقولاً ، أليس كذلك ؟ بلى ، ولكن حتى نفهم ما الذى تتم مناقشته . لكى نبدأ ، فهذا يمثل عدم مساواة بين المرأة والرجل ، وهذا مضمون قضايا الذكر والأنثى . إن تقديم وجهة النظر الأنثوية فقط ـ وهى أن المرأة تحصل على ٧٦٪ من كل دولار يحصل عليه الرجل من نفس العمل ـ وعدم دعوة من يقول إن العملين مختلفان تمام الاختلاف ، تكون النتيجة أن كثيرًا من النساء يشعرن بأنها رحلة الشجاعة ويتوقعن عدم العدالة من كل الرجال ذوى القوة .

إذن الأمر هكذا : الـ " سي إن إن " **تحلل الموقف من وجهة نظر الحركة النسائية فقط ، ولكن فى الواقع كان ذلك تحليلا للعلاقة ما بين النساء والرجال ، ولكن من وجهة نظر الحركة النسائية فقط** . وهذا يخلق سوء الفهم ، والغضب ، والطلاق .

ما إن نرى قضايا العلاقات المسببة للقضايا السياسية النظرية ونتساءل لماذا لم نسمع أو نشاهد وجهة الخاصة بالرجال ، ستبدو البرامج الأخرى مختلفة . ذكرت هذه الملاحظة لأحد الأصدقاء ونحن نتناول عشاءنا وشعرت بمدى تشككه . ولكن بعد عدة أيام تلقيت منه اتصالاً :

" أدركت ما تعنيه . كنت فى الليلة الماضية أشاهد برنامج " ديتلاين " ورأيت " جين بولى " فى الحلقة الثانية من مقابلة " أنيتا هيل " ، وفكرت : ماذا عن " كلارنس توماس " ؟ لم تجر معه أية مقابلة ، ولم يذكروا أنهم وجهوا الدعوة لاستضافته . ثم رأيت أنها لم تقم بعمل استجواب لضيفة الحلقة بأي شكل من الأشكال . وبدا لى أن " جين بولى " فقدت كل مهاراتها الصحفية . بعد ذلك سمعت فى نفس البرنامج تقريرًا عن أحد البحوث يذكر أن الرجال لهم أسلوب خاطئ فى التفكير وفى الفهم وأنهم لا يستطيعون تقديم وجهات نظر متعددة أو متعارضة لأنهم لا يفهمون سوى الأشياء التى تسير فى اتجاه واحد .

إذا كانت هذه هى وجهة النظر النسائية فى القدرات الإدراكية للرجال ، وتعرض فى قناة إخبارية ، ويطلق عليها خفة ظل ، وبدون فرصة متكافئة تعطى للرجال للرد ، فليس غريباً إذن أن تخصص محطة " سى إن إن " خمس دقائق فى عناوين الأخبار العالمية لكتاب " كيف تعلمين زوجك حسن التصرف فى ٢١ يوماً أو أقل باستخدام أسرار مدربى الكلاب المحترفين " .

عندما تتولى قيادات الحركة النسائية تعريف النوع الاجتماعى والعلاقات فى غياب وجهات النظر الأربع حول هذين الموضوعين ، تكون النتيجة الطلاق . ولكن إذا دعينا الأطراف الأربعة يكون ذلك تطبيقاً لدور الإعلام المنطقى .

عندما لا تدعى الأطراف الأربعة للجلوس إلى الطاولة ، يكون فى ذلك ازدواج فى المعايير فى توظيف الناس طبقاً لجنسهم ، وكذلك فى إنهاء خدماتهم طبقاً لجنسهم .

عندما أبدى " جيمى سيندر " ( اليونانى ) ملاحظة عن أن لاعبى كرة القدم السود قد تكون لديهم مزايا عرقية موروثة ، تم فصله من عمله . وعندما أنكر " أندى رونى " مقدم برنامج " ٦٠ دقيقة " أنه قال أى تعليق يتضمن الإساءة إلى الشواذ والزنوج ، تم إيقافه عن العمل بدون مرتب لمدة ثلاثة أشهر دون الاستناد إلى أى دليل ملموس . وعندما أبدى مدرب البيسبول " آل كمبانيز " ، والذى قضى حياته فى العمل مع الأقليات فى مجال اللعبة ، بعض الملاحظات السخيفة ، أدين بتهمة العنصرية ، وأصبح مستقبله المهنى مهدداً ، كل هؤلاء من الرجال .

لكن ، عندما قالت " كاتى كوريك " للسيناتور " توم هاركين " : " الفائدة الوحيدة للاستنساخ هى أننا لن نحتاج الرجال بعد اليوم ( مزحة ) " ، ضحك الجميع على ذلك . تخيل لو أن " بريانت جمبل " ، مقدم برنامج " عرض اليوم " سابقاً ، وهو " زنجى " ، يقول لليهودى " إيهود باراك " : " الفائدة الوحيدة للاستنساخ هى أننا لن نحتاج اليهود بعد اليوم " . ( مزحة ) ، هل ستفصله الـ " إن بى سى " ؟

بصراحة ، أنا لا أحبذ فصل " جيمى " اليونانى أو " كاتى " . على الأقل ليس بسبب هذه المواقف . ولكن بعد عدة شهور ، كانت " كاتى " تسجل مقابلة مع عروس هجرها عريسها قبل وقوفهما أمام المذبح ، سألتها : " هل فكرت فى إخصائه كأحد الحلول ؟ " ولكن ، هل كان باستطاعة " مات لوار " أن يسأل العريس ، ما إذا كان قد فكر فى قطع ثديها عندما تركته ؟ لا شك أن قناة " إن بى سى " كانت ستعتبر الحل الوحيد هو قطع عقدها معه .

هذه التفرقة بين الجنسين ،ما هى إلا قمة جبل الجليد العائم لـ " كاتى " . غالباً ما أشاهد كل صباح برنامج " عرض اليوم " . كان يشارك فى التقديم كل من " كاتى " و " بريانت جمبل " ، وكان غضبها الدائم منه واضحًا للمشاهدين . شاهدت انتقاداتها القاسية ضده على الهواء عشرات المرات . بعض ملاحظاتها الساخرة كانت بهدف المرح ، ولكن معظمها كان بالغ القسوة ومعبراً عن الاشمئزاز . كان " بريانت " يفاجأ بهذه الملاحظات . ماذا كانت النتيجة ؟ تخلصت " إن بى سى " من " بريانت " ، ونقلته من أحد المواقع المهمة بالمحطة إلى موقع أقل أهمية ، وكان السبب أنه متحيز لجنسه ( شوفينى ) .

لا يحتاج الأمر إلى حصافة زائدة من أى شخص لكى يتصور ما الذى كان سيحدث لو أن " بريانت " كان دائم الانتقاد لـ " كاتى " ويوجه لها الملاحظات الساخرة على مدار عامين كاملين ـ حتى ولو كانت هذه السخرية خفيفة الظل ؟ هل كانت ناشطات الحركة النسائية سَيَقُلن : " حسناً ، إنها تستحق ذلك " ، وربما يلقنها ذلك درساً في عدم إلقاء تعليقات منحازة لأحد الجنسين وهجومية على الجنس الآخر ؟ لا أظن أنهن كنَّ سيفعلن ذلك . ولا يمكننا أن نتخيل أن ناشطات الحركة النسائية سوف يصفن " كاتى " بالتعصب لجنسها إذا كان " بريانت " هو الذى يلقى هذه التعليقات .

ولكن ... وجد "بريانت " وظيفة جديدة أقل أهمية فى محطة " سى بى إس " عالم ١٩٩٩ ، رغم أنه لم يكن يرغب فى التوقف عن تقديم برنامجه . لم يقل " بريانت " شيئاً عما حدث ، ولم يتوقف للبكاء على الماضى وينعى حظه ، ولا حتى يتهم " كاتى " بالظلم والافتراء . لو أن الموقف العكسى هو الذى حدث وانتقلت " كاتى " من " إن بى سى " بدون أى اعتراض ، كانت الحركة النسائية ستصف ذلك بأنه العجز المكتسب . المشكلة هنا هى أن الحركة النسائية ترى فقط ما يحدث للمرأة ، ويرين هذا الجانب فقط من العلاقة بين الجنسين ، لذلك فنحن لا نرى من يلفت النظر إلى " العجز المكتسب " لو حدث لرجل .

المشكلة الحقيقية هنا ليست " بريانت " ، وأنا لا أعتبر أنه مثال للعجز أو الضعف . إن القضية هى المعيار المزدوج . وحتى هذا يمكن تجاوزه لو أن الأمر تعلق بقضايا فرعية صغيرة ، ولكن عندما يكون برنامج مهم مثل " عرض اليوم " يتناول قضية لها تبعات وتعتبر مسألة حياة أو موت ، فإن المعيار المزدوج يكون غاية فى الخطورة ، وذلك كما حدث عندما عالج البرنامج موضوع " صحة المرأة وصحة الرجل " .

طلبت من المسئولين عن البرنامج نسخة من التسجيل ، ولكنهم رفضوا . بالتأكيد ليس هناك سبب قانونى لاحتفاظ قناة " إن بى سى " بتفصيلات الموضوع سرية . وقد اضطررت لبذل مجهود مضاعف لمتابعة التفصيلات والبقاء على تواصل مع البرنامج قبل وبعد وأثناء إذاعته . كان من حظ النساء أنه تمت تغطية اهتماماتهن الصحية ١١ مرة أكثر من الاهتمامات الصحية للرجال ما بين ١٩٩٦ ـ ١٩٩٨ . تجاوزت مساحة تغطية سرطان الثدى وحده كل المساحة المخصصة لأمراض الرجال وأكثر ، بمن فيهم الأربع وثلاثون منطقة ، مهملة في

الرجال ، والتى ذكرتها سابقاً ، وكما لاحظت كانت المعلومات الخاصة بصحة الرجال مقتضبة ومختصرة .

إن التقليل من شأن صحة الرجال لوحظ أيضاً فى البرامج الهزلية لمحطة " إن بى سى " . أطلق " جاى لينو " مقدم البرامج الشهير نكتة خلال فترة الانتخابات الأمريكية ، وكان " بوب دول " مرشحاً للرئاسة . تقول النكتة إن نائب الرئيس سيكون مهماً لأنه سيكون على بعد " غدة بروستاتا " من منصب الرئيس . تصوروا لو أن " إليزابيث دول " كانت مصابة بسرطان الثدى ، هل كان " جاى لينو " يطلق نكتة يقول فيها إنها لو أصبحت رئيسة أمريكا ، فإن منصب نائب الرئيس سيكون مهماً ، حيث سيكون على بُعد ثدى من الرئاسة ؟

يحدث ذلك على مستوى أخف من هذه المواقف ، عندما يذهب برنامج " عرض اليوم " إلى الجمهور الخارجى ، فى الصف الأول ستجد خمس نساء فى مقابل كل رجل . ومعظم الرجال فى الصف الخلفى . وإذا تواجد الرجال فى الصف الأول يكون هناك مبرر قوى لذلك ( إما بسبب زيه الذى يشبه زى المهرج ، أو لأنه سيعلن خطبته على فتاته ، أو بمناسبة عيد زواجه ، أو يظهر حاملاً طفله ) . يظل الموقف فكاهياً إلى أن أتذكر ما كان يحدث فى الجنوب الأمريكى فى الخمسينات فى المقاعد الخلفية للحافلات والتى كانت تخصص للزنوج ما لم يكن هناك سبب وجيه للجلوس فى المقاعد الأمامية ـ مثل " جاكى روبنسون " أو " آرثر أش " .

ما مدى استجابة " إن بى سى " فيما يختص بهذه القضايا ؟ قام أحد الباحثين بإعداد دراسة عن برنامج " كوسبى شو " وهو يعتبر من أقل البرامج انحيازاً لجنس دون الآخر . رصد خلال متابعته ٢٢ حلقة تصوير الرجال بصورة سيئة ومتحيزة للنساء حوالى مائة واثنتين وأربعين مرة ، أو مرة كل ثلاث دقائق ونصف دقيقة . وعندما أرسل الدراسة إلى " وارين ليتلفيد " المسئول عن البرامج فى قناة " إن بى سى " ، لم يتلق أى رد .

قد يكون شعار القناة " الآن أكثر مما سبق " هو ترجمة لكلمة " ناو " التى هى اختصار للمنظمة الوطنية للنساء ( أي ظهور المنظمة الوطنية للنساء الآن أكثر مما سبق ! ) .

## الإذاعة

تعتبر الإذاعة من أكثر وسائل الإعلام جذباً للجماهير، وخاصة خلال ساعات قيادة السيارة ، أو المواصلات عندما يترك الرجال خلف ظهرهم المجادلات والمواجهات ويركزون أثناء القيادة ، والبرامج الحوارية فى الإذاعة تتيح للضيوف قدرًا أكبر من الحرية فى الحديث مقارنة بأية وسيلة إعلام أخرى . ستجد فى الإذاعة برامج حوارية كثيرة مثل ( " راش " من الاتجاه الأيمن ، و " لارى " فى الاتجاه الأيسر ) ، والبرنامج الذى يقدمه " شليسنجر " " قرية عدم ممارسة الجنس قبل الزواج " ، وٍ " ستيرن " مقدم برنامج " الجنس فى الاستوديو ؟ " . كل هؤلاء يلمعون أولاً فى الإذاعة ثم ينقلون برامجهم إلى التلفاز .

تتمتع الإذاعة بدرجة عالية من المرونة وتسمح للمضيفين أمثال " هوارد ستيرن " بالانطلاق مع ضيوفه وتجاوز الخطوط الحمراء للستار الحريري . ما إن ينجح مقدم البرنامج فى عمله حتى ينتقل بنفس أسلوب الأداء إلى التلفاز . شاهدت " ستيرن " ، وبلا أى ملل ، وهو يستضيف عارضة أزياء شهيرة كانت لها علاقة غرامية مع " دودى الفايد " ( ابن صاحب محلات هارودز وعشيق الأميرة ديانا ) ورأيت كيف يوجه لها أسئلة فى كل المجالات ويقودها إلى المكاشفة والأمانة فى الردود بمهارة فائقة .

أحد الأسئلة التى وجهها إليها مازحاً : " هل تتنقل العارضات الشهيرات مثلك ما بين ملياردير وآخر بدلاً من الارتباط برجل تحبه ويحبها ، رجل يستطيع أن يرافقها إلى مواقع التصوير - أو شىء من هذا القبيل ؟ " . عندما كانت تحاول التهرب من الإجابة ، كان يحاصرها بسؤال آخر مثل " ما السبب فى أن النساء اللائى لديهن حرية الاختيار ، يخترنَّ المال ثم يتساءلن بعد ذلك عن سبب عدم وجود رجل محب ؟" .

مثل هذه الأسئلة ، من وراء الستار الحريري ، إذا صح القول ، نادراً ما يتم توجيهها فى البرامج التليفزيونية ، أو فى الصحف ، أو فى الاستوديوهات النسائية ، أو حتى فى الفنون الحرة ، أو فى الاستوديوهات الحكومية ، أو حتى فى استفتاءات معهد " جالوب " لدراسات الرأى العام . المرة الأولى التى رأيتها توجه فى أحد البرامج المذاعة فى وقت الذروة كانت فى برنامج " دافيد لترمان " ، وذلك بعد يومين من إذاعة برنامج " هوارد استيرن " . كان

سؤال " دافيد " موجهاً إلى عارضة أثواب سباحة رائعة الجمال والتى كانت مخطوبة إلى ابن " روبرت ميردوخ " ( إمبراطور الصحافة والإعلام ) : " ما السبب فى أن النساء الجميلات يتزوجن المال ، لماذا لا يرتبطن بالرجال البسطاء مثل محاسب فى أحد المتاجر يتسم باللطف والأخلاق الحنونة ؟ " هنا تضحك الجميلة وتحاول الإجابة فى غموض قائلة : " ولكن " ميردوخ " له شخصية جذابة ، أيضاً " . يتجاهل " هوارد " هذه الإجابة ويواصل الضغط حتى تكشف العارضة عن جوانب داخلية أكثر مما تظهره صورها .

هذا الموقف المساند للرجل وللمستمعين والمشاهدين الرجال جعل الطبيبة النفسية ومقدمة برامج الراديو الحوارية الدكتورة " لورا " ( ٥٥٪ من مستمعيها من الرجال ) تقول بكل صراحة إنها متفتحة تماماً عند تناولها لمشكلات الرجال . ألفت د . " لورا " كتاباً عن خبراتها مثل ، " عشرة أشياء حمقاء تقوم بها المرأة لكى تحيل حياتها إلى فوضى " ، وهى فى الكتاب تبدى تعاطفها مع النساء . بعد صدور الكتاب طلبت من المستمعين إرسال خطاباتهم لإصدار كتاب مماثل عن الرجال " عشرة أشياء حمقاء يقوم بها الرجال لكى يحيلوا حياتهم إلى فوضى " . تقول عن ذلك : " عند قراءتى لرسائل الرجال ، جلست أنتحب ، لقد كان لدىّ شعور شديد بالتحامل ضدهم ، وكانت لدىّ بعض الاعتقادات الخاطئة حولهم . ولكن تأليف هذا الكتاب غيّر وجهة نظرى الخاطئة " . عندما أكملت الكتاب ، استطاعت أن تذيع بعض أجزائه بدون مصادرة على أى رأى أو إجراء تصحيحات ذات طبيعة سياسية . كانت الصدمة حين اكتشفت أن كثيرًا من النساء لا يرغبن فى الاستماع إلى مشاعر وأحاسيس الرجال ـ ويرين أن الحساسية تتوافر فقط حين يستمع الرجال إلى مشاعر النساء ـ وكان لدى د. " لورا " القدرة على التصريح بذلك فى الإذاعة وعلى الهواء .

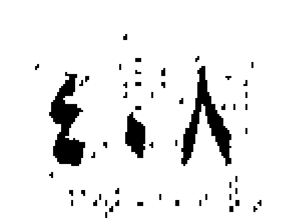
تظل الإذاعة هى المعقل الأخير للمحافظين فى كل وسائل الأعلام ـ الخاصة بالرجل الأبيض الغاضب . والأكثر دقة أن نقول ، إنه فى ظل الأجواء السائدة اليوم ، فإن الراديو هو الوسيلة الوحيدة التى تختار الصراحة المطلقة فى برامجها الحوارية ( حيث يقال إن الإمبراطور لا يرتدى أى ملابس ) وذلك كصفة رئيسية للمتحدثين . إن رغبتنا فى استبعاد الوسيلة الإعلامية ذات المدى الواسع ، وكأنها ذات مدى محدود ( الرجال البيض الغاضبون ) ، هى فى الواقع تعبر عن الرغبة فى استبعاد كل ما يثير التساؤلات حول الستار الحريري وألعابه السياسية ومدى صحة موقفه .

هناك محطتان للراديو يمكن القول إن مداهما محدود فيما يتعلق بقضايا النوع الاجتماعى : المحطة الدينية ومحطة الإذاعة القومية العامة . تؤمن المحطة الأولى بأن الله خلق الرجل ليكون مسئولاً عن إعالة أسرته ، ولذلك فإن قضية المساواة بين الجنسين ينظر إليها بحذر . وهذه الإذاعة تتعامل إيجابياً مع قضايا الرجل ، وسلبياً مع ما تثيره الحركة النسائية من قضايا ، ولذلك فإن كل موضوعات صحة الرجل ، وما يعانيه الرجال من عجز أو قلة حيلة ، وإساءة النساء إلى الرجال ، تقابل كلها بقلب مفتوح .

ولكن الإذاعة القومية العامة قصة أخرى . سأخاطر بإشراككم بتجربة شخصية مررت بها . عندما أصدرت كتاب " The Myth of Male Power " ، استضافتنى هذه الإذاعة فى برنامج " تحدث إلى الأمة " . شعرت وكيلتى الإعلانية في دار نشر " سايمون وشوستر " بالسعادة لأنى كنت سأظهر لمدة ساعة كاملة وأنا أتحدث بمفردى ولكننى كنت أكثر سعادة منها ـ فقد كنت انتهيت من مقابلة إذاعية استمرت لمدة ساعة فى محطة " إن بى آر " فى واشنطن العاصمة ، فى برنامج تقدمه " ديان ريم " ، وحضر مئات من المستمعين هذه المقابلة وطلبوا المزيد . إلى جانب ذلك كانت هذه هى المرة الأولى التى تستضيفنى فيها المحطة منذ تركت عملى مع الحركة النسائية . وبدأت فى الاستعداد للبرنامج .

قبل موعد البرنامج بأيام قليلة ، كنت أتحدث مع وكيلتى الإعلانية . عبرت لها عن حماستى ، ولكن رد فعلها كان متحفظاً . لقد اتصلت بها إذاعة " إن بى آر " وأخبروها أن مدة البرنامج ستكون فقط نصف الساعة ، التالية للنصف الأول الذى يستضيف ناشطتين نسائيتين هما ( " ايلى سميل " نائبة رئيس المنظمة القومية للمرأة ، وإحدى زميلاتها ) . لم يكن ذلك من العدل فى شىء لأن لدى الإذاعة مئات الساعات المخصصة للموضوعات النسائية ، لذلك استنتجت أنهم وقعوا فى المصيدة . شعرت بالأسى ولكننى أقنعت نفسى بالمعادلة : سأستمع إلى ما يقولون ؛ وهم سيستمعون عندما أتكلم . وأنا أحب الاستماع كما أحب الكلام . على الأقل ستكون هناك فرصة لكل منا ليسمعه الآخرون .

كنت فى " سان فرانسيسكو " عندما قامت المحطة بإعداد جدول المقابلة : نصف ساعة لكل منا ، بدون مقاطعة . ظللت فى مقعدى فى انتظار دورى ، شربت خلال فترة انتظارى فنجاناً من الأعشاب المهدئة . بدأ الحوار بين



" ايلى " و " راى سواريز " . وبينما أنا أستمع تدفقت الذكريات إلى رأسى عندما كانت " إيلى " الرئيسة فى المنظمة القومية للمرأة وكنت أنا ضمن مجموعة من الرجال فى مسيرة فى واشنطن . بعد أن انتهت نصف الساعة الأولى بدأت أنا الجزء الخاص بى .

قدمنى " راى سواريز " وذكر فترة عملى فى المنظمة القومية للمرأة وسألنى عن قصة كتابى " The Myth of Male Power " . بدأت فى الإشارة إلى المساهمات الإيجابية للمنظمة ، وأن الحركة النسائية فتحت مجال الاختيارات التى لم يكن متاحاً مثلها لأُمى . ثم بدأت فى التحدث عن الكتاب . فجأة قفزت " إيلى " وزميلتها . فوجئت بذلك ولم أنطق . وفوراً أصبح من الواضح أننى لن أستطيع قول أى شىء ! توقفت لاستراحة إعلانية حتى لا يحرج أحد ، ولكن علينا أن نتذكر أن هذه المحطة لا تقطع أى حوار لكى تذيع إعلانًا .

على ذلك ، وفى بث حى على الهواء ، ذكرت اتفاقنا السابق على تبادل الاستماع ، وتصورت أن هذا سيحل المشكلة . كان ذلك خطأ . قال " راى " : من الذى سيستجيب لما تقوله ؟ فأجبته قائلاً : " مليون مستمع فاضل من مثقفى أمريكا " ، ولكن قاطعنى " راى " وأعلن أننا في حاجة إلى فترة استراحة . قد يكون " راى " شعر بأنه بين المطرقة والسندان ، مرت بعض الثوانى ، وفوجئت به يتصل هاتفياً ويقول :

" إننا سنواصل الحوار مع السيدات " ،

وأجبته قائلاً : " هل يمكن أن تراجع العقد مع المنتج ؟ " .

ولكنه رد علىّ وقال : " أنا لا أعقد مثل هذه الاتفاقات . والآن علىّ أن أعود إلى البرنامج " .

عندما اتصلت بالمنتجة ـ والبرنامج مازال جارياً ـ صدمت هى الأخرى بما حدث ، وأكدت صحة ما سبق الاتفاق عليه ، وأنها كانت لديها السلطة الكاملة لتوقيع العقد ، وهذا كل ما استطاعت أن تقوله لى . اتصلت فوراً بمكتب " سيمون وشوستر " ، حيث أبديا تعاطفاً مع موقفى ولكن قيل لى : " لا نعرف ما الذى نستطيع أن نفعله ! " . أدركت فوراً أنهم يرغبون فى الحفاظ على علاقاتهم .

بعد حوالى شهر اتصلت بالمنتجة مرة أخرى ، وقالت : " لم يسبق أن تلقينا شكاوى مثل التى تلقيناها بعد موقف " راى " منك . نحن نتلقى كل يوم ما يقرب من خمس مكالمات عن ذلك " .

شعرت من المكالمة بأنها قد تتعرض لمشاكل أكثر مما تعرضت له بسبب تبنيها لموقفى خلال الشهر الماضى ، وقد تفقد وظيفتها إذا واصلت هذا الموقف . ومنذ ذلك الوقت لم يحدث أى اتصال بينى وبين " إن بى آر " . لقد التقيت خلال هذه القصة بالستار الحريري .

## شبكة الإنترنت : AOL أم AWOL ؟

هل هناك منفذ آخر للتعبير عن أحاسيس الرجال ، بخلاف الراديو ؟ كان الأمل معقوداً على الإنترنت لتحقيق ذلك . فى البداية ، كان الرجال يسيطرون على الإنترنت ، لم تكن هناك مناقشات حول الرجال أو النساء . اكتشف الرجال أن البيئة ملائمة لمناقشة العلاقات ومن ثم بدأوا فى الكلام ، وخاصة الرجال من غير الفنيين من خلال ( أميركا أون لاين ) " AOL " التى اشترك فيها أمريكيون أكثر من الخمس عشرة شركة التالية فى القائمة . بدأ المشتركون فى تشكيل مجموعات مثل " الحقوق المتساوية للرجال " ، و " التوجه نحو المساواة " ، و " مركز الرجال " . ولكن حدث موقفان غير سارين :

أولاً ، الرقابة ومنع النشر . تعطى الكلمة المفتاحية " نساء " إمكانية الوصول إلى كل الاهتمامات النسائية التى يمكن تخيلها . كانت الكلمة المفتاحية " رجال " فى أول الأمر تتيح الوصول إلى قدر ضئيل من اهتمامات الرجال . بعد ذلك ازداد الأمر سخونة وخاصة فى مجموعات " الحقوق المتساوية للرجال " ، و " الحوار النشط " ، و " الرجال يعبرون عن أنفسهم " . ماذا كانت النتيجة ؟ إما أن المواقع الثلاثة اختفت أو تم إلغاؤها بدون إخطار مسبق . أبلغنى أصدقائى المشتركون فى موقع " AOL " أنهم يتلقون إجابات تفيد بأن الموقع تم إلغاؤه . ولم تعد الكلمة المفتاحية " رجال " لها أى تأثير .

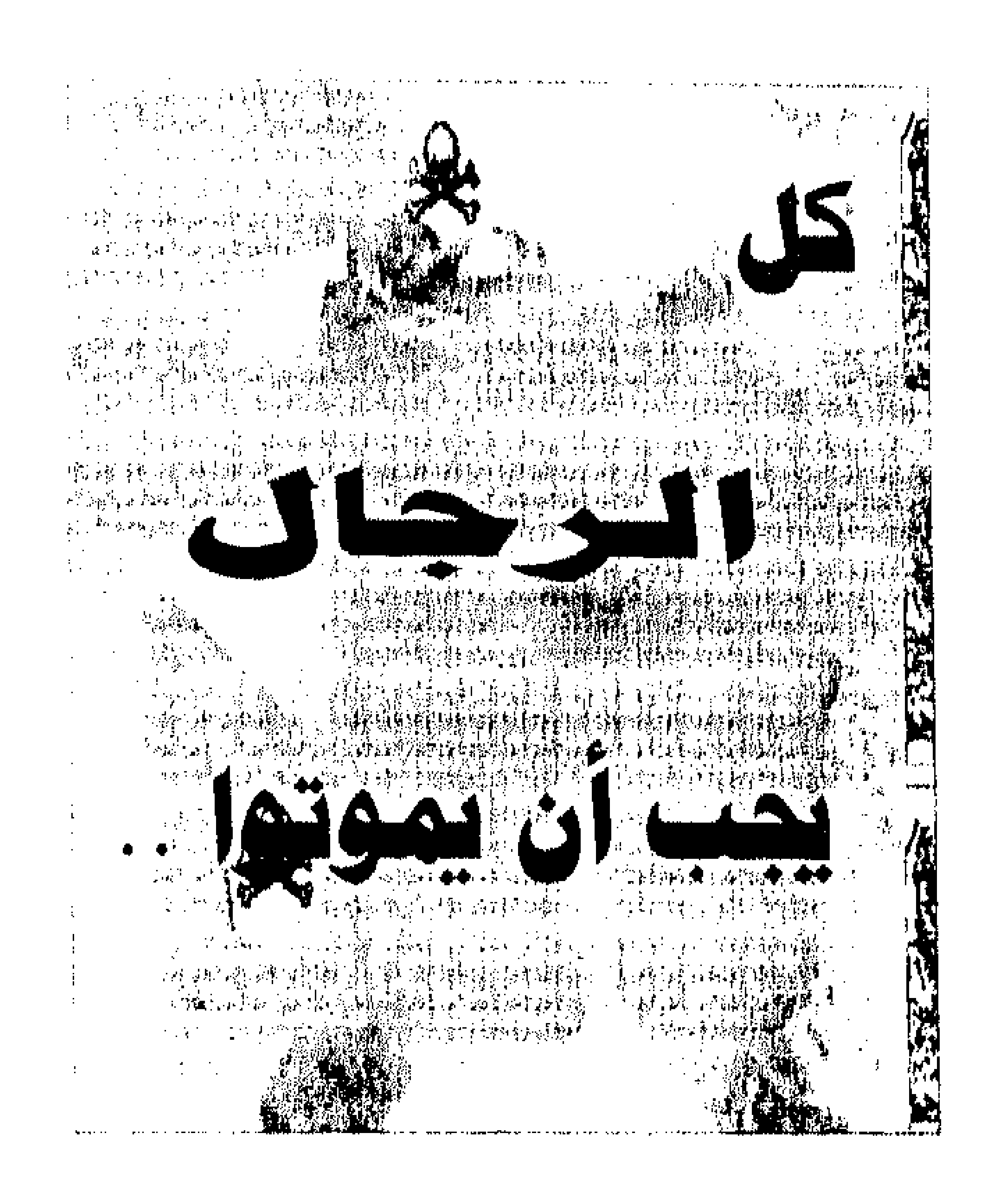
كما قد تتخيل ، وصلت رسائل إلكترونية إلى المشتركين فى موقع " التوجه نحو المساواة " تفيد بأن الموقع تم استبداله . **وأن من يرغب فى الوصول إلى اهتمامات الرجال يمكنه أن يجدها ـ وصدق أو لا تصدق ـ تحت عنوان " وجهات نظر الحركة النسائية "** ، وعليه أيضاً أن يسجل نفسه فى ملف

حديث النساء ، وأن يلتزم بقواعد منتدى " AOL " للنساء ، والمطبوعة على شاشة " AWOL " [ American Women On Line ] أى النساء الأمريكيات على شبكة الإنترنت .

هل هذا تصرف طائش أم ماذا ؟ تخيل إبلاغ النساء أنهن لا يستطعن التعبير عن أحاسيسهن سوى بالبحث عن موقع " وجهات النظر الذكورية " مع الالتزام بقواعد الرجال ؟ صحيح . ولكن ليست هذه هى الطريقة التى نساعد بها الجنس الذى يكبت عواطفه ونشجعه بها على الإفصاح عما بداخلهم . هذا التحول يقود إلى تغيير " AOL " لكى تصبح " AWOL " أى النساء الأمريكيات على الإنترنت .

هل من العدل القول بأن هذا الخطر إذا حدث لأية مجموعة أخرى من المشتركين فى الإنترنت ، سيتم الإعلان عنه فى الصحف وعلى الصفحة الأولى ؟ نعم . هل لديك دليل على ذلك ؟ نعم ، عندما اكتشفت " نيويورك تايمز " أن موقع " أميركا أون لاين " AOL أوقف الحوار الساخن الدائر بين مجموعتين متعارضتين حول قضية أيرلندا ، كان ذلك هو العنوان الرئيسى بعرض ثلاثة أعمدة على صفحة الغلاف فى العدد الأسبوعى الصادر يوم الأحد . ولكن تم تجاهل الحظر الذى فُرِضَ على موقع الرجال .

إذن هناك أمران حدثا . فى الوقت الذى صادف فيه الرجال العقبات فى طريق تعبيرهم عن مشاعرهم وأحاسيسهم ، تسللت قدرة النساء على التعبير عن كل ما يشعرن به إلى كل أرجاء شبكة الإنترنت التى كان الرجال يسيطرون عليها سابقاً . فعندما تفتح صفحات الدليل الإلكترونى ستجد دليلاً فرعياً تم تصميمه خصيصاً لصالح النساء واهتماماتهن بما يساعدهن على التعبير . ونجد أن صفحات كراهية الرجال تتجاوز الرقابة ، بل أكثر من ذلك يزداد انتشارها . ها هى إحداها من تصميم " كاشكا " وأطلقت عليها " كل الرجال يجب أن يموتوا " . لاحظ الرجل الميت المدد خلف العنوان .




صممت " كاشكا " هذه الصفحة على الانترنت بعد أن افترقت عن حبيبها . ( هل تتذكر صورة الجانى الدائم فى بطاقات كراهية الرجال ؟ ) يبدأ الأمر بإعداد قائمة الموت الخاصة بها " لكى تضع نهاية للمشكلة التى أزعجت كوكبنا لفترة طويلة . نحن جميعاً نعلم أن الرجال مزعجون " .

الآن ، ما الذى علينا أن نفعله إزاء ذلك ؟ تأمل " كاشكا " أن تضم قائمتها كل الرجال على وجه الأرض ، ولكن ... الأولوية ستكون للرجال الذين تسببوا أكثر من غيرهم فى إحالة حياتها إلى جحيم . وهى توجه كلامها إلى هؤلاء الرجال قائلة : " أنتم تعرفون أنفسكم ، وسوف **تموتون** ، هذا الموقع الإلكترونى تجاوز عدد المشتركين فيه ١٠٠,٠٠٠ شخص فى العام .

هذا المزج بين الرقابة المفروضة على مجموعات مناقشة المساواة للرجال ، مع منح الحرية للمرأة لتجمع قوائم أسماء الرجال المرشحين للموت ، يقود العديد من الرجال إلى الشعور بأن أحاسيسهم ليست لها أية أهمية .

سنفترض رغم ذلك ، أن هناك مكانًا واحدًا تلقى فيه مشاعر الرجال كل الاهتمام ولا تلقى هذا الإهمال ، هذا المكان هو مقعد لدى المعالج النفسى . سنرى الآن ، هل هذا الافتراض حقيقى أم لا ؟

أوضحت نتائج إحدى الدراسات المحكمة التى أجريت على العاملين فى المجال الاجتماعى أن العميلات أكثر ذكاءً من العملاء ، وأنهن أكثر اتزاناً ونضجاً من الناحية العاطفية ، لهذا السبب يحققن أقصى استفادة بأقل توجيهات أو علاج . استنتجت الدراسة أن هناك تمييزًا بين الجنسين ضد الرجال . شعرت بضرورة عدم الاستعجال فى إصدار الأحكام : " قد يكون ذلك لأن المريضات أكثر نضجاً ... " ، وواصلت القراءة : إن الوصفات الطبية للمرضى من الجنسين متطابقة ـ ما عدا استبدال أسماء الرجال بأسماء نساء ، أو العكس .

ومع قابلية استبدال العملاء داخل عقول المعالجين ، كان هذا هو أخطر أشكال تحيز الاخصائى الاجتماعى : إنهم يفضلون العميلات من الإناث .

هل نجد هذا التحيز أيضاً فى وسط الإخصائيين النفسانيين ، والذين من المفترض أنهم تلقوا تدريباً أكثر من الإخصائيين الاجتماعيين ؟ دعونا نتأكد من ذلك .

طُلب من مجموعة من المعالجين النفسانيين أن يشاهدوا شريط فيديو مسجلاً لجلسة علاج . يقول فيها المريض صاحب المشكلة إنه كان مهندساً ، وأن زوجته تركت عملها لترعى الأبناء . عرض نفس الموقف على مجموعة أخرى من المعالجين النفسانيين ، ولكن هذه المرة يقول المريض إنه مقيم فى المنزل لرعاية الأبناء ، وزوجته هى التى تعمل مهندسة .

لم يفكر أى معالج نفسانى فى أن يسأل عن الترتيبات المتعلقة بالشئون المنزلية فى الحالة التقليدية ( أى الزوج الذى يعمل مهندساً ، وزوجته ربة منزل ) . كل المعالجين تقريباً وجهوا أسئلتهم إلى الزوج المقيم فى المنزل ، ومن ذلك مثلاً : " ما هى الأشياء التى تعلمتها فى طفولتك عن مواصفات الرجل ؟ " ، وكانت الحلول التى اقترحوها متماثلة تقريباً : " إنك قد تحتاج إلى إعادة التفاوض بشأن ترتيباتك المنزلية " . لقد صنف المعالجون الرجل الذى قام بدور الزوج المقيم فى المنزل على أنه مصاب بإحباط شديد على الرغم من أن المريض فى الحالتين أصر على أنه غاية فى السعادة بالترتيبات التى وافق هو وزوجته عليها ، وكذلك باقى أفراد الأسرة .

كانت هذه تجربة تمثيلية ، ولكن فى موقف حقيقى تصف " واشنطن بوست " تجربة " دين " وخطيبته السابقة : ذهب " دين " إلى الطبيب النفسى لمراجعته فى بعض المشكلات ومنها لجوء خطيبته الدائم لاستخدام العنف معه . خلال الجلسة سرد " دين " للطبيب موقفاً حدث له ، حيث كان يشاهد التليفزيون فاستغرق فى النوم على الأريكة . فى الثانية صباحاً استيقظ على صوت طرق عنيف على الباب ، فقام وفتح الباب ليفاجأ بخطيبته وهى تضربه على رأسه بزجاجة دواء كبيرة . ما إن استمع الطبيب لهذه القصة ، حتى نظر إليه متفحصاً ثم قال : " هل تنام عادة وأنت تشاهد التلفاز ؟ " .

هذا هو الأساس الذى بنى عليه الستار الحريرى فى المهن المساعدة . تتزايد الآن صعوبة الحصول على تمويل لكى تجرى دراسة عن التحيز السائد فى مجال النوع الاجتماعى ، وخاصة إذا كانت الدراسة محكمة أكاديميا . السبب فى ذلك أن هذا المجال تتحكم فى تمويله الحركة النسائية . وهذا التحيز الواضح ، رغم كل ذلك ، ما هو إلا نقطة البداية .

إن العلاج النفسانى النسوى يمثل قوة متصاعدة فى المجال المهنى للعمل الاجتماعى والنفسى . لكى يحصل المعالج النفسانى على ترخيص ممارسة المهنة لابد له أن ينجح فى اختبار العلاج النفسانى النسوى . وبرامج التدريب لخريجي الطب النفسى تعتبر الآن فرعاً تخصصياً ، كما أن كليات الطب حالياً تستعين بأساتذة من هذه التخصصات ليعملوا داخل الجامعة فى أقسام الإشراف الاجتماعى لطلبة الجامعة .

إن العلاج الملتزم بقواعد الحركة النسائية أصبح الآن جزءًا من القانون ، ويمكن استخدامه كوسيلة للدفاع القانونى أمام المحاكم ، مما يتيح للمرأة التى تقتل زوجها أن تستخدم الحيل الدفاعية التى تعتمد على العجز المكتسب ، ولكن لا يستطيع الرجل الذى قتل زوجته أن يلجأ لنفس الدفاع ( وهو ما يمثل خرقاً صريحاً للقاعدة الرابعة عشرة من الدستور التى تضمن حقوقاً متكافئة للحماية ) . هذا العلاج النسوى أقنع النظام القانونى بأن المرأة تخاف من الإبلاغ عن الاغتصاب خوفاً من الفضيحة فى المحكمة ، والتعرض لماضيها . لذلك أصبحت هناك قواعد جديدة تمنع سؤالها عن الماضى حتى ولو كانت قبل ذلك قد رفعت دعاوى كاذبة ضد البعض ، ويسمح لها أيضاً بإبقاء اسمها سرياً ، ولذلك فالرجل فقط هو الذى تتعرض سمعته للضرر حتى ولو كان بريئاً .

تناست قوانين الاغتصاب أن الهدف من المحاكمة هو حماية البريء وتحديد هوية المذنب ، وليس حماية المرأة حتى ولو اتضحت براءة الرجل . إن توفير الحماية لجنس على حساب الجنس الآخر حتى قبل المحاكمة يخالف المنطق ، حيث يكون فى ذلك افتراض الإدانة قبل المحاكمة . هذا العلاج النسوى النفسى بلغ من قوته أنه تجاهل كل ما هو متعارف عليه من القوانين الإجرائية .

على ذلك فإن الممارسات اليومية للعلاج النفسانى النسوى تؤدى إلى ضرر بالغ للنساء الفقيرات غير المتعلمات اللاتى يرغبن فى تلقى المساعدة . عندما يقع زوجان فى مشكلة العنف المنزلى فى ولاية " كاليفورنيا "، فإن القانون يطلب الخضوع لبرنامج علاجى يتضمن اعتبار الجنسين وكأنهما عرقان مختلفان من الأجناس البشرية حيث الرجال يظلمون النساء كما يظلم البيض السود . فى كثير من البرامج العلاجية بالمقاطعات ، مثل " سانتا كلارا " فى " كاليفورنيا " يقومون بإحضار زوجة تعرضت للضرب المبرح على يد زوجها لكى تلقى محاضرة على الرجال الخاضعين للتدريب ، لكنهم لا يستعينون برجل تعرض للضرب المبرح على يد زوجته !

هذا ما يتعلق بالجرائم الصغرى . أما الجريمة الحقيقية فهى ما يرتكبه المسئولون برفض تنظيم البرامج العلاجية المشتركة للزوجة والزوج معاً . عندما نطلب من الزوجة أن تنظر إلى دورها هى أيضاً ، سيبدو الأمر وكأننا نلوم الضحية . على العكس من ذلك ، إذا أنكر الزوج أنه أساء معاملة زوجته فسيبدو الأمر على أنه " فى موقف الإنكار " ، وإذا قال إنهما تبادلاً الضرب ، فسوف يبدو وكأنه يبرر موقفه . لا يستطيع الرجل أن يمر من هذا البرنامج إلا إذا أقر أنه أخطأ فى تصرفه رغم أنه قد لا يكون قد ارتكب أى خطأ .

قلت إن ذلك يؤدى إلى الإضرار بالمرأة الفقيرة غير المتعلمة . كيف ؟ لاشك أن النساء من هذه الفئة يعتمدن مالياً على الأزواج ، وعندما يبدأ برنامج إرشادى مثل هذا ، يتكون لدى المرأة شعور زائف بالأمان ، ومن ثم تظل فى المنزل . وعندما يفشل البرنامج لأنه يرتكز على توجيه اللوم لطرف واحد فى مشكلة ثنائية ، يكون ذلك ضمانًا أكيدًا لجولة أخرى من العنف .

فى الوقت الذى يتخذ فيه العلاج النفسانى النسوى عقيدة أساسية وهى أنه لا يوجد أى عذر لاستخدام العنف ضد المرأة ، فإن المرأة عندما ترتكب جريمة عنف يكون هناك دائماً مبرر . حتى فى جريمة مثل التى ارتكبتها " خوا هار " عندما قتلت أبناءها الستة . نشرت صحيفة " مينا بوليس ستارتريبيون " الخبر

تحت عنوان : " لماذا تقتل الأمهات أطفالهن ؟ " وتتولى طبيبة نفسية الشرح وتقول إن ذلك يحدث عندما تشعر الأم بأنها مهجورة تماماً .

فى إطار العمل الاجتماعى أصبح العلاج النفسانى النسوى بمثابة نبوءة الإنجاز الذاتى ، لأنه بما يتضمنه من انحياز واضح ، أدى إلى ابتعاد الرجال عن هذه المهنة ، أو دخولها فقط إذا كان للشخص اهتمام خاص أو دراسة جامعية عن الحركة النسائية . وأصبح الرجال أقلية فى مهنة الاخصائيين الاجتماعيين ، وليس أمامهم سوى خيارين : إما أن يتأقلموا أو يتركوا المهنة .

الغريب فى الأمر أنه حتى العائد المتواضع الذى يحققه العمل الاجتماعى لمن يشتغل به يقوى من التحيز غير الواعى للحركة النسائية ضد الفقيرات . ذات مرة كنت على متن الطائرة فى رحلة قصيرة منذ عدة شهور ، وكان يجلس بجانبى رجل فى منتصف العشرينات . لاحظ جارى أننى أعمل فى هذا الكتاب ، وقد صادف ذلك أننى كنت على وشك الانتهاء منه ، تحولت المناقشة بيننا إلى مجال عمله حيث اتضح أنه اخصائى اجتماعى ، ويتبنى أفكار الحركة النسائية ، وشيوعى ماركسى .

سألته عن سبب رحلته على هذه الطائرة النفاثة الرأسمالية . اتضح أنه على موعد للحصول على وظيفة بمؤسسة كبرى . سألته عن هذه المفارقة ، أن يكون ماركسياً ورأسمالياً فى نفس الوقت . شرح الأمر كما يلى : " إننى وحيد وأرغب فى الزواج ، وهذه الوظيفة ستتيح لى أن أحصل على ثلاثة أمثال دخلى الحالى بما يتيح لى إعالة أسرة " .

الآن ، عمله فى مؤسسة رأسمالية ودوره التقليدى كعائل للأسرة يتحديان أفكاره الماركسية والمتبنية لفكر الحركة النسائية . ولكن بحلول الوقت الذى سيحدث فيه كل هذا ، سوف يكون قد تخلى نهائياً عن وظيفة الإخصائى الاجتماعى . والدخل البسيط الذى يحصل عليه العاملون فى هذا الحقل يطرد هذا النوع من الرجال ، الذى يريد أن يعول أسرة ، والذى يستطيع أن يتفهم الرجل العادى الذى يسعى لزيادة دخله لإعالة أسرته .

هذا العلاج النفسانى والاجتماعى المتحيز ضد الرجال ، والعائلة ، والفقراء يعتبر شيئاً مدمراً ، لأنه من المفترض أن يكون كل هؤلاء بالإضافة إلى العائلات التى لم تلق القدر الوافر من التعليم ، هم الذين يستحقون رعاية الاخصائيين النفسانيين والاجتماعيين .

إن مصطلح العلاج النفسى النسوى ، مثل مصطلح الناشطات النسويات الأكاديميات ، ما هو إلا اجتماع لألفاظ متناقضة .

إن التحيز ضد جنس معين حينما يوجد فى مهنة تعتبر أن ميثاق شرفها هو مساعدة الجنسين بلا تمييز لهو بالتأكيد مسألة غير أخلاقية .

واستخدام هذا التحيز لمنع القدرة على فحص الأفكار والدوافع فى مهنة هذا هو تخصصها ، يعتبر نوعاً من سوء الممارسة .

وفى النهاية فإن استخدام المال العام لتمويل هذه الممارسات السيئة هو فساد .

## الاستخلاصات والحلول

القواعد الست غير المعلن عنها للمناورات السياسية العبقرية للحركة النسائية هى كما يلى : حدد القضايا ؛ عَرِّف الظالم ؛ روج لأفكار الحركة النسائية على أنها البطل المنتظر للمظلومين ؛ افتح دائماً مجالات الاختيار للنساء ؛ لا تسد أى مجال أمام النساء ؛ عندما يكون هناك أمر خطأ ، لا تُحمل المرأة المسئولية . ما هو التأثير الناجم عن هذه القواعد ؟ ستنمو مجموعات النساء المستفيدات ، وسيتزايد الوزن السياسى لهذه المجموعات أكثر من أية مجموعات أخرى بكل المقاييس .

نجحت هذه الاستراتيجية لأنها انبثقت من عدة جوانب فعالة : من المناقشات الدائرة فى المنزل إلى الكفاح والنضال للحصول على تشريعات فيدرالية ، وعبر صحيفة " نيويورك تايمز " . نجحت رغم أن الكثير من النساء ليس لديهن وقت ، كانت هناك أخريات يمتلكن الوقت واستطعن التعبير بشكل كامل عن أحزانهن وغضبهن . ونجحت أيضاً لأن الرجال نسوا أنفسهم خلال تنافسهم على دور المنقذ لدرجة أنهم لم يدركوا خلال إنقاذهم وحمايتهم للنساء على المدى القصير ، إنهم يجرحونهن على المدى الطويل ، وذلك لأنهم لم يتواصلوا مع النساء ولم يحققوا أية خطوة انتقالية مع النساء ، وبهذا يصيب الأذى جميع من حولنا .

عندما قامت الحركة النسائية بعمل خطوة انتقالية من نظامها القديم الذىكان مثاراً للسخرية ، إلى نظامها الجديد ذى الحزب الواحد فى سياسات النوع الاجتماعى ، بدأت تفقد توازنها ، وبدأ الستار الحريرى فى النشوء .

كانت " شفرة الحديث " نموذجًا لتطور الحركة النسائية ـ حيث إنه فى الأصل كان الاعتراض على التشريعات الوقائية التى كانت تتحيز ضد النساء ، إلى أن أصبحت الآن تشريعات وقائية تتيح للنساء فقط أن يكون لهن التمييز ضد الرجال . وشفرة الحديث لا تحرم الرجال من حرية التعبير فقط ومن الحماية المتساوية فى ظل القانون ، ولكنها تحرمهم أيضاً من حقوقهم المدنية لاستكمال تعليمهم عن طريق معاقبتهم وحرمانهم من الامتيازات إذا خرقوا شفرة الحديث . وهى نموذج معبر عن تحرر المرأة الذى تطور إلى استبدادية نسوية . إن الحركة النسائية ليست إلا نظامًا يسيطر عليه حزب واحد ، ويفرض سطوته على كل شخص وبلا حدود .

ليس هناك من حلول تتعامل مع المشكلات أفضل من استعدادنا لمواجهة غريزة حماية المرأة أكثر من الرجل . ولكن هذا على المدى الطويل . أما على المدى القصير فإن الأمر يستلزم خطوة جادة من جانب الإعلام ، والجامعة ، والحكومة والمهن المساعدة ، لوقف نمو الستار الحريرى وتحيزه ضد كل مبادئ العدالة والموضوعية . ولابد أن يطالب دافعو الضرائب بالكشف عن سوء استخدام أموالهم فى تقويض تكليف الحكومة بحماية الجنسين بصورة متساوية ، ويجب أن يتم تمثيل جميع الأطراف فى وسائل الإعلام ، ويجب أن تكون مهمة الجامعات الوطنية هى تشجيع حرية التعبير والاستعلام .

أخيراً ، على المؤسسات أن تتساءل عما إذا كان الستار الحريرى بتحيزه يجعلها تتردد فى توظيف النساء وتوجيههن . لابد لهذه المؤسسات أن تكون أكثر إيجابية فى مواجهة الحكومة لكى تفهم أن نظام السوق الحر له آليات تعاقب من يدفع أكثر لذوى الإمكانيات الأقل . إن أية شركة تدفع دولاراً لرجل نظير عمل تستطيع امرأة أن تقوم به فى مقابل ٧٦ سنتا ستتعرض للخسارة مقارنة بشركة أخرى لا توظف سوى النساء . والرأسمالية تحركها آليات لعقاب التمييز قصير المدى ، وهو فقدان الربح ؛ أما على المدى الطويل فإن العقاب هو الإفلاس .

عندما لا تستطيع شركة أن توظف وتفصل بحرية كاملة ، فسوف تخاف من توظيف أى عمالة على الإطلاق ـ ولذلك تتعرض للخروج من السوق أو الإدماج أو يقل إنتاجها . على ذلك فإن الاستقرار المفروض بالقوة يولد عدم الاستقرار ؛ ونجد أن حماية المرأة يتم تقويضها عن طريق الحماية ذاتها ، وهذه هى المفارقة فى الحماية .

إن رفع الستار الحرير ووقف حركة تحرير المرأة بصورتها الحالية التى تعتبر نظاماً للحزب الواحد يعطى للنساء فرصة لسماع ما قد يستطيع الرجال أن يقولوه ، على الأقل إذا لم يتوقف الإعلام ، والوسط الأكاديمى ، والحكومة عن تكميم أفواه هذا الجنس الصامت بالفعل . وستعاد مناقشة وجهات النظر الأربع للنوع الاجتماعى من خلال التواصل بين الطرفين . وقد يتيح ذلك أرضية مناسبة للمناقشات لإعادة توزيع الأعمال المنزلية ، ورعاية الأبناء ، والعمل خارج المنزل ، وذلك ما بين كل أفراد الأسرة ؛ وإيجاد حلول تشمل الجنسين معاً لمشكلات العنف المنزلى ، والاغتصاب ، والتحرشات الجنسية . إن ذلك سيفتح مجالات جديدة للاستكشاف بدءًا من الأربعة وثلاثين مجالاً صحيًا مجهولاً للرجال ، إلى تجارب الرجال فى مواجهة الرفض خلال اللقاءات العاطفية ، والمهام المنوط بها فى مواقع العمل . إن هذا سيؤدى إلى خلق علوم جديدة مثل التحكم فى الحمل عن طريق الرجال ، ودراسات جديدة مثل الأبحاث التى تجرى على دور زوج الأم .

إن رفع الستار الحريرى سيتيح الفرصة للنساء كى يتحدثن بأمانة أكثر مع بعضهن البعض . مثلاً ، " آمى جيج " الاستشارية فى مجال إدارة الأعمال تقول إن المحررات الاقتصاديات اللاتى يكون لديهن مواعيد نهائية لتقديم أعمالهن ، يتصلن فى هدوء بالرجال لأن الرجال قليلاً ما يغيرون من إجاباتهم بعد انتهاء المقابلات ، وهم أقل تقلباً ولا يحتاجون إلى كثير من الرقابة ، وهم أكثر قابلية للتحدث عما يدور فى أذهانهم بدون تصريح رسمى . وهم أيضاً لا يشترطون وجود أى زميل خلال اللقاء ، ولديهم ميل أكثر للتحدث عن الأرباح والعائدات . باختصار ، الرجال أكثر تقبلاً للمخاطرة وقابلية للمحاسبة . بالنسبة لى فإن هذا النوع من التواصل الأمين بين امرأتين يمكن أن يحدث فقط عندما لا يخشى أى من الجنسين الاتهام بأنه " عدو المرأة " .

إذا تحدثنا بكل صراحة وواقعية ، هل يمكن أن ينفتح الستار الحريرى ؟ أولاً ، الأقل واقعية ، هو المطلوب أكثر . ثانياً ، نعم ، أصبح الأمر الآن أكثر واقعية عما قبل لأننا أخيراً اخترعنا الخط الساخن الخاص بالرجال : الإنترنت . ولكن حتى ولو كان خطابا قد يفى بالغرض ، فقد أرسل أحد أصدقائى إلى البرنامج التليفزيونى الشهير " فيديو المنزل الفكاهى " ليوضح للقائمين عليه مدى الضرر النفسى الذى يصيب الأولاد عندما يشاهدون مشاهد ضرب الصبيان فى أعضائهم الحساسة ، وهو المشهد الأكثر تكراراً فى البرنامج .

بالفعل لم تظهر هذه المشاهد مرة أخرى . هل هى مصادفة ؟ ربما ، وربما ليست مصادفة .

ما الذى تستطيع أنت أيها القارئ العزيز أن تفعله ؟ إن البرامج الحية التى تذاع على الهواء مباشرة لا تمر على الرقابة . عندما تستمع أو تشاهد أحد هذه البرامج مثل " لارى كنج " ، أو " جريدة واشنطن الإخبارية " ، أو برنامج " إن بى آر" " تحدث إلى الأمة " ، أو برامج " سى إن إن " أو " إم . إس . إن . بى . سى " ، وتلاحظ سوء فهم لوجهات نظر الرجال ، وتحيزاً للستار الحريرى ، اتصل فوراً . فى المرة الأولى ، عليك أن تكتفى بالتحدث من قلبك وبناء على تجاربك ؛ فى المرة الثانية يمكنك أن تضيف بعض البيانات والمعلومات لكى تخلق نوعاً جديداً من الفهم للصورة الكلية ، بعد ذلك ابتعد عن المشاعر وابدأ فى تغيير المبادئ . وإذا كنت تشعر بالرهبة أو القلق ، يمكنك أن تستخدم اسماً مستعاراً إلى أن تشعر بالأمان .

إذا كان لديك طموح أكبر وموهبة فى التنظيم ، ابدأ فى إرسال شكاوى . أبد اعتراضك فى الصحيفة المحلية على ما نشرته " نيويورك تايمز " ، أو فى AOL . أنشئ صفحة إلكترونية عن الستار الحريرى ، أعد تصوير جزء من هذا الفصل على هذه الصفحة ، واطلب استجابات . أرسل بالبريد الإلكترونى ما ورد فى هذا الفصل إلى كل من وقعوا ضحايا الستار الحريرى ، مع إرسال نسخة إلى رؤساء هؤلاء الضحايا ، وإلى رؤساء رؤسائهم . افتتح غرفة دردشة عن موضوع الستار الحريرى .

أما إذا كان تنظيم المظاهرات هو موهبتك الحقيقية ، فنظم مظاهرة أمام صحيفة كبرى أو محطة تليفزيونية ، واطلب من وسيلة إعلام أخرى أن تغطى هذه المظاهرة . جهز ملصق إعلانيًا ضخمًا ، ضع عليه كل أسماء وسائل الإعلام التى ترفض مساندتك . نظم هذا الاحتجاج بنظام شجرة أرقام الهاتف . اطلب المساعدة من إحدى المنظمات الموجودة فى القوائم المرفقة بهذا الكتاب .

ابذل الجهد لكى تنظم الرجال . هناك الكثير من النساء الصالحات فى انتظار الصالحين الجيدين لبذل هذا الجهد المشترك ، للتواصل مع أحاسيس الرجال ولديهن الشجاعة الكافية للقيام ببعض المبادرات .

ومهما كانت مهنتك ، فلابد أن هناك منظمة داخل هذه المهنة تتولى مصالح النساء ، ولكن ليس هناك تنظيم مماثل للرجال . إلى أن نصل فى النهاية للوضع الذى لا نحتاج فيه لأى من هذين التنظيمين ، عليك تشكيل تنظيمك الخاص

بالرجال . إذا كنت مدرساً للصف الابتدائى مثلاً فعليك أن تنشئ رابطة للمدرسين الذكور فى المدرسة الابتدائية ( MATES ) ، ويجب أن تساعدنا على فهم أبنائنا ومعرفة ما يدور فى مدارسنا .

باختصار ، علينا جميعاً أن نتحمل مسئولية جمع أحزاب النوع الاجتماعى الأربعة إلى طاولة قضايا النوع ـ الرجال التقليديون ، النساء التقليديات ، الرجال غير التقليديين ، والقائلون بالمساواة بين الجنسين ـ لكى نستبدل بالستار الحريرى حواراً مفتوحاً حول كيفية توفير أقصى درجة من الحرية للجنسين بدون تجاهل التزاماتنا تجاه شركاء حياتنا وأبنائنا .

الحقيقة أن هذا الفصل تطلب الكثير من الجهد ليظهر بهذه الصورة . ولكن حصل على ما يستحقه هذا الصباح . قرأت فى " لوس أنجلوس تايمز " عن التلاميذ الذين استخدموا الإنترنت للحصول على مساعدة الآخرين فى أداء فروضهم المنزلية عن موضوعات مثل : " الدروس الأخلاقية فى مسرحية ميديا " وكان الشيء الوحيد الذى استطعت رؤيته هو " أخلاقيات الإعلام " !

# وختاماً ...

عادة ما تستخدم الخاتمة للإلهام والإيحاء بأفكار جديدة . أنا أحب الإلهام وأعشق أن أكون ملهماً . رغم ذلك فإن الطريقة المعتادة للإلهام هى تجاوز الحقائق التى قد تغلق الطريق أمام الانطلاق الفكرى . ولكن بالنسبة لى ، عندما أعلم أننى تعاملت مع الحقائق ، أشعر بأن آمالى استقرت على أرض صلبة . إن الإلهام بدون وقائع وحقائق ينتهى إلى أوهام تكون بمثابة انسحاب من الميدان . وهذا هو ما حدث لكثير من الرجال .

سأستفيد من الخاتمة لإلقاء الضوء على العملاق المجازى الذى ينشأ عندما نجمع كل العناصر معاً ، أو كل فصول الكتاب التى عرضت مجزأة . وسأحدد لهذا العملاق اتجاهًا . سنرى الفرص العظمى التى سيحصل عليها الجنسان لكى يحب كل منهما الآخر ، والرؤية الأكثر وضوحاً لأسباب عدم نمو هذا الحب . سنرى أيضاً كيف أن من يرغب فى الشعور بهذا الحب سيكون عليه أن ينفض عنه الغبار ويتحرك .

الجزء الأول من كل ذلك هو لغة العلاقات .

## لغة العلاقات

إذا ما استخلص القارئ العزيز فكرة واحدة من الجزء الأول من الكتاب ، فستكون بلا شك هى الرغبة المشتركة للجنسين فى أن يتم فهمهما . ولتحقيق هذا الهدف ، ليس هناك ما هو أكثر أهمية من " المهارات الأربع للغة

العلاقة " : تجربة التقمص العاطفى ؛ تبادل التقمص العاطفى ؛ توجيه النقد بطريقة يسهل تقبلها ؛ الاستماع إلى الانتقاد بصدر رحب مما يسهل توجيهه .
ومن بين هذه العناصر الأربعة ، نجد أن أكثرها تطلباً لكثير من الجهد والعمل ، هو حساسيتنا للنقد الشخصى . وهى نقطة الضعف فى العلاقة بين الرجل والمرأة ، والتى دائماً ما تصيبها المشاكل والأزمات .

من أفضل الأشياء فى الفصول الأربعة الأولى هى أن لغة العلاقة ، مثلها مثل لغة الحاسب الآلى ، يمكن تعلمها . وهى تحمل فى طياتها نوعاً من الحب لم يحلم به جيل آبائنا . ولكن ذلك لا يعنى أن هذا الحب أفضل من حب آبائنا . لماذا ؟ عندما أتاح لنا التقدم العلمى الكثير من الوسائل التى تملأ حياتنا وتجعلنا لا نحتاج إلى الزواج أو الارتباط بأى إنسان ؛ لم يصبح الزواج هو الضمان للحياة معاً كفريق على امتداد العمر . لقد فقدنا الحب الذى ينمو من خلال اليقين بأننا سنكون فريقًا واحدًا طول العمر " فى السراء وفى الضراء " .

إن لغة العلاقة لديها القدرة على إحداث التوازن الذى أخل به التقدم العلمى . وبدون هذه اللغة سنظل منتظرين أن يحقق لنا الآخرون هذا الاستقرار : سوف نسعى لطلب القواعد التى تحقق الاستقرار والحصول على القوائم التى تحتوى على ما هو صحيح وما هو خاطئ من عدة مصادر مثل القانون ، ودور العبادة ، والعائلة ، وحتى الجامعات . مع لغة العلاقة ، سيكون الاستقرار منتجًا ثانويا طبيعيا للإحساس بالأمان العاطفى وبالدعم الذى توفره العلاقة . **وبمجرد أن تسود لغة العلاقة ، يمكن استخدام دور العبادة والأسرة كنُظم دعم إضافية ، وليس كنظم تشريعية بديلة .**

لاحظ ، رغم ذلك ، أننى قلت إن لغة العلاقة تنطوى على **احتمالية** تحقيق الاستقرار . حيث إنه لا يحدث أى تغيير إنسانى أو تكنولوجى بدون مقابل أو نتيجة عكسية . فنحن إذا قمنا بالتغيير بدون الاستعداد لهذه النتائج ، فسوف نخلق فى نفس الوقت توقعات غير صحيحة ، ونخلق إحباطات ، وهذا يؤدى للإخلال بالاستقرار .

والجانب الصعب فى لغة العلاقة كوسيلة للفهم المتبادل هو ضرورة التدريب والممارسة ـ فهى مثل لغة الحاسب ، ننساها إذا لم نمارسها باستمرار . وعندما نمارسها بانتظام ، تظهر إحدى النتائج العكسية الأخرى : وهى أننا نتوقع من شريك الحياة أن يفعل الشيء نفسه ، ونبالغ فى توقعاتنا ، ونقع بسهولة فى

فخ الشعور بأننا الأفضل ، وكل ذلك ينبثق من اعتقادنا بأننا تغيرنا أكثر مما تغير الطرف الآخر .

فما هو الحل ؟ يبدأ كل شيء بأن نتذكر أن النضوج مؤلم ، وأن من يشعر بالألم هو نحن ، وليس شريك الحياة ، فكل يشعر بألمه الخاص ، لذلك فنحن لا نرى سوى نضوجنا وتحولنا وليس نضوج الشريك . هذا يتطلب عملاً إيجابيًا مشتركًا ، وهو حث الطرف الآخر على النمو وتشجيعه على مجهوداته مع التعبير عن تقديرنا لفظياً . وثمن عدم القيام بذلك هو ظهور مجموعة أخرى من المشكلات ـ مثل زيادة التوقعات ، والثقة الزائدة فى صحة المواقف الشخصية .

فى الوقت الذى يخاف فيه الجنسان من التعبير عن أعمق الأحاسيس ، والتعرض لمخاطرة النبذ والخلاف والتى تتولد من مجرد توجيه النقد ، نجد أننا لا نهتم بالتساؤل عن سبب وجود هذا الخوف الكامن داخل الرجال فقط . لأن تاريخ الإنسان وبقاءه اعتمد على حماية الرجال للنساء حتى ولو على حساب حياتهم ، لذلك فإن أى شعور بالضعف يجعلنا نتخاذل ، وأى انتقاد لامرأة يجعل الرجل يشعر بأنه أصبح مستأسداً فى نظر الناس وفى نظر نفسه . وبمجرد أن يصبح المجتمع متمكناً من مهارات المرحلة التاريخية الأولى للاستمرار فى الحياة ، ويعبر الرجال عن أحاسيسهم ويوجهون النقد بمحبة ـ قبل أن يفقدوا السيطرة على أنفسهم ـ سيكون ذلك فى مصلحة الجميع : الأسرة ، والمجتمع ، والأعمال .

عندما يدخل المجتمع إلى المرحلة الثانية من عالم توازن احتياجات المحافظة على البقاء مع الشعور بالإنجاز الذاتى ، سيزيد من التأكيد على جانب الإنجاز الذاتى ويتيح الاختيارات أمام النساء فقط . وهذا ما يحدث اليوم فى معظم دول " أوربا " ، وفى الولايات المتحدة ، " وكندا " ، " واستراليا " " ونيوزيلندا " ، وفى معظم المناطق المتقدمة صناعياً فى باقى دول العالم . على أية حال ، **عندما يبدأ مجتمع ما بالاهتمام بمشاعر الرجال وإحساسهم بالإنجاز الذاتى ، وبدون إهمال أحاسيس النساء ، فهذا هو المؤشر الرئيسى بأن المجتمع صار مجتمع المرحلة الثانية الأكثر نضوجاً** . وسيكون هذا شغلنا الشاغل على مدار القرن الحادى والعشرين بأكمله .

## لماذا كل هذا الوقت ؟ النقلة التطورية التالية : توقع الحماية المتساوية

إن تشجيع الرجال على التعبير عن مشاعرهم يتطلب ما هو أكثر من تغيير المُثل ، إنه يحتاج إلى نقله تطورية ، نقلة فى كيفية إدراكنا لأدوار الجنسين التاريخية والجينية الخاصة بحماية الرجل للمرأة .

تاريخياً ، عندما كانت المرأة تشتكى ، كانت تكتشف من الذى يقوم بإنقاذها . كان ذلك طريقة للعثور على المنقذ ـ ليس لها فقط بل أيضاً لأولادها . إن الشكوى تمثل جزءاً فعالاً فى حماية المرأة وأسرتها . عندما كان الرجل يشتكى ، كانت النساء تنفر منه . وكانت الشكوى تعتبر عيباً فى شخصية الرجل . هناك عدة نماذج من الرجال لا يمكن أن يتواجدوا فى عيادة المعالج النفسانى ، وهؤلاء لا نجدهم فى الحياة الواقعية مثل الفارس ذى الفرس الأبيض ، أو الأميرة ، أو أحد القادة الكبار ،" أو سوبر مان " أو بطل أحد الألعاب الرياضية أو جراح المخ ، أو أحد أعضاء عصابات المافيا . إن الرجال الحقيقيين لا يشتركون فى دروس التخفف من الضغط العصبى . إن التحدى فى النقلة التطورية للرجال هو القدرة على الشكوى بلا خجل ( بشكل معقول ! ) ؛ أما النقلة التالية للمرأة فهى تحدى بعضهن البعض فى التقليل من الشكوى ، ومساندة بعضهن البعض من أجل إنجاز المزيد ، وإخبار بعضهن البعض أن الرجال هم حلفاؤهن .

بدأت شكاوى النساء ضد الرجال تتزايد عندما أدركن أنهم ـ الرجال ـ لم يحافظوا على وعودهم ـ بالزواج كتأمين اقتصادى مدى الحياة . وقد بدأ ذلك مع بدء زيادة حالات الطلاق فى الستينات من القرن الماضى ، وقد كان الطلاق يعنى ضياع أحلام النساء التى تمنين فيها أن يأتى الفارس على حصانه الأبيض ويخطفهن بعيداً . وتدفقت القوة العاملة النسائية إلى مواقع العمل بدون خبرات متكافئة مع الرجال ، وعدن إلى عالم الرجال بعد أن بلغن الأربعين ليجدن الرجال يفضلون المرأة العشرينية . وأصبح الرجال حمقى فى تلك الفترة وتعددت علاقاتهم العاطفية . وتنامى الغضب . وتحول الفارس على الحصان الأبيض إلى شيطان بعد أن كان المنقذ الوحيد .

كان هناك قليل من الغضب بسبب حصول الرجل على عائد أكبر من المرأة فى مواقع العمل حتى توقف الرجال عن تقديم دخولهم إلى أسرهم . ازداد عمق



الغضب بصورة لم يجرؤ معها أى رجل على الرد بعبارة مثل : " إن هذه الزيادة فى مقابل وقت أطول ، وخبرة أكبر ، وأعمال أكثر خطورة " .

لم تزرع الحركة النسائية بذور الغضب ، لقد تم زرع بذور غضب الجنسين فى روح كل جيل ، وذلك لأن الجنسين كل منهما حرم نفسه من إشباع رغباته وقام بالتضحية بكل شىء من أجل جعل حياة أطفاله أفضل منه ( وفى بعض الأحيان لم يتم تقديرهم على ذلك ) . وقد كان ذلك لعدة أجيال يعتبر حباً ، وعندما كان يُترجم بهذه الصورة ، لم يكن يشجع على الاستمرار فقط ، ولكنه كان يخلق الرضا والمجتمعات المترابطة .

إلا أن الحركة النسائية لم تترجم تضحيات النساء على أنها الحب الذى هو دور النساء فى عالم تبادل فيه الجنسان تعلم الحب بالإقدام على التضحيات ، حتى يحصل أبناؤهم على ما لم يحصلوا هم عليه . واعتبرت أن طبيعة النساء المُحبة تجعلهن عرضة لاستغلال الرجال بطريقة لا تحدث إذا عكسنا الأوضاع . ما الذى جعل النساء اللائى كن دائماً شريكات الرجال ، معرضات لهذا التفسير ؟

## الحركة النسائية كبديل للرجل

عندما جعل الطلاق النساء معرضات للخطر بدون حماية رجالهن ، صارت الحركة النسائية بمثابة البديل عن الرجل . وقادت الحركة جماهير النساء فى خطوتهن التحولية .

أصبحت الحركة النسائية وكأنها اتحاد العاملات العام ، إذا صح التعبير . وعن طريق دفع النساء للشعور بأن سبب غضب الرجال شىء خاص بهن وحدهن ، وليس نتاج المرحلة الانتقالية التى مر بها الجنسان ، قامت الحركة بخلق ما يسمى بقوة الضحية ـ مثلما يفعل أى اتحاد لأعضائه . وكما يحدد لنفسه عدواً حددت الحركة النسائية عدوها ولكنه لم يكن الإدارة ، بل كان الرجل . على ذلك صارت الأفكار النسائية المدعمة للمرأة ، أفكاراً مبنية على النساء كضحية ثم تحولت إلى الحركة النسائية التنافسية . لقد فرَّق الطلاق الفريق الزوجى وترك المرأة عرضة للاعتقاد بأن كل من حولها من الرجال هم أعداء لها .

فى سنوات الستينات والسبعينات عندما كان الدين يمثل القواعد التى تسعى النساء للتحرر منها ، أصبحت حركة التحرر النسائية هى المنقذ للمرأة العلمانية ، والمرأة المطلقة ، وكثير من النساء الوحيدات . صارت هى الأم الروحية . غذت الحركة ثقة النساء فى أنفسهن ، ولكنها فى نفس الوقت زادت من غضب النساء بإخبارهن أن المرأة نشأت لكى تهتم بالآخرين ، وكان ذلك بمثابة مؤامرة من تدبير المجتمع الأبوى . لقد صنعت حركة التحرر النسائى من نفسها أمًّا روحية ومن الرجل شيطاناً .

باختصار ، أصبحت الحركة النسائية بمثابة البديل للرجل بالنسبة لبعض النساء ، ولأخريات بمثابة اتحاد نسائى ، ولعدد كبير من النساء العلمانيات بمثابة الدين . فحينما تكون الحركة النسائية بمثابة الاتحاد النسائى ، فإنها تُصَوِّر الرجال فى أماكن العمل على أنهم الرؤساء الذين يُظهرون اللامبالاة تجاه النساء ولا يُظهرون احتياجهم لهن ؛ وحينما تكون الحركة بمثابة ديانة لبعض النساء ، فإن المرأة ترى زوجها وكأنه رجل الدين المتحكم فى كل مجريات الأمور . وإذا جمعنا كل هذه المعتقدات بخصوص الرجل ، فسوف نجد أنه أصبح فى نظرهم الشيطان الذى يهدف إلى إغراء النساء بالاعتماد على حمايته ، مثله فى ذلك مثل الجنى الذى يغوى النساء ويقودهن إلى الهلاك .

وما إن تم تعريف الرجل على أنه العدو ، تمت مراجعة كل جوانب أدوار الجنسين من وجهة نظر الحركة النسائية فقط ، وكان من السهل خلق الأساطير حول الرجال . وكانت أقوى هذه الأساطير أن قوة الرجال يتم توظيفها لخدمة الرجل فقط وليس لتوفير الحماية لامرأته وأبنائه . كل أسطورة أخرى حول الرجال تفرعت من هذه الأسطورة الرئيسية ، إلى جانب تحطيم حلم النساء فى الحصول على الحماية التى توفرها هذه القوة . كانت النتيجة هى انفجار قدر مخيف من الغضب لم يسبق له مثيل فى التاريخ ، وموجه من جنس إلى جنس آخر ، وهو الأمر الذى سيترك ـ إذا لم يعالج فوراً ـ كل الأجيال التالية مغتربة عن آبائها .

هذه القوة المجتمعية للغضب ، تزايد حجمها من خلال وجهين من الأوجه الثلاثة للحركة النسائية ، هذه الأوجه التى بلورت " قوة الضحية " ...

إن الأوجه الثلاثة للحركة النسائية ـ الحركة النسائية التمكينية ، والحركة النسائية التى تعتمد على قوة الضحية ، والحركة النسائية التنافسية ـ يمكننا أن نعتبر أنها جاءت فى صفقة واحدة من الجانب السياسى . عندما نضجت الحركة النسائية ، كنت شاهدا على ذلك ، ورأيت أن ملايين من النساء استطعن تطوير أنفسهن بطريقة لم يكن فى استطاعة أية امرأة أن تفعلها منذ ثلاثين سنة ؛ فقد بدأت فى التحول إلى الإيجابية بدلاً من السلبية الهجومية ، والتوجه نحو الاستقلالية بدلاً من الاعتمادية فى الحياة . كان ذلك مبعثاً لسرورى ـ للنساء وللحركة النسائية ، وساهمت بنصيبى فى إحداث هذا التغيير . على الجانب الآخر ، شعرت بالحزن لأن الحركة التمكينية للنساء لم تستطع أن تتخلص من أفكار الضحية ، وأفكار التنافسية ، وهى التى خلقت من الرجل شيطاناً .

والمثير للسخرية هو أن عدم رغبة الحركة النسائية التمكينية فى الاستقلال كانت جزءاً من العبقرية السياسية للحركة النسائية . **العبقرية السياسية للحركة النسائية هى " الثلاثية المقدسة غير المنطوقة " : إتاحة الاختيارات المفتوحة دائماً للمرأة ؛ عدم إغلاق الباب أمام أية بدائل للنساء ؛ عندما يحدث أى خطأ فى المجتمع ، لا تحمل أية امرأة المسئولية عن هذا الخطأ .** لماذا إذن يعتبر ذلك انعداماً للعبقرية السياسية ؟ إن النساء اللاتى سيستفدن سوف يهتممن بالتأييد أكثر مما سيهتم الأشخاص الذين لن يستفيدوا بالمعارضة .

شعر الرجال بالحيرة بسبب الشعارات المتناقضة للحركة النسائية ، فشعار " أنا امرأة ؛ أنا قوية " يتناقض مع " أنا امرأة ؛ أنا ضحية " . وعندما يرى رجل امرأة فى وضع ضحية ، يكون رد فعله الطبيعى هو إنقاذها ؛ ولكن لا يفترض فيمن يلعب دور الرجل أن يسعى أحد لإنقاذه . كان النساء يدعين القدرة على لعب دور الرجل مع استمرار رغبتهن فى الحصول على الحماية .

من وجهة النظر النسائية لم يكن هناك تناقض ، فقد تحملت النساء مسئولياتهن الجديدة وهن يعلمن أنهن يجب أن يصبحن قويات ، وهذه المسئوليات الجديدة كانت ثقيلة ، وهو ما جعلهن يشعرن بأنهن ضحايا . وتعمقت الأزمة أكثر من ذلك .

ازداد شعور النساء بأنهن ضحايا ، لأن معظم أفعال المرأة فى الماضى كانت لا تحاسَب عليها بصورة كبيرة . فى الماضى أيضاً كانت الموافقات على الطلاق محدودة ومسيطراً عليها ولذلك استمرت المرأة فى أداء دورها . فإذا سرق ابنها مثلاً ، فلا نقوم بفصل المرأة لعجزها عن القيام بدورها . وعلى العكس من ذلك ، إذا تولى رجل تدريب فريق رياضى وفشل الفريق فى تحقيق الفوز ، يكون فصل المدرب متوقعاً . كان للنساء حق الاختيار فى وضع المعايير الخاصة بهن ، ومعظمهن نجح فى ذلك ؛ أما الرجال فكانوا ملزمين أن يسايروا المعايير التى وضعها الآخرون .

دعمت حركة التحرر النسائية هذا الموروث التقليدى الذى بموجبه تضع النساء المعايير الخاصة بهن فى الأمور التى يحاسبن عليها . لم تكن المرأة تُحاسَب على الطريقة التى تنفق بها أموال نفقة الأبناء . وإذا ارتدت امرأة ثوباً قصيراً كاشفاً واستجاب أى من الرجال لذلك ، فإن الحركة النسائية تتهمه بالتحرش الجنسى ، لكنهم لا يتهمونها بالإغراء المتعمد . عندما يقول رجل ضرب امرأة : " إن ذلك كان دفاعاً عن النفس ، لقد ضربتنى أولاً " ، تردد الحركة النسائية شعار : " ليس هناك أى عذر مقبول لارتكاب العنف ضد النساء " . وحين تضرب امرأة رجلاً ، يرتفع شعار " ما الذى فعله لاستفزازها ؟ " . صحيح أن النساء أصبحن يتولين مسئوليات أكثر ، ولكن محاسبتهن على أفعالهن لا تواكب هذا الكم من المسئوليات .

رغم اقتناع الرجال بأن من لا يتحمل مسئولية تبعات أفعاله يكون غير مؤهل لأن يكون متساوياً مع الآخرين ، إلا أن غريزتهم لحماية المرأة لا يمكن أن تتجاهل صرخة امرأة تطلب المساعدة ، ولذلك قاموا بسن قوانين وتشريعات تمنع التمييز فى الأجر على أساس الجنس ، مما خلق تمييزاً مضاداً يزيد من أجر النساء عن الرجال ( إجراءات لمساندة المرأة ) ؛ وقوانين توفر الحماية للمرأة من أعمال العنف التى يرتكبها غرباء ( القانون الفيدرالى الخاص بالعنف ضد النساء ؛ مراكز خاصة لاستقبال المتعرضات للاغتصاب ) والعنف المنزلى ( دفاعات العجز المكتسب ، ملاجئ استقبال النساء ضحايا الضرب والاعتداء ) ؛ وتوفير الحماية للأمهات للقيام بدورهن ( برامج خاصة للأمهات والأطفال ، الإجبار على دفع النفقة للأمهات ) ، ولكن إهمال توفير الحماية للآباء ليقوموا بدورهم ( عدم الموافقة على الحضانة المشتركة للأبناء ؛ عدم تمكين الأب من رؤية أبنائه ) . والنساء على عكس الرجال ، عندما يشعرن يتكلمن .

وعندما تتحدث النساء طلبا للحماية ، يسارع الرجال بوضع القوانين . وهذا ما تفعله النساء أيضاً .

إن الرجال القليلين الذين لديهم القدرة على التواصل مع مشاعرهم ليس لديهم حزب سياسى يساعدهم على التعبير عن مشاعرهم . إن هموم الرجال لا ترتبط بعلاقة متجانسة مع الحزب المحافظ والتحررى ، ولكنها تتصل ببعضها البعض فى علاقة ثلاثية . إن كلاً من المحافظين والأحرار يقدمون الحماية للنساء وبذلك يدعمون أدوار الجنسين التقليدية ، ولكن كل منهما يقوم بذلك بناء على فلسفة تبرر هذا التوجه الوقائى . فالمحافظون يتوقعون أن تتلقى النساء حماية خاصة من خلال العادات الاجتماعية . والأحرار يتوقعون نفس الشىء ، أى أن تنال النساء حماية خاصة ولكن من خلال البرامج الحكومية . يرى المحافظون أن معظم النساء يرغبن فى أداء الدور الأنثوى التقليدى ، وأداؤهن لهذا الدور يتطلب توافر الحماية من جانب الرجال . أما الأحرار ، فهم يفترضون أن الدور التقليدى للرجال والذى كان ينطوى على السلطة والامتيازات كان يخدم الرجال ولم يكن وسيلة لحماية النساء ، وعلى ذلك يشعرون بأن النساء يحتجن الحماية لتعويض قوة الرجال . لذلك فإن الرجال من الأحرار أو التقليديين يوافقون على أن المرأة تحتاج إلى الحماية التى يوفرها الرجل ، وأن الرجل لا يحتاج لمن يحميه .

هل معنى ذلك أن المتحررين والمحافظين يؤيدون المساواة بين الجنسين ؟ ليس بالضرورة . إن توفير حماية خاصة مع مساواة حقيقية هو قول يحمل معنيين متناقضين . فعلى المدى القصير ، نجد أن الحماية الخاصة لا يتلقاها سوى الطرف الذى يتمتع بالامتيازات . ولكن فى الغالب يصبح هذا الوضع سلاحاً ذا حدين . فالرجل الذى يلجأ إلى المافيا لتوفر له الحماية ، سرعان ما يجد نفسه أسير حماية المافيا . والمرأة التى تعتمد على الرجل لحمايتها ستجد نفسها معتمدة على الرجل ؛ وعندما تستبدل بالرجل الحكومة ، فسوف تصبح معتمدة على الحكومة ( لدرجة أنها سترغب فى الزواج ، مجازياً ، من الإعانات الحكومية بدلاً من الرجل ) . هذا هو السبب فى أن حماية النساء تخلق مساواة بين الجنسين لا تزيد عما يمكن أن يخلقه المعاش التقاعدى من تساو بين الطبقات .

هل هناك دور شرعى لحماية النساء ؟ نعم ، هناك احتياج لحماية النساء خلال المراحل الانتقالية ، بنفس قدر احتياج الرجال للحماية خلال هذه

الفترة . ولكن الحماية فى المراحل الانتقالية تتطلب دوماً نوعاً من الفطام المتدرج . **إننا نوفر الحماية للنساء كجزء من حقوق المرأة ، وليس كجزء من المرحلة الانتقالية التى يمر بها الجنسان .**

## كيف نساعد أبناءنا على عبور تلك المرحلة الانتقالية فى الحب ؟

كيف نستفيد مما جاء فى هذا الكتاب " Women Can't Hear What Men Don't Say " لمساعدة بناتنا وأبنائنا على التخلص من نموذج الجانى والضحية ، وتبادل المحبة بفاعلية ؟ لقد وجد والدا " كيم " طريقة لذلك ...

اكتشف والدا " كيم " أنها طموح وذكية . عندما كانت " كيم " تعود من الحفلات وهى تشعر بالفخر لأن كثيراً من الفتيان المحبوبين ذوى الشعبية قد أبدوا إعجابهم بها ، يستمع الوالدان إليها باهتمام . ثم يسألانها : " من كان هناك أيضاً ؟ وما هى الأحاديث التى دارت بينها وبين هؤلاء الفتية ؟ " . كانا يشجعانها على أن تلاحظ الرجال الأهدأ ، وأن تتصرف بفاعلية لكى تبحث عن الرجل المحب والمهتم ، والذى لديه القدرة على مساندتها فى مستقبلها المهنى . وقد أخبراها أن كل هذه المواصفات قد تكون ضمن صفات أخرى للرجل قد يكون منها أن دخله أقل من دخلها . وجدت " كيم " هذا الرجل ، وبدلاً من أن تتسبب فى إحباط أبيها وأمها أو نفسها ، فقد حققت السعادة لأن زوجها كرس نفسه لها وأخلص لها ولمهنتها وأطفالهما ، واستطاعت هى أن تبذل مزيداً من الجهد فى وظيفتها بقدر ما تستطيع .

كانت هذه هى النتيجة . ولكن كما يعلم أى والد ، فإن الوصول إلى هذه الغاية لم يكن بالأمر السهل . اسم الرجل الذى تزوجته " كيم " هو " كيرت " . كان " كيرت " هادئاً أكثر من اللازم ولم يبادر أية مرة بطلب الزواج من " كيم " - والتى كانت أكثر جرأة منه وعرضت هى عليه الزواج منها . فى البداية ، كانت " كيم " مترددة فى محادثته هاتفياً ، لأن الرجال الذين سبق أن أعجبت بهم وبادرت هى بإظهار إعجابها لم يتجاوبوا معها ولم يرغبوا فيها كزوجة . أحدهم نبذها ، وآخر ظن أن لها مصلحة من إقامة علاقة معه ، وثالث كان ملولاً بطبعه . لذلك خشيت " كيم " من أن تبادر فتتأثر سمعتها فى محيطها .

تركها والداها لكى تدرك أن هدفها ـ بأن تكون ناجحة ـ سيتم إنجازه من خلال تعلم تحكمها فى حياتها وإقدامها على المخاطرة . معظم الرجال الذين ستتنافس معهم يقدمون على المخاطرة بحساب التوقعات ، وليس الاختيار ، وأنها إذا أرادت المساواة فعليها أن تتوقع من نفسها أن تبادر بالطلب ، وأن تستمر فى الطلب . إنها لم تكن تحتاج أن تتعرض للفشل ، بل أن تجرب الفشل : حيث إن تجربة الفشل هى أحد متطلبات النجاح . ولم يكن هناك وقت لتجربة الفشل أفضل من الفترة التى كان لديها أثناءها قدر متاح من الدعم الأسرى دائماً . ( ما لم تفهمه " كيم " أن الأمر كان صعباً على أسرتها بنفس مقدار صعوبته وهى تستمع إليهم يقولون ذلك ! ) .

حكى لها والدها عن خوفه وتردده عندما كان شاباً حينما كان يرغب فى التودد لإحدى الفتيات . وشرح لها أن باستطاعتها امتلاك ما تمتلكه معظم البنات ـ " سلطة الفيتو " ـ أى أن تكون لها حرية رفض أو قبول أى شاب يبدى إعجابه بها ، أو أن تمتلك " سلطة الاختيار الأصلية " عندما تختار الفتى الذى تريده . وأن تبادر بطلب الزواج منه ، بدلاً من انتظار من يطلب منها ذلك ، وهذا يعتبر إعداداً لها لكى تتحكم فى حياتها ، سواء فى دنيا العمل أو فى دنيا الزواج .

سمح لها ذكاؤها بأن تستوعب كل تلك النصائح ، ولكنها كانت منجذبة أكثر لفكرة أن يتقدم شاب لطلب الزواج منها ، وتغلب عليها الميل العاطفى لأن تكون مرغوبة من شخص يفكر كثيراً فى احتمالات الرفض . وما تبادر إلى ذهن " كيم " كان هو تخوفها من أن تكون ملزمة باستضافة من تعرض هى عليه الزواج ، وتكون ملزمة بالإنفاق على لقاءاتهما ، بما يعنى أن عليها العمل لساعات أطول فى أعمال لا تحبها . تقول " كيم " عن ذلك فى شىء من الفكاهة : " ألا تعتقدان أننى لو تعرضت لمخاطرة الرفض ، سيتمكن هذا الشاب من دفع ثمن مشروباته ! " . واستوعب الوالدان المنطق من وراء هذا القول .

كانت " كيم " تفكر كثيراً فيما يطلبه منها أبواها ، وفى سنواتها النهائية بالمدرسة كان هدفها الأساسى هو النجاح ، وكانت مشهورة بأنها تتعاطف مع الفتيان الذين يشعرون بالوحدة وليس لهم أصدقاء . كانت لديها الشجاعة لكى تحقق ما تريده .

إن ما اهتم به الوالدان أكثر هو تعريض " كيم " لاختيار التشارك فى الأدوار ، بدون إملاء رأيهما عليها . لم يرغبا أن يجعلاها فأراً لتجاربهما

الاجتماعية . نجحا فى إنجاز ما أرادا أن يحققاه مع " كيم " وذلك عندما قدما لها نماذج مشاركة الأدوار عن طريق الممارسة الفعلية وليس إلقاء المحاضرات الأخلاقية .

إن القدوة بالنسبة لمعظم الآباء ، هى أن يرى الأبناء الأب وهو يقوم بثلاثة أشياء : الطهو ، والتنظيف ، ورعاية الأطفال . وأن يروا الأم تقوم بأشياء مثل : العمل الشاق ، ودفع الفواتير ، والمناضلة .

إذا كان لديك أبناء صغار ، وتعتقد أن هذه الرسائل هى التى تصل إلى تفكيرهم ، اختبر ذلك بأن تطلب منهم رسم بعض الرسوم : صورة لعملية تنظيف المنزل ، أو دفع فاتورة العشاء بعد الانتهاء منه ، أو رسم أحد أفراد الأسرة وهو يملأ غسالة الصحون ، وأحد أعضاء الأسرة يُقبل الشخص الذى يقوم بذلك . ستعرف من هذه الرسوم من هو الشخص الذى يرون أنه مسئول عن هذا الدور .

راقب أيضاً التساؤلات التى نطرحها على أبنائنا وبناتنا فى السنوات التى يبدءون فيها التفكير فى الزواج . هل نقول : " لماذا لا تتصل بها ؟ " ونكرر ذلك أكثر مما نقول للبنت " لماذا لا تتصلين به ؟ " ؟ ، وقبل الخروج مع الخطيب هل نحدد لبناتنا توقيتاً محدداً للعودة ( حظر تجول ) أكثر مما نفعل مع الأبناء الذكور ؟ هل نزيد من تحذيراتنا لها من قيام الشاب باستغلالها جنسياً تحت غطاء الوعد بالزواج ، أكثر من تحذيرنا للابن لكى يأخذ حذره من البنت التى تستغله تحت دعوى الالتزام بعدم الحمل ؟

وإذا ما كنتَ رجلاً غير متزوج ولك دخل معقول ، دع المرأة التى تنوى الزواج منها تعرف فى أول لقاء أنك تريد مشاركتها فى أحد القرارات فيما يختص بما ستفعلانه بعد الزواج التالى ، وكما تتشاركان فى القرار ، عليكما المشاركة فى التكاليف .

إذا ما كنتِ امرأة ، وأعجبتك فكرة الرجل الذى يطهو ، وينظف ، ويعتنى بك ، فاسألى نفسك هذا السؤال : أيهما أسهل بالنسبة للرجل الذى ينوى الزواج منى : الاعتناء بى ، والطهو والتنظيف ، أم شراء خاتم ثمين من الماس ؟

ما هو الحل بالنسبة للرجل ؟ أن يشعر بالاطمئنان ويثق فى جدارته بالزواج من هذه المرأة دون أن يكون مطالباً بأن ينفق عليها أكثر مما تنفق هى عليه ( سواء فى النزهات ، أو الهدايا ، أو الوظائف المرهقة غير الممتعة ) ، وأن يكون حساساً بالدرجة التى تجعل المرأة تدرك هذه المشاعر . وأن يكون قادراً

على الابتعاد عن النساء اللاتى لا يرغبن فى الاستماع لما يشعر به بسبب احتياجهن لشخص ناجح ( الرجل الذى يوفر للمرأة الحماية المادية التى توفر لها المزيد من الاختيارات فى تربية الأطفال أكثر مما يتوافر له ) . وهذه هى الصفات الذكورية الجديدة فى المرحلة الانتقالية .

على مستوى المجتمع ، فإن القضية بالنسبة لى ليست هى : ما يختاره أى من الجنسين لكى يقوم به ، بل أن تكون لهما فرص متساوية فى الاختيار . أنا أؤيد جيلاً أو اثنين من برامج الدعم والمساندة للجنسين ، ولكن فى النواحى التى كان فيها التأهيل الاجتماعى للجنسين سبباً فى تثبيط همة أحدهما . يعنى ذلك بمفاهيم اليوم مساعدة النساء للرجال فى مجالات المعمار ، والخراطة ، والمناجم ، وقيادة عربات النقل ؛ ومساعدة الرجال للنساء على التواجد مع الأبناء فى المنزل ، الالتحاق بالتدريس فى المدارس الابتدائية ، والتمريض ، وتحسين مهارات القراءة ، والتعبير الشفوى والمهارات العاطفية .

لاشك أن الوصفات تختلف عن التوقعات أو التنبؤات . وها هى تنبؤاتى للجنسين على مدار القرن وهى مرتبة طبقاً لترتيب الأولوية الذى يتبعه " دافيد ليترمان " .

## أهم عشرة تنبؤات لـ " وارين " عن النساء والرجال فى القرن الحادى والعشرين

١٠. **العنف المنزلى** - سيتنامى ببطء على اعتباره قضية تخص الجنسين . ويطرح التساؤل عن استمرار النظر إلى الجانى على أنه الرجل دائماً ، سيتم إنشاء مزيد من دور الإيواء والخطوط الساخنة للرجال ، وسوف يؤدى ذلك لظهور برامج تركز على الجانب الوقائى عبر تحسين مهارات التواصل . وبالتدريج سيرحب الرجال بالعمل فى المجال الاجتماعى مرة أخرى .

٩. **الزواج ما بين النساء المديرات والرجال متعددى الاختيارات** - سيسعى الرجال بشكل أكثر لاختيار رعاية الأبناء والعمل من داخل المنزل وتحقيق دخل أقل نسبياً من الزوجات اللاتى يعملن بعيداً عن المنزل . فى نفس الوقت ، ستخترق النساء السقف الزجاجى عندما يصبحن العائل الأساسى للأسرة ، بحيث يسعين إلى الوصول إلى قمة الهرم الوظيفى . هذا النوع من

الزواج ستكون له فرص الاستقرار ، ولكن سيكون الانفصال سمة مميزة ، وسيثور التساؤل حول أحقية الرجال في أن تطبق عليهم القوانين التي كانت تحمي المرأة ، وتكون قادرة على حمايتهم . وستحدث معظم الاختراقات بواسطة النساء حين يُقمن علاقات عاطفية في العمل ، ويشتكي الرجال من عدم الاهتمام بهم .

٨. **فرق الرياضة النسائية** ـ ستزيد شعبيتها وسيردد رجل الشارع أسماء البطلات ( وليس فقط بطلات الألعاب الفردية مثل التنس أو الجمباز ، أو السباحة ، أو التزحلق على الجليد ) . وستمارس الفتيات الرياضة بطريقة أكثر عنفاً قبل وبعد المدرسة . وستكون أول الألعاب الجماعية للفتيات هي كرة القدم ، وكرة السلة ، والكرة الطائرة . وسيكون لذلك تأثير إيجابي على سعادة الفتيات في الحياة ، والنجاح في العمل ، والزواج .

٧. **الستار الحريري** ـ وعناصره الأربعة ( الإعلام ، الوسط الأكاديمي ، الحكومة ، المهن المساعدة ) . سيقود الإعلام الطريق إلى التوازن في التغطية الإخبارية ، مع الاهتمام بالقصص الشخصية للرجال ولقضايا الرجال ، وسيستغرق الأمر عشر سنوات حتى تركز البرامج الدراسية عن الرجال على المشاعر الحقيقية لمعظم الرجال ، بدلاً من الاكتفاء بوجهات نظر الحركة النسائية وتركيزها على المشكلات التي يسببها الرجال . سيتجاوب القانون مع التغيرات التي ستحدث في كل هذه العناصر الأربعة .

٦. **التمييز ضد النساء والمفارقة التي يحدثها** ـ خشية الشركات من شكاوى التحرش الجنسي ، والاتهام بالتمييز ضد النساء ، والمطالبات بساعات عمل مرنة ، ورعاية الأطفال ، وإجازات الزواج والوضع ، كل هذا سيبعد الأنظار عن التمييز الذي تعاني منه المرأة التي تعمل في المنزل ، وخاصة في الطبقات الفقيرة والمتوسطة . الخوف من رفع قضايا التحرش الجنسي ستحد من إمكانية قيام الرؤساء بتعليم الموظفات الجديدات . ستتم التعاقدات أكثر مع النساء بمفردهن ، وفي إطار مشروعات محددة . المفارقة أن هذا التمييز ضد المرأة سيفيد في النهاية بعض النساء ، اللائي سيبحثن عن طرق جديدة لكسب العيش ( عملاء أكثر بدلاً من صاحب عمل واحد ) ، وستصبح لديهن مهارات المخاطرة والقدرة على بدء المشاريع

والأعمال اعتماداً على أنفسهن . وسوف تشعر الكثيرات بوجود كثير من التشابه بينهن وبين الرجال .

٥. **التمييز ضد الرجال** ـ سيعمل القانون على إدانة أى تمييز ضد الرجل فى مهن التعليم الابتدائى ، والتمريض ، والضيافة الجوية ، وخدمة الحفلات ، وأعمال السكرتارية ، والعمل كموظف استقبال . ستصبح مسألة تدعيم الرجال قضية سياسية . سيعود الجدال حول التساوى فى الأجر ، ولكن هذه المرة بادعاء الجنسين بالتعرض للظلم والتحيز ضدهما . وقد تزداد المسألة تعقيداً ( سيكون هذا الموضوع الرئيسى لكتابى القادم " 25 Ways To Higher Pay " ) .

٤. **حماية النساء** ـ سيواجه النظام القانونى مدى دستورية التجنيد الإجبارى للرجال فقط . وقانون العنف ضد النساء فقط ، دفاعات " العجز المكتسب " ، قانون حماية النساء اللاتى يتعرضن للاغتصاب ، والبرامج المقصورة على النساء والأطفال ، ومكاتب الرعاية الصحية للنساء فقط ، والقوانين الأخرى التى تلزم بتوفير الحماية للنساء أكثر من الرجال .

٣. **لغة العلاقة وأبناؤنا** ـ ستقوم المدارس الإعدادية بإدماج مهارات لغة العلاقات ضمن المناهج ( الشعور بالتعاطف وممارسته ؛ توصيل الشعور بالتعاطف إلى الطرف الآخر ؛ توجيه النقد بالطريقة التى تتيح الاستماع إليه ؛ الإنصات إلى النقد بالطريقة التى تسهل تقديمه ) . ستقوم بعض المدارس بإعطاء ذلك أولوية أكثر من لغة الحاسب وستقوم بتعليمه للتلاميذ فى نفس السن التى يتعلمون فيها القراءة . سوف تحفز بعض المدارس لتقديم هذه البرامج بعد أحداث القتل الجماعى التى يرتكبها أولاد مراهقون منبوذون وغير قادرين على لفت الانتباه إليهم بصورة إيجابية ولذلك لفتوا إليهم الأنظار بصورة تدميرية ، وغالباً ما تنتهى هذه الحوادث بانتحار الجناة . سيزداد التأثير الإيجابى لهذه البرامج عندما تتضمن كيفية الوصول إلى الجوانب الحساسة للرجل ، وبمشاركة الآباء لأبنائهم ، وهذا يوفر مزيداً من التوازن بين التربية الحانية والانضباط .

٢. **حبوب تنظيم الأسرة للرجال** ـ ستغير هذه الحبوب من علاقات الرجال بالنساء بنفس القدر الذى غيرت به حبوب منع الحمل حياة النساء :

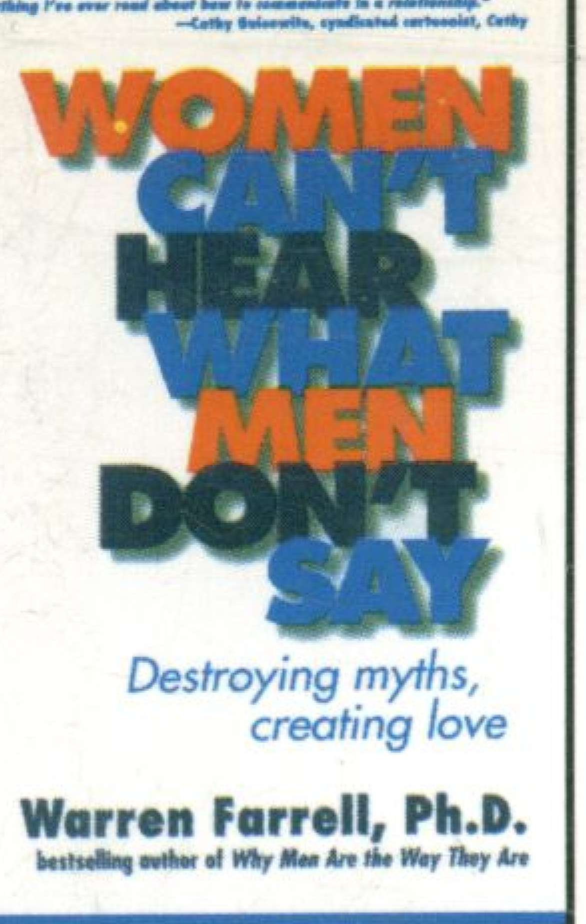
ستقلل من حمل المرأة بدون موافقة الرجل ، وبذلك تقلل من تخوف الرجل من الالتزام وتزيد من ثقة الرجال فى النساء ؛ ستؤدى إلى الإقلال من عدد حالات الحمل غير المرغوب فيها ؛ سيقل عدد حالات الإجهاض ؛ سيقود ذلك إلى زيادة تقبل الرجال للمسئوليات تجاه الأبناء ؛ وسيزداد استخدامها بواسطة الرجال الفقراء أكثر مما يتصور أى شخص . وستحقق هذه الحبوب مبيعات أكثر من " الفياجرا " .

١. **الآباء** ـ ستتشابه قضايا الآباء فى بدايات القرن الحادى والعشرين مع قضايا النساء التى كانت موجودة فى نهايات القرن العشرين . سيحقق الآباء نجاحات أكبر فى الحصول على الحضانة المشتركة للأبناء . وسيعالج الحرمان من زيارة الأبناء بصورة أكثر جدية . سيكثر عدد الرجال الذين يطلبون التحقق من الأبوة . سيزداد عدد الآباء الوحيدين ممن يطلبون العمل من داخل المنزل ولن يحصلوا مثل الأمهات الوحيدات على نفقة رعاية الأبناء ، سواء من الأمهات أو من الحكومة ، حتى ولو كان له حق الحضانة المطلق . فى عام ٢٠١٥ سيصبح الآباء الوحيدون ما بين ٢٥ ـ ٣٠ ٪ من إجمالى عدد الأسر ذات العائل الواحد .

للمرة الأولى فى التاريخ ، سيتوافر للجنسين فرصة لإعادة تعريف الحب ، وليس لخلق حركة نسائية توجه اللوم إلى الرجال ، أو حركة خاصة بالرجال توجه اللوم إلى النساء ، ولكن حركة انتقالية للجنسين معاً .

فى الماضى ، كان التحدى مفروضاً علينا من موقف متناقض : حركات سياسية يقودها فى الغالب أشخاص غير صالحين ، فى مقابل قليل من التغييرات الجيدة التى تحدث بدون الحركات السياسية .

فى المستقبل ، سيفرض علينا التحدى من خلال إمكانية قيام بعض الحركات بإجراء تغييرات صحية بقيادة أشخاص يتصفون بالحكمة . سيحدث ذلك فقط إذا قام الرجال بما عليهم من واجبات ، ودرسوا عالمهم الداخلى ، وتحلوا بالشجاعة لنقل وجهات نظرهم إلى العالم الخارجى ، وقاموا بدعوة النساء للانضمام إليهم . إن الرجال لا يستطيعون قول ما لا يعرفه الرجال ، والنساء لا يستطعن سماع ما لا يقوله الرجال .




**هذا الكتاب يقلب المفاهيم المعتادة، ويوجه الأزواج رجالاً ونساءً إلى طريقة تخطي الحواجز الخفية التي تعوق الرجال عن التعبير عن أعمق أحاسيسهم ومشاعرهم والوصول بها إلى أقصى احتمالاتها الممكنة.**

«إن ما يتضمنه هذا الكتاب من تناول منطقي للعلاقات العاطفية لجدير وحده بما تنفقه من وقت ومال، ذلك أن المؤلف رجل مشهود له بالنزاهة والإنصاف في تناول قضايا الجنسين».

«سوزان دايتس»، لوس أنجلوس تايمز.

يوضح د. «وارين فاريل» المتخصص في علاج العلاقات بين الجنسين وصاحب الكتب الأكثر مبيعاً من خلال كتاب «النساء لا يسمعن ما لا يقوله الرجال» كيف تضج حياتنا بمختلف الضغائن القائمة على أساس الجنس سواء في المنزل، أو أماكن العمل، أو خلال تلك الصورة التقليدية التي رسمتها وسائل الإعلام، وما لها من تأثير طاغ على ثقافة المجتمع ككل، وكيف أن هذه الضغائن تتشابك مع خوف الرجال الداخلي من التعبير عما بأنفسهم لتحجب عنا حقيقة حياة الرجال الداخلية والخارجية، والنتيجة - كما يوضح الدكتور «فاريل» هي رسم صور نمطية ومغلوطة لكلا الجنسين، كما يؤدي ذلك إلى شيوع الشعور بالإغتراب وعدم الألفة بين الرجال والنساء سواء في إطار العلاقات الطويلة الأمد أو العلاقات العابرة، وتتسبب تلك الضغائن أيضاً في انتشار حالات الطلاق التي لا مبرر لها، وحرمان كلا الجنسين من تلك الحميمية التي يتوقون إليها.

نظراً لقدرة الدكتور «فاريل» على أن يرقب العالم من خلال منظور الرجال والنساء في الوقت نفسه، فقد تمكن من تنظيم برامج تواصل بارعة التأثير لمساعدة الأزواج في تخطي تلك المزاعم الخاطئة التي تعوق التواصل، وتؤدي إلى الصراع بين الجنسين، كما أنه يساعدهم في تنمية التفاهم والحب المتبادلين بشكل رائع.

إن أساليب الدكتور «فاريل» تمثل خلاصة أكثر من ثلاثين عاماً من الخبرة مع أكثر من ربع مليون رجل وإمرأة في ورش العمل، والمجموعات، والندوات التي كان يعقدها أو يشارك فيها . وهو ما يثبت أن تلك الاستراتيجيات التي تخلق الحب في المنزل يمكنها أيضاً أن تحقق النجاح والإحترام في مواقع العمل .

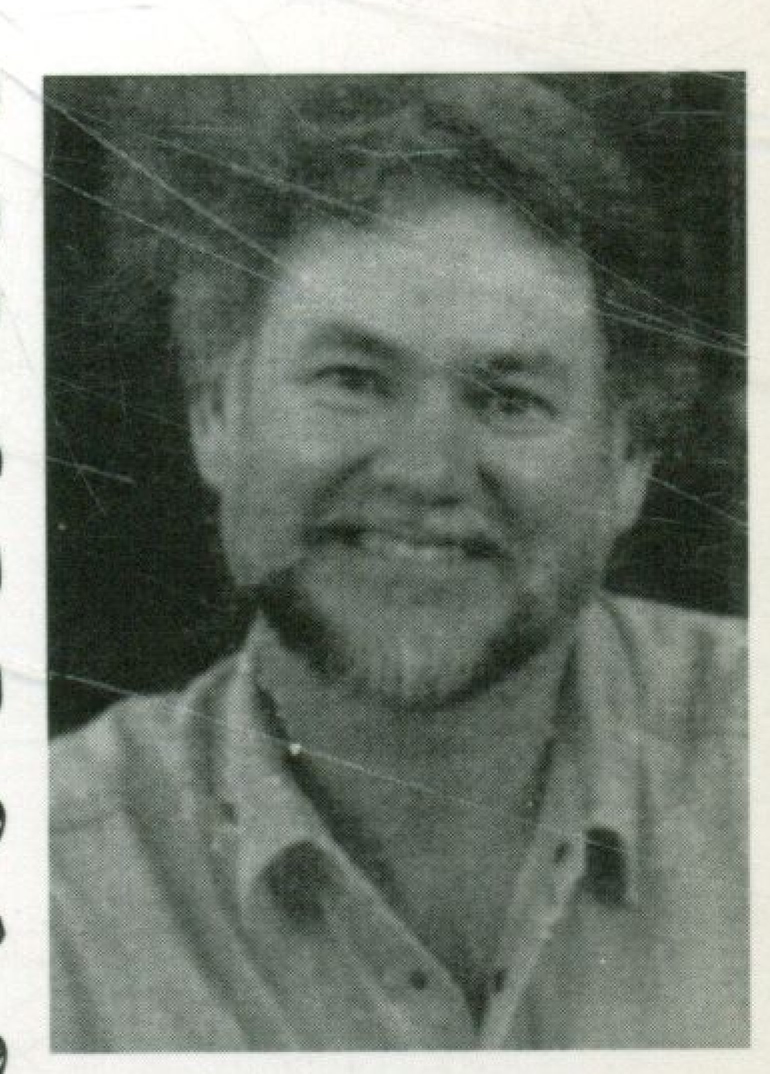
«إنه لكتاب رائد ! سوف يساعدك هذا الكتاب على إيضاح مقصدك لإبنك، ووالدك، وشريكك في العمل، كما سيساعدك بنفس الكفاءة على تفهم ما يقصدون».

- دكتور «بيتي بي. يانجز» المرشحة لجائزة بوليتزر وصاحبة كتاب **"Gifts Of The Heart"**

«يوضح د. «وارين فاريل» أن درجة التشابه بين الرجال والنساء تفوق كل ما نتصور، ولكن بعد مرور ثلاثين عاماً على بداية الحركة النسائية، يبدو أن الرجال هم الذين أصبحوا الآن في مأزق».

- آمي ديكنسون، مجلة تايم.





**الدكتور «وارين فاريل»** هو صاحب كتاب "The Liberated Man"، إ...
الحاصلين على جائزة الكتب الأكثر مبيعاً:
... Myth Of Male Power"، "Why Men Are The Way They Are"
في أكثر من خمسين دولة، وترجمت لأكثر من تسع لغات، كما أنه الرج...
انتخابه ثلاث مرات كعضو في مجلس منظمة المرأة القومية بمدينة ...
الدكتور «فاريل» في كلية الطب التابعة لجامعة «كاليفورنيا» «سان دييج...
و«روتجرز»، وكلية «بروكلين»، وقد تمت استضافته عدة مرات في وسائ...
من خلال برامج مثل: «برنامج «أوبرا وينفري»، و «دوناهيو»، كما ظهر على قناة «سي.إن.إن».
وهو يعيش حالياً في «إنسينيتاس» ب «كاليفورنيا».

